



د. مهند البراك

ذكريات الصبا



د. مهند البراك

ذكريات الصبا

اسم الكتاب: ذكريات الصبا

الموضوع: ذكريات

المؤلف: د.مهند البراك

تجميع و إعداد: عمر خضر كاكيل

تصميم الغلاف: نالي عمر

الصيغة: PDF

*جميع الحقوق محفوظة :

لايحوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع ، أو نقله بأي وسيلة من الوسائل الورقية أو الكترونية إلا بإذن خطي مباشر من الناشر .

كلمة لا بد منها :

بقلم / عمر خضر كاكيل

ذكريات الصبا، هي رواية لـ د. مهند البراك المعروف بـ(دكتور صادق)، وهو طبيب وباحث و أحد قادة حركة الأنصار (البيشمهركه) في الثمانينات من القرن الماضي، شارك في الكفاح المسلح ضد النظام البعثي الفاشي مع انصار الحزب الشيوعي العراقي.

هذا الكتاب يسافر بنا عبر الزمن إلى داخل حياة العوائل العراقية و في حقب و محطات كثيرة و مليئة بالاحداث، ناقلا ذكرياته و ذكريات عائلته و رفاقه و مغامراته في الطفولة و بداية الشباب، حيث المشاكسة و التمرد و الرومانسية.

يتحدث الدكتور مهند البراك في روايته عن أيام طفولته ونشأته في كنف اسرته المناضلة والمعروفة سياسيا واجتماعيا، ويحاول إعادة سرد ماضيه بدقة تعطي للذكرى من الواقعية أكثر مما كان للأحداث نفسها .

كتب البراك هذه النصوص في السنوات الأخيرة، إلا أنه للأسف لم يستطع إكمالها بسبب موته المفاجئ فظلت الرواية غير مكتملة للأسف، وفاء لرفيقي البراك ورفيق والذي الشهيد (خضر كاكيل) قمت بتجميع وتصميم ومراجعة النصوص، وثم قررت نشر الكتاب في الذكرى السنوية لرحيله الكترونياً بصيغة PDF بهدف تسهيل عملية النشر و ليصل إلى أكبر عدد من القراء....

لروح الدكتور مهند البراك و ارواح رفاقه
الأنصار الأبطال الذين ناضلوا من أجل وطن حر
وشعب سعيد السلام والسكينة ولذكراهم الخلود.

ذكريات طفولة :

كانت الاحاديث تتناقل بين ابناء العائلة الكبيرة و الاقارب بين بغداد و الفرات سواء كانت بصيغة روايات او محادثات او ذكريات عجائز. قال غازي ذات يوم:

- لماذا لانلتقي في بيوتنا لنلعب البوكر و نشرب ؟ يمكن ان نلتقي كل مرة في بيت واحد من عندنا.. ارخص واكثر امنا و بدون التعرض لمضايقات الحراس الليليين و دوريات الشرطة، و مضايقات شباب المحلات المتشددين العاملين من انفسهم سلطة في الطرقات ليلا.. يمكن ان نلتقي في بيوتنا وهي قريبة من بعضها و تقع في محلة واحدة، وبيتنا مثلا كبير وفيه طارمة جميلة تطل على حديقة واسعة.

حيث كان الشباب المتحمسون للقضية العربية بعد اعلان الإنتفاضات العربية في سوريا و فلسطين وسط تزايد الأخبار عن نشاط العصابات اليهودية في فلسطين.. كانوا يتجمعون سواء في مفارق الطرق او عند واجهات المقاهي، و يقومون باعمال حراسات ليلية خوفا على محلاتهم من اعمال التخريب التي كانت تنتشر اخبارها.. اجابه الخال محمد:

- للأسف لاستطيع، لأن بيت اهلي بيت ديني و الحاجة الوالدة لاتقبل و ستقيم الدنيا ولاتقعدها !! بل وستقف العائلة الكبيرة كلها معها! - تستطيع الحديث معها واقناعها كما فعلت انا مع والدتي. . قاطعه حمودي الباشا قائلا:

- عزيزي غازي.. محمد لايستطيع ذلك فكل اهل البيت هناك نساء محجبات و لارجل في البيت سواه ، والبيت بيت عالم ديني كما تعرف.. الشيخ فخري المدرس الله يرحمه ، و يقيمون فيه الذكر و المناقب.

غازي:

- متفقين ولكن.. احنا نساننا في البيت ايضا محجبات و لو يعني لايلبس

بوشية ولا نقاب وجه ولكن يلبس العباءة..
ثم استدرك قائلا:

- ولكني لست الولد الوحيد في البيت، اضافة الى ان القضية الأساسية وهي وجود والدي رب العائلة في البيت، وهو ليس رجل دين.. حيث كان ابو غازي يعمل في البيع و الشراء ويحقق ارباحا ليست قليلة من اعمال التموين وبالأساس من اعمال تموين القاعدة البريطانية في معسكر الرشيد (الهنيدي المتداول آنذاك)..

.. فقال حمودي الباشا لحسم النقاش:

- عال، يعني نروح الى بيت غازي، لأن والدي لو تنطبق السماء على الأرض لا يوافق ان نشرب و نلعب ورق في البيت، رغم اني متأكد انه يقوم بكل الممنوعات مع ضيوفه سواء كانوا رجالا لوحدهم او مع زوجاتهم، واحيانا بوجود فنانات (..) يحيين الليالي بالطرب و الغناء.

صار الشباب الثلاثة يلتقون بشكل متواصل في بيت غازي بتشجيع من والده السيد نوري النشيط في السوق و صاحب العيال والشابات اللواتي كن ينتظرن الزواج ، حيث كان يشجع ابنه على تقوية صداقته مع كلا الصديقين لكونهما من عوائل بغدادية معروفة، ولأمكانية انشاء مصلحة و عمل معهما كما فكر، حتى صار ابو غازي يشاركهم مجلسهم و لعبهم و شرابهم.. وعلى انغام موسيقى الأسطوانات الدائرة في الغرامافون.

قال ابو غازي يوما:

- اننا عائلة متفتحة ويعود ذلك لأننا اصلا من داغستان ، وبيتنا ملكنا اياه الباشا التركي جدي.. وسكنا فيه بعد ان تزوجت ابنة عمي ام غازي..

في وقت كانت فيه اجواء البلد تزداد احتقانا و يجري تداول مفاهيم عن: بسمارك العرب، العراق بروسيا العرب.. الملك غازي هو المخلص، و يجري تداول انواع البيانات والنشرات والصحف المحرصة على ذلك،

بل و يجري تداول انواع المنشورات السرية التي كان يشاع بانها لعملاء روس و لعملاء اترك و ايرانيين..

كان محمد فتى عابثا ولم يكن تلميذا مجتهدا وانما كسولا كثرت شكاوي معلميه منه لوالده الشيخ فخري و كانوا يضطرون الى دفعه و انجابه في الدراسة الابتدائية اكراما لوالده الشيخ، وبذلوا جهودا كبيرة كي ينجح في الامتحان الحكومي للدراسة الابتدائية حتى نجح فعلا في المحاولة الثانية.

اثر وفاة والده الحاج فخري الذي اقامت كلية الشريعة الإسلامية الملاصقة لمرقد الإمام الأعظم ، اقامت حفلا تأبينيا كبيرا، اثر تأثير وفاته التي تأثر بها اهالي الأعظمية كثيرا واغلقوا ابواب محلاتهم التجارية في السوق القديم اكراما له و للمشاركة في مراسيم العزاء والتأبين.

ورث محمد قطعة ارض ثمينة اثر وفاة والده ، حيث كان والده قد خطط ضمن ماخطط لأن تكون لولده وكتبها باسمه في حياته لتكون له ضمانا كي يبني عليها بيتا يعيش فيه بعد ان يتزوج ، الا ان محمد اسرع في بيعها ولم يستثمر ثمنها في صنعة او مهنة ما، وانما صرف ما حصل عليه في مصاحبة شبان عابثين انشغلوا بالسكر في الحانات و القمار، والسهر في الملاهي الليلية في جنوب العاصمة. و مرت السنين، اشتغل فيها محمد ككاتب مرة في علوة الفواكه والخضر العائدة للحاج عبد الكريم، ومرة كماسك دفاتر ومساعد في مخزن لوازم بيتية عائد لأسطه رشيد وغيرها من الأعمال المؤقتة و الموسمية الى ان حصل على شغلة كاتب بوساطة خاله.. مرة في دائرة المستوردة و مرة في مطابع الحكومة..

و قد استمر محمد في الشرب و لعب الورق، اضافة الى ارتياد الملاهي الليلية قرب الباب الشرقي كلما سنحت له فرصة، وقد صاحب وتصادق من خلال ذلك مع شبان جدد.. ومن عوائل متباينة غنية و فقيرة و من اديان و قوميات متعددة من ابناء البلد..

في ساعة متأخرة من احدى الليالي و بينما كان محمد عائدا من بيت غازي في محلة "السفينة" الى بيت الحاجة والدته في "محلة الشيوخ" .. جذبته ضوء ينبعث من غرفة والده الشيخ والتي اقلقت على اثارها و محتوياتها بعد وفاته ، فصعد الى الساحة العلوية للبيت حيث تقع الغرفة ، وهو يتوقع ان يقابل اخاه الأكبر "زكي" الذي كان الوحيد الذي ائتمنته امه على غرفة الشيخ، فكان الوحيد الذي يمتلك مفتاح بابها و يستطيع الدخول اليها..

و بعد ان فتح الباب ، جفل من رؤية اخيه الكبير حيث شاهده ينظف مسدسا و يحشوه بالرصاص، وكانت امامه رزمة من منشورات..
...آآآ

- ها محمد، خفت من المسدس؟!

- لا ، بس.. بصراحة آني خفت.. يعني لا يوجد واحد ما يخاف من السلا!

ضحك زكي و قال:

- لاتخاف!!

- زكي.. لماذا لديك سلاح؟ هل هو مجاز؟!

- عزيزي محمد.. صعب الحديث و النقاش مع سكران.. وفي آخر الليل..

- انا صحيح شارب ولكني لست سكرانا.. يعني انت بعدك تفكر بقضية الدولة العربية العظمى، يعني الملك غازي الله يرحمه مات، والعقداء الأبطال اعدموهم . . يعني لاتزعل.. ولكنه واقع ام كيف ؟

- اخي محمد.. الملك غازي قتلوه، يعني كان اغتيال سياسي و الموضوع طويل و لاينتهي، وهو باختصار من حق العرب ان يقيموا دولتهم كباقي شعوب الأرض، وهذه الدولة لاتعطي كهدية وانما تنتزع انتزاع في الصراع مع الأستعمار..

- يعني تعتقد لو هتلر انتصر ، اقول لو . . يعني كان حقق او ساعد على

الأقل في تكوين دولة العرب؟
- والله أسأل الذين يحبون هتلر.. انا اكره النازية و هتلر و كل انواع
الدكتاتوريات و القهر و الظلم السياسي و القومي و الديني، و اشوف
كل القوى العظمى في العالم تشتغل لمصالحها هي وعلى القادة
الوطنيين ان يستفيدوا و يوظفوا صراعهم بينهم.. لأجل تحقيق حقوق
بلدانهم.

- كيف قبلتكم المانيا النازية حينها.. و وافقت على تدريسكم ان كنتم
هكذا تفكرون؟

- شوف عزيزي.. انا ذهبت بدورة حكومية الى المانيا وفق اتفاق بين
حكومة الكيلاني والحكومة الألمانية، كالاتفاقات المعقودة بين الحكومة
العراقية و البريطانية.. بعد ان طرحت حكومة الكيلاني و سارت على
سياسة الحياد و عدم التدخل في الحرب بين بريطانيا و المانيا، في
محاولة منها للأستقلال والخلاص من الأستعمار البريطاني..
عندما كنا في لايبزك الالمانية، كنا كطلبة عراقيين مبعوثين نرى ان
علاقة زميل دورتنا خير الله طلفاح بقائد الحرس الاسود النازي هملر،
علاقة غير طبيعية.. حيث كان يدعو لزيارته الشخصية عدة مرات في
انصاف الليال.

- يعني بعدك مشغول بالسياسة ، تصورت انك تركتها بعد ان حلت
منظمات الفتوة والشباب و بعد هروب حكومة الكيلاني وهزيمة المانيا
في الحرب.

- هناك قضية وطنية و عربية ، و الموضوع لايتعلق بالمانيا و لا
بالنازية كما تتصور و يتصور خالك سعدون.. هناك نضال ضد
الأستعمار ومن اجل الحرية و الأستقلال، وقد ابتداء منذ النضال من اجل
التحرر من النير العثماني.

- وتعتقد احنا نقدر نواجههم؟! خالي يقول..
- نقدر نواجههم اذا تركت انت و امثالك الشرب و الملاهي و ترك خالك
سعدون النسوان و سوالفه المكسرة و اكبرها كانت حين نزل بطائرة

تدريب على الارض الصبخة في الغدير شرق بغداد، ليزور حبيبته الارمنية لأنه وعدھا، و كان يفخر بأن عيد الجيش في ٦ كانون الثاني كان هدية جعفر العسكري لصديقتھ الارمنية وقتذاك!! وقاطعھما صوت والدتھما وهي تصيح في ساحة الدار: - قد قامت الصلاة.. قد قامت الصلاة!! ولدي متى تنامون ، وذن الفجر!!

....

....

كان زكي جواد الأخ الأكبر غير الشقيق لراغب ، و هو ابن الضابط النشيط في جمعيات الضباط العراقيين من الذين كافحوا من اجل الأستقلال عن العثمانيين ، و الذي قضى ببطولة في حرب البلقان بعد ان ابيدت وحدته العائدة للجيش العثماني في احدى المعارك الضارية هناك.

و استمر زكي على نهج ابيه في الدعوة الى الدولة العربية الواحدة، بتشجيع من عمه الذي اهتم به و ساعد في اعداده ليكون ضابطا كفوءا على خطا ابيه . . و قد اكمل المدرسة الريفية لإعداد المعلمين في وقت لم يكن مهتما كثيرا في اكمال دراسته، بقدر اهتمامه بالرياضة وبالذات الملاكمة التي زاولها كهواي ثم عمل لها كمحترف ، بعد ان حقق نجاحات كانت تنبئ له بمستقبل لامع فيها. فتطوع في الجيش في صنف القتالية - ضباط الصف، كمهنة توفر له سبل العيش وتسهل طريقه اكثر في الملاكمة، التي حقق فيها بطولات متصاعدة وصلت الى حيازته على بطولة آسيا في الملاكمة، وصار بذلك متفرغا اكثر في شؤون الرياضة العسكرية. ولما كان من المتحمسين للقضية العربية، وجد نفسه منغمرا بنشاط في جمعيات العسكريين المناضلين من اجل تلك الأهداف، وصارا قريبا من عقداء المربع الذهبي، بل و معتمدا عليه في الشؤون الميدانية الى

حدوث احداث مايس ١٩٤١ التي ساهم فيها بحماس وترقى في المواقع العسكرية حتى صار أمر سرية راوة للمتطوعين من منظمات " الفتوة "، التي سميت حينها بـ " سرية الموت" ، كما كان يروي. .

وبعد فشل انتفاضة مايس، القي القبض عليه و أخرج من الجيش العراقي ، واضطر الى مزاولة عديد من الأشغال التي ساعدت على مواصلته للملاكمة، و تزوج من ارملة كانت تعمل خياطة ، فتحسنت حياته المالية و الاجتماعية.. فيما واصل العمل من اجل تحقيق "حلم العرب" على حد تعبيره، على طريق الخلاص من الهيمنة الإستعمارية، خاصة وان العواطف العربية تصاعدت اثر مذابح العصابات الصهيونية بحق الفلسطينيين و كان الناس يتداولون بان الجيش العراقي لولا خيانة نوري السعيد، كان مستعدا و قادرا على سحق العصابات الصهيونية.. لولا اوامر السعيد بالانسحاب.

كانت والدته الحاجة امينة تعتمد عليه و تثق به ، ورأت فيه الرجل الذي يمكن ان يساعدها و يشد ازرها عند الملمات ، بعد وفاة زوجها الشيخ .

وقد امنتها على غرفة زوجها الشيخ الراحل التي احتوت اشياء ثمينة ، اضافة الى الكتب و المخطوطات النادرة الثمينة.. التي اوصى بتوزيعها على مريديه و دراويشه و عوائلهم بعد وفاته، وفق الوصية التي تركها و التي حملت اسمائهم ، والتي كان توزيعها يحتاج جهدا استثنائيا لأنتشار المريدين و الطلاب الدينيين و الدراويش في مدن و اماكن متنوعة من البلاد، و يجيد قسم منهم العربية كلغة القرآن و التفسير.

وقد اكتفت الحاجة امينة من غرفة زوجها الراحل التي لايدخلها احد دون خلع حذائه عند بابها، كما كانت تفعل معنا في الطفولة.. اكتفت منها بلوحة جلدية فقط خطت عليها " آية الكرسي " التي علقتها على حائط غرفة الجلوس، اللوحة التي كانا قد اشتروها معا، هي و زوجها الشيخ الراحل في رحلة حجها معا الى البيت الحرام الذي حققا فيه نذرهما بالتوبة.. بالحج مشيا على الأقدام رفقة قوافل الحجاج الراكبين على

الجمال..

وقد اضطر زكي الى تغيير قفل الباب بقفل محكم جديد ، بعد انكشاف غياب بعض الحاجات منها، واعتقد اهل البيت ان ابن الشيخ من زوجته الأولى، قد سرقها حين جاء من مدينته لحضور مراسم الدفن و استغل انشغال الجميع بها، و بالواجبات الملقاة عليهم فيها . وكان قد اختفى فجأة كما ظهر فجأة .

فيما تساءل الجميع عن ثعباني الشيخ السوداوين الكبيرين ، اللذين عرفا بـ " الثعبانين الحارسين " اللذين عاشا في جحرين واضحين ، كان الأول عند يمين ارضية باب غرفة الشيخ ، و الجحر الثاني تحت الدرج المؤدي الى السطح الواطئ والطابق الثاني لذلك البيت الشرقي الكبير العالي.

لقد اثار ذلك الحدث الكثير من التقديرات :

- لايمكن تصديق ذلك ، فالشيخ و اغراضه يحميها العديد من الملائكة .
- هناك دراويش لايراهم احد يحمون الكنوز الإلهية، و يقطعون يد من تمتد يده على ما حرم الله!!
- لا بد ان هناك اشتباه ما ، فالأمر غير معقول . لأن مثل ما قال الأخ من يجرؤ على الدخول الى غرفة الشيخ في غيابه؟
- يقولون ان جحري الثعبانين مهجوران، يمكن ماتا.
- كيف يموتان؟ انهما ملاكي الشيخ الحارسان!!
- لا بد انهما ذهبا مع روح الشيخ الطاهرة الى البارئ عز وجل، وليشهدا عليه هناك بالحق ، فقد عاشا معه ويقال انه كثيرا ما استشارهما و تشاور معهما فيما اتخذ من قرارات!
- الله واكبر !!

- اللهم صلي على محمد و على آله وصحبه اجمعين!
- آمين!!!

...

- لايمكن لذلك الأبن الغريب ان يسرق شيئا من غرفة الشيخ والا و قبض عليه الثعبانان كما قبضا على مجيد الحرامي . . . ؟؟؟

٢.

و في ذلك الجمع، فجأة صاح احدهم:
- هاهو مجيد الحرامي!!
- ش ش ش ش تريد تورطنا ؟ . . تقصد درويش مجيد!!
- ويالك !! هذا اقرب دراويش الشيخ و احبهم الى قلبه .
التفت الجمع المتحمس الى رجل طويل مفتول العضل ظاهر القوة،
معصب رأسه بعصابة سوداء
فيما كان يلبس ثوبا طويلا اسودا، و يضع كوفية سوداء غطت كتفيه .
كان يتفحص الجميع بنظرات فاحصة من عينين واسعتين محمرتين
لوجه كثيف الشعر . . كانت هيئته تلك وبالخنجر الفضي اللامع الظاهر

و المثبت وسطه ، تهدد بالويل و الثبور لمن لا ينضبط و لا يصمت ، و لمن لا يظهر حزنه و احترامه للشيخ المتوفي الذي اوصى بان يدفن في الأرض المجاورة لمرقد الإمام ابو حنيفة النعمان و ان يهال عليه التراب فقط و ان لا يظهر من قبره اكثر من علو لا يزيد عن خمسة اصابع يد ، بلا بناء و لا حجر . . كي يستطيع سماع الأذان!

عرفت محلة الشيوخ القديمة " مجيد الحرامي " كشقي لايشق له غبار ، لم يعرف له اصل ولايعرف من اين جاء ، لكنه كان أملا للعديد من الفقراء و المعدمين في محنهم و آلامهم، كان يشرب الخمر و يضاجع النساء اللواتي اعجبهن ، الا انه لم يكن مستهترا، ولم يعتد على ضعيف او فقير او على امرأة في محنة . كان ينظر بريية و عدم احترام و احتقار لمن يتجبر بماله و لمن يستغل الفقراء و يسوقهم و يسومهم العذاب باسم الخرافة و الدين، والدين منها براء. سطا على بيوت اغنياء جمعوا اموالا من الخداع، وعلى بيوت من سطا على املاك و حقوق الضعيف و اليتيم بالقوة . . وساعد بها اليتامى و من ليس له معين ، و ساعد من احتاج و من تهددت بالأنحدار الى الشارع لإطعام اهلها او اولادها . . ممن سألوه العون و النجدة، علنا او سرا. كانت الناس تعرف و تعرف الكثير عنه ، ولكن لم يجرؤ احدا على الشهادة ضده ، لنبله و شجاعته و كرمه من جهة ، ولإنتقامه الذي لم يعرف الرحمة تجاه الخائن و الحقير ، خاصة وانه لم يكن طماعا او شرها او

لم يعرف تحديدا لماذا تسلل " مجيد الحرامي " الى حوش دار الشيخ فخري ، في ليلة شتائية قارسة البرد. ففي تلك الليلة استفاق الجيران على صوت صراخ عال منبعث من دار الشيخ يطالب بالنجدة و بالرحمة، كان صراخا متهالكا من رجل على و شك الموت. قالت الحاجة امينة انها استيقظت مذعورة من النوم من شدة الصراخ وكان ابنائها حولها ، ورأت على ضوء الفانوس ان افعتي الشيخ امسكتا

بتلابيب رجل تثبت على الأرض و كأنه تسمر عليها . و انها رأَت
 الشيخ يخرج من غرفته المضاعة و يسير بهدوء و هو يتلو آيات من
 الذكر الحكيم و يقترب من الأفعتين، اللتين تحركتا نحو الشيخ تاركتين
 الرجل امامه و زحفت كل منهما الى جحرها، فيما كان الشيخ ينادي
 على الرجل،
 كما قالت:

- ابني تب الى الله ، انه غفور رحيم.

- ابني لقد عصيت امر الله القادر القدير فنهبت و شربت الخمر و
 مارست
 الفحشاء!!

- لكني لم اظلم احداً ، بل دافعت عن الفقير و اليتيم و المحروم!
 - نعم . . ولكنك انتهكت حرمة بيت ولي شفيع من خدم الله في مقدم شر!
 ولم يجب مجيد بل اخذ ينتحب و يبكي بكاء مرا كان يفتت قلب السامع
 و هويزحف يريد تقبيل قدم الشيخ اعتذارا .

تراجع الشيخ و هو يصيح بانفعال:
 - استغفر الله . . لاتحقر نفسك . . لقد تاب عليك الله و الا لما نفذت من
 عقاب الله، ابني تركك الله تعالى صحيح معافى . . تب الى الله و ليس
 الي و اطلب الي المغفرة معك من عنده ! كلنا من آدم و آدم من تراب ،
 صدق
 الله العظيم!

صاح مجيد بصوت واثق:

- ربي اتوب اليك !! ربي اتوب اليك!!
 وانحنى الشيخ عليه بلحيته المحناة و بعمامته واضعا كفيه على كفي
 مجيد الذي كان يرتجف ، وطلب منه النهوض فنهض، و وضع الشيخ
 يده على كتف مجيد و سارا معا الى غرفة الشيخ . . ومنذ ذلك الحين
 صار مجيد يزوره كل يوم تقريبا و كان الشيخ يبتهج لقدمه .
 حتى صار مجيد اكثر جدية، و صار يقرأ كثيرا ليس القرآن و التفسير
 و حسب و انما الأدب و كتب نصرة الفقير . . ساعده الشيخ ليستقر على
 مهنة بعد ان اوصى به بناء على رغبته احد الخبازين المهرة فعمل

خبازا، ثم ساعده ليتزوج ... و بقي على سعيه في الدفاع عن المظلوم .
 . وصار اقرب حواربي الشيخ و منذ ذاك سماه الناس " درويش مجيد "

.
 .
 .

في مجلس النساء لدى الحاجة امينة في بيت الشيخ ذي البوابة الخشبية العريضة المصنوعة من الخشب الهندي السميك و المرصعة بمسامير معدنية كبيرة ، وبعد ان احكمت الحاجة امينة اغلاقه و قفله بمفتاح كبير طوله بطول نصف قدم كانت تعلقه بجيدها ، احكاما للعزلة و حماية لخلوة النساء، و كنا نحن الاطفال نجلس خلف النساء او عند الاحذية مستعدين لتلبية اي طلب.

و بعد اكمال الذكر والمولود الديني النسوي بمناسبة المولد النبوي بعد مرور عام على وفاة الشيخ،
 تذكرت الحاجة امينة انها نسيت ان تضع الحليب للثعبانين كما كان يفعل الشيخ كل صباح ، واخذت ترتجف و انقطعت عما احاطها من الكلام ، و النساء حولها يتدافعن ويتصايحن:
 - حكم عليها الحال!
 - دثرنها باغطية دافئة !

...-

وفجأة . . دفعت الأغطية ووقفت بقامتها وسط مفاجأة الجميع و ذهبت مهرولة الى سلم المنزل ، و حاول البعض ثنيها و استفسر البعض منهن بخوف عما تريد و الى اين تريد الذهاب ؟؟
 قطعت الصمت كبراهما في علوم الدين التي كن يدعونها بـ " الخليفة "
 و تصدرت المولد و قالت:

- دعنها تذهب الى حيث تريد بسلام . . البيت بيتها وهو بيت مبارك . .
 انها تنفذ امرا تلقته من الأعلى . . مدد ياشيخ فخري . . مدد!!
 ورددت الأخرىات على نقر الدفوف:

مدد

مدد!!

غوث ياسيدنا الشيخ غوث!!
حي ! الله حي ! الله حي!

ذهبت الحاجة امينة الى السطح العلوي من خلال الطابق الثاني الخشبي
ذي الشناشيل السطح الذي كان يهتز من وقع اقدم الأطفال
الصغيرة ويهتز مع الريح!
الخليفة:

- انها ذاهبة لتتاجي الملك الصالح ! لاتقلقن ! انها زوجة الشيخ والله
اعلم!!

- اللهم صلي على محمد!!
بعد فترة ليست طويلة . . عادت الحاجة من السطح مهللة الوجه وهي
تصيح من بعد:

- الحمد لله . . الشيخ بخير و غفر لي نسياني!!
- الف الف الحمد لله و الشكر!!

وبعد ان استمر نقر الدفوف و انشاد التراويح وبشكل متقطع .
هام قلبي عندما ذكر النبي . . النبي
محمد المختار . . محمد
محمد احمد . . طه
طه . . يا كامل الأنوار

وبعد ان تناولن الخبز و الريحان و الخضرة العشبية وبدأن بشرب
النشاي وهن يتحدثن بامور الناس و المحلة و قضايا الزواج والطلاق و
الحمل و العقم و الاخلاق و السفاهه و الفضائح و مشاكل العوائل و
يحاولن معرفة رأي الخليفة فيها لإسداء النصح للناس، كما عبرن .
سألت احدهن من الشابات الحاجة امينة بعد البسملة و العياذ بالله و
طلب المغفرة ان كانت الأسئلة تخل بالشرع او الأدب او بامور لايجوز

الحديث

بها:

- حاجة امينة استغفر الله العظيم . هل لك ان تحدثنا عن الثعبانين و كيف ظهرا ؟

شحب وجه الحاجة امينة و هي تستغفر الله و تكرر الأستغفار، وسط انصاتها و تسمعنا و فهمنا على قدر عقولنا الطفولية، و قالت:

- في البداية لازم تعرفي ان الشيخ فخري، علمته امه النقية و هي مؤسسة التكية النقشية في وادي العمادية، كانت زوجة الضابط العثماني الكبير الذي قتل في حرب القرم على يد المسقوف الصليبيين . . و تولت امه بعد مقتل ابيه رعاية و تربية ابنها الوحيد منه . . كانت الأم ابنة شيخ متصوف من مريدي الشيخ الشطي الكبير من ديار بكر، التي هربوا منها اثر المذابح التي قام بها العثمانيون بحق الارمن و الاديان الأخرى و بحق الكرد و كل معارضيتها من المتصوفة .

و كانت تعرف عددا من اللغات، من الكردية و التركية و الفارسية و الآشورية و الى الفرنسية وكانت قد ورثت المشيخة و الطريقة من ابيها و علمتها الى ابنها في وادي العمادية الى ان اشتد عوده، فقلقت المشيخة الى الموصل و اسست هناك تكيته، و اورثتها الى ابنها الوحيد الذي اسس هو و اقرانه كلية الشريعة الإسلامية العائدة الى مقام الإمام ابو حنيفة النعمان في الاعظمية.

و بعد ان اكمل الشيخ رحمة الله عليه بناء هذا البيت ، قال ، ان هناك نفس طاهر في هذا البيت، وانه رحمه الله لمس علاماته بنفسه وراها بعينه ، و (اننا سنتوقف فيه فكوني سعيدة و احلمي دوما بشائر الفرح) ، ولم يزد ، ولم اسأله كيف و ماذا لمس.

بعد فترة و عند غروب شمس ذات يوم ... فوجئت بافعى سوداء ثخينة يتماوج بريق لونها مع تماوج حركتها و جسمها، كانت تمر بهدوء امامي و تليها ثانية، فجفلت و جمدت في مكاني لأنني و كما اعرف ان الأفعى السوداء مباركة و تحسب على ملاك السادة الأشراف . . و ما ان رأيت الشيخ حتى صرخت اطلب منه انجادي...

فقال:

- لاتقلقي و دعيهما يسرحان كما يريدان انهما بركة و ستر !! يحميان الطارمة المسقوفة و غرفة الكتب المقدسة و التفاسير و الاجتهاد، الصغيرة . و اضافت : عادة ما يستقران عند الحديقة الصغيرة وسط الحوش حيث شجرة الرمان ليشربا الماء و الحليب، ثم يذهبان لسماع الشيخ و هو يتلو بآيات الذكر الحكيم .

.
. . .
كانت جدتي امينة تصطحبني معها لزيارة قبر جدي في مقبرة الخيزران، كلما رأت ما رأت في حلم ما زاد شوقها اليه، او جاءتها رؤيا او شافت العزيز بالحلم، كما كانت تقول و كانت تناقشه و توضح له عند قبره، وسط دهشتي لأنني لم اكن ارى احدا . . كنت احمل معها الجرك (نوع من المعجنات) و الخبز و الريحان و الكراث، مارين في ازقة و سوق محلة الشيوخ القديمة . لتوزيعها على فقراء الجامع القريب من جسر الأئمة الذي شيد بعد سنين هناك، اضافة للشموع لإيقادها ان هبط الظلام و هي في تسبيحها و تلاواتها المتنوعة لسور من القرآن. كانت تلك الزيارات تشيع في جدتي حبا لنا و تشيع فيها الشجاعة و العزم و التحدي التي شهدناها بعد سنين و عقود. في تلك الاوقات كان الناس يتحدثون في مجالسهم و في البيوت عن الذكريات المرة لحوادث العنف في زمن الملك غازي و انقلاب بكر صدقي الذي وصفوه بكونه بداية للصراعات الدموية بين العراقيين لتولي الحكم و لإستخدام العنف بحق قومياته و اديانه، من مذبة الأشوريين في سميل و الى الاعمال العسكرية القاسية و انواع القصف بحق الكرد و عرب الفرات.

.
و يتحدثون عن مظاهرات حاشدة كانت تندد بالحكومة و كانت الاعظمية احدى ساحاتها الرئيسية . . و عن كيف جرى توزيع منشورات بخط اليد و على الكاربون تدعو الناس لإسقاط الحكومة، و

قال البعض انهم شاهدوا درويش مجيد فيها و اسموه البدوي الولي، و كان من انشط المتظاهرين و انه كان ملثما بالكوفية و وزع منشورات مطبوعة !! يقولون انها من عمل الروس المسقوف لأنها تدعو الى اخوة المسلمين و المسيحيين و الكفار و هيجي دعوات لابد انها قادمة من البلشفيك او البلاشفة او لاتعرف تسميتهم جيدا . . و تدعو الى مساعدة العوائل الهاربة من مذابح بكر صدقي التي التجأت الى بغداد و الى الاعظمية في كعب الصليخ .
 - لكن اخوة و مساواة البشر بقومياتهم و اديانهم كان يدعو لها الشيخ فخري نفسه!

- نعم و لكن لم يقل اخوة مع الكفار!!

بعد وفاة ابيه الشيخ اخذ محمد ينام خارج البيت، قالوا انه مستأجر في بانسيون او لدى اصدقاء، و قد صار و كأنه واحدا من عائلة غازي لكثرة ترده و وجوده و مبيته هناك وقد اجنذبه جمال فتياها الداغستانيات البيضاوات و الممشوقات القوام، ذوات العيون الواسعة الملونة و الشعر الكستنائي و الأشقر، بملابسهن الخفيفة و المهفهفة .
 و كان لصديقه غازي تطلعات قيل انها اوروبية، من اهتمامه بالكلاب التي صارت و كأنها من اهل البيت و خاصة الـ وولف دوك و البولودوك و كان يصرف على طعامها الخاص و يشتري عليه من الكرادة الشرقية، و يشرب مشروبات غالية و خاصة الـ ويسكي، قيل ان صديقه العانس الثرية كانت تصرف عليه، بعد ان تعرف عليها في مسبح الـ (واي . ام . سي . اي) جمعية الشبان المسيحيين في السعدون، و قيل انه كان يرقص مع صديقاته اللواتي تعرف عليهن في المسبح، على انغام الموسيقى الغربية الراقصة، رقصات السامبا و الرومبا . . التي بدأ محمد يتعلمها معه و مع صديقاته .

ليأتي حمودي الباشا في العادة بسيارته المكشوفة السقف، بعد لعبه على ملعب سباق الخيل..

حيث كان حمودي ابن عبود باشا الذي ذاع صيته كاحد اوائل صناعيي البلاد و صاحب اكثر من معمل لصناعة السيكاير في بغداد . الذي تعرف عليه محمد من مجالس السكر و القمار وسباق الخيل، وتعرفا من خلال ذلك على غازي، ابن العائلة التي قيل انها من اصول تركية، التي كان ربها يعمل كموظف تموين لمصالح كانت تجهز القاعدة البريطانية في الهندي (صارت معسكر الرشيد لاحقا) في وقت كان فيه محمد شابا وسيما و انيقا، و كان يستنزف الكثير من مال العائلة و باع البيت الذي ورثه من ابيه، و عمل مع حمودي الباشا في افتتاح فرن الصمون الكهربائي الذي كان من اوائل افران الصمون الكهربائية في البلاد، و لم يعرف من اين حصل على المال .

صار محمد يشناق شوقا مضنيا لرؤية اخت غازي الصغرى مريم . التي كانت تفتح له الباب كلما جاء، وكانت والدتها تشجعها على الصداقة معه، خاصة بعد ان عرفت ان اخت محمد هي سعاد التي كانت زميلة ابنتها الكبرى نزهت في الدراسة، التي كانت طالبة مجتهدة و متزنة و من عائلة معروفة . و كانت تفتح مواضيعا مخلة في جلساتها مع محمد و مريم لتعميق التقارب بينهما . . و قد سألت محمد ذات مرة عن الحفاة لميعة اليهودية و كيف تستطيع مقابلتها عن طريق سعاد، وكانت ام غازي كما قالت، تريد الوصول الى حفاة تعرف عوائل المحلة و اهلها و دواخلهم، و تستطيع كتمان سرها ان طلبت منها ان تحف اماكن حساسة من جسمها، كي تستمتع بالحياة اكثر، كما كانت تقول.

الامر الذي اثار اكثر من تساؤل بين الشابين محمد و مريم، عن ماهية تلك الاماكن الحساسة و لماذا؟؟ و تفاجئا باجوبة الام المباشرة و خاصة ابنتها مريم عما تعنيه بحف الاماكن الحساسة و لماذا، بلا احتشام و لا حدود . . و كانت تكثر من تلك الاحاديث المثيرة معهما،

الملابس هههههههه. المهم الان استقلينا عن اهلي اللي كنت اخجل من النظر الى وجوههم و انا اخرج من غرفتنا كل صباح!!
 و لم انسى الخوف و الرعب الذي اجتاحتنا خلال زيارة اهلي و نحن الاطفال بصحبتهم، ايام الفيضان بعد ان قفقت العائلة على محمد و مريم و خافت عليهم من اجتياح المياه لبيتهم، خاصة بعد تصدع سدة ناظم باشا الترابية و تدفق الماء مرعبا في منطقة الكسرة في الأعظمية و سميت المنطقة بـ " الكسرة"، و كان الماء مهددا باجتياح المزيد من الأراضي المزروعة التي كانت تشكل حزاما اخضرا حول بغداد اضافة الى البيوت و الشوارع . . كان بيت محمد و مريم صامدا صمودا هادئا.

في وقت شهدت فيه الأعظمية، اثناء اشخاص و انكسار و فقر آخرين، بسبب معاملات حجز المياه و التموين و النقل و الادوية، والصراع بين الأخلاص و النزاهة و الطمع في وقت تفشي الأمراض المعدية. .
 و ظهرت حوادث لم تشهدها قبلا، تزايد اللصوص و تكونت عصابات اختطاف الاطفال و ازداد ظهور الغرباء من عجر و كاولية و افغان، و قتل ابراهيم العمر الموظف في التفتيش القضائي و ضاعت زوجته و طفله، اختفاء لطوفي كاكا و نهب محله الفاخر، انفضاح رجال الأمن السريين و صاروا معروفين و كانت اعدادهم كبيرة . . و بقيت مقرات الجمعيات الخيرية و الجوامع تعمل ليل نهار و انتشرت البيانات السياسية التي تدعو الناس للتلاحم لإنقاذ بغداد . .

في مضيف ابو الهيل الكائن بين البساتين ، صاح عبد الإله:
 - آس !! . . . ياكل!!
 فكشف اللاعبون اوراقهم معلنين عن خسارتهم ، و صاح سعدون
 بضحك:

- اه ه ه ها . . . و . . . و . . . بغدادي و ما يتأمن!!
 و غلبت بذلك جماعة بغداد المكونة من جلال ابن الأغا ، ميرزا ،
 الموسيقي باسيان اضافة الى عبد الإله
 و استمروا بالشرب على انغام المذياع الذي كان ييثر اغنية " رباعيات
 الخيام " التي غنتها ام كلثوم
 و جعلتهم يدندنون معها .
 فما اطال النوم عمرا ولا قصر في الأعمار طول السهر
 ثم انصتوا لسماع جلال ابن الأغا الذي سعدت رغبته اسرع من العادة
 بتفيس المكبوت، فانطلق باغنيته المفضلة واقفا عند باب المضيف و
 هو ينظر الى جهة خيام العجر . . التي بان قسم منها من بين الأشجار
 المحيطة:

"بغدادي و ما يتأمن .
 و شلون حالي و شلون .
 سليمانى و لافركاهم
 عسى ما خيبونا
خايب يا كلبى خايب على فراك الحبايب .

فبعد انتهاء لعبة الورق الختامية ، كانوا يخرجون في العادة من
 المضيف الذي يحميه و يخدمه عدد من ابناء العشيرة ، ليستمتعوا
 بنسائم الصيف الليلية المنعشة بالقرب من النهر، و ليذهبوا الى السرادق
 المنصوب بمناسبة لقائهم، لتناول السمك المسكوف.
 وفي نزواتهم تلك صادفوا اكثر من مرة سماع اغنية بصوت نسائي

جميل على انغام ربابة ، كان يأتي من مضارب العجر . . وفي ذلك
المساء سمعوا و هم منتشبين نشوة زاد من حدتها الخمر .

ام عيون حراكه
كلي شو كت نتلاكه

فدوه رحت لعيونج .. خايف لا يحسدونج
فردوا جميعا بصوت واحد وحده السكر و الطرب:

عيني و يابه عالهى و اصحابه..

كوليلي يا هالسمره . . نتلاكه ولو مرة .

واستمر الغناء و الطرب المتبادل بينهم و بين العجربة على الضوء
المتلامع للنيران التي كانوا يشوون السمك عليها والذي كان ينعكس
على سردقهم ذي الفوانيس . . و قابلته النيران التي ازدادت تأججا عند
مضارب العجر. ثم انطلقت معها اصوات نقر الدفوف و الصنوج و
اغاني العجر التي شجعت عجربة انطلقت بالرقص بملابسها الملونة
المتلامعة تحت ضوء القمر و ضوء تلك النيران .

.
.
.

مع ضوء الفجر تثنائب عبد الإله وتمطى قبل خروجه من خيمة العجربة
التي رقصت ، و توجه الى خيمة من خيام العجريات ، و وقف عندها
يصيح على سعدون:

- يا الله يا افندينا . . صار الصبح!

وكرر بتمطي:

- صار الصبح . . يا سيدي!

ولم ينقطع صياحه حتى خرج سعدون من الخيمة و هو يعدل شعره
المنفوش . . ويربط حزامه جيدا و يضحك و يقهقه:
- شنو؟ مستعجل؟ ! بنت الأوادم . . كانت مثل الذئبة الجائعة، كسرتني

.
- اعطيتها المقسوم ؟ لو لا . . ؟ ؟

- طبعا يا معود . . . و للصبح!!
 - ها ها ها . ها ها ها .

كان مضيف عبد المجيد بك ابو الهيل . . يقع في بستان اشجار البرتقال والحمضيات النامية تحت ظلال النخيل، مطلا على نهر الفرات عند سدة الهندية ، حيث بنى عبد المجيد بك بعيدا عن الأعين مضيفه الذي كان كالنادي ، و الذي كانوا يجتمعون فيه للعب القمار في نهايات الأسبوع. و كانت للعبات تجري بين جماعته المكونة منه و من اخيه المعمم (اللابس الكشيده بين حين و آخر الذي كان يقطع حلقة اللعب ليصلي)، اضافة الى المحامي عبد المحسن و الملازم سعدون المتنقل بين الجماعتين في اللعب و كان ينوب عنه عند غيابه ابن عمه مزهر . و الجماعة القادمة من بغداد. و هو المكان الذي عقدت فيه الصفقات التجارية بين الجماعتين من جهة و ضيوفهم الذين كانوا يدعون للشرب و لأكل السمك المسكوف و للهو مع العجر في مضاربهم شبه الدائمة هناك . . . في ايام الأسبوع.

ورث عبد الإله ، الأبن البكر لأبيه ، ثروة كبيرة بعد ان اضيف اليها التعويض المقرر عن استملاك الحكومة لقسم كبير من الأراضي المزروعة و المراعي المطلة على مصب نهر ديالى بنهر دجلة، العائدة للعشيرة، بعد ان احتفظ بقطعة ارض غنية بمحصولها، اشتغل فيها و زرعها و عمرها ابناء عمه الذين كان هو ينظم لهم دخلها و توزيعه و يحتفظ بالقسم الأكبر كدخل شهري له و لأخوانه القصر.
 بعد ان استطاع ان يضمن له حصة محترمة من تركة ابيه و امه عن طريق دائرة تسوية الأراضي التي استطاع ان يتعين موظفا فيها بدعم اصدقاء له . . لأجادته القراءة والكتابة الملائية من جهة و لأعمداهم عليه في تسوية الأراضي و المنازعات على الأراضي الزراعية لصالح عشائهم ، و امنوا حمايته سواء كان ذلك ماليا او قانونيا بدفعهم بسخاء للمحامين الذين احتاجهم لأتمام ذلك.
 كان طويل القامة، ذا عينين مستديرتين و وجه جاد، واشتهر بكونه

لاعب بوكر ماهر، و له شلة نشيطة من لاعبين و من اشقياء اعتاشوا على مواخير الشرب و البوكر و الغواني . . بعضهم كان يعيش في بيوت محظيات و ممن يخبين ليالي الطرب الساهرة حتى الفجر . . كان مغامرا و عنيفا بلا حدود ان غضب، ولم يستطع احد ان يقف بوجهه او يحد من طيشه و هو يبذر اموال العائلة و اموال اخوته الذين كان وصيا عليهم لعدم اكمالهم السن القانونية.

و قد ضيع قسما كبيرا من ثروته تلك بصرفها على النساء واقامة الحفلات الليلية الساهرة في بيوت فارهة مغلقة، و بلعب القمار والسفر الى الشام و لبنان للمتعة و للترويح عن النفس و الأصطياف ، في زمان لم يكن فيه السفر امرا عاديا و لامأمونا . . الى ان استطاعت خالته القوية " راجحة " ان تحد من نزواته ، بعد ان وصل اليها خبر خسارته الخان الذي ورثه هو و اخوانه اليتامى القصر عن ابيهم ، في القمار . حيث تحدثت معه بصرامة و هددته تهديدا مخيفا بان العائلة ستتبرأ منه وسيبقى كالكلب السائب وحيدا ان واصل سلوكه الشائن ذلك في تبذير اموال اليتامى على موائد القمار و في احضان الغانيات.

واقترحت عليه بكلام اعتبره الحاضرون من الأهل و كأنه امرا، لما تمتعت به من هيبة و قوة ، نبعث من شجاعتها و عدم تهيبها من احد في قول الحق، الذي زاد من مكانتها الاجتماعية ، التي حققتها كقارئة مواليد معروفة ، في عوائلهم و مناطق سكناهم في محلة " خضر الياس " في الكرخ القديمة و المناطق المجاورة لمناطقهم ، وكانت الوحيدة من العائلة التي لاتخشاه ، بل كان هو الذي يهابها لسبب لم يعرف، و قيل انه كان يخاف منها لأنقاذها حياته مرتين في طفولته، و كشفت مواقع ضعفه في ظروف مرعبة مرت بها المحلة و اهاليها.

احداها في طفولته حين كاد يغرق في الساقية القريبة من سكنهم، والثانية حين انقذته من الأختناق و هو صبي في حريق كبير لف المحلة و هدها بالفناء، حيث شبت النيران في مخازن الحبوب المجاورة، و كادت تلتهم المحلة كلها . . حين ضربته ليتحرك وادخلت الرعب في

قلبه بعينيها النافذتين ذات البريق المرعب، و بوجهها المشدود المزموم الشفتين، ضربته كي يطيعها بسحبها اياه، وهو يصرخ و يرفس . . . ومنذ ذلك الحين كانت حينما تعبس و تتحدث بجد موجهة كلامها اليه، يترأى له وجهها المشدود المزموم الشفتين ، وكأنه وجه من وجوه عزرائيل القادم ليقبض على روحه و يقتله . . فيرتجف و لايجسر ان ينظر في عينيها.

قالت له بوجه عابس يتذكره جيدا، امام جمع من الأهل:
 - عبد الإله !! هل نسيت عندما جنئت الى تبكي لشعورك بسبب رعبك لوفاة والدك الذي مات الله يرحمه من الحزن الشديد على والدتك التي رحلت قبله بشهور . . حين قلت لي بملئ فمك " خاله . . لقد ضعنا . . امسينا انا و اخوتي بلا بيت " ، وقلت لك لاتبتأس ابني انا في مكان المرحومة امك ، و بكيت انت من الفرح وصحت " صحيح صحيح ؟؟ من اليوم انت امي وسأكون ابنك المطيع دوما " وقلت لك احلف بالقرآن امامي بذلك ، و حلفت . . . صحيح ام لا ؟؟ قال و هو ينظر في الأرض مبتعدا عن نظراتها، و بعد سكوت:
 - صحيح!

- اذن اسمع لاحل لك سوى ان تتزوج ، واخترت اليك خير عروس في اخلاقها و وفائها . . سأزوجك ابنتي لأوفي بواجبي نحو امك و ابيك و اخوانك ، وسأكون انا المسؤولة عن البيت .

غضبت لسكوته و نظرت اليه بعينين قاسيتين و بوجهها المشدود الذي كان يثير الرعب في قلبه ، و قالت:
 - ويلك !! جاوبني بصوت عالي امام الجميع . . لاحل آخر هناك ، انت تضيع في النزول (جمع نزل) و المسافرين و على اقدام العاهرات، و الصغار اليتامى اخوانك يضيعون في بيوت اعمامك و خالاتك ! . . جاوب!!

رفع عينيه في محاولة يائسة لمواجهة نظرتها تلك ، الا انه حولها عنها

لعدم استطاعته مواجهتها ، ونظر الى الأرض و قال:
 - انا موافق!!

- حسنا ابني ، ستكون انت رجل البيت!
 تزوج عبد الإله ابنة خالته الكبرى رسمية، و انتقل الجميع ، عبد الإله و اخوانه اليتامى و عروسه و اخواتها وامها ، من " محلة خضر الياس" في الكرخ الى البيت الكبير الكائن في محلة " الفضل " في جانب الرصافة من بغداد، الذي ورثته الخالة راجحة من زوجها المتوفي. و كان البيت يقع في المنعطف الأخير لزقاق جامع محمد الفضل في محلة الفضل في الرصافة، الزقاق المتعرج البادئ و المار بباب الجامع من جهة شارع غازي الذي صار اسمه شارع الكفاح، المفضي الى ازقة متعددة تفتح على ازقة محلتي السور و الميدان. وكان الدخول الى المحلة يبدأ بزقاق ضيق وسط بيوت وشنائيل بغدادية قديمة لم تنقطع مياه الصرف الصحي الوسخة عن الجريان في ساقيته الوسطية والتي تصب نازلة بخيرير مسموع الى ساقية الشارع العام . . شارع الملك غازي، الموصل باب المعظم بالباب الشرقي. بقيت ليلة دخلة عبدالاله على زوجته، مرتسمة بشكل مخيف في خياله، و يبدو ان ماقالته الصانعة ابنة قمرية الغسالة عن تلك الليلة كان صحيحا، حيث قالت:

- اعددت قهوة ثقيلة و حملتها للعrsان كما امرتني الآنه (الجدة بالتركية) و اغلقت الباب بعد ان خرجت، و شاهدت الآنه جالسة في الظلمة قرب الباب . . و بعد فترة رأيتها تنظر من ثقب الباب و هي تصيح:

- ليس هكذا . . ولك حيوان بهدوء و على كيفك مو راح تقتل الصبية!!
 - ارفع !! ادخل ادخل ادخل هسه . . ادفع حيوان!!
 وكانت تلك الذاكرة تسبب له اضطرابا يؤدي به الى عدم القدرة على مواصلة الوقاع بسبب العنة التي كانت تصيبه مع كل انثى جديدة يقابلها لأول مرة، او يشعر بأنه مجبر عليها، و بالعكس فانه يحس بالهياج

الشديد ان شعر هي التي مجبرة عليه، و انه هو المنتصر !! هكذا كان يفكر . . و كان الغواني يفسرنه بأنه (الادمان علينا، و هو نوع من الادمانات)!!

مرت السنين و رزق عبد الإله ببنين و بنات ، و تزوجت اخوات زوجته رسمية و سكن في بيوت تقع في محلات اخرى من بغداد، و بقيت الخالة راجحة و اخوه الصبي " رحيم " بعد وفاة اخوين من القصر احدهما بالكوليرا و الثاني بالتيفوئيد و بعد تبني الخالة الوسطى و الصغرى للأخوين الآخرين ليعيشا في بيتيهما مع اطفالهما . . عاشت الخالة راجحة على حصتها الشهرية من عائد الحمام الذي اورثه ابوها لأخوانها و لها، و عاش عبد الإله و عائلته على راتبه الشهري و على ماتدره الأرض المتبقية من الورث الذي كان يصرف منه على اخوته . و لم يعرف احد موارده الأخرى الكبيرة من عوائد تسوية الأراضي التي كان يصرفها له ملاكو ارض كبار، الذين كان يعمل لهم كوكيلهم في سراي الحكومة.

ورغم كونه رجل البيت و مسؤوليته عن عائلة كبيرة منها عائلته هو ، زوجته و بناته و ابناؤه، استمر عبد الإله بخفاء محكم على لعب البوكر، و على تكوين حلقات جديدة فيه ، و استمر على السهر على موائد القمار . . التي كانت تستنفذ مدخوله الشهري من وظيفته. في زمن شاعت فيه العاب الحظ و قراءة الفنجان و اعمال العرافات . . و شاعت فيه بطاقات سباق الخيل و اليانصيب و العاب الورق ، التي اشتهرت منها لعبة البوكر و البقرة التي اعتبرها عبد الإله . . محاولة للحصول على اعلى الأرباح كمورد بجهد الفرد و حظه و تطويع الحظ سواء بالخديعة او التهديد ، و سعى بدأب على تشكيله الشلل و التعاون مع شلل اخرى

لتحقيق الأرباح و تجنب الخسارة .
 وتكونت حلقة لاعبين شبه ثابتة تكونت من جلال ابن الأغا ، ميرزا ،
 الموسيقي باسيان اضافة الى عبد الإله، و اخذوا يفوزون بلعب الورق
 بشكل شبه مستمر، جمعتهم القرابة و الصداقة و المصالح اليومية
 والوظيفية، والأسرار في ممارسة الممنوعات ، التي مارسها رجال من
 عوائل شكلت قسما واضحا من وجوه عوائل المجتمع البغدادي آنذاك .
 من ملاكي الأرض و موظفي الحكومة و رجال في الشرطة والجيش
 ، فيما شاعت عادات عدد كبير من موظفي بغداد ان يلتقوا كل شهر عند
 استلام الراتب، للعب و اللهو و ارتياد دور البغاء.
 و قد اعتادت عائلة عبد الأله على غيابه عن البيت لأسابيع بين اونة و
 اخرى ، لسفره الى " الهندية " و قضائه اياما هناك ، لإدارة اعماله و
 عقد " صفقات تجارية " كما كان يقول . . و كان في العادة يعود محملا
 بالفواكه و الخضر من الهندية و بلوى التمر المضغوط و المطعم
 بالجوز و اللوز من كربلاء هدايا للصغار الجدد ، بعد ان كبر و شب
 اخوه رحيم الساكن في بيته و شب ابناؤه هو ، حيث صار رحيم معلما
 في بعقوبة بعد ان تخرج من دار المعلمين الريفية ... مجسدا طموحه
 بالاستقلال عن اخيه. و صار ابنه يقظان طالبا في الثانوية و صديقا
 لأخيه الصغير صلاح.

.
 .
 .
 .
 و بالحقيقة لم تكن تلك " الصفقات التجارية " سوى اتفاقات على اعداد
 بيانات بملكية الأرض و تثبيت عائدتها لأفخاذ و عشائر، كان يعدها
 المحامي عبد المحسن من خلال علاقاته بمحاميين و موظفين كبار في
 اسطنبول حيث كانت تأتي مختومة و مصدقة من الدوائر العثمانية
 مقابل عمولات و هدايا، و كان يثبتها عبد الإله في دائرة تسوية
 الأراضي في بغداد بهدايا و رشاي، في الوقت الذي كان فيه الضابط
 سعدون يهدد من لا يوافق من الملاكين الصغار بالقتل او بحرق الدار و

سبي النساء، عاملا على إثارة الضغائن و الأحقاد و الثارات القديمة، مستندا الى ابناء عشيرته وخاصة على ابن عمه مزهر الذي ذاع صيته بالشجاعة و الكرم من جهة ، و بالانتقام العنيف الذي لم يعرف الرحمة، تجاه من لم يمثل لما يريد و فق مشيئة شيوخ العشيرة، (الذين يحمون البلاد من الأنكريز) ، و (لكي لاتقع الأرض بايدي المحتلين الكفار) كما كان يردد.

اشتهر مزهر الذي غزا الشيب رأسه مبكرا ، بشجاعته منذ صباه و سمي باسم " مزهر ابن وجيهة " .. وجيهة الأم الشجاعة التي تجيد الرمي و اصابة الاهداف و حملت بندقية زوجها الضابط العثماني، لمقاتلة الأنكليز اثر مقتله برصاصهم في معركة " كوت الإمارة " الشهيرة في جنوب العراق، بعد ان غاب اخواها في معارك البلقان . . و هي الشاعرة التي اشتهرت بقتل ذئبين، علقا على حائط غرفة الضيوف بعد تحنيطهما.

وعرف عن مزهر رحمته و عطفه على فقراء الفلاحين و على عموم المحرومين من اية قومية كانوا، شرط ان لايكشفوا عطفه عليهم، ويغضبوا الشيوخ، و خاصة الأكثر شدة منهم تجاه فقراء الفلاحين . . عشق ابنة خاله سالمة، التي نذرتها امها وقفا لسيد معمم من آل البيت، و سبب ذلك له الما ممضا دام طويلا . . بعد قتاله و ربعه من العشيرة، العشيرة الجارة من اجل الماء الضروري لسقي مزرعاتهم و سقي مزارع ابو الهيل، اكتشف ان ابو الهيل كان على علاقة قوية بالأنكليز عن طريق الاقطاعي الكبير الشيخ بلاسم صديقه الحميم من ايام سفره الى لندن، عندما استنجد به لمواجهة الفلاحين الثائرين المطالبين بحقوقهم اثر الجفاف الذي اصاب الأرض في ذلك العام . . فأخذ مزهر يعيد النظر بمواقفه و يرى عدالة مطالب الفلاحين الفقراء.

و تحولت ثورة الفلاحين تلك الى ثورة ضد حكومة نوري السعيد و طاقمه، التي واجهتها بالرصاص و بقصف الطائرات و ادت الى سقوط

مئات الفلاحين قتلى و جرحى، و لم يتمكن من اخمادها، و لم تستطع الشرطة السيارة ايقافهم عند حدهم، بل تقهقرت بعد ان تكبدت بخسائر كبيرة بالأرواح و المعدات . . و وصل الأمر الى قصف الطائرات البريطانية لقرى الفرات، بعد ان انتشرت الإنتفاضة الى مناطق الغراف و الحي.

و اخيرا تمكنت السلطات بوضع كل القوات المسلحة تحت اقصى حالات الإنذار و ساقطت كل ماممكن سوقه و بدعم القوات البريطانية لإخماد الإنتفاضة باسرع ماممكن و بكل الطرق الممكنة و الوحشية و اللاأخلاقية، و هي خائفة من تجدد انتفاضة كردستان . . و القي القبض على آلاف العوائل الفلاحية و العشائرية و عوملوا بكل الاساليب الدنيئة

و عند جلب مزهر و عشرات الفلاحين و هم مكبلين بالسلاسل للتحقيق في محكمة الحلة، بعد ان تم نقلهم من سجن نقرة السلمان، الى موقف سجن الحلة الواقع في السراي . . اندلعت انتفاضة نساء الفرات بتحريض و قيادة والدة مزهر " وجبهة الشاعرة " و وصلن الى سرايا الحكومة، و واجهتهم وحدات من الخيالة و وحدات خاصة بملابس لأول مرة تظهر و واجهنهن بقنابل الغاز المسيل للدموع و بأخامص البنادق حتى اصيبت الخالة وجبهة و رفيقاتها بوجههن و لم ينقطع نزيف الخالة وجبهة و استمرين مطالبات باطلاق سراح ابنائهن و ازواجهن و ابنائهن و ادخالهن الى قاعة المحكمة . . و سمحت السلطات البريطانية بمكالمات لاسلكية سريعة بادخالهن الى قاعة المحكمة و اسعافهن كي (لا تموت احداهن و تزداد الانتفاضة استعاراً) . . كان ذلك يجري و وثبة كانون ١٩٤٨ كانت ملتهبة على اشدها . . حكم على مزهر ابن وجبهة بالسجن المؤبد بتهمة (قتل شرطة و مدنيين ابرياء و العبث بأمن الدولة) و العفو عن والدته التي أعتبر وجودها بالمحكمة كتوقيف لها يسجل في ملفها الأمني. و سجن مزهر انفراديا و سيق الى سجن نكرة السلمان لقضاء محكوميته .

و طول الطريق كان يفكر و يردد مع نفسه، انه رغم المعركة العنيفة التي حصلت مع عشيرة ابو الهيل التي تكشف فيها من هم الشجعان و من هم الخونة الجبناء و المتواطئون مع الحكومة و الانكليز، اكتشف ان هناك قوى متنوعة منظمة تقاوم الأنكليز، و اخذ يبكي بصمت و هو يتذكر مقتل زوجته التي بنت له حبا لم يحلم به، و هام بها . . كيف قتلوها و هم يعلمون بغيابه، اثناء هجوم الشرطة بالرصاص و دون انذار، على بيته في القرية .؟؟ .

كسبه سياسيون في المعتقل المؤبد . . و بقي يتذكر فلاحا شابا منهم اسمه كاظم الجاسم الذي سحره بشجاعته و ماروي عنه من مواقف بطولية، و بقي يتذكره و يتذكر حججه في الجلسات معه عن الفلاحين الفقراء و عن ثورة اكتوبر، التي حققت مطالب اوسع كادحي روسيا الكبرى في نهاية الحرب العالمية الاولى و كانت جيوشها القيصرية قد وصلت الى خانقين و رواندوز التي دافع اهلها الشجعان ببطولة عن المدينة و افنيت كتيبة خيالة روسية كاملة بسقوطها في هاوية احد القطوع الجبلية الرهيبة المحيطة بالمدينة التي منذ ذاك سميت تلك الهاوية بـ (وادي الموت) ، و كيف راسل قادة ثورة العشرين في البلاد قائدها (ابلين) و نقاشاتهم مع مبعوثيه ، و اكتشف ان الشيوعيين و دعاة القومية العربية و الكردية التحررية موجودون فعلا و يناضل الجميع من اجل الخبز و الحرية و حقوق الفلاحين الفقراء، و تعرف و اختلط مع وجوه مدين الحلة و بغداد و كل مدن العراق و اشترك في الصفوف الثقافية التي كان ينظمها الشيوعيون في السجن الكبير . . ليصبح مزهر آخر بمعارفه و ثقافته !

يقظان

...

بعد تعارفهما في صفقات الهندية و انسجامهما في الشرب و الورق و (الدفاع عن امتلاكهم) من ارض الآباء و الأجداد باي سلاح كان . . ازدادت صداقة عبد الإله مع الضابط سعدون وثوقا ، فاضافة لأنسجام ادواقهما و انطلاقهما اللامحدود في الحياة، فلأنهما يعودان لعشيرة واحدة سكنت و انتشرت في وسط البلاد و مدنها و اريافها، ولحاجة بعضهما للبعض لرعاية مصالح العشيرة و اراضيها و تثبيت و زيادة ملكيتها.

و توطدت علاقتهما التي زادتها حاجة كل منهما للآخر . . فالسيد عبد المحسن ابن عم الضابط سعدون كان محامي و وجه عشيرة هامة دعمت الدولة التي احتاجت دعمها لتثبيت كيانها . . واطافة الى ما جنياه من تعاونهما سواء في العمل او في ربح البوكر . . جمعتهما هوايتهما في مطاردة الجميلات في كل الأماكن ، من البانسيونات و حتى مواخير الدعارة الرخيصة طمعا في نيل (بدور خاتون) الغانية التي اشتهرت بحسنها و جاذبيتها في المبعى العام في الميدان، التي اتخذها عبد الإله محظية لنفسه و كان يغطي كل صرفياتها. سمعت الخالة راجحة عن قضية بدور خاتون التي اختطفها اشقياء عملوا لصالح احد الوزراء و اعادوها بعد ايام !! من احد عمال الحمام الذي سلطته لمراقبة سلوك عبد الإله، و الذي كانت تجزل له العطاء، و فاجأت عبد الإله بسؤاله ذات يوم:

- ابني شنو قضية بدور خاتون في ملهى جواهر ؟؟ يعني ماتجوز من هالسوالف المكسرة ؟؟
- بدور منو ؟؟

و باختصار ارسلت الخالة راجحة الى بدور خاتون مهددة اياها بترك عبد الإله صاحب العائلة و البنين و البنات ابن العائلة المعروفة و الا

فانها ستقتل !! و منذ ذاك لم يسمع عن بدور خاتون في المبعى، و قيل انها رحلت في ليلة ظلماء بعد ان تلقت تهديدات بالقتل .

اما الامور في بيت عبد الإله فكانت تجري بعيدا عنه تماما و عن اهتماماته و سيطرته . شب ابناؤه بعيدا عنه و خاصة ابنه البكر يقظان الذي كان طالبا مجتهدا لامع الذكاء و ذا شخصية قوية مبكرة، استطاع ان يكون علاقات صداقة و محبة ليس مع زملائه الطلاب فحسب و انما مع اساتذته و عوائلهم الذين من حسن و متانة اخلاقه، فتحوا له بيوتهم و امنوه على بناتهم اللواتي بذل جهدا كبيرا في مساعدتهن على النجاح في مدارسهن.

كان يقظان هو الابن الحقيقي للخالة راجحة برجاجة عقله و شجاعته، و كان هو رب العائلة الخفي الذي كان يحل مشاكل والدته و اخوته و يساعدهم على الوقوف بشكل هادئ بوجه والدهم القاسي الذي كان عنيفا مع بناته و ابنائه حتى بعد ان شبوا، و الذي كان يعتقد ان طريقته هي الطريقة الصحيحة للتربية بالخوف و العنف، رغم انه كان يشجع بناته على الدراسة و التعلم و لكن على حد عصاه . . و قد ولد اسلوب عبد الإله من الصراع بين مشاعره الرقيقة و حنانه، و بين متطلبات المجتمع القاسي و محيطه هو الذي كان يعيشه و خوفه على عائلته منه . و كان ما يقوي شخصية و مواقف يقظان، هو الدعم الذي اولاه له خيرة وجوه و عوائل بغداد آنذاك و فتحوا له ابواب بيوتهم ان احتاج لشيء، بل و اوصلوا رجاءاتهم الى عبد الإله بالرأفة مع يقظان و اخوته، سواء مباشرة بالحديث معه او عن طريق نساءهم بالحديث مع رسمية زوجته . . حتى وصل الحال الى زيارة الشخصية السياسية البغدادية المعروفة جعفر ابو التمن لعبد الإله في بيته في الفضل طالبا منه الرأفة بابنه يقظان . . زيارة ادهشته و اثارته العديد من التساؤلات لديه و على رأسها، من اين يعرف السياسي البارز ابو التمن، يقظان؟؟ . . و اخذ

يحسب حسابات جديدة في التعامل مع قحطان كند قد لا يصح التعامل معه بالضرب و الحذر من سلوكه الطائش معه احيانا!!
 و بالتالي اضطره سلوك والده تجاهه، بأن ترك يقظان بيت العائلة و اتخذ من احدى المقاهي التي كان صاحبها والد صديقه الحميم علاء، اتخذها كمقر، يدرس فيها كتبه المدرسية و غيرها، التي جلبها معه ليقى متفوقا بالدراسة و ليختار اية كلية يريد الذهاب اليها بحرية، و كان ينام فيها و يلتقي باصدقائه فيها، او ليطمشى مع من يزوره منها. .
 و بمرور شهور نجح يقظان من الإعدادية بتفوق غير عادي و استلم قبوله في كلية طب العاصمة بغداد من جهة، و من جهة اخرى ازادت و برزت نشاطاته السرية ضد السلطة الملكية عميلة الاستعمار البريطاني، حتى صار كادرا سياسيا سريا بارزا، بل و صار قياديا يسكن في بيت قيادي سري في محلة حمام المالح القريبة من الفضل، كحماية له و لغيره من الكوادر. . اثر الحملات البوليسية القاسية المتواصلة على الحزب و على نشيطاته و نشطائه. .
 كان عبد الإله يستفقد ابنه بانواع الطرق و كلف عديدين بالسؤال عنه و عن حاجاته ان احتاج لشيء، و لم يستجب الابن له و انما حافظ على علاقاته الاخوية مع اشقائه و شقيقاته و كانت لقاءاته الخفية معهم تطمأنهم و تزيل الوحشة و القلق عليه. . و عندما علم عبد الإله بنشاط ابنه السياسي (الخطير)، ثارت ثائرتة و طلب من عدة محامين و اساتذة و ضباط شرطة ان يثنوه عن نشاطه دون جدوى. .
 حتى انه اتهم اخوانه صلاح و رحيم و هدهما بالقتل ان لم يكفا عنه، لأنهما بنظره هما المذنبان بحق ابنه بأحاديث عمه رحيم و استفراده به لساعات و ساعات. . و من ساعة اعارة صلاح ليقظان رواية " الام " لمكسيم غوركي، التي (طيرت عقله و افقدته صوابه) و ساعة ما عرفوه على العاهرة الصغيرة بنت البستاني. . التي كانت في الحقيقة ناشطة سياسية و زميلة يقظان في الدراسة. اتهم اخويه لأنهما كانا صديقه الاقرب
 من العائلة.

و في غمرة الغضب نسي، ان ابنه الثاني يمان كان هو السند الوفي لـ يقظان، الذي كان لا يطيق اباه، يمان الذي لم يكن مجتهدا في الدراسة، و لكنه لم يقبل ان يمد يده لأبيه لأخذ خرجية يومية منه، فعمل عاملا باجور يومية في مكتبة اشتهرت بنشر وتوزيع وبيع الكتب " مكتبة المثني"، اضافة الى عمله بالقطعة في عدد من مطابع شارع المتنبى عند مدخل سوق السراي . اما الأبن الثالث فعمل كعامل نفظ في مصافي النفظ الحكومية في الدورة و بقي في الدراسة المسائية لنفس الاسباب.

و في احد الأيام، كان عبد الإله جالسا مع شلته في مكتب محامي عندما اخبره صديقه جلال الأغا . . باعتقال و كبس وكر لقيادة شيوعية في حمام المالح بينهم ابنه المذكور اسمه الكامل (يقظان عبد الإله خضر الياس) . . و عرض عليه الخبر في صحيفة حكومية كان يحملها معه، الذي

"بنشاط الشرطة الجنائية في مكافحة القوى الهدامة، تم كبس وكر شيوعي خطير في محلة (حمام المالح) في الرصافة، و كان يحوي على ادوات طباعية و على آلاف المنشورات . . و تم القاء القبض على من فيه، بينهم نساء لم يتحقق بعد عن هوياتهن، و عرف ان احدهن هي زوجة احدهم وفق عقد الزواج الشرعي المرقم و المؤرخ" . . و يفصل الخبر اسماء المقبوض عليهم من بينهم : يقظان عبد الإله خضر الياس !! . . . دارت الدنيا بعبد الإله و التزم الصمت مفكرا كيف ؟ و لماذا ؟ و من المسؤول ؟ و من اجل ماذا ؟؟؟ و استلم بعد ايام من مركز شرطة الفضل كتابا رسميا بنص يطلب منه الحضور الى " جلسة محاكمة (المجرم الشيوعي الصهيوني الخطير) يقظان عبد الإله خضر الياس في الساعة و التأريخ المحددين.) . . وقع على التبليغ بعيون حمراء غاضبة و هو يردد مع نفسه:

- يا اولاد الزنا . . ابني و اعرفه !! يمكن ان تقولوا كل شئ عنه بس لا هو مجرم و لا خطير و لا صهيوني . . يا كلاب يا مجلوبة، كلاب مجلوبة!!!!

و التزم البراني (غرفة الضيوف) بصمت و جلس وحيدا و دخل في موجة بكاء صامت و الدموع تنحدر بسخاء من عينيه و تبلل خديه اللذين لم يخلقا من ساعة قرائته ذلك الخبر المشؤوم و هو يردد مع نفسه :

- ليش حبيبي يقظان ليش تنطي نفسك بهالسهولة لهالشرطة القذرة؟؟ كان يبكي على كل الأشياء بكاء مرا ، على نفسه لفشله بالسيطرة على ابنه البكر و على ثورانه عليه . . ابنه الذي ثار على التقاليد المتمسك بها هو عبد الإله حتى صار عبداً لها، و على يقينه هو بأن النظام القدر القائم على البلاد لن يزول، برغبة و احلام و اوهام شباب لم يعرفوا الحياة بعد و لم يتلظوا بناهاها، كما كان يردد . . كان ناقما على الجميع بما فيهم نفسه، كان ناقما على اخويه اللذين ورطا ابنه و لم يصبهم شئ! و لم يذهب عبد الإله الى المحكمة لإحتقاره لها و غضبه عليها و غضبه على ابنه و على الحكومة و على الناس الذين تركوا ابنه ضحية لأوباش!!

سيق العشرات من المقبوض عليهم الى محكمة العسكري النعساني السئ الصيت، الذي حكم على اساس تراتبية و قوف المتهمين : من رقم ١ الى رقم ١٠ يحكمون بالسجن ١٠ سنوات ، و من رقم ١١ الى رقم ٢٠ بالسجن ٢٠ سنة.

و (حكم على المتهم يقظان بالسجن لمدة ١٠ سنوات، يضاف لها ١٠ سنوات اخرى لسلوكه اللاأخلاقي في الجواب على سؤال سيادة الحاكم)

و كان الحاكم قد سأله:
- من تقصدون بالاذناب في عبارة (الاستعمار و اذنايه)؟؟

و اجابه قحطان : هم انتم !! الذين حطمتم البلاد و افقرتوها بنهبكم و سلبكم و قوانينكم و اسلحتكم، تنفيذاً لأوامر المستعمرين!!
 كان عبد الإله ناقماً على اخويه، و ان كان قد صفع اخاه رحيم عدة مرات و بصق عليه، فإنه طارد اخاه الآخر صلاح بمسدسه ناويا اطلاق الرصاص عليه، لأنه المسؤول الاول في توريط ابنه و لم يصبه شيئاً من عقوبات الحكومة، كما كان يفكر .

بعد ان هدأت من روعه، قالت الخالة راجحة لعبد الإله:
 - ابني ليش ماتزور ابنك كما تفعل عائلات السجناء، عليك ان تسنده لأنه ابنك و يبقى ابنك الى يوم القيامة .
 لم يجبهها بشئ و بقي محتفظاً بصمته . . الا انه استغرب من كثرة الزائرين للسلام عليه و لتقديم استعدادهم للقيام بأي شئ للبطل يقظان، و كرروا عليه : " هذا الشبل من ذاك الاسد" . . و هو باق في صمته، و دخل في عالم تفكيره و تساؤلاته . . اذا هو بهذا الشكل بطل و هم يحبونه بهذا القدر، لماذا لم يحموه او يدافعوا عنه . . ليسوا اكثر من كذابين و جبناء و سرسرية!!

و في زمان لم تفهم فيه الناس التعابير القانونية الحكومية و ماذا تعني و لاتقدر خطورة التعابير النحوية بخصوص ذلك في الصحف و الراديو، كما حصل مع التاجر المعروف الطعان عند اعتقال ابنه بتهمة الشيوعية، الذي قال امام الحاكم:
 - انه شاب صغير لايفهم . . و كل ما هناك انه شيوعي متطرف . .
 الحاكم : يعني هم شيوعي و هم متطرف، هذا يعني هو من اخطر انواع الشيوعيين!!

- لا سيدي ، اقصد انه على طرف، يعني يمكن صديق لبعض منهم على طرف ، يعني مو منظم و عنده سلاح و قنابل و و و و على ضوء افادة الوالد قررت المحكمة:

تفتيش بيت التاجر الكبير الطعان و الحكم على ابنه المتطرف لمدة ٥ سنوات و على الاب بالتوقيف لمدة ٢٠ يوما لمحاولته تضليل العدالة!!

بعد نقل المحكومين السياسيين الى موقف شرطة السراي تمهيدا لنقلهم الى سجن نقرة السلطان . . . قالت زوجة خال يقضان، الاستاذ حسين مدير المدرسة الثانوية في الكرخ و نقلا عنه:
- تلقيت دعوة من مكتب رئيس الوزراء نوري السعيد محمدا فيها التاريخ و الساعة، و لم يذكر فيها اسباب الدعوة، لأننا كنا نتلقى دعوات كمدرء ثانويات لبحث مشاكل ثانوياتنا، خاصة و ان طلابنا شباب مطلوب الانتباه عليهم.

ذهبت الى المكتب و كنت وحيدا و سألت مدير المكتب، ماذا علي ان افعل ؟ قال تنتظر قدوم الباشا رئيس الوزراء شخصا !! اعتراني خوف حقيقي اذ ماذا يريد رئيس الوزراء مني شخصا؟؟ و بعد انتظار قصير، قدم رئيس الوزراء و وقفت لتحيته و رد تحيتي قائلا و بشكل مباشر:

- اهلا استاذ حسين . . احنا عيناكم مدرء ثانويات لثقتنا بقدراتكم و لكونكم من عوائل معروفة تحترمها الناس و تثق بكلامها . . و ما حصل من ابن اختك يمكن اصلاحه، عليك الحديث معه بان يترك الحزب و يعلن ذلك في الجرائد، مقابل اننا سنرسله ببعثة دراسية الى انكلترة باي فرع يحب، لكونه طالب متفوق و ذو اخلاق عالية . . سنرتب لك مقابلة شخصية فوق العادة و بشكل سري معه في مكان معزول عن موقف السراي، و عليك ان تبذل جهودك في ذلك و نحن واثقين من نجاحك، و الا ستسجل نقطة ضدك هاه !! احنا لا يمكن ان نسكت عن تنظيم هدام لا ينتهي رغم انواع الضربات!!
و هكذا التقيت ب يقضان بعد ان جلبوه و هو مكبل بالحديد، كان هادئا ثابت الخطو، حيائي و لم اجد نفسي الا واقفا لتحيته . . اخبرته بما

جرى لي بمقابلة رئيس الوزراء و انه هددني و و و قال:
 - خالي العزيز احبيك على مجيئك و عنائك . نحن ابناء هذا الشعب
 الذي ينتظر منا نحن الواعين اكثر من غيرنا، ان نصون مطالبه و
 نسعى الى تحقيقها مهما كانت التضحيات التي يعيشها كل الناس يوميا
 في حياة لا يقبلها حتى الحيوان . . اما عن البعثة الدراسية فانا كنت قد
 حصلت عليها عند ظهور نتائج الامتحانات الوزارية و رفضتها، اما ان
 تريدني ان اكون خائنا للقضية و لرفاقي فانت الاعرف، انت المربي
 الفاضل الذي لا اعتقد انك ترضى بذلك!

و قال الاستاذ حسين : شعرت بأني امام قائدا باسلا كنت فخورا باللقاء
 به، و خجلت من نفسي و حبيته و خرجت و انا لا استطيع حبس
 دموعي بعد ان تمنيت له التوفيق و الصحة و الصبر و انا اضغط على
 يديه المكبلتين بكل حرارة و اردد مع نفسي . . انعل ابو الوظيفة!!
 و قد عوقب الاستاذ حسين على فشله، بتأخير ترفيعه الذي كان يستحقه
 ذلك العام، لمدة عامين!!

و بفعل الصدمة من يقظان و مما جرى له و شجاعته في مواقفه، و
 تأييد الناس له و زياراتهم و تحياتهم و ابدائهم الاحترام اكثر له، و تزايد
 السريين في مراقبته هو و عائلته . . صار عبد الإله رجلا آخر، بعد ان
 تحول ابنه البكر يقظان الى قديسا من القديسين المناضلين في سبيل
 قضية الشعب و تضحياتهم بكل شئ في سبيله، و استعدادهم لمواصلة
 النضال رغم قساوة السلطات تجاههم.

صار عبد الإله رجلا آخر . . فابتعد عن المجون و عن الحفلات
 الصاخبة للشرب و لعب الورق، رغم استمراره على الشرب و الورق
 في البيت صحبة اصدقائه القريبين بين حين و آخر، و تغيرت معاملته
 لزوجته و ابنائه و صار اكثر حرصا و دفئا معهم . . الا انه بقي على
 قراره بعدم زيارة ابنه خوفا من بكائه امامه !! خوفا من بكائه امام ابنه

القديس الطاهر و منظره و هو يساق امامه على يد رجال شرطة
حقراء، ادوات للأحقر منهم !!

٥٠ رحيم

في احد الايام و اثناء زيارة الضابط سعدون لعبد الإله في البيت . . .
لمحت الخالة راجحة سعدون و كان بملابسه العسكرية فشبهته الى
عشيرتها و اقاربها . . . و اخذت تسأل عبد الإله عنه و عن من يكون،
عرفت الخالة راجحة من عبد الإله ان سعدون هو اخو الحاجة امينة
زوجة الشيخ فخري من امها، الساكنة في محلة الشيوخ في الأعظمية
عند مرقد الإمام ابوحنيفة.
فرحت كثيرا، لأن ذلك طمأنها على سيرة عبد الإله من جهة و على
كونه بايدي امينة معروفة؟؟ كما كانت تقدر، و انحلت عقدة كانت تعاني
منها اثر حلفانها اليمين بزيارة ابو حنيفة و الإمام الكاظم ثلاث مرات
ان استقرت ابنتها رسمية مع عبد الإله.
و بعد ايام زارت الخالة راجحة الحاجة امينة، صحبة ابنها حيث
حملهما سعدون معه بسيارته الدودج الحمراء، للمشاركة بالمولود الذي
تقيمها الحاجة امينة بمناسبة المولد النبوي الشريف سنويا .
و التقت بصاحبات زمان و قريباتها اللواتي لم تلتق بهن منذ سنوات، و
تعرفت بفرح على ابنتها الجميلة "سعاد" طالبة الصف المنتهي في دار
المعلمات . . و منذ ذلك تواصلت لقاءاتهن و خاصة ايام الزيارات
الدينية.

بعد حياة قاسية اضطر فيها للعيش في بيت اخيه الكبير الذي كان يتاجر
بالحبوب و الاغنام، اضافة لوظيفته الحكومية . . استطاع رحيم اكمال
دراسته في دار المعلمين الريفية وتعين معلم ابتدائية في ارياف
الصحين في العمارة ثم في الناصرية و في الأهوار و عاش بين
مزارعي الرز والشلب هناك و عاش الآمهم و اغانيهم الحزينة و

بالخصوص اغاني مسعود العمارتلي، و شاركهم طعامهم من السمك المجفف المنشور على الحبال تحت الشمس و المسموطة اللذيذة، و كيف كانت النساء تحمي ازواجهن من الحيوانات المفترسة التي كانت تجذبها روائح اللحم البشري الطري الذي كان كان يظهر منهم بسبب تشقق و تسلخ اقدمهم لطيلة مكوثهم في المياه للعناية و مداراة الرز . . الى ان استقر معلما ريفيا في مدرسة ابتدائية، في خرنابات احدى بلدات محافظة ديالى و سكن في بيت للموظفين والمعلمين العزاب القادمين من خارج البلدة . . . ولما كان ممن عانوا قساوة الحياة مبكرا اثر فقدانه المبكر لوالديه في طفولته، ولعيشه حياة قاسية في بيت اخيه الأكبر الذي بدد الكثير من الأملاك والأموال في حياة فارغة باذخة . . و الذي كان و كأنه سيفا مسلطا على اخوانه و ابنائه، فارضا عليهم فروضا قاسية في طاعته و خدمته و خدمة بيته و ضيوفه الذي كانوا يسهرون عنده في السابق الى الصباح في جلسات للعب الورق و شرب العرق .

فإنه عاش تواقا الى الحرية والانفتاح على الآخرين بتكوين الصداقات على اساس المحبة و الإخلاص، ساعيا الى تحقيق ما امكنه لزيادة معارفه و صياغة احلامه و السعي لبلوغها . . فعاش انواع الصداقات الحقيقية المخلصة من خلال النقاشات الجادة و تبادل الكتب المفيدة و اكتساب الثقة، في زمان عاشت فيه البلاد سنوات الحرب العالمية الثانية وهي تحت وطئة الأحتلال البريطاني الذي فرض احكاما حديدية في البلاد ، عملا بما كان يقوم به في تعزيز قواته وضبط مستعمراته في مواجهة الخطر النازي، و ازداد الفقر و الجوع . . وتصادق مع القس الشاب داود الذي كان يرعى كنيسة الشرق في تلك الأنحاء و صارا من خيرة الاصدقاء في السراء و الضراء .

و عمل بنصائح صديقه القس بالسعي لتكوين اسرة و بان لايبقى وحيدا، بعد خلافه مع اخيه الأكبر وشقه عصا الطاعة عليه، و اضطراره الى التسجيل في دار المعلمين الريفية للحصول على اية وظيفة حكومية

تضمن له راتباً شهرياً . . وكان يعود شهرياً لا أكثر الى بيت اخيه الكبير بسبب الجفاء بينهما و بسبب تهيبه من اخيه، و استنكاره لموقفه بعدم زيارته ابنه البكر الذي اضاع شبابه في سبيل مثل انسانية راقية آمن بها، و آمن بها غالبية الشعب .

و كان رحيم يلتقي بزملائه المعلمين في بغداد، في مقاهي و بارات هادئة في شارع ابو نؤاس، اضافة الى دأبه على زيارة ابن اخيه يقظان في سجن نقرة السلطان، في مواعيد الزيارة مع عوائل السجناء من مختلف القوميات و الأديان العراقية، و زادت معارفه بالنقاشات مع السجناء و مع عوائلهم، و من قرائته لأبرز الكتب و الروايات الجادة و الإنسانية التي كان يتعرف على اسمائها من خلال تلك النقاشات او من استعارتها منهم او من المكتبات العامة ان وجدت فيها . . و من تعرفه على عوائل السجناء و شبابهم و شاباتهم، وجد طريقه للتعرف على انواع التجمعات التحررية الناشطة من اجل نصرة قضية الشعب و فقرائه.

من جهة اخرى، و في خضم نشاطه مع القس الشاب لمساعدة العوائل الأثرية و عموم المسيحية، التي هربت من مذبحه سميل و من اعمال الإبادة التي لم تنته من قبل السلطات و العصابات التركية الاسلامية بحق الطوائف المسيحية، ازداد احتكاكه بهم و بشبابهم و شاباتهم من خلال الاعمال الخيرية و التبرعات التي كان يقدمها و يتبرع بها وجوه محافظة ديارى من خلال القس الشاب .

و في احدى زيارات العوائل المسيحية صحبة القس الشاب، تعرف على عائلة أثرية هربت من تركيا بعد مقاومتها للعصابات التركية و قتل الاب فيها، و بمشاعر من التضامن و الإحترام لها، تحمس لمساعدة ابنتهم " فيفيان " في سعيها للقبول في مدرسة الممرضات، في ترجمة الوثائق و في مرافقتها بمعية القس و بدونه .

شعر للمرة الاولى في حياته بمشاعر الحب التي لم يألفها من قبل تجاه الصبية الجميلة ذات الثمانية عشر عاماً، التي سحرته بجمالها و بعينيها

العسليتين و شعرها الكستنائي المرسل الى كتفيها، اضافة الى دفع تعاملها و احترامها له . . فازداد اهتماما بها و ازداد سعيا لقبولها في مدرسة الممرضات من خلال اقارب زملائه المعلمين هناك، حتى تم قبولها . . و سعى لرؤيتها دوما من خلال مرافقته للمرضى الى مستشفى الصليب الاحمر المشيد هناك، حيث تتمرن على اعمال التمريض و من خلال انواع الحجج بلا ضجيج، بل و بكل سرية كي لا يجرح سمعتها او مكانتها الاجتماعية .

و تزايدت مشاعره حدة حتى صار لا يستطيع النوم من كثرة التفكير بها و خوفه عليها، و صار في حالة لم يتمكن فيها من كبت معاناته في داخله دون البوح بها للصديق الاقرب له و هو القس الشاب، الذي قال له بعدما رواه:

- عزيزي رحيم لا طريق لك الا الزواج منها و طريق الزواج هذا مسدود بوجهك وفق القوانين العراقية حتى الان، التي توجب عليها تغيير دينها الى الإسلام، و لك ان تتصور حال عائلة كافحت للحفاظ على ديانتها و خسرت اباهما على ذلك الطريق، و هربت من بلادها، ماذا سيكون موقفها . . عليك ان تبعد عن البنت فيفيان فهي ليست لك، الحل الوحيد هو ان تخطفها ان وافقت هي على ترك اهلها و انا لا اعتقد انها ستوافق، لأنهم سيقاطعوها شئنا ام ابينا، فالعوائل المسيحية لا تستطيع مقاومة الغزو الإسلامي و قوانينه لها، الا بتضامنها العائلي الديني مهما كانت ظروفها، و الا لما بقي مسيحيون في المنطقة، و انت لست الأول الذي حمل تلك المشاعر الجميلة و كتم جرحه و واصل حياته . . هذه هي حقيقة حياتنا في شرقنا الاوسط .

و بعد مناقشات طويلة و مستمرة عن كيف و اين و متى؟؟ و ما هو موقف عائلته هو؟ . . داس رحيم على جرحه المكابر و ابتعد بالكامل عن فيفيان كي لا يؤذيها، ولكنه صار يعاني من ذلك الجرح . . و اقترح عليه القس ان يتزوج من انसानه ملائمة لماهيته، لأن في الزواج حلا لما يعانيه.

و مضت الشهور.

حتى صارح خالته راجحة يوماً بما يعانیه بعد الحاحها عليه بمصارحتها و هي التي كانت تلاحظ اضطرابه و ضعف شهيته و معاناته و لا تعرف من ماذا!! صارح خالته و تفاجأ بتفهمها لمعاناته و هي المرأة القوية في العائلة، التي كانت تتفهمه و تتفهم تطلعاته و حقه في حياة هانئة، لأنها كانت تجد فيه شاباً طموحاً جاداً و مؤدباً، فكانت ترعاه و تحبه و تعمل على ان يستقل و يعيش في اسرة تعود له، بالزواج من شابة مثله، و اوصته بالصبر و بانها ستسعى بكل قوتها لمساعدته على الزواج.

حتى فاجتته يوماً بقولها:
-رحيم لكيت لك لكمة (لقطة). . تصير زوجتك و تعيشون احسن عيشة!!
!! معلمة شابة من عائلة معروفة و مستورة، و هي ايضاً معلمة و من اقاربنا من جهة الأم و لديها أم فاضلة.

تقدمت الخالة راجحة الى الحاجة امينة و طلبت يد ابنتها سعاد لابن اختها رحيم، و بعد انواع الترحيب طلبت الحاجة امينة ان تمهلها فترة زمنية للـ (الإستخارة) و معرفة رأي والدها المرحوم الشيخ فخري من حواريبه و من الخليفة و سارسل لكم الرد عندما يصلني!!
اخبرت الحاجة امينة اخاها سعدون و اولادها و خليفة التكية الصوفية بتقدم عائلة الخالة راجحة لطلب يد ابنتها و انها تنتظر منهم جواباً او رأياً على ذلك الطلب، و عرفت بالخالة راجحة بكونها ابنة خالتها و من مريدي الشيخ عبد القادر الكيلاني و تسكن في محلة الفضل.
بعد اسابيع استيقظت الحاجة امينة و هي تردد:

- الف الحمد لله و الشكر . . صلوا على محمد و آل محمد. استلمت جواب الشيخ فخري بصوته في المنام و هو موافق على تزويج سعاد لـ رحيم متمنيا لهما الرفاه و البنين. و كان تأثير جواب الشيخ فخري هو القاطع المطمئن لنفس الحاجة امينة، رغم ما تناقله بناؤها بأن رحيم يتدخل بالسياسة و يلتقي بنساء سياسيات، و يصادق قسا مسيحيا و يشرب الخمر بين حين و آخر . . حيث اعتبرت ان المهم هو جواب الشيخ و رأي الخالة راجحة المعروفة بالاستقامة و التدين و راحة العقل التي ضمنت سلوك رحيم الطيب و المهدب، و تأييد خليفة التكية التي عبرت عن ثقتها بالخالة راجحة . . و التقت الحاجة امينة برحيم و ناقشته في تصويره للزواج و تكوين العائلة و بالاطفال، و اعجبتها آرائه و طمأنته بانه لن يرى الا الخير.

و قد عقد مهر رحيم على سعاد، على يد القاضي طه العلام تلميذ الشيخ فخري و بحضور الحاجة امينة و الخالة راجحة و ابنتها رسمية ام يقضان و خليفة التكية و مساعداتها، و اخ الحاجة غير الشقيق سعدون و اخو سعاد، محمد و اختها سعيدة . . و اتفقوا على الزواج بعد ثلاثة شهور كي يتعرف احدهما على الآخر. و صار على رحيم ان يخرج مع عروس المستقبل القريب صحبة سعيدة و ليس دونها كما كانت الاعراف . . و قدم رحيم زوجته المستقبلية لأصدقائه و عوائلهم و رافقته بعبائتها الى خرنابات في ديالى صحبة اختها سعيدة، لرغبتها في زيارة مكان اقامته و التعرف على اصدقائه هناك، و سلموا على القس الشاب داود، الذي اقام لهما وليمة فاخرة في حديقة الكنيسة المعطرة بروائح قداح برتقال بعقوبة الشهير و كان الفصل ربيعا . . و مما قاله القس في تلك الولاية:

- اهنتكما من كل قلبي و اتمنى لكما زواجا سعيدا و اطفالا اصحاء حلوين مثلكما . . و انصح بان تطول مدة خطبتكما الى موعد الزواج كي يتقوى حبكما و يترسخ اكثر، لأن الشوق يستعر كلما طالت فترة

الخطوبة بعيدا عن الزواج الذي اتمناه لكما من قلبي، لأن الزواج يجعلكما امام واجبات و اعباء عليكما ان تتهيئا لها بتزايد مشاعر الحب و الشوق بانتظاره!

مرت الشهور و أعلن زواج رحيم من الشابة المعلمة سعاد، و سكنا في بيت الحاجة امينة ومعهم سعيدة البنت الصغرى للحاجة، و تقسمت اعمال المنزل بينهم و سرت الحاجة باستعدادات رحيم و قيامه بعدة اشغال للبيت و احترامه لتقاليد الحاجة الدينية و الصوفية و ايمانها بها، و بمرور الوقت ازدادت ثقة الحاجة برحيم ، و عملت بدأب عبر معارفها الى ان استطاعت نقله كمعلم في الكريعات الواقعة في شمال الاعظمية و جزءا منها.

بعد معيشة رحيم و زوجته الشابة في بيت الحاجة امينة و محبة الحاجة لرحيم و هي تلاحظ انسجام الزوجين الشابين و حبهما الجميل . . برزت مشاكل لم يفكر بها احد من قبل، منها مشاكل الأخت سعيدة طالبة الثانوية، التي فهمت خروجها مع الزوجين الشابين في فترة الخطبة و وجودها معها بتكليف والدتها، فهمت ذلك بأنها هي الوصية عليهما و ان عليها مراقبة حركاتهما و ملابسهما و خروجهما و كيفية جلوسهما و اين، و صارت لاتكف عن اطلاق الملاحظات و الغمز و اللمز، و عند عدم الأخذ بها كانت تنفعل و تصيح و تعمل والدتها على تهدئتها.

من جهة اخرى، كان محمد ابن الحاجة يدخل البيت في اي وقت يريد و كأنه هو ابو البيت، و يتفق مع ملاحظات اخته سعيدة، بان هذا هو الصحيح و هذا خطأ و ان الحق مع سعيدة ! و يضيف عليها بانه شاهد رحيم مع سياسيين يتناقشون في مقهى " شريف و حداد " المطل على النهر . . حتى وصل بملاحظاته الى ان اصدقائه شاهدوه مع شابات في الباب الشرقي، الأمر الذي احزن سعاد و اجهشت بالبكاء لأن رحيم لم

يخبرها و من يكن اولئك النساء، و لم تصدق كلام رحيم بسهولة، بعد ان اوضح لها انهن معلمات عاطلات عن العمل و انه و زملائه يسعون لمساعدتهن على ايجاد عمل .
 و كانت القنبلة الكبرى بدعوة رحيم اصدقائه الى بيت الحاجة، و اثناء جلوسهم جاء الأخ الأكبر زكي الى البيت دون استئذان و سلم على الأصدقاء و تفاجأ بهم لأنه عرف بعضا منهم : زكي خيري، عامر عبدالله، عبد الرحمن الضامن الذي كان وجها قوميا بارزا و آخرين . .
 و استمر زكي بجلوسه لمحاولة معرفة ما الذي يجمع قوميين بماركسيين و غيرهم، الى ان غادر . . فواصلوا جلستهم التي كانت الاجتماع التأسيسي لتنظيم " اللجنة الثورية " ، الذي كان يتهيأ للمشاركة بانتخابات مجلس النواب و تكوين الكتلة الوطنية لذلك . .
 و بعد خروج الضيوف، بدأت نقاشات صاخبة و احتدت و دخلت فيها الحاجة امينة:

- يعني شنو السياسة . . ابني كلنا اسلام محمديّة.
 - يعني احنا شباب نسعى للدفاع عن حقوق الفقراء و تحسين احوال البلد.

- بس زكي يقول ان اصدقائك مطاردين من رجال الأمن و عليهم القاءات قبض، خاصة الاشيب و ابن الضامن منهم.
 - حجة هذا كذب، احنا نسعى للمشاركة بانتخابات مجلس النواب بتكوين كتلة انتخابية و جهها الاساسي المناضل القومي التحرري عبد الرحمن الضامن ابن النائب الشهير الضامن عن اهل الاعظمية . . و الآخرين عن باب الشيخ و عنه و و و ان كانوا مطاردين لايسمحوا لهم بالترشيح للانتخابات.

و سنده باقواله الصحفي الرياضي برهوم حفيد الحاجة الذي كان معهم

- ابني اني ما افهم هالمسائل، المهم تحمي ابنتي و عائلتكم و تبتعد عن السياسيين الزكرتيه اللي ما عدهم شغل و لا عمل بس الكعدة بالمقاهي و

النقاشات . . هذا طويل و هذا قصير و هذا كذا ، ابني احرص على زوجتك و هي امانة برقبتك، و تجدني دائما ساعدك الايمن!!

وجد رحيم في سعاد الزوجة و الاخت المخلصة و الرفيقة الوفية، حين قالت له:

- انا اتفهمك و الاحظ ماتعانيه لشهور من السكن مع اهلي، رغم ان الوالدة معنا و تساندنا و هي تحبك كإبنا . . انا افكر ببناء قطعة الارض التي ورثتها من المرحوم والدي لتكون بيتنا و لكن علينا تدبير نفقات ذلك، مارأيك ؟ هل نستطيع ؟؟
اجابها بحماسة:

- عظيم عيني سعاد !! سأعمل ما بوسعي لتدبير المال و القروض.
- نعم !! و نعمل معا.
و بعد دراسات و نقاشات متنوعة عن البناء و الامكانيات المالية و كيفية توفيرها في وقت تزايد غلاء الاسعار، توصلا الى انهما يستطيعان بناء غرفتين و صالة، يقابلهما من الجهة الأخرى سرداب ضروري لمواجهة حر الصيف، اضافة الى مطبخ و مرافق، و الباقي من المساحة يمكن ان يكون حديقة لا بأس بها خاصة و انها بقعة تشرق عليها الشمس الى ما بعد الظهر . . كمرحلة اولى صالحة و كافية للسكن خاصة و ان سعاد كانت تنتظر مولودها البكر، مرحلة يمكن استكمالها لاحقا عند توفر الشروط اللازمة و خاصة المالية. .
فقدما على قروض من المصرف العقاري و مصرف الرهون اللذين كانا يصرفان القروض وفق نسب الرواتب، الا انهما قدما عليها رغم رواتبهما القليلة كمعلمين شابيين . . و قد تفاجأ بالمنحة التي قدمتها لهما الحاجة امينة بارتهان ذهبها و منحة من التكية الصوفية، و المنحة التي قدمها لهما القس داود من كنيسة المشرق، و الهدية المالية الثمينة التي ارسلتها الخالة وجبهة ام مزهر من الحلة، اضافة الى منحة من الاسرة

التعليمية في مدرسة الشفق التي كانت تعمل فيها المعلمة سعاد . . و كانا قد استلما رسالة قلبية من يقظان من سجن نقرة السلطان يهنئهما فيها و معها مبلغ مجزي من عوائل السجناء السياسيين هناك . .

سعدون

جمعت حلقات الورق و الشرب و اللهو في مضيف ابو الهيل السيد عبد المحسن الذي كان مديرا عاما في متصرفية لواء الحلة، و هو ابن الضابط العثماني الذي كان يعود الى عائلة معروفة من نجد اهلهته لأكمال كلية الحقوق الحربية في اسطنبول و تزوج من ابنة احد رؤوساء عشائر الفرات الذي كان قادما من نجد ايضا . . جمعته بعبد الإله و سعدون.

وكانت الجلسات الجادة بينهم بين دورة ورق و اخرى تدور عن الإستفادة من الإنكليز و علومهم و معارفهم و عن التحرر منهم . . و تطورت تلك الجلسات الى النوادي الليلية في حلب ثم في بيروت، اضافة الى الملاهي بين بغداد و بيوتات الفرات. . كان الملازم سعدون يبحث عن الزعامة كعديد من ضباط مقرات القيادة، و كان يقرأ الكثير من الكتب و الصحف الهابطة و التافهة عن آفاقين تزعموا دولهم مثل هتلر و ستالين . . كما كان يردد. و كان يرى في الشعوب بكونها لا أكثر من قطعان ماشية، تسير وراء من تخاف منه و من سوطه، و كان يردد كلهم خرفان !! و ان السلطة لا تأتي الا من سيقان النساء و سراويلهن، اللواتي يجمعن لك اسرار كبار القوم و اهل القوة في سراويلهن، ان اهتمت بهن و اشبعتهن و رعيتهن بسرية و بعيدا عن العيون . . هكذا كان يفكر، و يصرح بذلك للقريبين بما كان يفكر به احيانا.

و كان يزداد تعمقا، في دراسة كيفية اثاره الفتن و المؤامرات، و كيفية اخمادها ايضا، و دراسة الحسد و التوريطات لإسقاط بعض و تصعيد آخر، و عن حرب الإشاعات، التي كان يقول عنها: بعمل طريقة صغيرة كاشاعة لقضية لأخلاقية و سترون تأثيرها الهائل خاصة ان

قصد بها امرأة معروفة بحسنها او ثروتها، او زوجة فلان و اعلان خاصة ان كان مشهورا . . اضافة الى توريطات كبار من خلال حثالات مدفوع لها، سواء كانوا اشقياء او موظفين صغار و غيرهم، مع عدم نسيان ان الإحتماء يكون بالدولة و القوانين، و الإستفادة منها كدرع واق في كل الاحوال.

و فيما كانت احوال الفرات و ريف الحلة و الديوانية ملتهبة بسبب انتفاضات الفلاحين و الخلافات بين المزارعين و الملاكين، و مشاكل التسنن و التشيع . . استطاع عبد المحسن كمدير عام في متصرفية الحلة تهدئة المواقف الملتهبة بالمنح المالية و بوضع اليد على اسباب تبني فخذ من عشيرة ما المذهب الشيعي الجعفري، و الفخذ الآخر السني الحنفي، رغم انهما من عشيرة واحدة و لماذا تحول قسم من السنة الى الشيعة و بالعكس، و وضع يده على ان المصالح المادية و حب الزعامة و النفوذ لا غيرهما كانا وراء ذلك، فيما يخص تقسيم الإرث و حقوق الارض و الماء، التي تختلف بين شريعة السنه و الشيعة.

استطاع عبد المحسن بمساعدة نشاط و دبلوماسية و مغامرات سعدون، و بمساعدة مزهر و مجبل و عمهما سعودي، استطاع حل مشكلة نزاع اكبر عشيرتين في المنطقة و ايصالهما الى التصاهر لتثبيت الصلح المبرم بينهما و قد اوصل تحالف العشيرتين الى نجاحات كبيرة للحكومة في مناطق الفرات، كأل جابر بقوة شكيمة رجالها الذين برز منهم الشيخ شعلان الذي ورثه بالشجاعة و البأس ابنه مجبل، الذي وجد السيد عبد المحسن نفسه يعتمد على بأسه و جماعته في السيطرة و في حماية اراضي العشيرة الممتدة في الفرات في مناطق و انحاء طويريج (الهندية)، و التفاهم مع العشيرة الأخرى على الارض و السقي . . في وقت كانت افخاذ من العشيرتين تتبع المذهب الجعفري و افخاذ

أخرى تتبع مذهب أبو حنيفة النعمان لأسباب عادت أيضا إلى الموقف من الحكم العثماني و الحكم الذي تلاه و للتقرب منه، و إلى سبيل الحفاظ على الأرض و الماء . . و قد لعب ذلك التنوع و التبادل دورا كبيرا في زيادة فعالية العشيرتين الموحدتين، بعد التفاهم مع آل سعد الذين اشتهروا بصناعة و اجادة الخشوت (المفرد خشت، و هو نوع من السكاكين الطويلة الشبيهه بالقامات) الذين كان الضابط سعدون يعود لهم.

و بسبب تلك النجاحات الكبيرة في الفرات، تم استيزار السيد عبد المحسن، و ترتب على ذلك النجاح انتقال سكن السيد عبد المحسن إلى العاصمة بغداد، و سفر الضابط سعدون معه لخدمة الوزير و لمرافقته و حمايته، و استطاع الوزير بتوصياته و علاقته، ان يوحي بسعدون بالانتقال إلى القوة الجوية التي تأسست حديثا، و قد قبل فيها رغم قصر قامته، و ساعده في ذلك مباشرة الملازم " سعيد المصلوب " ابن صديق السيد عبد المحسن الذي كان من كبار تجار الموصل ... و بالمقابل ساعد عبد المحسن على ان تشد لسعيد الرتبة العسكرية بعد اختيار السيد مولود نائب الوزير عبد المحسن إياه كمرافق له ... و صار بعد ذلك صديقا لـ سعدون، و نسب إلى الشرطة العسكرية (الانضباط العسكري).

و هكذا استطاع سعدون عبر راتبه من ديوان الوزير، ثم من مخصصاته كمتدرب في القوة الجوية التي تأسست عام ١٩٥٠، و من الإكراميات و الهدايا و الرشاوي ان يؤمن له موردا شهريا جيدا يؤهله لدفع ايجار سكن جيد بدل التكنة العسكرية، و بدأ بالسؤال و الاستفسار عن بيت للإيجار مع تفكيره و تساؤلاته بمن سيعتني بالبيت، رجل ام امرأة و من؟؟ لأنه لا يطيق اعمال المنزل من كنس و مسح و تنظيف و طبخ!!

بعد نقاشات متنوعة اتفق مع فكرة سعيد المصلوب بالسكن في بانسيون نظيف يقدم الطعام بوجباته . . فكلف سعيد الجندي المرافق له جورج،

بمساعدة سعدون و مرافقته الى نزل لعائلة ارمنية من العوائل التي اضطرتها المذابح و المعارك والأحداث في جنوب تركيا وفي فايدة . . الى الهروب و الهجرة .

و صار سعدون يسكن في بانسيون راقي في محلة البتاوين في جنوب بغداد . . حيث تزايد اختلاطه مع عدد من العوائل المسيحية الفقيرة التي اضطرتها ظروفها المعاشية الصعبة و القاسية في الريف الجبلي في مناطق كردستان في شمال البلاد، بسبب ظلم الأقطاع و بسبب الأضطهاد الديني و القومي . . فاشتغلوا بشتى المهن كي يعيشوا ، و خاصة في البارات و المراقص الحديثة، كبوابين و خدم و منظفين و آخرين منهم كسمسارين و قوادين .

وتزايد اختلاطه مع عدد من نزلاء البانسيون الاجانب من العاملين في المصالح البريطانية، و قرر ان يصاحبهم لتقوية لغته الأنكليزية، بعد ان عرفه عليهم صديقه سعيد المصلوب الذي كان يتكلم الأنكليزية بطلاقة .

. و هو دائب على اللغة الانكليزية باعتبارها اللغة الأساسية في مدرسة الطيران العسكري.

كان سعدون متأنقا متعظرا دوما، و يحمل تحت ابطه مسدسا، و كان واضحا لمن يقابله بكونه مسلحا، و قد احتفى به كثيرون و اغدقوا له العطاء مقابل الحماية، حتى صار ينظم ايرادات ذلك في تشكيل مورد معتبر اضافي له. وبقدر ما كان سعدون نشيطا في اعماله و كثير الجد، الا انه كان شرابا عرييدا للخمر، و مهووسا بالنساء الى حد اللعنة . .

وقد اكثر من ارتياد بانسيونا لأمرأة اربعينية تدعى ماري امتهنت السمسرة، و كانت تهتم به و تسعى لأرضاءه، بعد ضمان سعيد له و تعريفه

ولاحظ سعدون بصمت الصداقة الغرامية القوية التي ربطت ابنتها ذات الجاذبية الجنسية الخيالية جوزفين المدلعة باسم جوزة، بسعيد رغم امتهان جوزة الدعارة مقابل مبالغ خيالية، حيث كان يتردد عليها في مخدعها ضباط متنوعون بريطانيون و عراقيون من الرتب العالية،

وسط سكوت سعيد و عدم تدخله، معتبرا ان ذلك شأننا خاصا بها،
مادامت لانتقل عليه بمصاريها و ملابسها الانيقة و عطورها، التي
كانت تشتريها من باريس.

ذات خميس و بينما كان سعدون جالسا عند محل زياد الشلاتي للدانتيل
و الازرار المنوعة، كعادته في اماسي الخميس حيث يجلس عند دكان
صديقه زياد الملقب بـ " الشلاتي " في سوق دانيال للحاجات النسائية،
و هو السوق المتفرع عن سوق السراي، والذي تؤمه النساء في العادة .
لجمع الاخبار لقريبه الوزير و للتمتع برؤية النساء اللواتي في العادة
يكن بلا غطاء وجه او سافرات، و التمتع بمناظر اثدائهن نصف
العاريات خاصة اثناء تفتيشهن في المحل، عن حاجات في الاسفل و
يضطرون الى ان ينحنين باقصى ما استطعن للبحث عن الاجمل و
الافضل، و منهن من كن تتمتعن من جانبهن ايضا بنظرات رجل
فاحصة على الاقل، نظرات تعبر عن الاهتمام و الرغبة بجمالهن و
جمال اعضائهن اياها. و كذلك حين كان يلتقي بـ الشلاتي في نزل
للمسافرين في محلة التوراة، الذي يؤمه باحثون عن لياالي حمراء .
جاءت امرأتان قدر ان احداهما ام و الثانية ابنتها، كانت الأم تلبس
ملابس عادية و تلف شعرها بمنديل حريري، وكانت البنت تلبس فستانا
من قطعة واحدة لبست عليه صداري داكنة اللون مطرزة بحبات معدنية
رقيقة و دائرية الشكل لامعة كانت تدعى باللهجة الشعبية (بلك)،
شعرها الكستنائي معقوص خلف الرأس، ذات عينين عسليتين.
اثار منظر المرأتين السافرتين انتباه سعدون كالعادة واثاره اكثر جمال
الشابة ذات البشرة البيضاء المائلة الى الأحمرار المثير، بعينيها
الجميلتين الشبيهتين بعيني قطة جميلة جذابة، كانت تنظر بشكل مباشر
نظرات متعالية تزيدها جاذبية و وحشية، كما ترائى له.
قدر سعدون من متابعتة تعامل الأم مع البائع زياد الشلاتي ، " انها على

الأكثر خياطة " كما حدث نفسه و تأكد بذلك بعدئذ من زياد . . كان سعدون يتابع الشابة بكل حواسه ملاحظا شعوره بتزايد دقات قلبه و زيادتها عنفا ثم بحركة في عضوه، حتى التقت عيناها و شعر بخدر لذيق يسري في جسده . . فيما كان وجهها يتضرج حمرة . . وبينما كانت السيدة تتحدث مع البائع ويتحدث معها، قال سعدون لنفسه :

"لابد و انها ليست المرة الأولى التي تزوره فيها ، او انها احدى زبونات الدائمات المجئ الى دكانه ، نظرات الفتاة الي تدل بلا جدال على انها تتجاوب مع نظراتي . . "

لاحقهما لاهنا من شدة الانفعال في السوق، و الى سوق البزازين . . و لم يحصل على اكثر من نظرة اعجاب لامعة، و رجع الى صديقه زياد متقهقرا جارا اذبال الهزيمة . . و فجأة كسر خوفه من تنزيل نفسه و التعبير عن احساسه لصديقه و سأله ان كان يعرفهما، فقال زياد: - الأم خياطة و تأتي في العادة مرة كل اسبوعين مع ابنتها او بدونها لشراء حاجات للخياطة، و ان راقبت لهجتها يكون من الواضح انها من مسيحيات الموصل و على الاكثر من اللاجنين من المذابح التركية بحق اهل الديانات غير الاسلامية .

في تلك الليلة عاد سعدون الى بانسيون ماري و استمر بالشرب و لم يستطع النوم رغم سكره و بقي متقلبا في فراشه و تارة يخرج لبار البانسيون و تارة الى فراشه . . لم يعر اي اهتمام لأية ممن رغبين به تلك الليلة في البانسيون، حتى وصل بالطفهن اليه ريتا الى ان تخلع سروالها و ترميه بلطف على وجهه بعطره و هي تهمس " سعدوني . . سويلك همة . . صدقني من هسه انت منثار كما اشاهد بعيني " . .

زين ارافكك بهدوء و دون كلام الى السرير"، لم يجب و هو يردد بقهر (رمتني بسهمها و انسلت) واضعا عضده على رقبتها و يده تداعب ثديها الطري النافر. ساعدته على خلع ملابسه و هي تداعب عضوه الذي لاحراك به، الذي بقي دون حراك حتى داعبته بثديها و يدها تدور

بلطف على مؤخرته . . فتحرك، و انسلت معه تحت الغطاء . .

بعد ان نام قليلا عند الفجر، استيقظ سعدون و وجه الفتاة لا يغادر خياله،
و في اثناء الفطور سألته ريتا:
- كنت تردد امس انه اصابك سهم او سكين و السل، هل تعني مرض
السل؟؟ يعني انت معاشر وحده عدها سل؟؟ ماتخاف على نفسك و
علي

- لا عيني ريتا ياسل يا بطيخ، ماكو هيجي شي . . كنت اخرف بسبب
المشروب اللي اعتقد انه كان مغشوش!!
- الحمد لله آني هم حسيت هالشكل!!

و لبس ملابسه العسكرية و مسدسه و تحرك فورا الى صديقه زياد في
سوق دانيال و سأله رأسا:

- هل سيأتون هذا الخميس؟؟
- مماماما . . ما ادري بالضبط بس اكيد الاسبوع القادم لأنها ارادت
التأكد هل وافقت الازرار لون القميص الذي تخيطه و يمكن اكثر من
قميص.

- عزيزي زياد اكتب اليك رقم تلفون البانسيون و تلفون مكتبي و تلفون
الثكنة . . ان لم اكن هنا معك عند مجيئهم اتصل بي فورا و اخبرني!!
و دخل مع زياد الشلاتي في نقاش حول زواج المسلم بالمسيحية و لماذا
محرم؟؟ و لماذا المسيحيون يرفضون تزويج بناتهم لمسلمين و
المسلمين يرفضون تزويج بناتهم لمسيحيين؟؟
قال زياد:

- على حد علمي ، انه في الزواج يعود الابناء لدين آبائهم عدا اليهود
فانهم يعودون الى دين امهاتهم . . و بما اننا دولة مسلمة، تحافظ الدولة
على ديانة المواليد الجدد ليكونوا مسلمين و هذا يثير المسيحيين و يمكن

حقهم لأنهم سيخسرون ابنتهم و اطفالها، لأن القانون عندنا لحد الآن يفرض على المسيحية الاسلام ان قررت الزواج بمسلم، و ان تغير هذا القانون بان تحتفظ المسيحية بدينها في هكذا حالات، تقل المشاكل بالتأكيد.

و لذلك هم حازمون في هذه المسألة و تنتشر قضايا الثأر و الغيرة على دينهم، من جهة اخرى فإن المرأة المسيحية اكثر تحررا من المسلمة، فالحجاب غير مفروض عليها، و لا مفروض عليها البقاء في البيت، فالمرأة المسيحية تشتغل و تختلط بالمجتمع حالها حال الرجل، و الاختلاط عندهم عادي من الطفولة اضافة الى شرب الخمر بالنسبة للبالغات . . و هي امور تجعل نساء الطرفين في عالمين مختلفين .

و في مساء الخميس اللاحق و بينما كان سعدون جالسا على مقعد امام دكان صديقه زياد و هو بملابسه العسكرية و مسدسه . . جاءت الام لاهثة من ثقل لفات القماش التي كانت تحملها، و لم تكن ابنتها معها، فوقف سعدون لا إراديا و بقي صامتا و ملئت الحمرة وجهه . . و بعد التحية طلبت الأم ازرارا اضافة لما قد اشترته في المرة السابقة . . حياها زياد و احضر لها ما ارادت و قال:
- تبيدين متعبة خاتون و لم تأت معك الخاتون الصغيرة اللي اعتقد انها ابنتك.

- نعم و الله تعبانة و ابنتي لم تأت معي لإصابتها بنزلة برد. .
تدخل سعدون قائلا:

- خاتون لا تهتمي انا مستعد لحمل الحوائج و ايصالك للمنزل بسيارتي.
و نظر الى زياد بقوة متمنيا ان يقول شيئا يجعل الأم توافق، و استجاب زياد بسرعة قائلا:

- اقدم لك سعدون و هو ابن عمي و انسان طيب حاضر للمساعدات الضرورية و يخفف عنك الاحمال.

بابتسامة:

اجابته

- و انا كثيرة الامتتان و لكن بيتنا بعيد يقع في منطقة الغدير في اطراف بغداد، يمكن زحمة عليك!
- ابدا يلا.

وضع سعدون الاحمال بسيارته الدودج الحمراء و دعاها للجلوس على المقعد الامامي، الا انها رفضت قائلة قد يساء تفسير ذلك عندنا و استسمحته مستأذنة بالجلوس في الخلف و انتظرت، و جلست في الخلف و هي تنظر الى قيافته العسكرية الجوية بنجمتين على كتفه، بعد ان ابتسم بالموافقة.

و على طول الطريق استمرا بالحديث معا، و استطاع ان يكون صداقة و الفة بينهما، و عرف بانهم أثوريين من الخابور، و دخلوا في معارك مع الجندرية الاتراك و مع انواع العصابات التي كانت ترعاها دول كبرى، و خسروا اباهم و اخوين، و بقيت الام و ابنتها من العائلة، و يسكن بالقرب منهم عمهم الذي خسر ابنا، و يعيش الآن مع عائلته قريهم.

بعد ماقارب الساعة، دخلا الى منطقة الغدير شبه القاحلة و من منطقة مرتفعة من الشارع اطلت السيارة على صفوف من البيوت البيضاء، مصفوفة و كأنها مخيم عسكري، و بعد الشارع الرئيسي دخلت السيارة الى طريق فرعي و اشارت الى بيتها المرقم ٨ ، فوقف سيارته و انزلت المرأة حوائجها و هي تلح عليه بتناول العشاء معهم و هو يعتذر و بالحاحها و وصولها الى " نبني صداقتنا بالخبز و الملح و الافانت ترفض صداقتنا " ، نزل عند طلبها و حمل معها بعض الاغراض. .
و سلم على الصبية الحلوة " الماس " التي عرف اسمها من امها، و عرف ان الام تدعى " ياسمين " و على الطعام اللذيذ و بعد انواع الاحاديث و استراقه النظر كلما سنحت الفرصة، الى الماس التي وجدها فرحة بوجوده رائحة غادية لخدمة المائدة. . شرب قدحا صغيرا من الشراب الذي اتت به الام، بصحتهن!

و بلغة عالية التهذيب و بشعور من الخجل في مرة من المرات القليلة في حياته . . اوضح لهما استعداداه الكامل لمساعدتهما و في اية حاجة، و اعطى لهما ارقام تلفوناته للحالات الطارئة المستعد لها و هو الضابط و مكتبه في ديوان وزارة. اتفق مع الام في زيارتها الى سوق دانيل على الاوقات التي يكون هو فيها هناك، بشرط ان يخدمهم بسيارته مقابل عشاء المنزل اللذيذ عندهم في ذلك اليوم لإشتياقه لطعام المنزل لأنه يعيش عزابي، فوافقتنا بفرح على ذلك، خاصة و انه صار معروفا لهم من عناوينه و من كونه يعود الى الوزير الفلاني و يعمل في ديوانه.

و من حي الغدير ذهب سعدون بسيارته الى بانسيون ماري، و التقى هناك بصديقه سعيد المصلوب الذي وجده غارقا في حوض جوزة و استأذن منه للذهاب الى مائدة اخرى بانتظار ريتا التي وجدها بملابس تشبه المايو البكيني مرتدية عليها روب شفاف و هي تجالس ضابطا بريطانيا كبيرا و كانا غارقين بالحديث و الضحك و يشربان من زجاجة ويسكي فاخر غالي الثمن و كانت الزجاجة شبه فارغة . . و بعد فترة قصيرة بدا ان الضابط البريطاني كان قد انهى ما جاء من اجله مع ريتا، او شاهدها و هي تتلصص على سعدون مبتسمة و بعيدة عنه، و استاذن منها و ذهب.

فقامت ريتا و ذهبت مسرعة الى سعدون مرحبة به، و سعدون يحاول تقليد سعيد في لامبالاته من زوار جوزة. قال سعدون:
 - ها شلونها الامورة . . يبين هسه القيادة البريطانية تزورك؟؟
 ضحكت ريتا ضحكة رنانة و هي تقول بهمس:
 - يبين المطي سقط في غرامي.
 - شلون يعني ؟
 - يعني اخذ المقسوم و يريد بعد، و لم اسمح له . . و بعد ان اخبرني بالقوات الضاربة الجديدة التي اتت من بريطانيا و كان يرافقتها، قال انه

يريد الزواج مني، او يرتبط بي بالشكل الذي يناسبني. .
ابدى سعدون عصبيته قائلاً:
- يضحك عليك هذا الكلب، لاتصدقيه!!
- ها غرت؟؟ و هي تبتسم من غيرته عليها. . بس انت ماتهتم بي،
طبعاً أني هم ابحت عن نصيبي. .
فعانقها بقوة و هو يقول : الحق معك و سأتجاوز اخطائي و سنتكلم
بالتفاصيل.
- يعني صدك انت تحبني؟؟ و الله من الآن لن آخذ منك فلوس عن كل
مرة، بس انتظر هداياك!
و سحبها من يدها و هو يربت على مؤخرتها بلطف نحو غرفتها، و
هي تحل رباط الروب . . بعد ان شعر بعمق نفسه انه ضامن ان الماس
ستكون له وحده، الأمر الذي قوى عزيمته و رجولته !!

تحطم طائرة .٧.

طائرة

تحطم

ازدادت لقاءات سعدون بسعيد اكثر من السابق، ليس في بانسيون ماري وحده و انما في مكاتب العمل و في النزعات و المقاهي، و ازدادت نقاشاتهم حول البلد و الانكليز و ابن عمه الوزير عبد المحسن و مواقفه الوطنية التي تساندها مواقف نائبه السيد مولود والد سعيد و ازدادوا تعاهدا على موافاتها باحدث الاخبار و المعلومات التي يمكن ان يستقوها بكل الوسائل، و خاصة ممن هم على احتكاك برجال القوة و النفوذ في البلاد.

و توصلا الى ضرورة الاهتمام اكثر بريتا و جوزة لأنهما يملكان اكبر رأسمال في تلك العلاقات، و اضاف سعيد:
- لأنهما على احتكاك و صداقة ليس مع كبار الضباط الانكليز فقط، بل مع كبار الضباط و الموظفين العرب و العراقيين ايضا.
و اتفقا على الكتمان و على ضرورة الاستفادة من علوم و خبرات الانكليز و العمل على مكافحة استغلالهم للبلاد من كل النواحي و على تحرير البلاد من التبعية للجانِب . . و من كثرة نشاطاتهم كونت صلاتهم و علاقاتهم، مايشبه اتصالات و علاقات منظمة صارت تكبر بمرور الوقت، و توصلا الى ضرورة اقناع ماري بان تجلب فرق استعراضية راقصة اوروبية مثيرة تؤدي كل الخدمات للزبائن العرب و العراقيين، لتقوية معلوماتهما عن الضباط و السياسيين العراقيين و العرب و فرز من هم وطنيون و من هم عملاء . . خاصة و ان ماري تثق بقدراتهما لكونهما ضباط ذوي نفوذ و في اماكن حساسة، و سيساعدانها حتما في تذليل المعاملات المطلوبة.
الا ان سعدون بقي على عناده في الزعامة و في اعتقاده بأن القوة تأتي من النساء و مما يملكن من سحر و جاذبية و اغراء، و الا لما كان

لمؤسس الجيش الفريق جعفر العسكري محظية ارمنية و لما كان لكبار الضباط و اصحاب القوة انواع العلاقات النسائية الثابتة و العابرة، و الا لما التقى بكبار الضباط و هم يقضون اوقاتهم بفرح و نشاط مع غواني بانسيون ماري، و بينهم ليس الضحكات المججلة فقط بل و انواع الاحاديث الهامسة كما كانت تخبره ريتا . . و هذه المسائل تتطلب الشجاعة و المغامرة و توطين النفس عليها، كما كان يردد مع نفسه . . و تصور سعدون ان ابن عمه الوزير لايد و انه و نائبه يعملان لإشعال ثورة ضد الانكليز، و ان عليه المساعدة في توفير مستلزمات ذلك و بكل الطرق الممكنة، و قد فهم ذلك من معارضته العلنية لقرارات الحكومة بعقد معاهدات عسكرية مذلة مع البريطانيين، و تسببت تلك المعارضة بأزمة كبرى للحكومة و بانطلاق تظاهرات شعبية متزايدة في العاصمة بغداد .

من جهة اخرى و من كثرة ترده على بيت السيدة ياسمين و ابنتها تعرف سعدون على عم الماس السيد ميخائيل (ميخا) الذي كان فور من في تنظيف المجاري و لديه فريق عمل في ذلك المجال، و قد عرف منه بأن هناك ثوار آثوريين في الجبال يحقدون على البريطانيين لنكتهم بعودهم لهم ثم لرفع يدهم عنهم لإنقاذهم، حتى صاروا هم و عوائلهم مطاردين من حلفاء البريطانيين بالسلاح . . و هم على علاقات قوية مع قادة كرد يواصلون ثورتهم من اجل حقوقهم القومية، لعبت قراهم دورا لاينكر في انقاذ و مساعدة الآثوريين من المذابح آنذاك . . و بتواصل لقاءاتهما و نقاشاتهما، كسب سعدون ثقة العم ميخائيل و عرف منه انه على صلة وثيقة بثوار الجبال .

الا ان كثرة تردد الضابط سعدون على بيت ياسمين و جلوسه طويلا هناك مع امرأتين وحيدتين في ذلك المحيط الآثوري الضيق من اللاجئين، تسبب بالكثير من القيل و القال بحق المرأتين، و حكيت انواع القصص و الشائعات اللاأخلاقية حولهما، لعب فيها شابين حالمين بالزواج من الماس، و اهلها ايضا الذين لعبوا دورا كبيرا فيها، اضافة

الى الكثير من الحاسدين لقيام ضابط بخدمتهما . . حتى وصل الامر الى الم و غضب ياسمين الأم و دخولها في مشاجرات كلامية مع جيرانها، و وصل بالماس الى ان تترك المنزل كلما زارهما سعدون، تاركة الام تتعشى لوحدها مع سعدون باعذار متنوعة .

و تزايد الم سعدون مما يجري و تزايدت استفساراته من الأم " ماذا يحصل ؟ هل تصرفت انا تصرفا غير لائق بحق الماس ؟ هل صارت تكرهني ؟ انا بالحقيقة احبكم و احب ياسمين " و قال الجملة الأخيرة و الدماء تصعد الى وجهه " و كانت تجيبه دائما " احنا هم نحبك لانك صرت واحد مننا، الماس صاحبة مزاج، مرة هيج و مرة هيج . . "

الى ان اخبرت الأم ياسمين سعدون، بعد مشاجرة كلامية مع الجيران و كان جالسا في صالون البيت " عزيزي سيد سعدون، احنا ريفيين و نجونا باعجوبة من الموت بسبب المذابح المستمرة بحقنا، نجونا بانقاذ بعضنا البعض و بوقوفنا حتى الموت معه، و لدينا ترمتنا و تقاليدنا اللي هي سر بقائنا في الحياة حتى الان، و نحن صريحين مع بعضنا، ابوابنا دائما مفتوحة بوجه بعض، و الأثوري اللي يزورنا يدخل بدون استئذان، الا الصداقة مع الغريب عن ملتنا، العفو . . . علينا ان نقدم انواع التوضيحات و التفسيرات على صداقتنا معه" . .

صعدت الغيرة برأس سعدون و قال:

- آني الهم . . . و الله لأعلمهم!!

بعد ان عرف مع من تشاجرت ياسمين، جلب ميخا معه و وقف امام ذلك البيت و صاح:

- و الله اذا ما تنهون هوستكم مع السيدة ياسمين، اكلب الدنيا عليكم . .

اشتكي عليكم بالمحاكم و النتيجة يشمروكم انتو و غراضكم بره . .

ويلك انتو مكان ماتشكرونني على رعايتي لإمرأة ارملة تشتغل حتى تطلع خبزتها، ترموها باتهامات . . ولكم لا الله و لا المسيح و لا الاسلام يقبلون بذلك ياسر سرية . . انتم الاخلاقسزيه . . و تشوفون!!

ارتجف ميخا من كلام سعدون و هو واقف صامت جنبه، لأنه لا يعرف

ماذا سيحصل بسبب امرأة اخيه، و ماذا عليه ان يعمل؟؟ و تحركا و جلس سعدون على بقايا حائط و اخذ يدخن . . و بعد فترة عاد الى بيت ياسمين و معه ميخا و الاثنتين صامتتين، و وجدا جمعا من الناس في باب المنزل، و ابتعد الجميع عن طريقهما مسرعين . . و دخلا البيت و وجدا امرأة الجيران التي تشاجرت مع ياسمين قبل حين و هي جاثية على ركبتها تقبل يد و ركبة ياسمين معذرة منها و هي تسب حالها و لسانها و تحلف بالمسيح بانها ثابت الى العذراء مريم !! كما ترجم ميخا كلامها الى

جلس سعدون ببقايفته العسكرية و تحدث بمنتهى الهدوء:
- ياسيدة ياسمين . . انا احب الماس على نية الزواج منها و اعتقد انها ايضا تحبني، و سأكون خير سند لكم، في هذه الاوقات العصيبة. .
سكتت ياسمين ثم قالت:

- سيد سعدون احنا يشرفنا طلبك و الماس يمكن لديها نفس شعورك و لكن . . المشكلة مشكلة الدين و يستطيع عمها ميخا ان يشرح لك ذلك . . و حسب ما اعرف انه في هذه الحالة عليك الحصول على اذن من الحبر الاعظم لكنيستنا و ملتنا و مقره الآن في قبرص كما اعرف، اذا تمت الموافقة.

سكت سعدون مفكرا تتقلبه اكثر من فكرة في مقدمتها، هل الدين عائق الى هذا الحد؟؟ لاجئين و حسرة عليهم لقمة العيش و بهذا الموقف؟؟ هل يشكل الدين و ايمانهم به الرابط القوي في تلاحمهم الى هذا الحد؟؟ ام هو رد الفعل الطبيعي البشري على سلوك الحاكمين المدعين، بانهم يحكمون باسم الإسلام و يحاربون الاديان السماوية الاخرى و انهم مكلفون بذلك؟؟ و لايعرف ممن مكلفون؟؟ ام ان الإنسان يحتاج الى قوة مادية و معنوية نفسية ليدافع عن وجوده، و يشكل دينهم تلك القوة في ظروف المذابح الإجرامية المقامة ضدهم؟؟
الا ان سعدون فرح كثيرا بكلام ياسمين لأنه عرف ان الزواج ممكن . . بل و فرح كثيرا جدا و هو يلوح ابتسامة الماس الخجولة المطلة من

الكوة بين الصالون و بين المطبخ، و هو يقول سابدل كل جهدي و ثقي
باني سانجح !! و سأوفر لألماس حياة هانئة سعيدة . . و غادر سعدون
المنزل بعد السلام مسرعا و كأنما كان يركض من شدة فرحه، بعد ان
عادت اليه الروح و احيته.

و بعد ان سر صديقه سعيد بمشروعه للزواج، سأله:
- كيف ؟ هل تحب امرأتين في وقت واحد ؟ ماذا ستفعل مع ريتا ؟
- ريتا بالنسبة لي كجوزة بالنسبة لك . . اننا نهتم بهما و نحميمها و
نصرف عليهما، مقابل مانحصل على معلومات منهن، و طبيعي نحن
مستعدين لمساعدتهما ان ارادا ان يتزوجا بمن يحبان . . انا لا اعتقد اننا
نحبهما ذلك الحب من اجل الزواج و هما بخبرتيهما مع الرجال يعرفان
ذلك، هما يداريننا و نحن نداريهما و نحميمها، حتى صرنا اصدقاء . .
هل نسيت كيف حميناهن من الشقي (محمد ماما)
حين هدد ماري و العاملات عندها، حين هددهم بالطعن بقنينة كسرها
على البار؟؟ نحن لانضحك عليهن او نستغلنهن و لا احنا من جلبهما او
تسبب بجلبهما الى بانسيون ماري، و احتمال هناك من يشغلن لحسابه
نحو اهداف لا نعرفها الى الآن و نحن حذرون . . هن بعملهن يعرفن
الكثير من اسرار البلد من انواع الخرفان من الحكام . . وافقه سعيد
على كلامه الذي قوى علاقتهما اكثر من السابق و نظمها نحو هدف
مساعدة المناضلين الوطنيين.

و بعد مناقشات متنوعة عن كيفية الحصول على موافقة الحبر الاعظم،
و آراء اصدقائهم في وزارة الخارجية و اتصالاتهم بمن يعرفوه في
الممثلة العراقية في قبرص، توصلوا الى ان الحل الوحيد هو ان
يتزوجا في قبرص و يتسجلا هناك حيث لاتدقيق بمسألة الديانات و
بحضور ممثل عن مكتب الحبر الاعظم هناك، و على سعدون و الماس
ان يرسلوا اوراقهما الثبوتية التي حددت، على ان تكون مترجمة

للانكليزية، و في حالة الموافقة . سيرسل مكتب الحبر الاعظم رسالة
مسجلة تفتح بتوقيع المستلم و فيها بطاقة السفر و الفيزا كهدية من
المكتب للزوجين الشابين.

و غرق سعدون في توفير الاوراق الثبوتية و اصدارها و خاصة
مايخص الماس منها، و في مساعدة السيدة ياسمين اسبوعيا في نقل
الاغراض من سوق دانيال و التسوق الاسبوعي، اضافة الى عمله
كمرافق للوزير عبد المحسن و مراسلاته و ضيوفه من انواع
السياسيين و وجوه العشائر و المجتمع، في ظروف ملتهبة بسبب نية
البريطانيين بعقد المعاهدة العسكرية الجديدة، التي كان يرفضها السيد
عبد المحسن كاحد الوزراء البارزين في الحكومة آنذاك، لكون لا داعي
لها للبلاد و لأنها ستكبل العراق بقيود جديدة.

من جهة اخرى، كان سعدون يفكر كثيرا بما يقرأه في الثكنة العسكرية
في اوامر القسم الثاني الخاص باطلاع الضباط، و هو يلاحظ قوائم
متواصلة باحالة عديد من الضباط و خاصة من الشباب على التقاعد،
بتهم: الشيوعية و الصهيونية و الافكار الهدامة، و كان يعرف قسما من
المحالين جيدا بكونهم من اكفأ الضباط، و اندهش اكثر باحالة الضابط
الطيار الشهير بكفاءته و علمه العسكري . . جلال الأوقاتي . . و كان
يتساءل مع نفسه و مع صديقه سعيد و عدد من الضباط الشباب
المقربين، هل يريدون انهاء الجيش العراقي و معاقبته اثر نجاحاته في
حرب ١٩٤٨ مع اسرائيل؟؟ و هو يتذكر كيف كان ابن عمه الوزير
يقول بعصبية و الم: هي نفس السياسة . . تسريح الضباط الأكفاء و
عقد المعاهدة العسكرية الجديدة لإيفاد ضباط انكليز بدلهم!!

في ظهيرة احد الايام و هو في قاعدة الرشيد الجوية و في خضم تلك
المشاغل الكثيرة و المتنوعة، اتصلت به السيدة ياسمين تلفونيا و هي
شاهقة بكاء مر:

- الله يخليك سيد سعدون . . انقذ الماس، الله يوفقك . . هاجت عليها الام كليتها و لم تعد المسكنات التي وصفها لها الطبيب تنفع، و يقول ضروري نقلها بسرعة الى مستشفى تتوفر فيها اجهزة تشخيص و تخطيط و انواع الفحوص الحديثة . . انا لا افهم فيها . . ارجوك بسرعة بسرعة!!

اضطرب سعدون و قد افقدته تلك المكالمة صوابه، المكالمة التي جعلته يخاف على الماس من الموت، و ان كل دقيقة هي هامة جدا للحفاظ على حياتها . . فذهب مسرعا الى طائرة التدريب، و اخبر برج المراقبة بانه سيطير الى الغدير !!! و كان يعرف ان هناك مهبط طوارئ عسكري سابق متروك، اعده البريطانيون ايام مايس ١٩٤١ لمواجهة محاولة انقلاب عقدا المربع الذهبي العراقيين على سلطة الوصي على العرش عبد الإله، و انه لايزال مدرج على لائحة المطارات العسكرية . . رغم تركه و عدم استخدامه منذ سنين. و كان يردد مع نفسه:

- لم اعرف ان الماس مريضة بالكلية . . ان شاء الله تكون بخير اسألك ربي . . الطائرة تختصر الزمن عشرين مرة، ساحملها بالطائرة و ارجع بها الى مستشفى الرشيد العسكري، هناك عندهم كل شئ، و اذا لم تصلح طائرة التدريب لحملها لصغرها، ممكن احملها باية سيارة من الجيران.

و رغم صياح برج المراقبة بالجهاز عليه بأنه لم تأت موافقة بالطيران . . بعد دقائق وصل منطقة الغدير و حسب : بالنظر و التخمين و الدوران بالطائرة، حتى قرر اين موقع المهبط . . هبط على مهبط الغدير بسلام الا ان الطائرة بعد هبوطها و في سيرها على الارض و قبل ان تتوقف اخذت تجنح و تميل الى جهة و لم يعرف السبب، الى ان نزل من الطائرة و تفحص الجانب الجانح و عرف ان السبب يكمن في ارتطام احدى عجلات الطائرة بصخرة ناتئة تسببت بتمزيق اطارها و تهشيم الاطار المعدني لها.

حمد الله على ان الطائرة لم تتحطم و على نجاته . . لإنقاذ الماس، و اخذ
يركض الى بيتها و هو تحت انظار اهالي الغدير الأثوريين الذين احتشد
قسم منهم بهوساتهم و تحياتهم في باب بيت السيدة ياسمين . . مبدئين
استعدادهم لمساعدته بأي شكل و هم فخورين بوجود ضابط مسلم من
الحكام يهرع لإنقاذ ابنتهم .

حملوا الماس و هي تأن و تصيح من الاوجاع صحبة امها ياسمين . .
حملوها بنقالة عسكرية كانت في احد البيوت، الى سيارة بيك آب مغلقة
بشادور احضرها سائقها الشاب الذي يشتغل عليها للاجرة، متبرعا . .
جلس سعدون جنب السائق، و الام و عمها ميخا و زوجته جنب الماس،
يعملون على تثبيتها مع الاغطية و التخفيف عليها من ارتجاجات
السيارة السريعة على شوارع لم تكن مبلطة
و تثير غبارا اقل من السابق لانها زفتت قبل شهر .
بعد اربعين دقيقة وصلت البيك اب الى الباب الرئيس لمستشفى الرشيد
العسكري، و سمح الحرس بعد ادائهم التحية العسكرية، بدخولهم فورا
بعد رؤيتهم للضابط الطيار الجالس في الصدر بقيافته العسكرية
الميدانية ذات النجمتين . . و عمل سعدون كل مايسطيع لإدخال الماس
للمستشفى بصفة قريبة ضابط طيار، و ادخلت الى قسم الطوارئ
للحالات الحرجة، امها كمرافقة رسمية معها، و تحت عناية و متابعة
سعدون.

و في تلك الأثناء ضح مجمع الأثوريين في الغدير بانواع العواطف،
اضافة الى القصص و الروايات و الأحاديث التي لايعرف صدقها من
كذبها عن البطل الطيار سعدون و حبيبته الأثرورية:

- اعزائي هذا البطل الطيار فعلا يحب الماس، و الا ماقام بكل تلك
المغامرات في سبيلها
- صدك انسان شريف

- عطب الطائرة و خرابها هي مؤامرة بريطانية لتحطيم القوة الجوية
العراقية . . صدك هاي طائرة تدريب لو طائرة خبط لثق . .

- هذه من الخطط لقتل الطيارين العراقيين، و جلب المزيد من البريطانيين ليحلوا محلهم
- الحكومة غير راضية على زواج الطيار سعدون من آثورية
- يحكي اقاربي في جيش الليفي انه ممنوع ان يتزوج ضابط عراقي بمسيحية.

- و المسيح . . اذا تزوجوا سيكون هذا الطيار خير عون لنا
- و العذره . . علينا نساعدهم و نبارك لهم زواجهم
.

و بينما اجريت عملية جراحية لألماس لإستئصال احجار من كليتها اليسرى و بقيت راقدة في المستشفى لتتمائل للشفاء و تخرج الى البيت .
. استدعي سعدون على عجل الى مقر وزارة الدفاع و أُحيل الى مجلس تأديبي عسكري فوري، قرر عدم صلاحيته للقوة الجوية و احالته الى القوات البرية حسب حاجتها . . بسبب عدم انضباطه و لتصرفه باملاك الدولة و تلفها بحماقة، و بسبب انصياعه لعواطفه الهائجة التي لاتعرف غاياتها، و يحرم من جدول الترقية المرشح له اصوليا . . حيث كان مرشحا لنيل النجمة الثالثة ليكون نقيباً!

و عند مقابلته لإبن عمه الوزير عبد المحسن، انهال عليه بشتى النعوت التي لم ينطقها بحقه من قبل:

- تريد تهجم بيتي و سمعتي؟؟ انا اواجه انواع الأعداء و المتربصين و سارقي قوت الشعب و هم يترصدوني و يحاولون ايقاعي بفخاخهم . . هل نسيت انت مرافقي و مدير مكنتي و موضع اسراري و تقديري؟؟؟ بهذا تجازيني؟؟ قلت انك احببت هذه الأثورية و هي تحبك، و انا ابديت كل استعدادي لمساعدتك و لسفرك معها الى قبرص و . . لكن ان تزورها بالطائرة و تحطمها عند قدميها؟؟ و اين؟؟ في الغدير اللي فيها انواع الاشقياء و القتلة و المجرمين كما يصفوهم، و تجينا بحقهم يوميا انواع الشكاوي من (محترمي) مجلس النواب، اللي اكثرها كما

اعرف ملفقة و كاذبة، و لكنها شكاوي مسجلة رسميا و تطالب و تطالب و تطالب
و تطالب بطرد هالمساكين من ضحايا المذابح . . الله لايسامحك تدخلنا
بهالمشاكل و هاي اكبر ضربة اواجهها حتى الان لتلويث سمعتي باني
اعتمد على خير و اقرب مساعد لي يقوم بذلك و يطرد من القوة
الجوية، لأسباب لايفوها الا بكونها تخريبية او لناس لا يحترمون
القانون !! احنا مو بين اهلنا و عشائرننا نتحرك بكيفنا و نصادق من
نريد نصادقه بحرية، احنا في دولة و خاصة انت، لأنك ضابط اللي
جايه من الضبط و الربط!!

ذات صيف .٨.

ذات صيف

بني القسم الاول من البيت الكائن في محلة الشيوخ في الأعظمية، من غرفتين احدهما تطل على الشارع بشباك و الثانية خلفها تطل على حديقة البيت الصغيرة بشباك ايضا تقع عنده وسائد نوم رحيم و سعاد. . و الغرفتان تقابلان السرداب الضروري بنائه، لمواجهة الصيف الحار الذي كان له مدخل خلفي، و بينهم الصالة . . و كانت الأسرة في ايام الصيف المعتدلة، تلتف مع الجدة الحاجة امينة على سقف السرداب بعد ترطيبه بالماء، و كان سقف السرداب المرتفع قليلا عن ارضية المنزل، كان يطل على الحديقة الصغيرة و على طارمة كان يجاورها حائط الجيران الموصلين المرتفع، الذي كان يخضر بفعل نبات شجر الليف المتسلق الكثيف . . حين كان الناس يبحثون عن اثمار الليف، للغسل و التنظيف، و كانت العائلة توهبه لمتسولين كانوا يبيعونه و يستفيدون من اثمائه.

و في موسم الطماسة حين تهبط اسعارها الى الكيلو بفلسين، كان نساء العائلة و الاقارب و الجيران، يجتمعن لعمل معجون الطماسة، و يضعنه بعد اعداده في صواني كبيرة كي يجف في ذلك الصيف الشديد الحرارة . . و في صباح ذات يوم وجدنا نحن الصغار اثنين او ثلاثة من قارض الكاروب (الحفار) في احدى الصواني الكبيرة لمعجون الطماسة التي لم تغطي بالشاش او لأنهن نسين وضع الشاش عليها . . و اوضح لنا الوالد ماهو الكاروب و كيف يقتل النباتات بقضم جذورها، و علينا القضاء عليه عند رؤيته في الحديقة او في اي مكان رطب، و اوضح بانه يستطيع الطيران، مع الحذر كونه ينشط عند حلول الظلام. و في تلك المواسم كانت تهب عواصف رملية كثيفة من الجزيرة العربية، و كانت تغطي ضوء الشمس لعدة ايام و تثير انواع الامراض

للذين يعانون من ضيق التنفس و يبقى غبارها و رملها على الاسطح و الشوارع ما لم تغسل . . و المشكلة المخيفة التي كانت تحصل احيانا ان تلك العواصف كانت تحمل عقارب طيارة سامة، كان المعروف انها كانت تأتي من نجد في المملكة السعودية، و هي غير العواصف التي كانت تهب من البحرين و الكويت التي كانت تحمل اسرابا هائلة من الجراد، الذي قيل ان اهل البصرة و مناطق الاهوار كانوا يقلوه بقليل من الزيت و يأكلوه.

تقع محلة الشيوخ في الأعظمية و تطل على نهر دجلة، في المنطقة القريبة من ضريح الإمام ابو حنيفة النعمان، و تمتد عمقا من ضفة النهر الى الداخل . . و كانت تتكون من قسمين، القسم الاول و هو القسم القديم الذي ضم آلاف الدور الصغيرة المبنية من الزمن العثماني، كانت تقيم فيها اعداد كبيرة من الكادحين و المعدمين و انواع الكسبة لإيجارها الرخيص و لكون اعداد منها كانت قديمة او آيله للسقوط ، و القسم الثاني المحادد للنهر، كان يضم الأحياء الأحدث بشوارعها النظيفة، و كان يضم انواع من البيوت الكبيرة و فيلات كانت تطل على النهر . . و كانت تسكنها وجوه بغدادية معروفة، لها مواقعها في الدولة و في الاسواق و في انواع المصالح.

كان بيتنا يقع مقابل ساحة تطل عليها مقهى محمد راغب الذي كان يلقب بالكاولي و يقال انه أختطف من الكاولية في طفولته و عاش بينهم، الا انه استطاع الهرب منهم في صباه، و كانت المقهى من المقاهي الحديثة في ذلك الزمن، و ملتقى لمتقفيين معروفين و سياسيين و لتجار و كبار الملاكين، بعد اغلاق المقهى الأم الكبيرة الواقعة في نهاية نفس الشارع الفرعي في وقتها، و هي مقهى حجازي التي هدت و بقيت ساحة خالية

حتى صارت ارض مقهى حجازي، الارض التي كان يستقر فيها دوريا و حسب الطلبات، يباعو الملح المحمل بأكياس على ظهور الجمال القادمة من الصحراء، حيث يستقرون هناك الى ان ينتهوا من بيع

احمالهم، التي كان ينظمها تجار الجلود و الدباغون الذين يملكون شارعا فرعيا بكامله و ببيوته لتنظيف و خزن الجلود. . و كانت تقيم على تلك الارض من آن لآخر، مجاميع الكاوليه و العجر بحميرهم و احمالهم المكونة من ادوات الاسنان، التجميل، الدفوف و مستلزمات الرقص، الذين لدى مجيئهم تحذر العوائل ابنائها من الاقتراب منهم، لأنهم يختطفون الاطفال و خاصة الحلوات و الحلوين منهم. . و كان الاطفال يرتعبون عندما كانت تتعالى صرخات لا يمكن تفسيرها في الليل، كان الأهل يقولون . . انهم يختطفون اطفال او يخنقوهم ليكسبوا ثوابا حسب معتقداتهم !!؟ و كانت الجدات يحذرن احفادهن من الاقتراب من شاطئ النهر في الظلام، لأن هناك انواع الوحوش التي تخرج من ذلك النهر العملاق كالطنطل و السعالي في الظلام، و يتجولون على الشاطئ للبحث عن الاطفال لإختطافهم الى الماء، و الله اكبر يمكن يأكلوهم او يأخذوهم معهم الى اعماق الماء، كما كانت جدتي توصف و نحن الصغار نرتعد من الخوف، و نلتزم بتلك التوصيات، و لكن لفضولنا كنا نسأل الجدة، كيف يكون شكلهم؟؟ لأنهم يزورونا في المنامات و نستيقظ من الرعب؟؟

سكن في تلك المحلة الوجيه البغدادي الذائع الصيت آنذاك ناجي الخضيرى، الذي كانت فيلته قصرا كبيرا مشيدا على الطريقة الايطالية كما قيل، ملحقة به زريبة ابقار حديثة لتوفير الحليب للقصر . . و كان يطل على دجلة باطلالة كونكريتية مبنية لتصل الى ماء النهر، تحوي رافعات، لتنظيم حركة زورقين بخاريين، القصر الذي اشتهر بعقد الملك فيصل الاول فيه اول اجتماع لأعيان و وجوه العاصمة بغداد، بعد ان نودي به ملكا. و من العوائل المعروفة التي سكنت هناك، بيوت آل الضامن التي ضمت سياسيين قوميين تحرريين و يساريين، الذين كانوا بعوائلهم يسكنون الشارع الفرعي الرئيسي، القريب مما يملكون من بيوت الجلود

. . و كان رجال الامن السياسي يطرقون ابوابهم في فجر ايام عدة و لعدة مرات، و لكنهم كانوا لا يصلون الى المطلوبين منهم، و قيل ان السري كان يحذرهم، مقابل دفعات .
 و سكنت هناك العائلة المعروفة، عائلة بيت محسوب الذي صنع ساعة ضريح ابو حنيفة النعمان على غرار ساعة روضة الشيخ عبد القادر الكيلاني القديمة المستهلكة . . و جرى تكريمه عدة مرات على قدراته، اضافة الى بيوت رجال دين من الشيخ فخري، الشيخ راجي، الشيخ احمد سامح و آخرين، و الى عائلة الملاح الموصلية التي كان ابنها الكبير استاذاً في كلية الصيدلة .
 اضافة الى بناية كبيرة مرتفعة، كانت مرابط ابقار السياسي المعروف حكمت سليمان بابوابها العالية المغلقة بإحكام، و الى بيت الهندي المهاجرين الاغنياء من الهند الذين كانوا يتعاونون مع رجال الامن للقبض على اليساريين، و الى السفينة ام سناء قرج المحلة و بناتها طويلات اللسان و منافستها الخبازة لويزي التي كان ابنها يلتقي باشقياء متنوعين عندها . . و الى بيت السري ، الذي يمكن انه كان مفوضاً في الشرطة، و لكنه كان معروفاً و يمكن شراؤه .
 و في الطريق الفرعي الذاهب الى جهة النهر، يتفرع طريق ذو فضوة في نهايته و يغلق، حيث سكن آل العبايجي في بيوت متعددة و كان الوجه البارز لهم الضابط الرئيس هيثم الذي هاجم الكاولية بمسدسه مهددا اياهم برميتهم بالرصاص، ان وصلوا الى طريقهم . . خوفاً على بنات عوائلهم. و كانت لبيوت آل العبايجي، اشجار لالنكي (يوسفي) و ارفة و محملة بتلك الفاكهة اللذيذة الغالية الثمن التي كان ينذر وجودها في البيوت . . و كاطفال تواقون لتلك الفاكهة، كنا كمجاميع من الاطفال نتسلق سرا اسيجتهم بكل حذر و تكتم لننهب اللالكي الناضج المتدلي عند الاسيجة.

و في الطرف الآخر من المحلة، سكن ضابط الداخلية الكبير السامرائي و عوائلهم، الذي كان يستلطف و يتعاطف مع الكاولية و الغجر، و

الشعاريين الذين كانوا يرقصون كالنساء و يدقون بالجنجانات النحاسية باصابعهم، كان الصغار يخافون منهم بوجههم المحفوفة الخالية من الشعر و بشعورهم الطويلة التي يتمايلون بها كالنساء . . و كانت هناك دربونة مغلقة سكن فيها بيت ابو البيض الذين كانوا يبيعون البيض الطازج في بيتهم من اعداد كثيرة من الاقفاص الموجودة في حوش البيت، و من وجوههم برز عازف الجوزة في المقام العراقي شعوبي ابراهيم، و سكن هناك التاجر الكبير الحاج الجليبي و بيت الهيتي . . بمرور الوقت نشأ ذلك التنوع من انتقال اهل المحلة القدماء بسبب وفيات كبار السن و نشوء عوائل جديدة من ابنائهم، و مجئ اوساط جديدة بين كادحة و كسبة غرباء لتوفر عمل ما في السوق العتيق و اثر افتتاح السوق الجديد، و لأعمال النقل و التسوق و في حماية المرقد الديني، اضافة الى وافدين جدد من طلبة كلية الشريعة الاسلامية و عوائلهم و غيرهم.

و قد ضغطت تكاليف العائلة الجديدة كثيرا على رحيم، فقد اخذ يعمل في مجالات متنوعة و خاصة في مسك الحسابات لأمانته و ثقة اكثر من شركة به، في ساعات مسائية اضافة الى عمله كمعلم . . و كانت التكاليف تتبع من ضرورة تأمين الأطفال، لأنه و زوجته يعملان في مجال التعليم و يغيبان عن المنزل، و اذا كانت الحاجة امينة تؤمنهم في بيتها و في مجيئها الى بيت رحيم و سعاد لفترة ، فانها لم تستطع المواظبة الدائمة على ذلك لأسباب متنوعة، منها المرض و الانشغال بالمواليد و بالتكية الدينية و بابنتها الصغرى التي كانت لاتستقر على رأي، و تعارض ان تكون والدتها ك (خادمة) في بيت اختها سعاد و زوجها.

فكان لا بد من الإتيان بشابة ترعى الاطفال عند غياب والديهم، و استطاعت سعاد ان تأتي باكثر من شابة بالتتالي لذلك الغرض مقابل طعامها و شرابها و سكنها، اضافة الى اجرة تدفع لها، ساعدتها في ذلك عدد من زميلاتها المعلمات و عاملات مدرستها . . اضافة الى عناية

الخالة وجبهة من الحلة بارسال شابات من العشيرة للمساعدة . . اضافة الى تلك التكاليف، كانت تكاليف اكمال بناء البيت، الذي أكمل بناؤه بعد شهرين .

في احد الأيام اتفقت الحاجة امينة مع الحاجة ام ثامر على الذهاب الى حمام السوق، و اعدنا ماتحتاجانه من مناشف و ملابس و مؤونة فواكه لتناولها في الحمام، اضافة الى مناشف كهدايا للحمام و صاحبتة بمناسبة زواج ابنتها، و اتفقتنا على ان تأخذان حفيديهما معهما لحمل الأغراض للحمام، و اختارتني جدتي لمرافقتها و اختارت ام ثامر حفيدها فواز الذي كان صديق الطفولة و من عمري، لحمل الاغراض .
فاخترقنا السوق القديم المسقوف، مارين بمحل التجهيزات المنزلية الكبير و الشهير، محلات رشيد شلال، الذي كان موضع ثقة الأهالي و كان يتحاسب مع محدودي الدخل بالحساب الشهري، و يقف لمن يثق بهم ايام المحن، و محل الحاج ياسين للقرطاسية و الكماليات، و ابو البوريات و محلات الدواجن .

الى منطقة خالية، جرى تفليش ابنيها القديمة للتأسيس لبناء جسر الأئمة الحديث هناك، و كانت تدور انواع الاحاديث عن شركات البناء و حاجتها الى الايدي العاملة مقابل اجور مغرية للفقراء، و شروط تلك الشركات بالكتمان لأنها وجدت لأكثر من مرة قطعاً آثارية ثمينة او دينية مقدسة اثناء عمليات الحفر هناك .

و بعد تلك المنطقة الخالية، يأتي السور المرتفع لضريح الإمام ابو حنيفة، و الى يمينه زقاق عريض لمحلة الحمام و سمي بشارع الحمام الذي يوصل الى محلة السفينة و جسر الاعظمية الخشبي القديم . . و في مقدمة شارع الحمام كانت محلات فواكه عطا اخوان الشهيرة ببيع الفواكه الطازجة و الخاصة المستوردة باسعار غالية، الا انه كان يهدينا مجاناً بعض الفواكه تيمناً بجدنا الشيخ فخري . . و اهدانا منها هذه

المرّة و هو يلاحظ جهدنا في حمل الأغراض. و المحلات الاولى لحلويات نعوش التي توسعت و اشتهرت بعدئذ بمحلاتها الكبيرة في جهة اخرى من المنطقة لتتبع الذانواع الحلويات و باسعار متهاودة لأبناء و عوائل المنطقة، و كان البعض يشتري منه صواني البقلاوة التي تأخر اخراجها من الفرن و تشوه منظرها و باسعار رخيصة، كان الصحفي الرياضي برهوم يشتريها منه لتوفير وجبات فطور لذيدة و رخيصة لأكثر من عائلة، فكسب حبها و التقافها حوله، حتى جمعت له اكثر من عائلة تكاليف دورة اللغة الانكليزية الصحفية برموزها السريعة، التي جعلت منه معلقا رياضيا بارزا في البلاد.

وصلنا الحمام و دخلنا الى الصالة، و دفعت جدتي الأجرة بعد احتسابنا نحن الاطفال كنفريين كاملين . . نظرت صاحبة الحمام الينا نظرات فاحصة من فوق الى تحت و سألت جدتي:
 - حجية امينة كم اعمار الاطفال الله يحفظهم ؟
 - بحدود خمس سنوات، مو هيج ام ثامر ؟؟
 - بلي و الله ام محمد!
 و قالت
 جدتي:
 - جننا بهما الى الحمام ليساعدونا في حمل الاغراض و الهدايا للحمام .

- ممنونين جدا حجية بس السؤال واجب كما تعرفين لأن الحمام حمام نسون!

و بعد مرورنا بممر عريض لتبديل الملابس و الى ممر آخر انتشرت فيه ابخرة المياه و روائحها الخاصة اضافة الى روائح انواع الصابون و العطور النسائية، و الى انواع الأصوات النسائية و هي تغني الاغاني و الهازيج الشعبية على وقع الدفوف، و المدائح النبوية. .
 حتى دخلنا صالة الحمام و دكاته . . و انشدنا نحن الصغار برؤية انواع النساء العاريات و مناظرهن التي كأنما سحرتنا، و نحن نشاهد

بطن زوجة المختار و مؤخرة بنت الجيران الرشيقة و انواع الأتداء الرجراجة الشابة، و بين ضحكات الصبايا بوجوهنا و هن يتدلعن عاريات بضحكات مجلجلة محاولات اظهار مفاتهن و اعضائهن لنا نحن الاطفال اثناء تغسيل جداتنا لنا حين كنا نصارع ماء الغسل كي نشاهد بملئ اعيننا ما كان ممنوعا و محرما و يعاقب عليه حد الموت لمن يخالف، و كنا نحاول رد تحياتهن لنا بإيماءات ايدينا الصغيرة. . كانت هناك رغبة غير مفهومة لنا في صراعنا لمشاهدة النساء العاريات و محاولة انفاذ نظرنا الى الزوايا المحرمة و المظلمة من اجسادهن، في صالة حمام امتلأت بانواع النساء العاريات و هن يغتسلن في نقاشات زواج و طلاق، و نقاشات هامسة، و كأنما كانت هناك فحوصات لصبايا تقوم بها نساء مسنات قيل انهن يبحثن عن زوجات صحيحات البناء و التكوين، لأبنائهن الشباب. . و نقاشات بأن فلانة بين عليها الحمل و الحمد لله، و فلانة عاهرة بنت عاهرة (شوفي شلون تنعنج و مفتحة كل ابوابها بلا حدود) و لم نفهم اية ابواب و دققنا النظر فيها و لم نجد اية باب، الا انها كانت شابة رشيقة بيضاء بشعر فاحم طويل مسدل الى خصرها، ذات نظرات ساحرة بلمعانها. . قيل انها محظية الحاج سلطان الثري. . و وسط ذلك المهرجان النسائي و استمتاعنا به، واجهتنا نظرات جادة غاضبة من زوجة المختار و زوجة مدير مخفر الشرطة، و هن يولولن بأن (ضاع العرض و الشرف . . ضاع)، و ذهبنا الى صاحبة الحمام مطالبات باخراجنا لأن وجودنا يخالف الشريعة، و بأننا نثير الشابات الغيبات اللواتي (صرن يتباهين باظهار عوراتهن لهم) . . و تجيبهم صاحبة الحمام:

- يابه هذول اطفال بعمر خمس سنوات ! و انا اكثر واحدة هنا تصون الشرف و العفاف!

- شوفي اذا ماتلعيهم و الله نسد الحمام عليج و كولي ما كالت سرية خاتون!!

و ذهبت صاحبة الحمام الى جدتي و اخبرتها بهمس بضرورة اخراج
الطفلين و الا هم يحلفون بأن يسدون الحمام، و يسووها تراه حجية . .
وحده مرة المختار و الثانية مرة مأمور مركز الشرطة !! الله يخليج
حجية يطلعون و ارجع الحج اجرة النفيرين اللي دفعتمهم عنهم، يا دافع
البلاء يا الله . . حجية هذول مو اكثر ممن اصابهن مس، خاصة مرة
المأمور اللي زوجها يومية نايم و ايا وحده غيرها من مرة ابو الطرشي
الى مرة . . آغا و ذكرت الأخيرة بهمس، و يحاول يسكتها بالفلوس و
باطهار تنفيذه لما تريد و تشتهي. .
قالت لنا جدتي و ام ثامر بهدوء، باننا قد نظفنا بعد الغسل . . " تشربون
شاي الحامض عند صاحبة الحمام و تحملون مناشفكم و المناشف
الزائدة و الملابس اللي بدلتوها ، و تذهبون الى البيت و لا تتأخرون " .
. و هكذا أخرجنا من الحمام و عدنا الى منازلنا. و بعد ايام سمعنا ان
مأمور المركز سكر بعد ان سمع كلاما قاسيا من ابو الطرشي المح فيه
بأنه يعرف مايدور بينه و بين زوجته و هدده بالمحاكم و عقوبة الزنا،
بعد ان قال له (لأن مو غيري . . اني شفتك شلون راكب عليها، و
شفت مؤخرتك العارية، بالعلامة اللي عليها شامة) . . . و اشبع سرية
خاتون ضربا و هو يصيح بها بصوت عالي و يسمع الحيران:
- ولج سرية يا كحبه انتي اللي تعلمين حجية امينة الادب و الدين ؟؟ . .
يا ام الالف . . و لج نسيتي شلون طلعتج من الكلجية و سميتج خاتون
ياقندرة . . تروحين على حجية امينة و تبوسين قندرتها و تتوسلين بيها
ان تقبل اعتذارج . . و هاي شرطييين اثنين وياج هم يسوقوج الى هناك
و هم يشهدون اذا وافقت الحجية على اعتذارج او لا ، توكعين على
قندرتها افتممتي . . و الله اذا ماوافقت اسوكج بالجلاليق مسلخه الى
هناك!!!

من جهة اخرى كان مأمور المركز يخاف من ابو الطرشي، لأنه الشقي
المخيف في محلة الحمام ، الذي كان كثيرين يتهمسون حوله، بأن
زوجته هي التي صنعت منه صاحب صنعة و نفوذ و شقي، و انه صعد

في مجتمعه بفضل هياج زوجته الباحثة على تطويع الرجال دوما، التي زوجها ابوها له دون رغبتها، و صارت تكره الرجال و تسعى لإذلالهم، و لاتبالي مما يظهر من جسمها عاريا بسبب لهيب الحر كما كانت تقول و هي تفهقه عاليا . . حتى اخافت زوجها بأن شهرت سكين الطرشي الكبيرة بوجهه يوما مهددة إياه بقتله ان عاتبها على النوم مع رجل اشتتهه هي . . كما كان يتداول سرا في جلسات النساء . . و كانت تقول علنا ان : (لا أحد اشبعني و اشبع جسدي من كل المنافذ كدرويش مجيد . . اين انت يامجيد؟؟ يامخيف الشرطة و العسس و السريين؟؟؟ . . كنا نتوفاى مرات و مرات و من كل مكان ممكن كل ليلة . . الى ان اقع كجثة من التعب و انام نوما لذيذا فقط في احضان مجيد الذي لا يكل و لا يتعب . .) ، حين كان زوجها (الشقي) يترك البيت بحجة ان زوجته تنام نوما عميقا و لا يريد ازعاجها، و في الحقيقة كانت هي الشقي الحقيقي و الاساس في نجاح و تطور تجارة الطرشي و كان (الشقي) زوجها لا اكثر من اجير يعمل عندها و رهن اشارتها حتى حين كانت تريد النوم معه، لأنها شرعا زوجته و لا تريد الخروج على الشرع، و استغفر الله . . كما تقول.

في ظهيرة يوم قانظ اندلعت مشاجرة عنيفة بين القرج ام سناء التي هاجمت الحاجة الموصلية ام سامح لأنها طرقت الباب عليها، معاتبة اياها على عدم ترك الأربال في الشارع حتى صار مدخل بيت ام سناء مزبلة كبيرة تتلاعب عليها الكلاب و القطط و الجرذان . . و انطلق صوت ام سناء و هي تهاجم ام سامح بالفاظ لم نألفها من قبل:

- امشي ولج بيت مصلاوي قيقو يتمرجلون علينا!!
 - يسقط عملاء موسكو عملاء الروبل
 - و الله ابن الحرام ابنك اخذ شهادة بالتزوير و الا شلون يصير استاذ في كلية الصيدلة؟؟

لأنه من الكفار
و الاثنو جابكم من الموصل الى هنا . . سرسرية انعل ابوكم لابو بيت
الملاح

لم تجب ام سامح بنظاراتها الطبية فقط بإشارة قالت فيها:
- العتب مو عليكم، العتب على اللي يحاول ينظف المحلة، و تصور انه
يتحدث مع اوادم.

و انسحبت الى بيتها وسط عياط ام سناء و بناتها المستمر بالشتائم على
ام سامح.

اما نحن الصغار، فلم نفهم مامعنى عملاء و تصورنا انها تعني معامل
مثل معامل البقال، و لم نعرف مامعنى الروبل، و لماذا تسب موسكو
عاصمة اعظم دولة حطمت النازية و انشأت دولة تتحدى عمالقة العالم
. . و ما علاقة الحاجة ام سامح بموسكو . . و لم نفهم انواع التفسيرات
من الكبار حول ذلك، سوى ان نبتعد عن ام سناء السفهية و بناتها. .

و وسط كل تلك الاحداث الكثيرة التناقض، كان رحيم مواظبا على
استضافة اجتماعات هيئات النشاط المهني و الخيري في البيت، و كان
ابرز الحضور : د. نزيهة الدليمي من الاعظمية، د. عبد الأمير
السكافي من النجف و الذي اشتهر لاحقا في منظمات انصار السلام و
أغتيل على طريق الحلة - النجف بعد سنين، يمان اخو المناضل السجين
السياسي يقظان من الفضل، المناضلة بثينة البستاني اخت السياسي
القيادي عبد القادر البستاني من الكراةة و الناشطة في مجال ادامة
الصلات مع السجناء السياسيين، اضافة الى د. عبد الصمد نعمان
الاعظمي و الطالب الجامعي رحمن الضامن و هيئاتهم من الاعظمية .

حين كانت تلك الهيئات تساعد عوائل السجناء السياسيين بالمال و
السعي لهم للحصول على عمل، و محاولة ايجاد ابواب للرزق و

المعيشة لهم . . اضافة الى محاولات دعم نجاح مرشحي مجلس النواب من الوطنيين بغض النظر عن القوائم التي يرشحون عنها، اضافة الى دعم المطالب النقابية و تشكيل النقابات و غيرها . . التي كانت تترصدها عيون السلطة السرية . .

زمن الملاريا .9.

زمن الملاريا

كان الصحفي الرياضي برهوم اقرب الشباب للعائلة، و هو ابن الاخت الكبرى للوالدة، الأخت التي توفى زوجها الضابط الشاب بحادث اصطدام بقطار، و تركها ارملة شابة مع ثلاثة اطفال كبيرهم برهوم . . كان شابا وسيما جميل الصورة، عذب الحديث الذي جاء من ثقافة و اطلاع واسع، و كان من الشباب الواعد في الحركة الوطنية الهادفة الى خير و تقدم البلاد، كثير المبادرة، مرن و ساعي للتقريب و التفاعل بين الحركة القومية التحررية و بين اليساريين، خدم مستعد لخدمة من يراه صاحب حق هضم او مطالب به . . و لإمكانياته في التعليق الرياضي الوطني و العالمي، كانت الصحف البغدادية تتراكم عليه من اجل معلومة او مقالة او تعليق او سبق رياضي. . و من اهتمام و عناية اصحاب الصحف و كبار المحررين و الرياضيين به، انهم اهدوا له راديو ثمين متطور قوي السحب ليساعده في عمله، و نصبوا له جهاز تلفون في البيت حين كان يندر الحصول على تلفون، لتسهيل و تسريع الإتصالات، على ان يدفعوا هم مصاريف قوائم الحسابات الشهرية للتلفون.

و كان يقضي ساعات طويلة في سماع الـ بي بي سي و صوت اميركا بالانكليزية ليتابع برامجها الرياضية و انواع الرياضة الجديدة في العالم، و عمل على ادخالها في النوادي الرياضية من خلال خاله الرياضي زكي بطل آسيا في الملاكمة آنذاك، الذي مر ذكره بكونه من الوجوه القومية و من حماية رشيد عالي الكيلاني و مراسلاته حينها. . و من خلال بي بي سي الانكليزية تعرف على البرنامج الدولي لمكافحة الملاريا التي شكلت كابوسا على شعوب العالم آنذاك . . و بعد نقاشات

مطولة مع الوالد توصلنا الى ضرورة اشتراكه في برنامج مكافحة الملاريا في العراق، و صار الناطق الرسمي الصحفي للبرنامج الدولي في العراق، لإجادته الإنكليزية . . و تطلب منه القيام بجولات و جولات مع فرق مكافحة في كل انحاء العراق . . من الأهوار و الصحاري و الى الجبال الكردستانية و جبال حميرين المخيفة المقفرة، و سكانها المتنوعي القوميات و الاديان و التصوف و الاديرة و مقرات الدراويش المغلقة عن العالم . . و قد استمرت اكثر من عام. في عصر ذات يوم، ناداني والدي و كنا نحن الصغار نلعب لعبة مشروب السيوفون (من انتاج شركة السيوفون الوطني العراقية) و نتراهن على فورته و نزولها و مداها بخطوط نرسمها على الارض، فيما كنا نستمر بنقاشاتنا الحماسية عن آرائنا و تمتعنا بأفلام سينما الاعظمية، من فلم الفايكنغ و إلههم اودين الذي فرض عليهم ان يموتوا و السيف بايديهم و الا هو موت غير مبارك، افلام طرزان و رفيقته الشمبانزي و كفاحه ضد الاشرار و من اجل سلامة الغابات و الحيوانات و كنا نتمنى رؤية زوجته جيني في فلم بعد ان كثرت الروايات حولها . . الى افلام الفرقة السابعة و صراعاتها مع الهنود الحمر في اميركا، وسط تمنياتنا بانتصارات الهنود الحمر لحرارة حبههم و عواطفهم و استماتتهم من اجل الجماعة و النصر، و ننتظر بلهفة ظهور وجوههم المقاتلة المحبوبة و نسائهم الجميلات . . و افلام روبن هود نصير الفقراء و رفيقه المخلص الذي كان اخرسا . .

قال والدي:

- ابني هذي رسالة من برنامج مكافحة الملاريا العالمي . . يعني مال كل العالم، منحوا عمك برهوم الجائزة الاولى في مكافحة الملاريا و انقاذ ارواح ملايين البشر. .

- يعني عم برهوم هو الذي انقذ حياتهم ؟؟ . . زين شلون كدر انقاذ ملايين و هو واحد ؟؟

و شرح لي الوالد مخاطر المرض و كيفية تحوله الى وباء يحصد

ارواح البشر بلا رادع، بل و يجتاز كل العوائق الا الادوية الصحيحة في العلاج، التي تتطلب علما و نشاطا و ستدرسون ذلك في المدرسة و الى الجامعة الى ان تصير طبيب كما تمنى ماما . . و شرح لي اهم اعراضه، و خطورة دور بعوضة الانوفلس و ان فلان و فلان و عائلة فلان توفوا بسبب الملاريا..

- تأخذ هذه الرسالة و تسلمها الى عمك برهوم بيده مو بيد غيره ابني، لأن هو مسجل عنوانه على عنوان بيتنا، مو على عنوان بيت ابن عمه فاضل اللي برهوم ساكن عدهم في الدهوينة (الجادة النازلة الى الاسفل)، قرب فرن الصمون..

اخذت الرسالة بظرفها الكبير المرسوم عليه بعوضة عملاقة تحيط بالكرة الارضية و مختومة بالشمع الاحمر، و وضعتها داخل ملابسي كي لاتقع او تتوسخ و اخذت طريق الدهوينة مارا ببيت محسوب و خرابة مجيد الشلاتي ذات هياكل السيارات القديمة، و محلات ابراهيم الحلبي لتأسيس البوريات، التي كان يديرها والده الاعمى سليمان الحلبي، مقابل مركب الاسنان الذي كان يهتم باسنانا باجور تدفعها له والدتي دوريا..

ليأتي بعد الدهوينة النازلة فرن الصمون، الذي كنا نتناوب على شراء الصمون منه، اخي الكبير و انا في فجر كل يوم و خاصة انا، لأن ذلك كان من الاعمال البيئية الموكولة لي، حين كانت المشكلة الكبرى تكمن في الشتاء عندما كانت درجات الحرارة تصل الى دون الصفر، او حين كانت تمطر بغزارة، و كنت البس معطف طفولي مستعمل ثخين و دافئ، استعدادا للصراع مع المشتريين المتجمعين معا دون طابور اصولي، للحصول على الصمون المحمص حال اخراجه من الفرن و حال رميه على طاولة الشراء، و كنت اتسلل بين المشتريين مستغلا صغر جسمي لأرمي كفي على الصمون و اضعه في الكيس السميك الذي احمله، لأعده لاحقا و ادفع ثمنه عند الخروج من الفرن. . كان شارع الدهوينة يتقاطع مع الشارع الواصل الى ساحة النريزة في

محلة النصة المجاورة ، النزيرة التي كانت تنز او تنضح منها المياه في مواسم تكاثر الامطار لكونها واطنة، و هي ذات الساحة التي كانت تقام عليها ألعاب الاطفال في الاعياد من الارجيح و دولاب الهواء و اجهزة لعب الفر و الدوران . . و تأجير ركوب الحيوانات. وصلت الى بيت العم برهوم و سعدت درجات الباب الذي كان مفتوحا ككل بيوت تلك المنطقة بمعنى (ياهلا بالضيف) و يكون المدخل مستورا بستارة من قماش او نسيج فيه من الثقل بحيث تبقى الستارة مستقرة الى الاسفل و لا تتطاير بفعل الريح و تكشف المستور من حوش الدار . . و صحت بصوت مسموع:

- عم برهوم.. عم برهوم.. عندي احسن هدية اليك!!
- عم برهوم، الا تسمعني؟؟

خرج العم برهوم من غرفة جانبية و هو يجيب على المستعجل:
- شكو شكو ابني عزيزي؟؟ اية هدية تتكلم عنها؟؟
سلمته المظروف الكبير بيدي الاتنتين و تلقفه بفضول و فتحه مسرعا حتى مزق الظرف و قرأ الرسالة مسرعا و اخذ يدبك على الارض و كأنه يرقص:

- اعزائي ، عزيزتي غنية . . ربحت الجائزة الاولى بمكافحة الملاريا . تحوي على حفنة فلوس نستطيع ان نتزوج بها على الفور، اضافة الى شهادة دولية بمنحي دبلوم في مكافحة الامراض المتوطنة، و الشهادة عالمية معترف بها دوليا و عراقيا و تعني ساحصل على عمل و راتب ثابت في وزارة الصحة بعنوان موظف صحي!

- اتفضل اتفضل ابني تعشى معانا.. عندنا احسن كباب من السوق الجديد !! و اشار الى الغرفة الجانبية.
دخلت الغرفة و رأيت فيها ثلاث شابات جميلات مع شاب عرفت انه اخو احدهن، كن جميلات بجمال لم نعهده في محيطنا . . شعور شقراء و كستنائية بموديلات متعددة، عيون ملونة من زرقاء الى نرجسية، بملابس انيقة.. عرفت بعدها انها كانت جلسة خطوبة برهوم على

المرمضة الموصلية غنية ذات العيون الزرقاء و البشرة البيضاء ذات الحمرة، الجالسة بخفر جنب اخيها، بحضور صديقتها المرصتين المسيحيتين : هيكانوش ذات العضد المشوه الجلد بسبب اطلاقه بندقية اصابتها قبل سنوات في مذبحه سميل.. و تيريز ذات المظهر المتحدي، التي تسبب جمالها و هي بعيدة عن مسرح التحدي، بمقتل طبيب بالمستشفى الملكي في صراع بين اطباء للفوز بها كزوجة. عرفنا لاحقا ان برهوم في نشاطه في البرنامج الدولي لمكافحة الملاريا، و وجوده في ارياف الموصل، كان يساعده هناك الشاب يونس، و بمرور شهور من العمل المضني، تصادقا و فتح يونس بيت العائلة المتدنية امام برهوم لثقتة به، حتى صار بيت يونس و كأنه بيته بعد ان استأجر غرفة عندهم استلموا ايجارها منه لشهرين فقط، و اعتبروه ابنهم بعدهما.. و صار من العار عليهم ان يدفع ايجارا، على ان تبقى الغرفة التي سكنها، غرفته! احب برهوم اخت يونس المرمضة غنية و بادلته نفس العواطف و اخبرت اخيها و امها بذلك، و اشترطت عليه الا يذهب ابعد الا بعد الزواج، و كانت جلسة الخطوبة هي البداية بعد ان نجح برهوم بعلاقاته المتنوعة مع موظفين كبار، نقل غنية من صحة الموصل الى صحة بغداد، و الى حيث تعمل صديقات طفولتها المسيحيتان. .

كان كباب السوق لذيذا و كافيا بعد ان صار الشيش و كأنه شيشين اثنين مع الطمطة و البصل المشويان، التي شكلت طبق كباب السوق الجديد، كباب اسطه محمد. و فيما اتها للمغادرة قبل هبوط الظلام، سمعت حديثا هامسا بين برهوم و ابنة الجيران المحبوبة صافية اللي كانت تساعد الجميع و هي تبكي و تشهق بتكتم، حديثا لم افهمه تماما آنذاك:

- حبيبي برهوم، انا لست ضد خطوبتك و زواجك . . انا احبك بجنون !! كم رسالة كتبت لك و من اكثر من سنة، و انت لاضحكة و لا جواب .

- نام معي و لو لمرة واحدة و الا سأجن و انتحر لأن ليس لحياتي معنى .

ان لم تتم معي..
 - صفية اهدأي عزيزتي، انت مخطوبة لابن عمك الذي وافقتي انت عليه.. يعني ما تخافين من الخيانة و الفضيحة او من الحمل؟؟
 - نام معي دون اي فعل، و نكون تحت غطاء واحد عراة كما خلقنا الله تعالى.

- عيني انتي صفية.. تزوجي اولاً و الله كريم، حتى لانكون مذنبين امام ربنا.. و هاي احنا عايشين و حبايب، شفتي اشكد حبتك غنية؟؟
 كان يحادثها بنغمة تهدئة الى ان انقطع الحديث.. و بقيت افكر بعقلي الطفولي، لم اصدق ان العم برهوم قاسي الى هذا الحد.. بلكي صفية تخاف تنام لوحدها؟ تخاف من حرامي او من طننطل يخرج من النهر بالليل، كما كانت تحدثنا جدتي، تتوسل به و تبكي و لا اعرف اية فضيحة ستكون، بعدين لماذا فضيحة؟؟ ينام معها ليحميها و يشد ازرها.. لكن لماذا تقول ننام عراة؟؟ يعني الدنيا لاتزال باردة.. يمكن خطية من حبها و ثقته بها، بس ليش؟؟
 و نظرت الى عم برهوم شزرا و هو يقودني الى باب الدار، و يحملني آيات الشكر و تحيات حارة الى والدي، حتى وصلنا الباب و شاهدنا تجمعا كبيرا امام باب بيت الجيران المقابل لبيت فاضل، و عدد من الشباب و الكهول يصيحون:

- هايلى هتلى !! هايلى هتلى!!

قال عم برهوم لي:

- ابني هاي راح تصير هوسه . . الدنيا صارت ظلمة، لاتقف عندهم لأن معهم عدد من السكيرين الغاضبين المستعدين لضرب اي واحد و مايفرقون بين الشاب و الطفل، انتقاما من اعداء هتلى اللي تسببوا بالبطالة و الفقر و الخسارة اللي عايشين فيها، كما يفكرون، و هم ينتظرون خروج زعيمهم اللي يسموه (هتلى الاعظمي) او (هتلى اعظمية) . . حبيبي تروح بسرعة الى البيت. اوكي؟؟
 - اوكي.

خرجت و الفضول مسيطر علي لمشاهدة هذا هتلر، لأن الزعيم النازي هتلر و المنشورة صورته على المجلات كان قد انتحر اثر خسارة جيوشه التي احتلت الكثير من دول العالم و تسببت بمجازر بحق الشيوعيين الذين قاوموه و بحق العجر و اليهود و المثليين، و قامت مختبراته بالعديد من التجارب على البشر، و قام بكل الممنوعات

اختبأت خلف سيارة مركونة الى جانب الشارع منتظرا خروجه . . و فجأة علا صياح المتجمهرين، الهاتفين بحياة هتلر و هايل هتلر رافعين اذرعهم المستقيمة على الطريقة النازية، و هم يشاهدون هتلر الاعظمي يخرج من بيته، رافعا ذراعه المستقيمة نحوهم، و يصيح:
- هايل هتلر هايل هتلر . . اسمعوا ويلكم . . احنا مانسمح يروح هتلر بولة
بشط!!

- تسلم زعيم ! عاش الزعيم!
اضافة الى ديكات مجموعة شبه ريفيه اميه من اطراف الاعظمية و هي تردد:

- هتلر هتلر هتلر
ظهر برأسه الكبير ذو الشعر الاسود الملمع بالكريم و المسرح بفرق جانبي على رأسه و ينسدل باقي الشعر ليغطي جبهته، قاصا شاربه على طريقة هتلر الحقيقي كما يظهر في صورته، لابسا معطفا اسودا بازرار معدنية لامعة سراوين بصليب معقوف في اعلاها، و بعدد من النياشين التي اهديت له من الاهالي و من ضباط متقاعدين او سابقين هناك
(اعتزازا) به.

ظهر بوجهه ذي الشبه الكبير بوجه هتلر، هازا عصا الماريشالية التي اهديت له، بيده و ملوحا بها في الهواء . . و بعد ان حياهم بيده التي تحمل بايب تدخين معوجا و كأنه زعيم فعلي، ذهب الجمع خلفه و خلف من قاموا بحمايته محيطين به التصاقا، نحو (شارع عشرين) حيث مقهى (الثورة العربية) و كانت تسمى مقهى الرئيس . . كما هتف الجمع

:

- إلى الثورة العربية!

كان جاسم ابو تقي مواطننا من اهالي الاعظمية - الدهودية، مقتول العضل عمل كعامل بناء و تكسير الصبات الاسمنتية، و لكثرة الشبه بينه و بين الزعيم النازي كما قيل له و تردد على سمعه، دخل في وهم عميق بأنه وريث هتلر، و كان يذهب يوميا الى مقهى يقابل مدخل ضريح ابو حنيفة النعمان، حيث لديه مقعد حرص رواد المقهى ان يجعلوه اثيرا و محجوزا له، فيجلس هناك و يدعو الجالسون الى الشاي و الى ما يحب على حسابهم، و يتلطفون معه و ينادونه بـ (الزعيم). . و كان يخرج اياما في الفجر لتحية السيارات العسكرية الحاملة للجنود بعد جمعهم الاصولي من اماكن الواجبات، لتحتيتهم و كانوا يجيبونه بتحياتهم له بكل جد، و كان يقول انه يخرج لتقوية روحهم المعنوية و الاستعداد للحرب و النصر لأن الحرب العالمية الثالثة لا بد ان تأتي و لا بد ان نتنصرا!

و بعد سنين عرفت ان هناك اوساطا من اهالي الاعظمية كانوا يشجعونه على القيام بدوره ذلك و يصرفون عليه، لجعله احد رموز المعارضة للاستعمار البريطاني و للصهيونية و اسرائيل، باعتبارهم هتلر الذي فتك باليهود، كان صديقا لـ (القضية العربية) بتحالفه مع مفتي الديار الفلسطينية امين الحسيني . . دون تفريق بين القضية اليهودية و الصهيونية، و لكن استنكارا لما فعلته العصابات الصهيونية الاستيطانية من مذابح بحق الفلسطينيين المدنيين العزل. و كان ذلك يحرك اوساطا شعبية ليست قليلة من اهالي الأعظمية، للمعارضة. . خاصة و ان عدد كبير من عوائل اللاجئين الفلسطينيين كانوا يسكنون في اطراف متنوعة من الاعظمية و خارجها، و كانوا محل تعاطف و محبة من قبل الاهالي هناك، خاصة و انهم كانوا يقومون بما توفر لهم من اعمال بصورة ناجحة و امينة، و كان طلبة و طالبات عوائلهم من الاكثر شطارة و تفوقا في الدراسة. .

سقفها خروف منذور للشيخ . . مصطحبين اختهم الكبرى الجميلة التي كانت منذورة بالزواج الى سيد من اولياء الله كما اوصى والدها عند وفاته، و حطم بذلك حياتها و مستقبلها و صارت بكماء توقفت عن الكلام، بعد عشق لابن عمها مزهر، عشق طاهر ذاع صيته و عفته . . و كانت والدتها تقول لن يفك عقدتها الا الشيخ كمر، و كان والذي رغم عدم تصديقهما لتلك الخز عبلات، كانا يعتنيان بطلبهم رافة و حبا بتلك الاخـت الجميلة المنكودة الحظـ.

عادت المياه الى مجاريها الاعتيادية بين الملازم الاول سعدون و ابن عمه الوزير عبد المحسن بعد حادثة الطائرة في الغدير و تحيته من القوة الجوية، و واصل عمله كمرافق له و مدير مكتبه بعد ان نقل الى القوات البرية، في الفرقة الثالثة - بعقوبة، الى اللواء العشرين الذي كان يقوده الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، و مقر قيادته في منصورية الجبل، وفق تنسيب اللواء. و عمل الوزير عبد المحسن على مساعدة سعدون في سفره و خطيبته الماس و امها الى قبرص لعقد الزواج بعد استلامهم للدعوة الاصولية المقدمة لهم من مكتب الحبر الاعظم هناك .

اتم سعدون مراسيم الزواج على عجلة اثر الحاح ابن عمه الوزير، على حاجته الملحة و العاجلة له، لأنه سيعمل بكل قوته على عدم توقيع المعاهدة العسكرية الجديدة مع البريطانيين . . و سكن العروسان في بيت صغير اعدته ام العروس ياسمين لهما في بغداد الجديدة. .
اتصل الوزير عبد المحسن بابن عمه سعدون، طالبا منه الحضور الفوري الى بيته لأمر هام، و قال له:
- اسمع سعدون . . البريطانيون مصرون على عقد المعاهدة العسكرية الجديدة، و لن ينفع لإجهاضها الا القيام بتظاهرات كبيرة تستنكرها و تمنع عقدها، كما حصل في وثبة كانون ١٩٤٨ قبل ثماني سنوات،

خاصة و ان الشعب بكل مكوناته ضد عقدها . . اتصل بكل من تعرفه من صلاتك للتهيؤ و القيام بذلك و سأخبرك بالموعد . . المهم الآن التهيؤ !! و اخبرني عما تحتاجه من مصاريف تغطي سرعة التحرك . . صحف المعارضة للحزب الوطني الديمقراطي، و لحزب الشعب و الأهم لصحيفة " كفاح الشعب " للحزب الشيوعي العراقي السري، هي و اخبارها الاوسع انتشارا بين الناس . . كلها تدين عقد المعاهدة الجديدة. المهم ان تجد طريق للاتصال بالشيوعيين، لأنهم الشباب الانشط !! و بالتأكيد هم ينسقون نشاطهم مع المنظمات و الاحزاب الديمقراطية و القومية كعادتهم . . و وفق التقارير الأمنية للوزارة، و وفق (اطلاع الوزراء).

اتصل سعدون بنسيب عشيرتهم رحيم بعد ان زارهم في البيت، و كانت زيارته الاولى لـ رحيم و سعاد، حاملا معه هدايا متنوعة من حلويات و فواكه . . و تناقشوا طويلا بما يحصل و اهمية الاستعداد بحضور برهوم الذي ابدى استعدادا كبيرا للنشاط و للتنسيق بين كل القوى الوطنية و القومية، من جهة اخرى ابدى رحيم استعدادة للتحريك و للتنسيق مع الاوساط الكردية في بغداد، من خلال الحزب الشيوعي الذي يضم ابناء كل القوميات و الاديان، و بالاتصال مع الجمعيات الكردية الفيلية المحبوبة، و المعروفة باعمالها و نشاطاتها الخيرية للشعب.

و في غمرة فرح سعدون باستعداد اقاربه للتنسيق و التعاون معه، اتصل بالعم ميخا و اوضح له مايجري الاستعداد له و ضرورة تحريك الأثوريين في مختلف مناطق بغداد و حيث يسكنون، و ضرورة الاتصال بالثوار الكرد في الجبال و ممثلهم في بغداد من الحزب البارتي، للاستعداد لذلك خاصة و ان بياناتهم تؤيد ذلك . . و بينما بدأ الجميع بالتحرك و الاستعداد، ذهب سعدون الى صديقه سعيد المصلوب و التقاه في بانسيون ماري و تناقشا حول مايمكن عمله، خاصة على سعيد متابعة نشاطات السلطة الحاكمة.

خرجت ريتا من مخدعها و سلمت على سعدون و دعتة الى شرب شئ في غرفتها، وافق سعدون و تبعها الى غرفتها بعد ان اتم حديثه مع سعيد الذي اكد لسعدون على ضرورة العناية باخبار ريتا، لأن ضيوفها في الفترة الأخيرة اغلبهم من الانكليز و من الرتب العالية . . استقبلته ريتا في غرفتها على عاداتها و وسط ضحكاتهما، بأن رمت سروالها المعطر بعطورها و رائحتها، على وجهه . . و بعد العناق و و
 ناما عاريين معا و استيقظ سعدون على استلقائها على بطنه و مداعباتها، و هي تقول له:
 - ابليت بلاء حسنا اليوم معي، اني اشتاق لك من صدك، و لاتطول الغيبات عني، انت ما خليت شي بعد . . . بعد ان سمحت لك تلعب براحتك
 و اضافت:

- سعدوني، منذ يومين و القوات البريطانية باقصى درجات الإنذار و لم استطع معرفة السبب، و فهمت ان اهم معسكرات الجيش و حماية العاصمة بغداد، وضعت تحت الإنذار ج و هو اعلى درجات الإنذار، و ألغيت الإجازات الدورية العسكرية الإعتيادية للضباط و المراتب !! و يقولون انه ستحصل مفاجئات و العلم عند رب العالمين. .

مفاجئات

كانت عادة العوائل البغدادية ارسال ابنائها في العطل الصيفية الى ما يشغلهم او الى عمل للحصول على مهارة او صنعة ما منذ الطفولة ليتقنوها كبارا، كمساعدين او صانعين لفيترية او مساعدين لبقالة او في علوة او مطعم و غيرها من الاعمال، كبيع حلويات في ناصية الشوارع و ما يحصلوا عليه يكون لهم كدخل، كعادة تعلم الصغار معاني المسؤولية و العمل و الربح، او ليكونوا مساعدين لبيت العائلة في المصروفات . . اضافة الى العوائل الفقيرة جدا التي تعيش بالكاد، التي لاترسل ابنائها الى المدارس، او تكتفي بحصولهم على الابتدائية، و ترسلهم لمختلف الاعمال الدائمة و المهن لتحسين دخلها حتى يصبح دخل الكفاف بدل العوز و الفقر و الجوع . . و هناك عوائل اخرى ترسل ابنائها في الصيف الى بيوت الأعمام والأخوال، للمساعدة في اعمال البيوت، و لتقوية العلاقات العائلية الاوسع، و كانوا بذلك يخفون عنهم حملا من بقاء ابنائهم في البيوت بلا شاغل او مشغلة، قد تحرفهم عن الطرق السليمة بوجود اعداد من اولاد الشوارع . . كان اهلنا يرسلونا الى بيت عائلة عمنا الكبير عبد الإله في محلة الفضل، لمساعدتهم في اعمال المنزل و التسوق لغياب الأبناء الذكور . . الذين كانوا بشكل متصل او شبه متواصل في السجون السياسية او مطاردين و مختفين خارج المنزل . . و كان البيت تحت رقابة شبه دائمة من رجال الأمن، بينما يعج بنات العم الشابات الاكبر منا سنا .

كان بيت العم شرقيا واسعا ككل بيوت تلك المنطقة، مكونا من مجاز واسع يفضي مباشرة الى غرفة الديوان (البراني) كما كانوا يدعوها، و هي للضيوف و مبيتهم، و كانت معلقة في صدرها لوحة فنية كبيرة مهداة من الرسام الشهير آنذاك خالد الجادر . . كانت تصور خيمة عربية كبيرة و ضيف و حرس و عبيد و سجاجات حائط .

كنت انام في العادة في البراني، مع العم الذي كان يشكرني على المساعدة، بصوت غلب عليه الجد، و كنت اتناول الطعام معه و مع ابنته الأثيرة ضوية المصابة بفقر الدم لاسباب لم تحدد، التي كان يهيم بها لشبهها الكبير بأمه، و كان يحضر لها قطع من الاكباد المشوية لتتناولها يوميا مع الطعام، و كنت اقوم بواجبات الضيافة لضيوف عمي عند زيارتهم له .

و كان المجاز يفتح في نهايته الى اليمين على طارمة كان جزءا منها مسقوفا، حيث كانت هناك ماكنة خياطة منضدية، تقوم على خياطة الملابس عليها ابنة عمي الكبرى ساهرة، التي تخرجت حديثا من دار المعلمات و اشترت برانيتها الاوّل تلك الماكنة، ماركة سنجر . . و كانت بنات العم يجلسن حول الماكنة عند قيام ساهرة بالخياطة و هن في نقاشات متنوعة، و احاديث اجتماعية و سياسية بينما يكن منهنكات باعمال التفصيل و قص القماشات و مجلات المودة، و خاصة ملاحق مجلة "حواء المصرية" . . و يتحدثن مع ضيفاتهن، خاصة امرأة الحاكم الصغيرة الجميلة ذات فم اللوزة جارتهم باب على باب كما كان يقال، التي كانت تفصل ملابسها عندهن مقابل هدايا من اقمشة ثمينة كانت تحملها الى بنات العم . .

أحاديث تستمر الى ساعة متأخرة من الليل او الى مجئ العم في تلك الساعات، فينهين جلساتهم، ليحافظن على الهدوء الذي يحتاجه لينام كما كان يؤكد دائما بصوت مرتفع.

صباح ذات يوم زارتنا د. نزيهة للبيت و كانت معها رويده بنت شيخ رشيد، المعلمة السياسية النشيطة التي اعتقلت اكثر من مرة في المظاهرات، و طلبت من الوالدة ان كانت تستطيع مساعدتهما للذهاب الى بيت السجين السياسي يقطن، لأنها ارادت زيارة اخته ساهرة . . و بعد نقاشات توصلن الى ان اذهب معهما لأدلهما انا على البيت، فوافقت الدكتورة بعد ان تأكدت من والدتي و مني بأني اعرف اين يقع البيت فعلا، بشرط وصولنا الى جامع محمد الفضل على شارع غازي كما اشترطت . . فذهبت مع المرأتين الملفعات بالعباءات، بتاكسي الى مكان الجامع و مشينا في زقاقه و دللتهما على البيت، و بينما اختلت د. نزيهة برويدة و ساهرة في البراني، و كان هدفها من الزيارة تعريف رويده على ساهرة لأنهما كانا يقودان خطوط نسائية سياسية نشيطة آنذاك، كما عرفت بعد سنين، و بعد احاديث قصيرة تركتهما د. نزيهة . . و بقيت انا مع بنات عمي اللواتي رحبن كثيرا بي لأنني لم ازهرن في ذلك الصيف الذي بدأ يقارب على نهايته . . و ذهبت مع ابنة عمي هناوي التي كانت من سني او اكبر مني بسنة واحدة، و كانت تجمعنا احاديث و احاديث، الى محل ناجي لشربت التمر هندي، الذي كان يعبأه بالفقناني الصغيرة لمشروب السودة، المكتوب عليها بالانكليزية . .

الشركة الغازية للسيفون الوطنية، او بدون كتابة او او مكتوب عليها " ايكو " فقط . . سودا سودا . . و كنت احب شربت ناجي التمرهندي ذا السعر الرخيص الذي لم يتجاوز الفلسين لفقينة كما اتذكر . . و كنا نشرب اكثر من فقينة، و قناني نحملها الى البيت، على ان نرجعها فارغة اليه .

و بقيت في تلك الليلة في بيت عمي، و قررت البنات ان ننام في السطح لأن الدنيا لاتزال حارة . . كان السطح واسعا و محاطا بالواح خشبية او زينكو بارتفاع مناسب لا يخنقه و لكن يجعله بعيدا عن العيون المتلصصة ان صح التعبير، لسطح تنام فيه تسع بنات اصغرن هناوي، بل و كان السطح عاليا قياسا الى سطوح الجيران، و يشرف على سطوح متعددة تمتد الى محلة المهديّة المجاورة، و كانت هناك في السطح زاوية مغطاة في الفئى، تتراص فيها عدة مشارب لمياه الشرب الباردة، و ثلاجة خشبية محلية الصنع، فيها اشياف من رقي و بطيخ . . استيقظنا في الصباح الباكر هناوي و انا، مع قرصة برد تشرين و على سجع الحمام و انواع الطيور التي كان سجعها و وشوشاتها الخافتة احيانا و العالية الضاجة احيانا اخرى توقظ النائمين، و جلب انتباهي ان هناوي كانت ترش لهم الدخن الذي كانت تحفظه في وعاء مغلق تحت سريرها، آملة بلمس طير الحمام الابيض الذي احبته، و صاحت علي :

- انظر الى طيرك الذي جاء اليوم ايضا !
و كان طير حمام ابيض مشطب بلون سماوي في الجناحين، منتصب الهيئة، كنت احس انه ينظر الي مباشرة مثيرا في نفسي مشاعر صداقة جميلة . . حاولت ان اقربه

مني برش الدخن نحوه، لكنه كان يتدلل يقترب قليلا و يبتعد اكثر بعد ان يتناول شيئا من الدخن الذي رميته اليه . . في بقعة محدودة من السماء كانت تمتلئ بمجاميع انواع الطيور، بين الحرة في طيرانها و بين ما انتظمت في اسراب، كانت تدور في ذلك الفضاء و تدور . . و تستقر مجاميع او افراد منها لتناول بقايا حبوب او بقايا فاكهة خاصة الرقي على سطوح المحلة . . و في محاولتي و حركتي لجذب طيري الأثير، وجدت نفسي على سياج السطح من جهة محلة المهديّة و جنبي هناوي، و شاهدنا رجلا متوسط العمر وسيما اشيبا، بالفانيليا و بنطرون البيجامة الطويل يقوم برياضة صباحية على احد السطوح . . قالت هناوي :

- هذا الخال كريم، خال فتوح صديقة اختي ساهرة، و هو ضابط كبير، كان قائد القوات العراقية في حرب فلسطين ١٩٤٨، و حقق الانتصارات الكبرى على الإسرائيليين في جنين و في كفر قاسم، و انتشرت اخبار تلك الإنتصارات في اذاعات صوت العرب و القاهرة . . كما يقولون بالمحلة.

- صحيح؟؟ اني هم سمعت من والدي، بس ماكنت اعرف انهم
هو لا يسكن هنا، و لكنه يأتي بين حين و آخر لزيارة اخته في المهديّة و ينام عندهم !
- يعني ما راح اكرر اشوفه و اسلم عليه ؟ بس صدك بطل !!

وجدت نفسي احببته بفرح غامر من فوق السطوح . . و زاد من فرحي انه رأني و حياني بكلامي يديه و بابتسامة عريضة عبر سطوح الفضل و المهديّة في ذلك الصباح

التشريني الباكر الجميل . . ابتسامة بقيت مرتسمة في ذهني، و لم يكن احد يعرف او حتى يقرأ الغيب ليتصور من سيكون و كيف سيغير البلاد هو و رفاقه على طريق الخير و التقدم في ذلك الوقت، رغم انواع الصعوبات و التعقيدات، من الاقربين و من الابعدين . .

من جانب آخر، تزايدت النشاطات المتنوعة للقوى المتعددة للتحضير للتظاهرات، و وضعت اسس اولية للتحرك في الاعظمية بانتظار الموعد : اعدادية الاعظمية للبنين و ثانوية الأعظمية للبنات تنظيم نشاطها للاحزاب و القوى القومية العربية التحررية مثلهم السامرائي، و المنسق معهم برهوم ، كلية الملك فيصل الاول تنظيم نشاطها لليساريين عربا و كردا باحزابهم و قواهم، مثلهم كريم احمد عن الحزب الشيوعي العراقي خريج الكلية، عامر عبدالله عن حزب الشعب خريج الكلية، و ممثل عن الحزب الوطني الديمقراطي، صالح اليوسفي و دارا توفيق عن البارتي، اضافة الى ممثلي قوى و جمعيات وطنية متنوعة في مقدمتها جمعية الكرد الفيلية . .

اضافة الى التنسيق مع ما يجري من الصراع داخل الحكومة، و خاصة الصراع الذي مثله الوزير الوطني التحرري عبد المحسن مع الوزراء و الاطراف الحكومية العليا، و تنسيقه مع الاحزاب الوطنية بكل سرية، يقوم به المنسق الضابط سعدون . .

و تم التوصل الى ان يكون موعد الانطلاق في بداية تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٦ و يبدأ انطلاق تظاهرات بغداد، في الاعظمية في مواجهة الوصي عبد الاله عند

زيارته لكلية الملك فيصل الاول التي انشأها الملك فيصل
 بفروعها للطلبة المتفوقين لتكون نواة لجامعة عراقية . . و
 تقع مقابل المقبرة الملكية في نهاية شارع الشباب، التي
 تحدد موعدها وتاريخها، كما اخبر الوزير عبد المحسن . .
 و تم التوصل الى ماهية الشعارات التي سترفع لإدانة
 المعاهدة العسكرية البريطانية و منع توقيعها و من اجل
 السلام و الحرية . . .
 و فيما كانت النشاطات التحضيرية تجري في ظروف
 تزايد فيها الجو السياسي في البلاد احتقاناً و تازماً بسبب
 الاعمال العدائية للغرب و اسرائيل ضد مصر، و مقاومة
 عبد الناصر لها، و كانت الاذاعات تشعل الاجواء بتلك
 الاخبار المتلاحقة عن نشاط العصابات الصهيونية المسلحة
 في سيناء وصولاً الى قناة السويس، و الإستعدادات الشعبية
 في مصر لمقاومتها، و كانت تصعد حماس الجماهير
 الشعبية للقيام بأية مشاركة او تعبير عن الغضب مما كان
 يجري . . .
 فجأة !!

هاجمت اسرائيل مصر في اليوم الاخير من اكتوبر ١٩٥٦
 و فجرت المشاعر العربية و الوطنية في كل الدول
 العربية، و انفجرت الإحتجاجات الشعبية و المطالبات
 بالتححرر و الديمقراطية بأشكال عفوية و منظمة . . بعد ان
 قامت اسرائيل بعصابتها بهجومها البري على مصر بدعم
 جوي بريطاني - فرنسي حيث قامت طائرتهما بقصف و
 ضرب القاهرة و مدن قناة السويس و خاصة بور سعيد . .
 و قامت اذاعات صوت العرب و موسكو ثم بي بي سي و
 صوت اميركا و مختلف وسائل الإعلام العالمية، بنقل
 تفاصيل ما كان يجري و خاصة انباء مقاومة فرق المقاومة

الشعبية للشباب المصري و تضحياتها في بورسعيد التي كانت تهز العالم، و نبأ قيام الشباب السوري بنسف انابيب النفط المارة بسوريا تضامنا معهم . . اللذين صعدا روح الاحتجاج و الرفض في مدن البلاد و خاصة في بغداد، التي انطلقت فيها انواع التظاهرات العفوية . . و منها المظاهرات الكبيرة في شارع الشباب في الاعظمية، التي انطلقت اكثر مما كان مخططا و منسقا لها . . و بشعارات متنوعة جديدة على عجل، ادانت العدوان و طالبت بالخبز و الحرية بشعارات " تعالوا نجدد الوثبة " و " تسقط المعاهدة البريطانية " ، " المجد و الخلود لشهداء بور سعيد الابطال "، " بلادي بلادي بلادي - لكي حبي و فؤادي " . . هاجمها رجال الأمن و الشرطة و الشرطة الخيالة بالدونكيات و اشتبك معهم المتظاهرون و طروهم بالحجارة، التي كنا نجتمعها لهم من الشارع، في الاكياس المتوفرة سواء كانت ورقية او غيرها . . و قد لعب فيها طلبة " كلية الملك فيصل " ، " اعدادية الأعظمية للبنين " ، " ثانوية الأعظمية للبنات " ادوارا بطولية من سطوح مبانيهم بالهتافات و طر الحجارة، و في الشارع و في الهاب حماس والتفاف سكرة كل محلات الأعظمية من الرجال والنساء، باسم الأحزاب الوطنية و القومية و اليسارية . . الى ان هرب رجال الشرطة و اقفلوا مراكزهم .

للتدخل وحدات عسكرية خاصة محمولة بالشاحنات العسكرية، كان افرادها يعتمرون الخوذات المعدنية ويحملون عصي خاصة قيل انها مكهربة، اضافة الى وحدات حملت الأقنعة الواقية من الغازات المسيلة للدموع، حيث جرى استخدام كثيف للقنابل المسيلة للدموع ضد

المتظاهرين، كانت تطلق من فوهات خاصة، و كان يتلقفها المتظاهرون شبابا و شابات ليعيدوا رميها عليهم، و كان الطلبة يرمون الشرطة بالقنابل المسيلة للدموع من سطوح ثانوية البنات، لايعرف من اين حصلوا عليها . . . و لم تتمكن تلك الوحدات من ايقاف التظاهرات التي استمرت و كانت تزداد، عدة و عددا. لتأتي مجموعات شبه عسكرية و غير نظامية مكونة من عناصر معروفة بطيشها و سوء اخلاقها مثل ابو الطرشي، ابو الجاج و ابن عبد الشهيرة و عزوز الاقجم . . الذين قاموا برمي المتظاهرين بالرصاص الحي و بضربهم بالسكاكين الكبيرة، و تسببوا بسقوط عدد من الشهداء و اعداد اكبر من الجرحى . . فيما قامت وحدات من شرطة التحقيقات الجنائية سيئة الصيت، باعتقال ما استطاعت اعتقاله من الشارع معتدين عليهم بالضرب سواء بالعصي او ببوكسات الحديد . . . كان المتظاهرون يتفرقون ليلتقوا بوضع افضل و بتحدي اعلى . . فيما فتحت البيوت المحيطة ابوابها لهم سواء لمعالجة الجرحى او لإخفاء من كان يريد الإختفاء، او للاكل و الشرب . . الى ان انسحب المتظاهرون من شارع الشباب ليتجمعوا من جديد عند " رأس الحواش " و يستمروا بالتظاهرة نحو باب المعظم. و مع اقتراب المساء، خلى شارع الشباب الجميل من البشر ماعدا وجود افراد الوحدات العسكرية التي احتلت الشارع، بخوذاتهم الواقية و بساطيلهم الثقيلة، و باسلحتهم الحديثة الكثيفة و برشاشات الفيكزز الجديدة المستلمة حديثا من الناتو، و كانت الحجارة تملأ الشارع و الارصفة، و بقيت روائح البارود و الغبار المتطاير تزكم الانوف، كنا نشمها

و نحن متجمعين سرا في بيت اصدقاء كانوا يسكنون هناك في بيت مطل على الشارع، فاتحين الشبايبك للتهوية . . مع هبوط الظلام، حدث مالم يخطر على البال . . حيث هاجمت مجاميع من شقاوات و قتلة جمعوا باجور من السجون و من الشيخ عمر و كراجات النهضة و محلات الكيلاني و غيرهم، و بتشخيص وارشاد ماجورين و رجال أمن من الاعظمية القديمة . . هاجموا بصمت بالقامات و الفؤوس كلية الملك فيصل الاول و اقسامها الداخلية، ثم بصيحات (لا شيوعية بعد اليوم) ، بعد ان ضربوا الحراس و دخلوا بالقوة الى الرمز الثقافي و الحضاري الذي كانت تتباهى بإنشائه حكومات العهد الملكي، و ضربوا الطلبة و حطموا كل ما وصلته ايديهم هناك، و تسببوا بقتل و جرح و اغماءات عدد ليس بالقليل من الطلبة، الذين أخذوا على حين غرة، و جرى اعتقال من راجع المستشفيات و المستوصفات للعلاج منهم . . في وقت قامت به شرطة التحقيقات الجنائية بحملة تفتيش و اعتقالات للعشرات من رجال و نساء الاعظمية بينهم و الذي، بتهم النشاط الهدام . . اعلنت الاحكام العرفية . . و اخذت الاخبار الحزينة تتوالي بعد صدورها في البلاد و انتشار الجيش اثرها في شوارع بغداد . . فقد وجد الوزير الوطني عبد المحسن مقتولا في مكتبه و اشيع عن انه انتحر، و كانت اصابع الاتهام تشير الى ان القتلة هم من رجال السلطة، رغم قيامهم بمراسيم تشييع رسمي حكومي لـ (شهيد الوطن و الواجب) كما كتب على اللافتة الرئيسية للتشييع، و صدر تنبيهها عسكريا لسعدون من المجلس العرفي العسكري للوزارة بالحذر و الابتعاد عن النشاطات الهدامة . . حين فوجئ سعدون بقول رئيس المجلس المقدم رفعت

الحاج سري له، عندما التقاه شخصيا خارج ديوان وزارة الدفاع (بالصدفة) . . عزيزي سعدون عليك ان تعرف كم هي محبتي و احترامي للمرحوم ابن عمك المناضل الوزير عبد المحسن، و كم هي محبتي للضباط الوطنيين اللي انت منهم، و لكن الأوامر في الجيش هي اوامر لا استطيع الافلات منها . . خفت قدر ما استطيع معك و الا يسوقوني معاك ايضا و أعاقب عقوبة قاسية لأنني اقدم و المفروض اني أعرف، دير بالك !! و صدرت قرارات حكومية (بناء على مقتضيات المصلحة العامة) بنقل د. نزيهة الدليمي الى النجف، د. عبد الصمد نعمان الى حلبجة، د. عبد الامير السكافي الى الرمادي . . فصل الجامعية بثينة البستاني من الجامعة ضمن اعداد كبيرة من الطلاب و الطالبات، فصل والدي و عدد من معلمي الأعظمية من سلك التعليم بتهمة (شيوعي صهيوني خطير) . . صدور قرارات القاء قبض بقائمة طويلة من الاسماء بتهم (النشاطات الهدامة) منهم برهوم و يعرب البراك

كنا نفخر بمحلتنا الاعظمية الجميلة، بمحلاتها الحديثة و حدائقها و بيوت اصدقائنا و اقاربنا و اهالينا هناك، و باسواقها و بالعديد من ازقتها و(درايينها) القديمة، بشارعها الجميل المتجه شمالا نحو الصليخ و المطل بطوله على نهر دجلة . . و بحديقة النعمان و بالنادي الرياضي فيها، بالسينما و افلامها الجميلة و اغاني عبد الوهاب و عبد الحليم و فريد الاطرش التي تصدح باستمرار منها، و حتى ببائع العنبة هناك، و حتى بمراقب البطاقات فيها الذي كنا

نشترى منه اذون الخروج من صالة العرض المطبوعة
لنستخدمها كبطاقات دخول اصولية و نوفر لنا خمسين فلسا
لكل بطاقة، مقابل الحفاظ على سرية ذلك، لمعرفة باننا من
الزبائن المعروفين فيها . .
كنا نفخر بمحلتنا . . بتحدياتها الفاعلة لسلطات العهد
الملكي، التي كانت من جانبها شديدة الحذر من تحرك
اهالي الأعظمية ان اتخذ طابعا جماهيريا، لأن ذلك سيؤثر
على عموم بغداد وعلى الحكومة ومؤسساتها ودوائرها
اضافة الى تأثيره على قوات الجيش والشرطة، للاعداد
الكبيرة لأبنائها فيها و بمراكز فاعلة .
ورغم كبر قضاء الأعظمية الإداري الذي ضم محلات
عديدة، كالسفيينة، النصبة، الحمام، الحارة، النزيزة، رأس
الحواش، شارع عشرين، شارع عمر بن عبد العزيز،
شارع طه، الكسرة، هيبب خاتون، راغبة خاتون، ثم
الوزيرية، نجيب باشا، شارع الضباط والعساف اضافة الى
محلة الكمب (نسبة الى كمب الأرمن و الأثوريين) و
سوقها الشهير . .
فان محلتنا " محلة الشيوخ " والحمام والنزيزة والحارة . .
كانت تشكل قلب الأعظمية وروحها لأحاطتها بمرقد الإمام
ابوحنيفة النعمان حيث التجمعات و المقاهي من جهة،
وبسبب سكن عوائل بكاملها من الأجداد والآباء والأمهات
والأبناء وابناء الأبناء في بيوتها وحواشها الشرقية القديمة
التي كانت ملكهم او كانوا يسكنوها مقابل بدلات ايجار قليلة
او بلا مقابل كهدية من صاحب الملك لأحد اقاربه المعوز،
اضافة الى سكن عوائل جاءت من خارجها و استقرت فيها
و تفاعلت مع اهلها، مكونة سبيكة عراقية اصيلة من كل
المكونات القومية و الدينية و المذهبية، في العديد من

مناطقها و ازقتها و (درابينها) القديمة .
كنا نفخر بمحلتنا التي ضمت وجوها وعوائل عرفت
بالتزامها بمواقف حقوق البلاد وآمالها سواء كان من موقف
يساري او قومي تحرري . . كعوائل آل السلام، آل شيخ
رشيد، آل حاج نعمان الأعظمي، الضامن، محسوب،
سري، شبيب، شلتاغ، الجدة، المصلاوي، النقشبندي،
الحيدري، الملاح، قزانجي، العاني، الهيتي . . رغم وجود
عوائل عرفت بممالتها للأنكليز، و كانت تأنف من اقامة
اية علاقة مع العوائل المثقفة وعوائل المحلات الشعبية . .
والى افراد عوائل عرفوا باعمالهم كمخبرين سريين
للحكومة، الذين ان لم يساعدوا الناشطين السياسيين سرا
كما كان يجري، يصبحون منبوذين من الناس ومحتقرين،
و كانت الناس تفضهم و تحذر وتخاف منهم .
بعد اطلاق سراح والدي المعروف بنضاله الوطني
اليساري، و اثر فصله، بتهمة " شيوعي صهيوني خطير "
كما نشر في كتاب التبليغ الشخصي له، او في الكتاب
الرسمي المرسل الى مدرسته " الشماسية الأبتدائية للبنين "
. . زاره معاون مديرها سرا مطيبا خاطره بهدية نقدية ذات
قيمة تبرعا من معلمي المدرسة، وساعده في ترتيب عمل
له كملاحظ حسابات في معامل وكور الطابوق، التي كانت
تنتشر في اطراف العاصمة، باجور يومية وبدوام يومي
يبدأ في الثالثة صباحا حين تنتظره سيارة المعمل . . متمنيا
له الصبر وبأن الغد لناظره قريب !
و كنا نحن الصغار نرقب مايجري و كيف ينهض الوالد
بعد منتصف الليل ليغتسل و يبدل ملابسه التي صارت
ملابس خشنة بنية اللون غاب عنها اللون الابيض و ربطة
العنق، و بقبعة فلين كقبعات الرحالة في افريقيا لتقيه حرارة

الشمس الحارقة في العراء، و كيف كانت والدتي تشد ازره
و بجملتها التي اشتهرت " احنا بخير و لاتفكر كثير، بس
دير بالك على نفسك"، و كيف ازداد حنان جدتي الحاجة
امينة نحونا و كيف كانت تزورنا يوميا للاطمئنان علينا . .
حتى استطاع بجهده و بمساعدة رفاق النضال ان يجد عملا
اضافيا مسائيا ليقسم مشغوليته : ثلاثة ايام في الاسبوع،
في معمل الطابوق و اربعة ايام دوام مسائي في شركة
فريخ و حمد لسيارات الفورد، مقابل سينما الخيام، كملاحظ
و محاسب .

السجن ليس لنا .١٢.

السجن ليس لنا

تغيرت حياتنا بعد فصل الوالد، و صارت جدية اكثر بعد ان قلت الافراح بفعل اعتقال الوالد و شعورنا باننا مراقبون و بسبب الضائقة المالية بعد فصله من وظيفته كمعلم، التي صرنا نعيشها بحساب ثمن كل شئ نريد شرائه، و صرنا نتجنب الحديث لأحد عن بيتنا و اهلنا و خاصة عن ضيوف الوالد . . و رغم جهود الوالدين بعدم اشعارنا بما نمر به، الا اننا كنا نلاحظ ان الفاكهة كانت لنا نحن الاطفال فقط و لم نفهم لماذا لم يأكل منها والدانا لانها كانت غالية الثمن . . و كنا نلاحظ ان والدنا كان مشغولا بهموم وامور بدى لنا انها اكبر من هموم البيت .

في احد الايام جاء الوالد فرحا و هو يقول:
- نقلوا يقظان من نقرة السلطان الى السجن الجديد في بعقوبة! و اخذت موعدا لزيارته هناك . . سنذهب كلنا!!
كانت الانبياء قد انتشرت، بأن السلطة قد اقامت سجنا اميركيا (حديثا) للسجناء السياسيين . . في بعقوبة، و قد نقلوا عددا من سجناء نقرة السلطان السياسيين المحكومين باحكام ثقيلة اليه، و صار ايضا محطة للسجناء المنقولين مؤقتا اليه لأغراض متنوعة كإعادة تحقيقات او محاكمات، او اعادة نظر بالعقوبات بين تخفيف و تشديد او قضايا اخرى لاتعرف و لم يعلن عنها، لأنها تخص (أمن الدولة) كما كان يعلن .

ذهلنا نحن الاطفال من الخبر و من أننا سنستطيع رؤية ابن العم الكبير يقظان، العائش معنا بصورته المعلقة في غرفة الضيوف، رؤيته بشحمه و لحمه لأول مرة . . و هو القديس و الروح المقدسة التي سكنت بيتنا، الروح التي جعلت والدي الحازم الحنون يبكي و هو

يتأملها و يعيد تأملها، و يحاول اخفاء دموعه كي لانراها كلما دخل الى غرفة الضيوف و نظر الى الصورة و كان وحيدا .
 ركبنا باص صغير مع عوائل ملأته . و سافر بنا الى بعقوبة، الى بقعة فوق رابية في مكان خالي من البيوت و من المزارع و الحقول، نزلنا من الباص و بدأنا بالسير و كانت هناك عشرات العوائل تسير بنفس اتجاهنا، ممن خرجت من باصات اخرى و ممن قدموا من شوارع ترابية فرعية هناك . . . لنتلقى بعشرات او مئات عوائل اخرى كانت قادمة بمقابلنا من الجهة الأخرى .

كان الجميع يسيرون صامتين و ينظرون الى الأسلاك الشائكة المكومة على امتداد جانبي الشارع الترابي الواسع، حتى ظهر المعتقل من تلك الرابية العالية . . . كان المعتقل مكونا من ثكنات عسكرية مبنية على شكل مجاميع من صفوف متوازية ، بدت بيضاء اللون رغم اتساخها بسبب الغبار الذي ثبت عليها بالمطر باشكال رسمتها المياه المنسابة .
 كان المنظر لاينسى بإثارته للرهبة في ذلك اليوم الغائم الممطر . . . صفوف الثكنات النظامية المقسمة الساحات و بينها بالأسلاك الشائكة، الواقف عند كل زاوية من تلك الزوايا العديدة مسلح بملابس نظامية وبخوذة وواقفا وقفة استعداد، يفهم منها انه مستعد للأطلاق في كل وقت . . . لم ير اثر لموقوفين فيها او بينها . . . كان الصمت يلفها و يخيم عليها .

وكانت البقعة العامة لكل موقع المعتقل - بكل ثكناته - محاطة باكثر من صفين من الأسلاك الشائكة الكثيفة والمرتفعة بقدر قامة انسان . . . كانت تحيط بالمعتقل و في كل منها موقع محاط باكياس رمل و مغطى بالنيلون .

كنا نسمع والدي و هو يحدث والدتي . . . هنا كأنما صورة مصغرة للعراق !! شوفي سعاد ذوله كرد مبين من لبس قسم منهم وتجمعهم على بعضهم، الله يدري مساكين منين جايبين ! هذوله بيض حمر ونساء

سافرات يعني في الغالب مسيحيين . . شوفي هذوله معممين . . هذوله
 يزيدية من ملابسهم . . واحنا عرب حتى بينا السني والشيعي
 الواضحين من شكل العمايم . . شوفي ذوله خطية يبين جاينين من
 الجنوب من النجف والناصرية و البصرة . . قسم منهم ديصلون . .
 - لعد شنو يكولون الشيوعيين ماعندهم دين ؟!
 - صدقت بهذا الكلام الفارغ ؟ اكلج منو الماعنده دين احنا و اهلنا ؟ لو
 هذا اعوص العين السري بالمحلة الذي اعتدى على بنت الجيران وكل
 الناس تعرف و ساكته من خوفها منه . . منو الكافر و الماعنده دين ؟
 سعاد هذه سياسة و مصالح و ملايين ونفط !! و لم نفهم نحن الصغار
 ماعلاقة النفط و بيع النفط المسكين بتلك المشاكل . .
 و قرب باب النظام، توحدهم الحشد و ازدحم للمرور من خلال نقطة
 ضيقة لسيطرة عسكرية كبيرة مكونة من عشرات رجال الشرطة و
 وحدات عسكرية شاكة السلاح، اضافة الى مدنيين مسلحين كانوا
 يدققون الهويات ويسمحون و يمنعون ويصيحون و يهددون . . بل
 واعتقلوا اثنين تحت انظارنا . .
 و لم يسمحوا بتكوين طابور، خوفا من (تهدم القنطرة) كما كانوا يقولون
 و التي لم نشاهدها . . و كانت تتصاعد من الحراس صيحات (ماكو
 زيارات اليوم حسب برقية القيادة !!) التي كانت لاتؤدي الا الى تصاعد
 و سيادة الهرج و المرج وسط زعقات رئيس الحرس:
 - كافي صياح لك !! تره صدك نلغيها اليوم و نضربكم اذا ماتصيرون
 عقل !! . . احنا دا نتباحث مع القيادة!!
 بينما انشغل الحراس بضربنا بالعصي و الدونكيات صائحين : نظام
 نظام !! ناسين او مفتعلي نسيان اننا كنا نفق منذ اكثر من ساعة تحت
 المطر و الشارع الترابي و النقطة الضيقة صاروا طين، بدون سبب، و
 اوضح احدهم في تفسير ذلك بأنهم يضغطون و يعذبون عوائل
 المعتقلين السياسيين كعقوبات عليهم لأنهم لم يضبطوا ابنائهم و ذويهم و
 لم يمنعوهم من النشاط السياسي، ان لم يكونوا حسبوهم شركائهم في

جريمة (ممارسة السياسة).

الى ان وصل الأمر بحركة الزائرين الى السجن و فتح بابه . . و كنا تحت ذلك الضرب بالعصي و الدونكيات، الذي خلاله سقطت امرأة كردية مسنة على الارض لأن ضربة الدونكي كانت قوية و جاءت على ظهرها و اقعدهتها على الارض امام ضغط تدافع الزوار المارين في تلك النقطة الضيقة . . ركض والدي اليها و اسندها لتقوم و تمشي مؤشرا لوالدتي بالمضي معنا و بانه باقي مع تلك المرأة ليساعدها على المرور، و قد عرف منها انها ام السجين السياسي المحكوم مؤبد عزيز محمد، و انها جاءت من اربيل صحبة عوائل سجناء الاحكام الثقيلة و المبعدين عادل سليم و نافع يونس، و كان يعرف الصداقة القوية بين يقظان و عزيز محمد، و بقيت الام تتشكره بعربيتها الضعيفة و تستند عليه الى الساحة الداخلية و هو يتبادل النظر و الاشارة مع والدي للوصول الى تلك الساحة.

جلسنا في الساحة الضيقة المحاطة بسور عالي يصل الى ثلاث قامات، و يشعر الرجل بضالة حجمه و جاء السجناء للقاء احبتهم و جاء بينهم شاب نحيف متوسط القامة الذي صاح والدي لدى رؤيته (اهـلا يقظان !!) و كان الاسم الذي اشتهر به ابن عمي " عدنان البراك " . . تصافحا و تعانقا بقوة لم نألها نحن الصغار فيما كانت السلاسل التي تكبل عدنان ترن بقرقة عالية . . و شاهدنا سجناء مربوطين بسلاسل مثبتة الى كرات حديدية ثقيلة كانوا يحملوها الى جانبهم او الى ظهورهم في حركتهم من بينهم المحامي عبد الرحيم شريف . . كان السجناء من كل القوى الوطنية عربية و كردية، و كانت غالبيتهم من الشيوعيين الشباب الذين اشيب شعر قسم منهم مبكرا.

كان هناك اضافة للعرب، كرد من عشائر بارزان قيل انهم اعتقلوا و حوكموا لدورهم و مشاركتهم بالثورة الكردية المسلحة التي انطلقت من بارزان بقيادة الملا مصطفى البارزاني، كرد من طائفة الحقة (جماعة شيخ رضا) من الذين اعتصموا بالشارع بالآلاف و قطعوا طريق

كركوك - اربيل و بعد انطلاقهم من منطقة "كلكه سماق" احتجاجا على اجراءات السلطة التعسفية ضدهم و مصادرة حيواناتهم و اراضيهم و تهجيرهم بحجج الضرائب . . ايزيديين بملاصمهم القومية، تركمان، مسيحيين، يهود و غيرهم ممن حكموا احكاما ثقيلة بتهمة (القيام باعمال تخريبية).

قبلنا ابن عمي عدنان و هو ينحني و يطل علينا بابتسامته المشرقة المشعة وسط هدوئه اللامعقول، و وسط انفعالنا الذي لا يوصف برؤيته للمرة الاولى لأنه حكم و بدأ سجنه قبل ولادتي، و بقيت انا كالمسطول اراقبه و اراقب وجهه و حركات جسمه و يديه .
 و قيل ان هناك عدد من السجناء استقدموا من منفى السعودية ان لم تخني الذاكرة لإجراء معاملات سجنية من التي مر ذكرها، بينهم : الشاعر الكردي الشهير عبد الله كوران، الاديب و السياسي الكردي ابراهيم احمد كاتب اغنية " شيرين بهار " - شيرين اقبل الربيع - الكردية التي كان يغنيها في الساحة عدد من السجناء الكرد، بينما غنى عدد من العرب منهم اغنية " وردة سكيته من دمع العيون، صارت من حسنهنه فنتة للعيون " ، في اغاني تدعو للحياة و للحرية و الى الصمود في سبيلها.

و كان بين اولئك السجناء عبد الرزاق الصافي، كاظم حبيب، علي صالح السعدي، المحامي ابن حبيب الخيزران . . . و تقدم احدهم و كان اشيب الشعر طويل القامة ممتلئ البنية نحونا و حيا والدي شادا على يده معانقا اياه، و انحنى باحترام و هدوء نحو والدتي بعباءتها قائلا:
 - تحياتي الحارة و احترامي ست سعاد، الرجاء ابلاغ الحاجة امينة تحيات والدتي زوجة الحاج خيرى من باب الشيخ نقلا عني، والدتي تذكركم و تذكرها بخير دوما . . انا زكي ابن الحاج خيرى . .
 تحرك السجناء و الزوار فبسطوا مشمع طويل نصب كمائدة طعام، و نشر الطعام المتنوع الذي جلبه الزوار و ما طبخه و اعده السجناء، و كانت مائدة عامرة على انغام راديو كان عند رئيس الحرس الذي فتحه

على اعلى صوته بمشهد العوائل و حرارة اللقاءات، رغم انه كان يتلفت بخوف و ذعر بين حين و آخر من حضور مراقب او عنصر أمن . . بينما انشغل الحراس بأكل نصيبهم من الطعام، الذي لم اعرف ان كان فرضا او كرما من السجناء. و عند شرب الشاي انشد عدد من السجناء احدى اغاني السجون التي اشتهرت حينها:

من السجون تهفو قلوب بحنين و باشتياق
ياليت انا و النصر دان في الطريق بين الجموع
تلك الاماني نار تلظى يارفيقي بين الضلوع
و فيما مرت تلك الانشودة بسلام، انشد سجناء آخرون مع سجين كان يعزف على الكمان:

السجن ليس لنا نحن الاباة
السجن للمجرمين لنا للجرمين الطغاة
و لكننا سنصمد و نصمد
و ان لنا مستقبل زاهر سيخلد
لنا الغد . . . لنا الغد لنا الغد
حين تنصب المشانق لمن ؟
للمجرمين الطغاة

هنا تحرك الحراس كالمجانين صائحين : اسكتوا اسكتوا . . هذا النشيد ممنوع، و الله تتعاقبون انتو و زواركم . . . و انطلقت العصي و الدونكيات لتفريق الجلسة و أنهيت الزيارة!!!

عدنا الى بغداد، الى بيت عمي و كانت اخوات عدنان و أمه ينتظرن اخبار عن صحة و حياة اخوهن الكبير، بعد ان ابقين خبر الزيارة سرا عن ابيهن و الا يقلب عالي البيت الى ساقفه لأنهم ذهبوا دون اذنه و هو الاب و الأخ الكبير . . فرحت الأم و الأخوات كثيرا بالأخبار المطمئنة

عن الابن و الشقيق و قرأوا رسالته القصيرة بفرح و دموع صامتة، و عاد الوالدان و الاخوة الى بيتنا في الاعظمية، و بقيت انا في بيت عمي، بعد ان دعاني عمي للذهاب معه الى سوق الصدرية!
 - ابني تعال معي شنو كاعد يم النسوان . . راح تتونس و تساعد بحمل الاغراض، هل انت مستعد؟؟
 - طبعا عمو انا مستعد دائما للمساعدة.
 - عفيه بابني السبع!

بعد ثلاث محطات باص نقل الركاب من الفضل، وصلنا سوق الصدرية المكتظ بالمتسوقين و البقالين و الباعة المتجولين رجالا و نساء، و المكتظ بالحيوانات و انواع الطيور و الدجاج و ببااعة اللحوم و بااعة لحوم الدجاج و بااعة انواع الالبان ، و الأجبان من المعروضة الى المغمورة بالمياه و الى المكبوسة في قرب جلدية و الى بااعة انواع الطرشي . . اضافة الى بااعة انواع الخضار . . اضافة الى درابين فرعية هادئة لبيع الاقمشة و الفوط و اليشماغات و اغطية الرأس و الدشاديش و الكرزات و الفاكهة المجففة . . وسط صيحات بياعين ينادون على بضائعهم:

- بس هاليوم هالطماطة!!
 - وزيرى ياتين!!
 - هاليوم بفلسين!
 - ابيض و بيض.

قال عمي:

- ابني . . تذوق قطعة الجبن هذي . . شنو رأيك بيها؟؟
 تذوقتها و قلت له:
 - كلش طيبة كلش طيبة . . هسه عرفت منين تجيبون جنبكم اللذيذ.
 ضحك عمي مربتا على رأسي:
 - اعرفك تحب الجبن، طالع على عمك . . اليك قطعة ثانية.
 و وقفت مبهورا امام معرضين لبيع الطيور التي احببتها حبا . .

عرضا انواع الطيور الجميلة و الحمام الزاجل و تذكرت قفص الطيور الكبير للخال زكي الذي كان يترك بابه مفتوحا من حين لأخر (كي تتمتع الطيور بحريتها و تكون صحتها احسن، فالطعام لوحده لا يكفي لذلك) كما كان يقول، و كيف انهم استخدموا الحمام الزاجل لتبادل الرسائل بينهم كثوار في ذلك الزمان، و كان يحذر من الصداقة مع المطيرجية لأن (عالمهم قذر).

اصيب سعدون بصدمة عنيفة من فقدان ابن عمه و اقرب صديق له، التي تسببت باصابته بقلق شديد لم يعرف مصدره، هل هو قلق من الاغتيال، كما اغتالوا ابن عمه عبد المحسن؟؟ عبد المحسن الذي استطاع تهدئة عشائر الفرات و بظهره عشيرة من اقوى عشائر العراق تمتد من البصرة الى شمال الفرات ؟ اذن فالقتلة لايبالون بمن يقف امامهم سواء شخصية مؤثرة او عشيرة قادرة . . تأثر كثيرا بضرب متظاهري مظاهرات العدوان الثلاثي بالرصاص و السكاكين و اعتقال و معاقبة الآلاف ممن شاركوا بها رجالا و نساء، رغم ان نشاطهم كان دستوريا.

احس بكآبة كانت تزداد و تشتد يوميا و انكفاً على نفسه و غرق بشرب الكحول و خاصة الكحول المنزلي القوي الذي تعودت على صنعه ياسمين خاتون ام الماس للضيوف، و غرق بالتدخين المتنوع . . و اهمل زوجته الماس و صار لايستطيع النوم معها و لا اداء دوره كرجل معها، و ازداد شعوره بالعنة و كأن جسمه و اعضاءه ماتوا . . رغم جهود زوجته التي فهمت حالته، و بذلت جهدا كبيرا بعنايتها به و بنفسها و بماكياجها و شعرها و عطورها المتنوعة و بما يثيره و لكن دون جدوى، الأمر الذي زاد من قلقه، و أسف على فقدانه رجولته . كان يشعر بالملل و بحياة صارت لا طائل من ورائها، بغياب الأمل و الهدف الكبير و غياب روح التحدي و المغامرة، التي بدأت تتسبب

بفقدانه لتوازنه الطبيعي كبشر، كما كان يحس . . راجع طبيب قيل له انه متخصص بالعنة بانواعها و بطرق علاجها، نصحه بوصفات طبية و ترك الكحول و التخفيف ما امكن من التدخين، و بالرياضة و التعرض للشمس و الحركة في الهواء الطلق لساعات يوميا، و الأهم ان يصارح زوجته كي لاتسئ فهمه و تعمل على انقاذه من مشكلته، التي قد تتمكن منه و تدوم و تخلخل عقله ان اهمل ذلك، على ان يستمر بمراجعتة.

و انطلق سعدون برياضته المفضلة و هي الصيد ببندقيته الكسرية لصيد الطرائد البرية و محاولة صيد ماندر منها، يوميا في احراش جلولاء كلما انهى دوامه في المعسكر الذي نسب اليه، و القريب من هناك، و نظم هناك مع عشائر المنطقة المتنوعة العربية و الكردية و التركمانية، حملات لقتل الخنازير البرية و ابعادها عن الحقول الزراعية و حمايتها من تخريباتها.

بقيت معاناة سعدون قائمة و لم ينفع في علاجها كل ما قام به، حتى ذهب بسيارته مصطحبا زوجته الماس الحامل معه، التي وقفت بقوة الى جانبه في مشكلته، بعد استشارته لها . . ذهبوا الى مضارب فخذ العشيرة الذي ينتمي اليه، على نهر الفرات، و سمع نصيحة احد اقاربه هناك بأن يعرض نفسه على طبيب عشائري مشهور في العشيرة (العارفة فتاح) لعلاجه بالطرق العشائرية.

وصف له العارفة فتاح انواعا من الضب الصحراوي البري المشوي، و داوم على اكله دون أكل آخر ضاغطا على نفسه من التقوي، لمدة اسبوعين يوميا، اضافة الى منقوع جذور صحراوية جمعها العارفة، مغلية بالماء و باضافة انواع من عناكب مختارة لها، و كان عليه ان يشرب ذلك المنقوع ساخنا عدة مرات يوميا. . في ذات مساء، احس بعد شرب المنقوع المر الساخن ذلك، بهبوب طاقة حرارية كبيرة اجتاحت جسمه من كتفيه الى بطنه و ساقيه مسببة له آلاما مغصية كبيرة جعلته يتلوى من الألم، من اعلى الى الاسفل و

شعر بتجمع روحه في حوضه و عضوه كما وصف، و انطلق بوله
مدرارا محملا بانواع من الرمل و من الدم، و انكفأ نائما نوما عميقا . .
فيما هلل طبيب الاعشاب فرحا و هو يتلمس اعضائه النائمة و قال
لزوجته الماس التي كانت ترافق زوجها خائفة عليه:
- اختي . . هسه احنا نظفنا المكينة و الصالصة بنجاح و شفتي الرمل
المقذوف مو ؟ . . ننظر الى ان يصحى في الصباح و نقرر حالته . .
و ترك الخيمة .
و لم تتمالك الماس نفسها و هي تشاهد زوجها ممددا سابحا بعرقه،
وحيدا و كأنه لاحراك به .
و تذكرت ماجرى في قراهم في مذبح الخابور، و كيف أصيب عدد من
الرجال بتلك الحالة بسبب القلق و الترقب و الخوف على العائلة، و التي
ادت الى انتحارهم . . و اصابة عدد اكبر من النساء بتلك الحالة التي
اصابت اعضائهن، و تسببت بسقوط حمل عدد منهن و موت بعضهن،
و اصابت اخريات بحالة من تقلصات قوية غريبة اجتاحت البطن
واعضائهن، و لم يستطعن التواصل مع ازواجهن بعدها، و تضاعفت
الحالة مؤدية الى انتحار عدد منهن .
خافت عليه من تلك المصائب، و رق قلبها عليه و على العائلة، و
لاإراديا اقلقت باب الخيمة عليهما و تعرت و شدته اليها، رأسه بوجهه
بين ثدييها العامرين بالحليب لأنها حامل، و سحبت جسمه العاري
برائحته البولية، الى ما بين ساقها الدافئتين و هي تضغط عليه بحنان
حقيقي بذراعيها و يديها و رأسها و ساقها و حوضها، و تشده اليها
متلمسة عضوه بالتمسيد، الى ان استفاق العضو بعد دقائق و قذف و
عاد نائما . . و هي تهلل لعودته اليها سالما معافى كما تصورت.
عاد العارفة فتاح في صباح اليوم التالي و سأل الماس عن حال زوجها
قائلا:

- كيف مضت الليلة؟؟
اعتلى وجهها الخفر و اطرقت برأسها و اجابته بإبتسامة:

لابأس.

- ابنتي لاتخجلي، انت زوجته و انا طبيبه و ليس على الطبيب من حرج، و الا لن يتعافى . . ماذا حصل بالضبط ؟ حدثيني و يبقى سرکم في بير.

و حدثته الماس عما جرى و هي فرحة بأنه تعافى، قال لها العارفة:
 - ابنتي . . خطونا خطوة ناجحة واحدة فقط نحو العلاج و انه لم يتعافى بعد، لقد قمتي بعمل كبير على الطريق الصحيح و انت حامل، كان من الضروري ان يتجامع بما يستطيع مع امرأة حامل، لأسباب تعود الى تفاعل السوائل او الى تفاعل الارواح . . هل وددتي مجامعته باحتضانك له و هو زوجك و هذا حقك . . هل وددتي ذلك ام لا ؟ اجيبيني بصراحة و الا لن يشفى زوجك من مرضه . . مرض زوجك ليس عضويا و اعضاؤه سليمة كما اثبت التنظيف و الانتصاب و القذف . . عقله سليم الى حد الآن، مرضه نفسي بسبب صدمة نفسية عنيفة حدثت له و علاجه نفسي و هناك طرق عديدة لذلك . . هل وددتي مجامعته ؟ اجيبيني بصراحة كي اعرف واجبي و يشفى!!
 - نعم وددت ذلك و لكن . . . لم الحق، و ذلك ماجرى .
 - عظيم عظيم ان وددتي ذلك فيعني ذلك ان روحكما لا السوائل تفاعلنا، انت بوعيك و هو بلاوعيه . . انها الكيمياء، الم تسمعي بالكيمياء ؟

و لم تفهم الماس مايعنيه و سألت:
 - و الآن ماذا علي ان اعمل ؟؟
 - عليك ان تسأليه عندما تستقر حالته و يصحى . . هل احب امرأة قبلك و نام معها ؟ اذا نعم . . عليه ان ينام معها الآن و عليك ان تقبلي ذلك عزيزتي لأن ماكو حل آخر و سيصحى عضوه و جزء عقله المرتبط به ذاك و يعود سليما . . و ان لا ، فعليه ان يراجعني في الربيع القادم، لأنني ساسافر اليوم الى وادي السرحان، عندي عدد من المرضى ينتظروني هناك. اخبريه بتحياتي الحارة له و بأن هذه هي وصفتي له

الآن و لا تنسي او تتناسي ابنتي !! و ستعيشون بافراح و صحة و بنين و بنات ان شاء الله . . . نشوفكم بالافراح يا ابنتي الشجاعة! بعد ان افاق سعدون من نومته العميقة بعد يومين او ثلاثة، و بعد ان هداً نفسياً، اخبرته الماس بوصية العارفة، و قالت له:

- اني كل اللي يهمني ان تعود كما كنت . . شابا مقداما نشيطا مستعدا لتلبية حاجة الضعيف و المحتاج و ان نعيش حياة زوجية سعيدة و ان نكون اطفالا و اسرة جميلة، مهما كانت الوسيلة . . لست مجبرا على اجابتي كما اوصى العارفة فتاح . . سر في الطريق الذي يسعدك و يشفيك كما تقرر عزيزي سعدون، و انا الى جانبك و اشد ازرك، احببتك من كل قلبي و عقلي.

لم يتمالك نفسه و عانقها عناقا حارا و قال لها:

- انت املتي الكبير في الحياة و سأكون دوما عند رضاك!

عادوا الى بغداد و هو يحمل شيئا من أمل و تفاؤل بحياة وجد ان ابوابها التي اوصدت بوجهه يوما، يمكن ان تتفتح . . فكر طويلا و طويلا . . و قرر ان يذهب الى بانسيون ماري بعد انقطاعه عنه لشهور، و جهز هدايا الى البانسيون في مقدمتها كمية معتبرة من طيور الدراج التي اصطادها و حفظها بالتلج، اضافة الى علبة حلويات كبيرة لماري و مصوغة لـ ريتا ان وجدها هناك.

فرحت ماري خاتون كثيرا بهدايا سعدون و امرت النادلالات بخدمته، و عرف منها ان ريتا موجودة في البانسيون و انها مشغولة بزبائنها و سترسل لها خبر وجوده و اكيد انها ستفرح لأنها . . كانت تسأل عنك باستمرار، و كانت خائفة عليك من مكروه ما الم بك . . كما عبرت. جاءت ريتا اليه على عجل ناسية تعديل ملابسها و هيئتها، و عانقته بحرارة و هي تقول:

- يا اهلا و سهلا . . من زمان القمر ما بان سعدوني . . اني تصورت انك نسيته بعد ان تزوجت . . يظهر عليك تعب لم اشاهده قبلا و لا يليق بك . . ماذا حصل ؟

- تعال نروح الى غرفتي . . حتى يمكن ان تتحرر من الجلوس في الصالة و من الضيوف و من . . .
 طاوعها و ذهب معها و هو يستند عليها، مما اثار انتباهها و قالت:
 - حدثني بصراحة ماذا حصل، قد استطيع ان اعمل شيئا .
 جلس على سريرها كعادته فيما اخذت دوشا و تنشفت و خرجت بروب الحمام و رمت على وجهه بسروالها المعطر بعطورها و رائحتها وسط ضحكاتها التي انعشته . . و بشمه لتلك العطور و احساسه بالسروال على وجهه، شعر بانتعاشة افتقدها لشهور، و شعر برجولته و باستعداده لإثباتها، فابتسم، و قال و هو يخلع ملابسه:
 - لن احدثك الآن بما حصل . . فقط تعالي جنبي . .
 و بعد إي . . و آي . . و على كيفك . . و دقيقة . . و آخ . . و إيخ . .
 تواصل معها الى الاخير كما في المرات السابقة و شعر بأن الروح بدأت تسري في جسمه و اعضائه كالسابق، و وصف حالته لها دون حذر من التفاصيل بعد ان وجد فيها هي الدواء الناجع لعلته . . و اهدى لها المصوغة الذهبية التي قرر اهدائها لها، و التي افرحتها كثيرا.
 ضحكت ريتا و قالت:
 - لك سعدوني . . لك انت صدك تحبني و انا الغبية كنت اتصور انك نسيبتني

- شوف . . آني عالجت يمكن مئة رجل و صارت عندي خبرة بهالموضوع و عليك العمل و الالتزام بما اقوله لك . .
 و دخلت بالعلاج:
 - قهوة قوية، بلا كحول و بلا . . و بلا . . و خليني براحتي معك
 - هالمره انت تحت
 - هالمره على جنب
 - هالمره وضع ٦٩ و كل واحد ينشغل بما في مقابيله

المنصذك

العراق

نهض سعدون من عله و عاد واقفا على قدميه، مرحا مقداما باحثا عن التحدي و المغامرة من اجل قضية الفقراء . . و عاود اللقاءات الصاخبة في بانسيون ماري مع صديقه سعيد المصلوب و مع ريتا و جوزفين، غير عارف بما كان يدور في اللواء الرابع و العشرين الذي كان يعمل في ذلك الوقت في احد افواجه، فقد وصلت كنيته (سجله العسكري) الى هيئة اركان اللواء، التي عرضت ما وصلها من اوامر عليا و معلومات و بيانات اطلاق على أمر اللواء الزعيم الركن عبد الكريم قاسم الذي انتبه الى ماورد في كنية سعدون :

" ضابط مدفعية نشيط ، شجاع يحب المغامرات و التحدي، صياد ماهر، نجح في المعارك العشائرية في الفرات، نسب كطالب في القوة الجوية العراقية، تزوج من آثورية بدون موافقات عسكرية اصولية، تسبب بتحطم طائرة تدريب بسبب مغامراته و تسبب ذلك بفصله من القوة الجوية و اعيد تنسيبه الى القوات البرية، ابن عم الوزير المرحوم عبد المحسن . . حرم من ترقيات بسبب مغامراته، لا نشاط سياسي له "

فرح الزعيم قاسم بهذا الضابط المنسب حديثا الى لوائه، و تناقش مع صديقه الرئيس (النقيب) ممدوح ضابط استخبارات اللواء و عضو هيئة اركانه الذي استل كنية سعدون و قدمها باليد اليه، حوله . . و قال الزعيم :
- ان لم انسى، اعتقد انه هو الضابط الذي نزل بطائرة في

الغدِير لإنقاذ خطيبته، و هو من الضباط الذين لا يحبون الانكليز و هم لا يحبوه و لذلك حرم من ترقية لأسباب تافهة يقوم بها الضباط بشكل اعتيادي . . و كان مداوماً على بانسيون ماري . . وفق معلوماتنا .
- اتفق معك سيدي.

- عزيزي ممدوح حاول ان تحتك به، و تقيم صلة معه . . بالشكل المناسب و اخبرني، ضابط بهذه المواصفات يفيدنا، خاصة و انه ابن عم الوزير عبد المحسن، هذول ابناء عوائل و عشائر ضد الانكليز . . في احد الأيام جلب سعيد المصلوب صديقه النقيب ممدوح الى بانسيون ماري، و التقيا بـ محسن و جمعتهم احاديث كانت شيقه للجميع، و تكررت تلك اللقاءات . . خاصة بعد الصداقة التي نشأت بين ماري ام جوزفين و ممدوح الذي بدا و كأنه وجد ضالته في ام جوزفين المناسبة لعمره ايضاً كما قال . . و تزايدت الصداقة الى حد حديث ممدوح مع سعدون بإعتبارهما من لواء واحد، بأن هناك تنظيم لـ " الضباط الاحرار " . . يهتم بجمع المعلومات الخاصة بالامن . . و (قد) يسعى لتغيير الحكومة لا اكثر!؟! و بإعتباره ضابط استخبارات اللواء، سأل ممدوح مرة سعدون في النادي العسكري للفرقة الثالثة في بعقوبة عن معلوماته عن اخبار مطبوعة على آلة كاتبة و ما اذا كان يعرف شيئاً عنها :

- هرب اثنين من قياديي او نشطاء الحزب الشيوعي في المجال العسكري، و يقدر انهما : اما عمر علي الشيخ الطالب في الصف المنتهي في كلية الهندسة و هو كردي من السليمانية، و اما آرا خاجادور رئيس عمال ماهر (فورمن) في مجالات النفط، و هو ارمني من سكة بغداد،

من اب ارمني كان ضابطا كبيرا في الجيش الابيض الذي حارب الجيش الاحمر في روسيا و هرب الى العراق بعد خسارته امام الجيش الاحمر و حصل على موافقة بالسكن في سميل - دهوك و تزوج آثرية انجبت له آرا ، و هربا مع ابنهما اثر مذابح سميل و سكنوا بغداد . . و انهما هربا ضمن مجموعة سجناء سياسيين، من سجن نقرة السلطان و سجن بعقوبة . . و قد وجدت بقايا جثة احدهم بعد ان اكلته الذئاب و جثتين لسجينين ماتا من العطش في بادية السماوة، بدلالة الارقام الوشمية المثبتة على اذرعهم التي تشير الى اسمائهم . . السؤال اين يمكن ان يكون هذان الهاربان، و لماذا هذا الهروب الصعب في هذه الفترة ؟؟

- اخبارية من قوادة تعمل لصالح الأمن عن عدد من الشباب من تنظيمات القوميين العرب يقتنون و يجمعون اسلحة ؟ السؤال لماذا و لأية غاية في هذه الفترة ؟؟ بعد قرائته للاخبار دخل في تفكير طويل . . " . . (قوادة تعمل لصالح الأمن) ؟ الا يمكن ان تكون ماري او ريتا او . . هكذا ؟؟ علينا الحذر فعلا. كنت اتصور ان ابن عمي الوزير عبد المحسن هو وحده الذي يقود ثورة و باغتياله ماتت الثورة و مات الأمل، و الحقيقة ان اوساطا متعددة القوميات و الديانات تعمل للثورة . . ناس تجمع سلاح و ناس خطرين محكومين لأنهم ينظمون عسكريين، يهربون من سجونهم رغم كل تلك المخاطر، و المرحوم عبد المحسن تصور ان الثورة تحصل المناقشات، و أني تصورت بغياء انها تحصل من المغامرات مع سيقان النساء و بكشف الفضائح . . و لكن يبدو ان الثورة مشروع كبير يحتاج الى ما تصوره

المرحوم عبد المحسن و ماتصورته انا و يحتاج سلاح و احزاب و عشائر و اموال و علوم و ايمان بالثورة و الله يدري شنو بعد . . و يعني باختصار على كولة اهلنا : " الثورة طك فشك ضد الحكومة، مو شيل زرور " . . و عاد الى جليسه النقيب ممدوح الذي قال :

- شي زين اذا كدرنا نوصل للشيوعيين حتى نعرف ماذا يريدون، هل يريدون تغيير الحكومة الآن ؟ او يريدون ثورة تغير كل النظام السياسي الآن ؟؟ لأنني كما عرفت من جارنا بالاعظمية " خالد السلام " السياسي و اللي على صلة مؤكدة مع الشيوعيين، ان الحزب لديه اهداف بعيدة استراتيجية يعمل لها على مراحل، مرحلة سلمية و اخرى عنفية و اخرى انتخابية . . وهكذا للتقرب من اهدافه البعيدة. المهم ان نعرف ماذا يريدون الآن . .

- بس كيف تعرف ان خالد السلام على صلة بهم الآن ؟؟

- و الله لأنه على صلة شبه دائمة بالشيوعيين السوريين، لصدافته مع زعيمهم " خالد بكداش " اللي ساعده على طبع و نشر كراسه المهم " في الكادر " لديمتروف، اللي ترجمه السلام من الانكليزية الى العربية، و اللي اشتراه من مكتبة مكنزي للكتب الإنكليزية في شارع الرشيد . .

الكراس الذي يوضح خطط تكوين الجبهات للقوى السياسية للحصول على اوسع تأييد شعبي لتحقيق ثورة او هدف كبير تجمع عليه القوى لتحقيق مرحلة ما . . المشكلة اني لا اعرف الان هل خالد في بغداد ام لا، لأنه لم يعد يأتي الى " بار هافانا " حيث كنا نلتقي كل ليلة جمعة . .

- هل تقصد خالد اقارب بيت شيخ رشيد ؟؟

- بالضبط . . شيخ رشيد خاله او عمه

- سأحاول معرفة ذلك من بيت اهلي بالاعظمية

من جهة اخرى . . فمن حبي للطيور و حديثي الدائم حولها و احاديث الخال الكبير زكي عن كيف نقلوا الرسائل عن طريقها ايام الثورة العربية، ثم ايام ثورة عقداء المربع الذهبي في ١٩٤١ التي أعدموا بسببها منهم العقيد " كامل شبيب " والد صديقة أمي . . ست خولة، و من خوف ابي علي من الاختلاط بالمطيرجية سيئي السمعة . . كان ابي يسألني عن اي الطيور أحب و كنت احثه عن طيور الخال زكي من : الزاجل و المحجل و القلاب و التركي و الفارسي و . . التي كنت ازورها اسبوعيا في بيت الخال الذي كان يحذر و يكرر التحذير ايضا من اوساط المطيرجية لسوء اخلاقهم و تعديهم على الجيران سواء برشق الحجارة او بالصفير العالي الذي يزعج و يعكر امزجة الناس، و تجمعات السراق حولهم، و دوسهم على كل عرف و اخلاق للحصول على طير جديد، اضافة الى سلوكهم المنحرف مع الاطفال الذين يحبون الطيور، و شرح لي كيفية نقل الرسائل و اصطحبني بتجربة اخذ فيها حمامة رسائل الى بيت اقاربه في المحمودية الذين كتبوا رسالة صغيرة و ربطوها بساقها، لنجد الحمامة في بيت الخال مع الرسالة و كانت قد وصلت قبلنا الى بيت خالي زكي في بغداد . . و تحدث عن كيف انقذتهم تلك الحمامات في احداث كانوا محاصرين فيها تماما . . و تفاجأت يوما بأن ابي قد اهداني زوج طيور بيضاء جميلة مع بيتونتها المصنوعة من مادة الحصير، و قال : - انها اصيلة و نتركها حرة و ستعود من نفسها الى بيتونتها . . المهم ان نعتني باطعامها و مائها و سيكون ذلك واجبك

. . و لنتمتع جميعا بسجعتها في حالات فرحها، سأثبت البيتونة بقمرية العنب، لتكون عالية و في مأمن من القطط التي كانت تدور في المحلة من بيت الى بيت . . نعم ذلك ماجرى بشكله الجميل الممتع، لكن احدا لم يفكر بأن الشرطة الجنائية (شرطة بهجت عطية) ستكون هي القطط الوحشية التي اختطفت تلك الطيور الحمام عند تفتيشها منزلنا و اعتقالها والدي، و اعتبرتها مبرزا جرميا ضده، كونه (يمارس اتصالات سرية ممنوعة يتوجب عليه التعريف بها) و هكذا ضاعت الحمام الجميلة و سجعتها . . كان والدي قد اهدى والدتي شجيرتا عنب (ديس العنز) المتسلق، التي كانت والدتي تتمنى وجودها في البيت لتظل الطارمة الصغيرة للبيت، و عمل بجهد حقيقي و نحن الاطفال عملنا ك (مساعدين) له لجمع الاخشاب و السيور و وايرات الربط الضرورية، و صنع قمرية جميلة ظلت الطارمة فعلا في الصيف و جعلتها ركنا مظلا طيب الهواء مبردا . .

و في مواسم الصيف الأكثر حرارة، حين كانت تتكاثر و تنتشر انواع الحشرات الطائرة، كنا كاطفال محلة الشيوخ نتمتع و نندافع الى قرب مناسب من فوهة رش مبيدات الـ دي دي تي المتطايرة ابخرتها بقوة من اجهزة الرش التي كانت مثبتة على لوري صغير دوار في طرق المحلة، مخصصا لتلك الاجهزة . .

و كنا ننتظر مجئ سينما التوعية الصحية . . التي كانوا ينشرون شاشتها على حائط بيت الهندي، و ينصبون اجهزة العرض على عدد من قنفات مقهى محمد راغب الموضوعه بعناية بعضها فوق بعض بشكل ثابت، لتكون في علو مناسب لها لإنجاح العرض . . و كان من اشهر

تلك الافلام : افلام مكافحة الذباب و عرض دورات حياتها،
 افلام مكافحة البعوض و دوراتها . . التي تطورت بعدئذ
 الى عرض افلام عن الثورة الجزائرية و عن جميلة
 بوحيرد ايضا .

و لا بد من ذكر ان اشغال الوالد بين كور معامل الطابوق
 منذ الثالثة صباحا، و دوامه المسائي في حسابات شركة
 فريخ و حمد لتجارة سيارات الفوردي . . لم تمنعه من
 الاهتمام بنا نحن اطفاله، بل زادته اهتماما بنا كأنه كان
 يكفر عما يسببه لنا من قلق و خوف عليه و من الشرطة
 السرية، فكان يأخذنا فرادى او معا، الى سينما الخيام
 المقابلة للشركة لنقضي وقتنا ممتعا في مشاهدة افلام ذات
 معنى الى ان ينتهي عمله في الشركة، بعد اتفاق مع عامل
 التذاكر هناك بدفع نصف مبلغ البطاقة في الطابق الارضي
 الارخص .

و من الافلام التي لم انساها و لم انسى دروسها طيلة حياتي
 الفلم الفرنسي بالالوان الزاهية "جيتانو" عن الصداقة التي
 نشأت و تقوت عراها بين الصبي الإسباني مساعد عامل
 الاسطبلات "خوسيه" و ثور المصارعة الذي كان يعد
 لنزالات مصارعة الثيران " جيتانو "، الذي انقذ خوسيه
 من موت محقق من عصابة سرقة ثيران . . بعد ان
 هاجمهم جيتانو بقرنيه الباسلين، و جرى الى خوسيه
 ليطمئن على حياته، لتتطور صداقة متينة بينهما بمرور
 الوقت الى الوقت الذي وقف فيه خوسيه لإنقاذ حياة صديقه
 الثور جيتانو حين ساقوه بممر اجباري ينفتح على ساحة
 المصارعة فقط في موعد كان المصارع متهايا فيها للنزال .
 تمكن خوسيه بمخاطرات من فتح كوة جانبية في الممر
 الإجباري ليهرب الاثنان معا الى ولاية اخرى تتوفر فيها

الحرية الضامنة لحياتها و صداقتها . . .

في بيت عمي في ذلك الصيف، سمعت لأول مرة ان جارتهم مريم الصغيرة الجميلة زوجة القاضي نعمان، كونها كورجية (جورجية) التي لجمالها النادر حار البعض باصلها، ومنهم من قال انها فارسية او آذرية . . سمعت بانها كورجية من جورجيا، و انها من عائلة رقيق (عبيد) استطاع احد ابناء الفضل الملقب ابوه في المحلة بـ (صريصر)، الذي صار قاضيا كهلا، ان يشتريها و يتزوجها

و سيطر ذلك الموضوع على تفكيري الطفولي كلما رأيتها . . كيف اشتراها ؟ هل يستطيع المرء ان يشتري امرأة ؟ و من اي دكان او معرض ؟ هل يستطيع الواحد ان يشتري انسان ؟ احتمال انها ليست انسان او من الملائكة او من الجن الطيبين الذين سمعت عنهم من احاديث جدي أمينة عن ان الجن الطيبين يكونون حلوين و لا يعملون الا الخير

سألت والدي عن الرقيق و من هم، هل هم عرب او من اية قومية ؟ و كيف يشتروهم و من يبيعهم، اجابني اجابة مختصرة عن انهم في الغالب من جورجيا و هم مرغوبون لجمال نسائهم و رجولة اجسام رجالهم و ضخامتهم، و كانوا يأخذوهم عبيدا لخسارة وحاتهم في الحروب و لم اعرف اية حروب، او من خلال اعمال غدر و سرقة تقوم بها عصابات و يبيعوهم و يحصلون من ورائهم اموالا طائلة، و تأريخيا صارت هناك مراكز لبيعهم في البصرة و البحرين و جدة . . و ان الإسلام و الاديان السماوية تحرم

الرقيق.

و بعد نقاشات و نقاشات مع ابنة عمي الصغرى هناوي عن الرقيق، و كم هم مساكين و انهم يأخذوهم اسرى او يختطفوهم من اهاليهم، توصلنا انا و هناوي و ما سمعته هي من نتف من اخواتها، بأن مريم حزينة جدا و تبكي من حين لآخر، لأنها تحن لأهلها و لاتعرف اين هم و لا عنوانهم، و انها لا بد ان تحمل ختم او وشم على جسمها و في مكان خفي، مكتوب فيه من هم اهلها و من اين جاءت، لكنها لاتعرف مكانه رغم بحثها المضني عنه . . و حلفت لهناوي، باني سأجده و (سأحدثك عن مكانه و ماذا فيه). و ذات يوم حضنتني مريم بقوة و قبلتني و دعنتني الى بيتها لرؤية ببغاء الأمازون الجديد الذي اهداها اياه زوجها القاضي نعمان و الذي تعلم عدة كلمات عربية مهمة حتى الآن، كما قالت . . . و ذهبت عدة مرات الى بابهم لرؤية الببغاء و لكن الباب كان مغلقا و من ترديدي او خجلي لم اطرق الباب و عدت الى بيت عمي. و في ظهيرة تالية، وبينما كنت انظف عتبة باب البيت بعد ان كثر الحاح زوجة عمي على البنات بضرورة تنظيفها و تناقلن من ذلك و كلفنتي بذلك بقبلات محبة و نستله . . نادتني زوجة القاضي من فتحة باب بيتها الملاصق لباب بيت عمي، نادتني للدخول لرؤية الببغاء لأنه كان هادئا كما قالت .

دخلت من الباب المفتوح الذي اغلقته ورائي، وشاهدت في الممر البارد ذي الضوء الخافت، الذي كانت لاتصله الشمس رغم انها تضيئه، و فوجئت و بفرح كبير برؤية الببغاء . كان طيرا كبير الحجم ملونا بالوان عديدة غلبت عليها الوان الأحمر والأخضر والأصفر بعيون دائرية

واسعة . . كانت ساقه مربوطة بسلسلة صغيرة لماعة، و كان يكرز من وعاء البذور الموضوع امامه وينظر الى القادم و من هو . . بين آن و آخر، و التزم الهدوء بعد ان قالت له مريم (صديق).

وبعد ان قالت لي اني استطيع ان اراقب البيغاء عن قرب وحذرتني من ان المسه او اصيح عليه . . دخلت هي الى الحوش المفتوح الخالي واندلقت بخفة الى احدى الغرف الداخلية، التي كان جدارها المطل على الحوش عبارة عن شباك زجاجي كبير . . بقيت اتابعها بنظراتي ناسيا البيغاء بشعور الباحث عن الوشم و لشعور اجتاحني لم أعرف كنهه . . شعور و رغبة بالمغامرة قادتني الى الذهاب بحذر الى تلك الغرفة التي لم يكن بابها مغلقا وانما كان مفتوحا نصف فتحة .

بقيت اتابعها بنظري بكل حذر من فتحة الباب ورأيتها تخرج من باب الحمام في تلك الغرفة، كانت عارية و تتشف نفسها بمنشفة بيضاء كبيرة، و اخذت تلبس و تبدل ملابسها بحركات خيل لي انها كانت تعرف اني اتابعها . . رأيت مريم الصغيرة الحجم بين النساء وهي تعدل وضع ثديها الأبيض البض الخالي من اي وشم ، وترتبه في الحمالة الخفيفة التي كانت توثق شدها، و كذلك بطنها و ساقها و كانتا خاليتان من الوشم، في مشهد كان كالذي في الاساطير و الافلام، لم استطع تحويل نظري عنه . . ثم عدت سريعا الى البيغاء الذي اخذت انفرس فيه، من منقاره الى ريشه الملون الجميل وحتى مخالفه القابضة على مسنده .

وبينما كنت اشرب اشربت عصير البرتقال الذي اعدته لي مريم شممت رائحة عطر ازهار البرتقال (القдах) الذي

كان ينبعث منها في العادة، و لم استطع مقاومة التلصص الى وجهها الجميل وتديبها البارزين بينما كنت المح شبح ابتسامتها وهي تداعب شعري قائلة :

- ولك ملعون . . اكبر حتى تشوف العجب !

- و لم اعرف من اين واتنتي الجرأة و سألتها :

- خالة مريم اشو ماعندج وشم على جسمك؟؟ يعني مو الرقيق عدهم وشم دائما؟؟

- ولك ملعون انت كنت تراقبني و آني طالعة من الحمام شبه عارية؟؟

- نعم خالة مريم . . كنت ادور على الوشم اللي بيه عنوان اهلكم.

سكتت و ذهبت في خيال بعيد و قالت و العبرة تملأ صوتها :

- نعم عيني حبيبي . . باعوني بسوق العبيد في تفلين و انا عارية مع النساء العاريات و كنا في قفص كبير . .

- زين شلون و ليش؟؟

- والدي الفلاح كان عليه ديون كثيرة بسبب شراء الادوية لوالدتي المريضة بالقلب، و بسبب خسارته بالقمار و ادمانه على الكحول . . و امام تهديد الديانة، باعني لهم مقابل الغاء الديون . .

اخذت تبكي و تقول :

- اغتصبوني مرارا ثم باعني واحد للأخر، و الأخير عمل لي وشم او ختم فيه اسم عائلتي و اسم القرية لأن المشتري الجديد ليس جورجي و قال . . (احتمال تريدين فد يوم ان تزوري او ترجعي لأهلك) و لكن نسيت اين بالضبط عمله على جسمي، لأنهم خدروني و لأن دك الوشم او الختم

ممنوع و يعاقبون عليه بالقتل هناك، و لذلك لازم يكون في مكان مخفي . . طلبت من نعمان مرآة كبيرة لأفتش عن مكان الوشم و طبعاً لم اخبره لماذا، و لكنه دائماً يقول انه ينسى او (ماذا تعملين بمرآة كبيرة و انت صغيرة)، و اكملت :

- ماذا رأيت من جسمي و وجدت انه دون وشم ؟
 اخبرتها بما رأيت من فتحة الباب . . و قالت بلهجة جدية
 أمرة لأمر لايد منه لها :
 - حبيبي انت تشبه اخي الصغير و انا اثق بك . . سأنزع ملابسني و انت دقق جيداً من جديد و على كيفك حتى اعرف اين الوشم، سأقفل الباب الخارجية و باب الغرفة ايضاً، حتى لايتصلص علينا البغاء و احتمال يخبر زوجي لأنني أحس انه اشتراه ليراقبني . . نزعت ملابسها و وقفت عارية تماماً و قالت . . دقق زين حبيبي
 على :

- ظهر عنقي و ها انا ارفع شعري، ظهري من اعلى الى الاسفل و ظهر ساقي من اعلى الى الاسفل، جانب ساقي من الخارج من اعلى الى الاسفل، جانب ساقي من الداخل من اعلى الى الاسفل، سانام على ظهري و ارفع ساقي و افتحهما و دقق بين ساقي من الامام و من الخلف . . دقق على كيفك و لاترتبك و لا تخاف . . أني مثل اختك الكبيرة. و بينما اعتراني خوف و ارتباك من مجهول و من مهمة كانت في البداية مغامرة لذيدة، صارت كابوساً لايد من المرور به و تحديه، لمساعدة مريم الغائصة في بكائها الذي لا يتوقف . . صحت بصوت عالي :
 - هناك شئ مثل ختم محروق بين ساقيك الى الخلف على اليمين .

- الحمد لله الحمد لله وجدته، اشر عليه باصبعك و اضغط عليه لأحس اين هو بالضبط . . .
 - ساضع اصبعي عليه و اضغط حتى تحسني . . .
 - نعم عفيه عفيه عليك حبيبي . . انا عرفت هسه اين و سأخبر بنت عمك الكبرى ساهرة لتقرأه بمكبرة او تجد طريقة لتسجيله . . .
 و فيما رفعتني بشكل لا إرادي و قبلتني و هي تردد آيات الشكر و العرفان . . فجأة قرقع صوت المفتاح وهو يدور في قفل الباب لينفتح الباب بدفعة قوية و كأنها ضربة، و دخل زوجها القاضي نعمان ذو الشعر الأشيب الطويل والمصنف المفروق بعناية و صاح :
 - بنت الكلب ماذا تفعلين و انت عارية مع هذا الصبي على فراشنا ؟؟
 انزلتني بسرعة على الارض و هي تتلقى صفعاته و ركلاته و هي تقول له :
 - شعرت بوجود قمل على جسمي و الولد يساعدي على اصطياده بعد ان طلبت انا منه ذلك !!
 و كان القاضي ينظر لي بشزر و تحدي و كأنما كنت غريمه . . سحبني من كمي و جرنني بقوة الى خارج الدار و هو يصيح في باب دار بيت عمي :
 - ابو عدنان تقبل هيجي يصير ببيتك ؟؟ تقبل هيجي يصير ببناتك ؟؟ هذا يمكن يكون وحش، متعلق باحضان زوجتي و هي عارية خارجة لتوها من الحمام . . أني راح أهجم ببيتكم و سأشتكي عليكم بالمحاكم بقضية شرف، هذا الله يدري شنو عمل و سوى بإمرأتي . . سأخبر د. سلمان فائق الذي اثق به و اشوف حكمه الطبي الاولي . . !!
 اشتعلت النيران في اعصاب عمي و سحبني بقوة و هو

يقول
 - ولك !! تشيل غراضك و تروح الى بيت ابوك !!
 في ذلك الوقت خرجت مريم مورمة الوجه و العيون و هي
 تبكي و تصيح :
 - خالة ام عدنان . . كل هالحجي كذب لاتصدقون، كان
 الصغير يساعدي على قتل القمل ، آني طلبته و توسلت بيه
 هالمسكين !!
 و بلا صوت خرجت الخالة راجحة بطولها و بعمتها
 النسائية السوداء و هيبته التي اخرست الجو، و صاحت
 بصوت عالي:
 - ويلك ياقاضي النحس !! . . لك هذا كله خريط من
 حضرت جنابك، هيجي تحكم بين الناس ؟ لو هاي الحلوة
 الكرجية جننتك؟؟ و الله و ثلاثة اسم الله لأفضحك بالمحاكم
 و يسحبون رخصتك اذا ماتسحب كلامك . . احجيلهم شنو
 اللي سويت و تزوجت هاي الوردة الكرجية الله يستر
 عليها، قندرتها تشرف راس ابوك صريصر !!!
 لاتضطرنني اكمل . . خلي مريم عدنا هسه بعهدتي و ادخل
 بيتك و سد بابك عليك و آني ارجعها لك بعدين، و انت ابو
 عدنان صير عاقل و لاتتدخل . . تعال ابني السبع . . و
 طبطبت على كتفي و سحبتني بلطف اليها، و الى غرفتها.
 جلست الخالة راجحة بعمتها المزكرشة السوداء و بفوظتها
 السوداء . . بوجهها الابيض الشاحب العريض، و قالت لي
 بابتسامه غيرت معالم وجهها و اشرقته، الابتسامه التي
 رأيتها للمرة الاولى عليها، و هي المرأة التي تهابها كل
 العائلة و محلات الفضل و المهديه و قنبرعلي . . و قيل
 الكثير عن فضائلها :
 - اجلس ابني هنا و اشرب ماي من المشربة اولاً . . امي و

ابويه انت اريدك تحجيلي هاي شنو صار ؟؟ صدك حجابة
 القمل و اشلون تعرت هاي الحلوة مريم و انت بالغرفة ؟؟
 - نعم خالة، بس يعني مو عيب اتكلم و وعدت مريم انه
 يبقى سرا بيني و بينها ؟؟
 - نعم عيني كلامك حق . . بس آني أمك الكبيرة اللي تحفظ
 السر و تصونه و اسأل والدك و والدتك و امرأة عمك و
 عمك عني . آني احفظ سرک بحق لا اله الا الله و حق
 محمد رسول الله !!

-

- اشو ساكت حبيبي ؟؟ انت تحب مريم ؟؟
 - اي خالة احبها لأنها انسانة طيبة و مظلومة و تخدم الكل ،
 مو صحيح ؟
 - اي خالة صحيح . . بس مو تتعري امامك، لأن عيب و
 أمر محرم و قد تصل عقوبته الى الموت عائليا . . هل
 صار امامك مثل هذا الشي من بناتنه و نسواننا قبل ؟؟
 المرأة اللي تحترم نفسها ما تسوي هالشي ابني . .
 - بس خالة ، هي كانت مجبورة . . مضطرة، حتى تعرف
 اهلها منو و اين ؟؟
 - اي عيني هي المسكينة ماتعرف اهلها منو و اين و تبكي
 ليل نهار لهذا السبب . . بس اللي ماتعرف يعني تتعري
 امامك حتى تعرف ؟ لو شلون ؟؟ و انت منين تعرف ؟؟ لو
 قل انت حبيبتها اكثر و هي عارية صحيح لو مو صحيح ؟؟
 - لا و الله خالة آني خفت و ارتبكت بس كان لازم اساعدها
 حتى تعرف مكان الوشم و هي تبكي !!
 و اطرقت الخالة راجحة و سكتت الى ان سألت :
 - عدها وشم و ماتعرف اين ؟؟ المسكينة . . احكي لي خالة
 حتى افهم لأن انت بكلامك هذا خبصتها علي، انت رحمت

الى بيتهم و بعدين . . . ؟؟
 و امام كلماتها و تساؤلاتها الهادئة و تضامنها مع مريم
 شجعتني ان اتحدث لها ماحصل من رؤيتي للبيغاء الى
 مجئ القاضي نعمان، و انا واثق من ان السر لن يخرج
 للعلن ابدا . . و بقيت الخالة تسمع بصمت الى نهاية روايتي

 قالت :
 - غفيه عليك ابني . . شوف انت دا تصير رجال، و الرجال
 لا يتصلص على بنات العالم و هن عرايا . . كان لازم من
 البداية تطرق الباب او تصيح (السلام عليكم) مثلا حتى
 تنتبه المرأة، مو تتصلص عليها من فتحة الباب مثل
 الحرامية و المجرمين
 - خالة، آني ردت اساعدها و خفت انها تردني لأن ماتعرف
 اني قصدت اساعدها
 - ابني ماكو مساعدة لشخص امرأة او رجل دون علمه . .
 و الا يعتبر تعدي !! لو كان عدنان ابن عمك اللي كان
 ممكن يصير طبيب وقتها، بمكانك، كان يستأذن اولاً . . .
 ارتبكت من تلك المقارنة و قلت :
 - العفو خالة . . بس عدنان رجل و اكبر مني . . .
 - انت هم رجال لا تصغر نفسك . . لك انت اللي سويته
 رجال مايجرؤون يسووه و حافظ على سر البنية مريم و
 سأعمل اللي اقدر عليه لمساعدتها . . بس انت الم تسأل
 نفسك ليش عدنان و ربعه بالسجن ؟؟
 - لأ خالة . . بس كلنا حزنانيين عليهم . . .
 - ابني هذول عملوا و اشتغلوا في سبيل الناس و خاصة
 الفقراء و الضعفاء منهم و الفلاحين الفقراء و عوائلهم اللي
 تشكي نساءهم و بناتهم من مصير مريم على يد الاقطاع و
 جشعهم غير مبالين بما حرم الله و رسله، اسأل خالتك

وجبهة ام مزهر المحكوم بنقرة السلطان كم شابة انقذت في
الفرات من هالمصير . . . هذول المناضلين عملوا في
سبيل الخبز و الحرية و المعرفة للجميع، لذلك حكومات
السفلة و السراق و الظالمين تخاف منهم و تعتقلهم . . و
حتى بالسجون تخاف منهم، ماشفت السلاسل اللي شاديهم
بيها وهم في السجن، ماشفت شكذ ناس تزورهم من كل
القوميات و الاديان . . لأنهم يعطونا القوة و الشجاعة
للتحدي و الأمل بالحياة الكريمة . . هذوله هم " العراق
المنصذك " و نعيش و نعمل حتى نصير مثلهم ابني السبع
. . روح براحتك ابني الله يوفقك و زورني كلما زرت بيت
عمك.

خرجت من غرفة الخالة راجحة الواقعة في طرف البيت .
الغرفة النظيفة و المرتبة الحاوية على اصص ازهار و
اعشاب عطرية، برقوقها المملوءة بانواع الكتب و الفايالات
و المجلات . . و بانواع المعاملات الموضوععة على
منضدة واطئة كانت عليها نظاراتها . . خرجت و انا احس
بالثقة و بأني عملت عملا كبيرا، جعل الخالة رابحة تهتم
بي شخصيا و تناقشني بدون تبويس و احتضانات، و
احسست بحاجتي الى التفكير بما قالته لي، و الى اعادته
مرات و مرات لأفهمه افضل . . احسست بكوني صرت
انسانا جديدا.

اخافة الوصي . ١٤ .

الوصي

اخافة

في حوالي عام ١٩٥٦ دخل التلفزيون لأول مرة بالاسود و الابيض في العراق و قيل ان اجهزته كانت من شركة " باي " البريطانية من خلال فرعها في المعرض الصناعي - الزراعي، الذي كان احد برامج مشروع الإعمار في ذلك الوقت، و قد احدث ضجة كبيرة في الأوساط الشعبية و بين الاطفال الذين فسروه على انه سينما بيتية كانت تعرض فلما كل يومين بعنوان " فلم السهرة " منها فلم عربي مصري في ليلة الجمعة و يوم الجمعة .

كان البث يبدأ مساء في حدود الساعة السادسة . . و في المحلة القديمة اشترت عائلة الخبازة صبرية جهازا للتلفزيون، وضعوه في ساحة البيت الداخلية و وضعوا حصرانا على الساحة للجلوس، و كانت الدخولية كل نفرين ب (عانة) لرؤية كل برنامج اليوم . . فكنا نتجمع كاصدقاء محلة و نذهب لمشاهدة التلفزيون في بيت صبرية .

الذي كان يقع مقابل بيت الممرضة و القابلة الشهيرة في المحلة " سستر حسبية " ، في ركن زقاق قديم غير نافذ، تركه ساكنيه اثر حريق شب فيه قبل سنين و التهم سناشيل البيوت فيه، و بقيت البيوت خالية عدا

ساقية الماء الأسن الفذر التي كانت مستمرة بالجريان .
 في اليوم الاول لذهابنا شاهدنا " حسون الامريكي " كان جالسا في
 السره الاول، كأحد المشاهدين البارزين و المشجعين للاطفال
 للحضور، و كان حسون مضمدا في المستشفى الملكي، و اكتسب شعبية
 كبيرة في الاعظمية بهندامه التنظيف بمودات الملابس الامريكية،
 صحبة دراجته الهوائية الحديثة النظيفة، و كان يشاع عنه انه احب
 الحياة على الطريقة الامريكية التي لبسته تماما، و كان يتحدث بلغة
 انكليزية لانعرف مدى صحتها و حدودها، و كان ذا روح فكاهية . . و
 احب ان يعيش في الجو الامريكي بالملابس و النكات و الحركات و
 الاحلام و الاوهام . . من خلال افلام الكابوي و عموم الافلام
 الاميركية و قصصها و نسائها الشقراوات.
 و كان مما يثير تساؤلاتنا جلوس عدد من النساء بحجاباتهن لرؤية
 التلفزيون، لأنه من العيب ان يشاهدن الرجال في التلفزيون و هن
 بملابس البيت او مفرعات . . لأنهن كن يعتقدن بشكل جازم ان
 التلفزيون لا يخلو من رجال (من صدك) و لكن كيف ؟ بس الله يعرف،
 كما كن يرددن . . و لدى مناقشاتنا معهن ترد متزعمتهن (لك انت من
 كل عقلك ان اللي داتشوفه مو رجال بطول و عرض و ب . . يعني
 شلون تقبلوها ان نجلس امامهم و احنا شبه عاريات !! . . لك
 ماتستحون ؟ ماعدكم غيرة على امهاتكم و خواتكم ؟؟) .
 و تقول اخرى (احنا من الراديو ناخذ حذرنا عندما يتكلم رجال، رغم
 انه مو ظاهر للعين ، هالنوبة من التلفزيون و مبين واضح ينظر الينا
 دون خجل و لا مستحه . . بس العيب عليكم انتم ماتهتمون بسمعة بناتكم
 و نسوانكم، لأن هي هاي بداية طريق الشيطان، و كان الشيطان لربه
 كفورا، صدق الله العظيم . .) . و في جلسة التلفزيون كان بعض
 الاطفال يبيعون : اقداح من الشربت، قطع حلويات من اللوزينة،
 الداطلي و البرمة الكاسدة التي لانعرف من اين اوتي بها، اضافة الى
 حب الرقي (بذور الرقي) المطبوخ و المقلي بالماء و الملح و غيرها

من المواد، مما تقرره صبرية الخبازة . . و باسعار متهاودة. في زمان كان فيه الاطفال الموجودين في بيوتهم يبدأون باللعب من الصباح الباكر في البحث بين الكراسي و القنفات في المقاهي الفارغة، عن علب السكاثر الفارغة و تجميعها، لصنع بيوت الكرتون بلصقها الى بعض و حسب نوع العلب، علب سيكاير غازي الذهبية و لوكس البيضاء و الاكثر جاذبية علب كات Cat ام اليزون و علب البحار، و كنا نتبادل انواعها بيننا، حسب الرغبة و الحاجة في بناء بيت كارتوني ذي جاذبية. اضافة الى العلب الأسلاك المعدنية و استخدامها في بناء سيارات و لوريات حمل كلعب، التي طورها بعضنا باستخدام بطريات جافة، لتشكيل اضوية ليلية، زمارات (هورنات) لتلك الالعب. و ذهب آخرون الى عمل و تصميم طيارات ورقية بشراشيب زاهية، باحجام متنوعة حتى ظهرت العلب الطيارات الورقية التي تهاجم الأخرى و تحطمها او تقطع خيطها الرابط، باستخدام معجون من خليط مكون من الزجاج المطحون (الكزيز او القزاز) و الصمغ و شئ من الطحين . . و تلويث الخيط المستخدم للطيارة المهاجمة به و جعله حادا قاطعا . . اضافة الى لعبات تتراوح من ارسال صور الى الطيارة بواسطة خيطها، و ارسال قنديل مكون من علبة كرتون خفيف صغيرة محاطة بورق شفاف تحتوي شمعة صغيرة و هي تشتعل الى الطيارة بواسطة خيطها، الذي يتطلب خبرة و تفنن من الاطفال الاكبر سنا و الا يشتعل الخيط او الطيارة او كلاهما . . و كانت تلك الالعب تزدهر في مواسم و تخف في مواسم اخرى، وفق نشاط السوق الذي كان يبيعهها و يبيع موادها.

في ايام الخميس كنت ارافق جدتي لمساعدتها بحمل المواد التي كانت تعدها للتكية النسائية التي كانت تقع في المحلة المقابلة لمحلة النصة، في الجهة الاخرى للشارع الواصل الى مرقد الإمام ابو حنيفة النعمان و كنا نمر بين تلال الرمل و المواد الإنشائية التي كانت تعد و تستخدم في عمليات الحفر و بناء الجسر الجديد و الشوارع الضرورية المرتبطة

به، الجسر الذي كانت تدور حول تسميته نقاشات و نقاشات حادة بين تسميته (جسر الاعظمية) او تسميته (جسر الكاظمية) الى ان تم التوصل الى حل وسط بتسميته (جسر الأئمة) .

كنا نحن الاطفال نسمع امورا تدهشنا او نستغربها و نثير الفضول عندنا لمعرفة الحقيقة فيها، ففي ذات يوم جاءنا برهوم فرحا بخبر انه استطاع تسجيل عزيز ابن الحفافة اليهودية لميعة رسميا !! ، للحاجة الملحة لأوراق رسمية له للتسجيل في المدرسة الابتدائية. و عرفت بأن عزيز ليس لديه دفتر نفوس اصولي، الذي بدونه لايمكن اعتباره مواطن عراقي، و لا يعتبر رسميا ابن امه و ابيه، و لا يستطيع التسجيل في مدرسة و لايمكن ذكره او حسابه في اية معاملة حكومية. و فتح ذلك الموضوع الكثير من التساؤلات . . لماذا و كيف؟؟ لأنه يعيش في بيت امه و ابيه و هو ابنهم . . و تبين ان خلف الموضوع حكاية مأساوية مؤلمة، فالحفافة اليهودية لميعة في مطلع شبابها احبت ابن الجيران عباس الذي كان متدلها بحبها، و بسبب احداث الفرهود ضد اليهود العراقيين و إجبارهم على التأسلم و الا عليهم مغادرة البلاد في خطة رتبها الدوائر الصهيونية مع المستعمرين البريطانيين و اذنبهم من الحكام، لإجبار اليهود العراقيين على مغادرة البلاد و الذهاب الى اسرائيل، و نشطت لذلك انواع الدوائر و العصابات، در عليها اموالا طائلة من جهة، و رسم مخططا سياسيا خبيثا بقي يلعب ادوارا متنوعة الى اليوم.

و قد رفضت لميعة التأسلم لأنها يهودية و تعنز بديانتها من جهة، و رفضت مغادرة العراق لأنه وطنها الذي ولدت و عاشت فيه و احبته و لا يمكنها الحياة دونه، و صارت امام خطر التهجير بالقوة على يد الشرطة او على يد عصابات شقاوات اجرامية . . فتركت وظيفتها في مدرسة البنات اليهوديات الواقعة في عطفة نهاية السوق القديم، التي بقيت بنايتها بزخارفها و فنها المحفور على جدرانها، بناية متروكة بعد تلك الاحداث.

تركت لميعة وظيفتها و اختفت في بيت اهل عباس الذين احسنوا استقبالها و حافظوا على سرها ، بعد ان تركت اهلها الذين أجبروا على ترك البلاد بلا رحمة وسط بكائهم و عويلهم . . و عملت عائلة عباس على تزويج ابنهم بها بعد اعجابهم بها و بحسن اخلاقها و خلقها، لتكون اقامتها شرعية بينهم، و كانت قضية زواجهما شبه مستحيلة رسميا، كما قيل حولها، و بقي زواجهما غير رسمي و دون عقد زواج . . و بعد سنوات و بجهود كبيرة استطاع برهوم بعلاقاته النافذة ان يستحصل لهما على موافقة رسمية على الزواج كحالة استثنائية، من مكتب المرجع الإسلامي الأعلى للديار العراقية السيد الواعظ، فتزوجا رسميا .

و اشتغلت لميعة بمهن متنوعة للحصول على راتب يكفل عيشها و مصرفها لأنها لم تقبل ان يصرف عليها احد و يكون سيدا عليها، و ساعدها ابناء المحلة فاشتغلت ك : مدبرة منزل، معينة في مستشفى بمساعدة غنية زوجة برهوم، خياطة بمساعدة ام عباس، حفاقة بمساعدة جبران آخرين . . الى ان استقرت كحفاقة، و ولدت ابنها البكر عزيز الذي لم يستطيعوا تسجيله رسميا لأنه من أب مسلم و أم يهودية و هو أمر غير مذكور او لا يتطابق مع القوانين الشرعية الرسمية المعمول بها في البلاد آنذاك.

و تبين انه بعد سنوات اخرى و بسبب متابعة برهوم الكثيفة و لكونه صحفي، استطاع معرفة ان قانونا جديدا صدر (بلا اعلان عنه) و لانشر في صحيفة الوقائع العراقية الرسمية، يعالج تلك المشكلة و يحلها شرعا . . . بعد ان حفظ اهل المحلة سر الحفاقة لميعة و تلك المشكلة و حفظوا بذلك سر تلك العلاقة السامية الطاهرة التي جمعت حب الوطن و العشق الطاهر و الإخلاص في سبيله . . و الدور الإنساني للسياسي الوطني الذي يحب شعبه بالوان مكوناته .

.

بعد فراق شهور، زار سعدون رحيم الذي استقبله بالاعناق و بأحر التحيات على سلامته من حملات الاعتقالات التي جرت اثر انتفاضة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي على مصر، و بعد تبادل انواع الاحاديث و في مقدمتها الاخبار عن عدنان و عن مزهر المعتقل في نقرة السلطان .
 . اخبر سعدون رحيم عن اخبار استخبارات الفرقة الثالثة التي افادت بهروب نشطاء شيوعيين ممن يعملون بالمجال العسكري و استفسر عن مغزى ذلك، و عن كراس " في الكادر " و خالد السلام .
 و بعد سنوات قال سعدون عن اجابات و ملاحظات رحيم بأنها كانت مهمة و مفيدة كثيرا عن حقيقة ما كان يجري و الذي نقله الى النقيب ممدوح، حيث افاد رحيم عن النشاط في الجيش:
 - ان الحزب لايعمل للقيام بثورة مسلحة او انقلاب عسكري، لأن لافائدة من ورائه و خسارته اكبر من فوائده . . و ان الحزب يناضل سلميا من اجل تطوير العراق و من اجل الحرية و الديمقراطية، و ان من ينشطون في الجيش، يعملون من اجل توعية الجنود و الضباط الصغار بحقوقهم، ازاء استغلال الطغم العسكرية الحاكمة و المنتفذة في الجيش .

فالجندي المساق الى الخدمة العسكرية بالقوة يعامل معاملة اسوأ من معاملة الحيوان و لاتزال الحملات العسكرية لسوق المجندين الجدد بالهجوم على القرى تجري، و ضرب الجنود يجري كما لو كنا في زمن العصملي (العثماني)، و لذلك فهم كأي قطاع من قطاعات الشعب بحاجة الى من يوعيهم بحقوقهم كبشر، و يعلمهم القراءة و الكتابة، و الى من يعمل على تنظيم احتجاجاتهم على المعاملة القاسية التي يعاملون بها و الرواتب الضئيلة التي يتقاضوها تحت غطاء (خدمة العلم الإلزامية)، اضافة الى تحديث ثقافتهم و ثكناتهم و اسلحتهم و مدارسهم المهنية، لخلق جنود ماهرين و اصحاب مهن و مهارات تطور الجيش و تطور ابناؤه .
 بدلا من استغلالهم و سوقهم من قبل المستعمرين و اذناهم لتنفيذ و

خدمة مخططاتهم، بلا مبالاة بارواحهم كما حدث في حرب فلسطين و فضائح الاسلحة الفاسدة التي راح ضحاياها مئات الجنود . . بهذه الوجهة ينشط الحزبيون و ليس بتنظيم و تدبير مؤامرات و انقلابات، الا ان حكومات نوري السعيد تعقلهم و تحكمهم احكاما قاسية، و تتهمهم بشتى التهم التخريبية . . و يؤيد الحزب كل تحرك او حركة وطنية تنجح في وضع البلاد على طريق التقدم و الازدهار، بل و يسعى لمساعدتها و تنظيمها على اساس الفكرة الرئيسية لمؤسس الحزب فهد : " قوا تنظيم حزبكم، قوا تنظيم الحركة الوطنية " ، في بلد يعاني من الظلم و التخلف و الفقر و المرض و الأمية. اما عن خالد السلام فهو مثقف يساري معروف و فعلا ترجم كراس (في الكادر، لديمتروف) بمساعدة الشيوعيين السوريين، حول مواصفات و ماهية النشاط الحزبيين، و لدى ديمتروف كتاب موسع عن (الجهة الوطنية) حول تكوين الجبهات و شروطها الذي لم يترجمه السلام، و تكمن اهميته في شروط عقد الجبهات و الا تتحطم و تتحطم احزابها، ففيما نجحت و ادت الى انتصار ثورة اكتوبر في روسيا، فإنها فشلت في الصين و ادت الى قتل مئات الآلاف من الشيوعيين و الديمقراطيين و انصارهم هناك على يد (جان كاي شيك) زعيم القوميون الصينيين المتعاون مع المحتلين اليابانيين . . و شرد سعدون بعيدا في افكاره و هو يردد مع نفسه (صدك احنا الضباط و لا واحد منتبه لحقوق الجنود و انهم بشر مثلنا، و نعتقد انهم جزء من الماكنة العسكرية التي علينا تشغيلها بهم و تذكر عبارة (الجندي حيوان اليف، يمشي كما يبغي العريف)، و فعلا هم حطب نيران المعارك بالاوامر و العقوبات الصارمة من الضرب و الجلد و السجن و الى الرمي بالرصاص في حالات المعارك، و الحملات المسلحة لقمع انتفاضات الفلاحين الفقراء و ماحدث من مجازر بحق الكرد و ابناء الديانات الاخرى، و مقاومتهم الباسلة . .

في تلك الفترة زارنا برهوم و دخل في نقاشات مطولة مع والدي عن موضوع الاسلحة لحماية المتظاهرين و سمعت منه التالي، قال برهوم :

- ناشطو الاحزاب و المنظمات القومية يرون انه من الضروري ان تتشكل جماعات لحماية المظاهرات و بدأوا بتحضير اسلحة لذلك من علاقات مع مهريين ينشطون في مناطق المحمرة و في مناطق كردستان، و يقولون بأنهم لن يدعوا شرطة بهجت العطية و ازالهما من الشقاوات يهاجمون و يقتلون و يجرحون و يسوقون المتظاهرين الى السجون، كما حصل في مظاهرة استتكار العدوان الثلاثي على مصر في شارع الشباب، و كما حدث حين هاجموا كلية الملك فيصل و قتلوا و جرحوا العديد من الطلبة . . خاصة و ان التظاهرات تزداد من زمن العدوان الثلاثي على مصر الذي كشف حقيقة اسرائيل و حقيقة دول الغرب و سياساتها تجاه المنطقة و بلادنا .

- عزيزي برهوم، دع عنك التفكير باستخدام الاسلحة النارية لحماية المتظاهرين، لأنك ستدخل في صراع غير متكافئ و لا معقول مع الحكومة التي تستطيع استخدام انواع الوحدات المسلحة و تستطيع زج الدبابات و المدرعات لضرب المتظاهرين و حماية افراد وحداتها، دع عنك، ان ذلك سيتسبب بسقوط اعداد كبيرة قتلى و جرحى من الطرفين و سيتسبب بسوق متظاهرين بتهم حيازة اسلحة غير مرخصة . . . و لاتنسى بأن ابناء القوات المسلحة هم اخواننا و انهم يساقون بالوامر العسكرية و الا يعاقبون بعقوبات قاسية، علينا تحييدهم و كسب تأييدهم لنا . . ممكن استخدام وسائل للدفاع عن النفس اللي تصل الى استخدام الحجارة و بحدود الى استخدام العصي للدفاع عن النفس . . و لاتنسى ان التظاهرات هي وسيلة للتوعية و لرفع استعداد الناس لتأييد اية حركة وطنية تسعى للتغيير، و ليست وسيلة لتغيير نظام الحكم بالقوة . . من جهة اخرى، و بجهود الرائد ممدوح و توجيه الزعيم قاسم و

علاقاته، تم نقل سعدون الى مقر قيادة الفرقة الثالثة في معسكر سعد في بعقوبة، لحاجتهما الى من مثله هناك دون تبيان اية تفاصيل ، في وقت تزايدت العلاقة بين الرائد ممدوح و الملازم اول سعدون وثوقا . ذات مساء في النادي العسكري في بعقوبة، وفي ساعة متأخرة من الليل و على مائدة شرب و عشاء ، قال الرائد ممدوح ، وهو يرد على تهاني صديقه و ابن دورته - كما تبين لاحقا - سعدون له بمناسبة ترفيته الى رتبته الجديدة وفق قوائم الترقيات في يوم الجيش:

- اشكرك عزيزي سعدون ابو رعد . . يا ابن دورتي العسكرية على تهانيك القلبية التي لاتعكس الا سمو اخلاقك . . . ولكني اتساءل لماذا لم تشمك الترقية و بقيت برتبتك، هل لديك عداوات ؟
- عزيزي . . ابن العشائر دائما عنده عداوات، مثلما لديه صداقات و تحالفات.

- لا اعرف لماذا يقولون عنك ، انك من المغضوب عليهم . . لا اعرف لماذا ؟ و لا ارى اية شائبة فيك ، فكل حياتك العسكرية تشهد لك بالضبط و النظام.

- شوف عزيزي ممدوح كل انسان لا بد و ان يقع في خطأ يوم ما، و للجيش الحق في محاسبته و اتخاذ الإجراء الذي يتناسب مع درجة الخطأ . . و لكن ان يكون الحساب قاسيا و مستمرا، فالأمر يعني ان القضية قضية احقاد و حسد، و محاولة لإذلالني و انا بعمرني لم امسح جوخة احد و لم اتذلل لأحد . ويبدو لي ان هذا الأمر لا يروق لمن ترقوا بالتذلل و بالتقرب للأنكليز.

- افهم ماتقول.
- المؤلم انك ترى العديد من الكبار هم ليسوا اكثر من مساحي اكتاف و متذللين.

- بلى.
- حتى أمر وحدتنا من هذا الرعيل الوصولي المنافق. .
- لأن الوصي على العرش الذي بيده امور الجيش هو الذي يحارب

- الضباط الشجعان و كرام النفوس . . ويقرب المتزلفين و المنافقين . .
- اخفض صوتك . . احنا في النادي العسكري!!
-
- و بصوت يشبه الهمس سأل سعدون:
- الوصي !!؟
- نعم!!
- متأكد !!؟
- . . . و منذ ذلك الحديث و بتطور ثقة احدهما بالآخر و تكتمه عليها،
تواصلت احاديثهما حول تلك المواضيع و تواصل تبادلهما للأخبار ،
ومن خلال ذلك عرف سعدون ان الضباط الوطنيين ينشطون بشكل
منظم باسم " الضباط الأحرار " . وفي احد الأيام اتاه ممدوح بنشرة
سرية تهيب بابناء الجيش العراقي الى تأييد مظاهرات الشعب في
الذكرى الأولى للعدوان الثلاثي على مصر .
- قال ممدوح:
- الوصي يخيف الكثير من الضباط و خاصة الجدد و القادمين من
خارج بغداد ، و يريد " الضباط الأحرار " تخليص العسكريين من هذا
الكابوس . . لانتسى ان الوصي هو المشرف العام غير المعلن على
الجيش!!
- قال محمد سعدون:
- يعني يريدون اغتياله !!؟
- لأ . . يريدون اخافته . . ارعابه امام العسكريين . .
- يعني كيف ؟ و كيف اخافته امام العسكريين و هو لايتحرك الا محاطا
برجال حماية مدربين احسن تدريب . . و لاصقين به اينما ذهب ؟
- نعم ، و لكن . .
-
- بعد تفكير و سكوت قال سعدون بصوت خافت و لكن واثق:
- شوف ممدوح . . أني بنفسني اريد ان اقوم بذلك ، ولكن كيف ؟ كيف و

ابن
 - . ابو رعد ! تعرف ان الوصي سيزور قيادة الفرقة في معسكر سعد ؟

- صحيح متى ؟!
 - يقولون قريبا . . و سنعرف ذلك من بريد " اطلاق الضباط " لأن الأمر يتطلب تهيؤ و استعداد و تفتيش قطعات . . اعتقد ان الزيارة ستتم بمناسبة يوم تأسيس الفرقة الثالثة.
 و بعد ايام تحدد موعد زيارة الوصي و بدأت اجراءات التهيؤ و التحضير و الاستعدادات المتنوعة لإستقباله . . و في الصباح الباكر لذلك اليوم و بينما كان سعدون يتمشى ذهابا و ايابا على رصيف شارع باب النظام لمدخل مقر الفرقة مقلبا الفكر فيما سيقوم به، شاهد مالم تصدقه عيناه . . شاهد ريتا و امرأة كهلة و شابتان و هن ينزلن من سيارة تاكسي عند الباب النظامي للفرقة و بدا ان هناك نقاشات و ممانعات من حرس باب النظام لدخولهن الى ساحة مقر الفرقة!!
 و بلا شعور او تفكير اسرع سعدون الخطى الى باب النظام، و دخل في تفكير و حسابات منطقية و معقدة، هل هناك من ارسلها لي لتفشل ما اريد القيام به؟؟ ما هذه الصدفة التي توجع القلب ؟ . . و بوصوله الى باب النظام، استعد الحرس له مؤدين التحية العسكرية الأصولية و قالوا :

- سيدي . . النساء يريدون الدخول الى المستشفى العسكري للفرقة لزيارة ابنهم الجندي الراقد هناك، و كما تعرفون الوقت ليس وقت زيارة.

نظر سعدون الى ريتا و مرافقاتها متصنعا عدم معرفته بريتا التي فهمت تصرفه و انتظرت ما سيقوله، سأل سعدون:
 - الجندي المريض ابن من؟؟
 قالت المرأة الكهلة:

- سيدي . . الجندي هو ابني و هاتان اخواته و الأخرى جارتنا التي

ساعدتنا بالوصول الى هنا، الله يعطيها العافية . . احنا جايبين من الموصل سيدي.

و بعد تفكير امر سعدون الجنود بقوله:
- اخذوا اسمائهن و اسمحوو للأم و لشقيقتيه بالدخول مع مرافق . . و للضيقة بالذهاب الى غرفة انتظار النساء مع مرافق، الى ان ازورها بنفسي.

و التقى سعدون بريتا في غرفة الانتظار، و قالت:
- شلون صدفة . . . شنو جابك هنا ؟؟
- انا اعمل هنا . . . هنا مقر عملي . .
- بس المكان مايبه مجال . . فقط كراسي حديدية و و و
- عيني ريتا هنا معسكر و غير ممكن ان نقوم بما تفكرين بيه . .
- ليش يعني ؟؟ هنا اكثر إثارة صدقني . . نفرش الباطو على الارض و و تراه اكثر الضباط يسوون هالشكل . .
- ابدأ ابدأ !!

ابتعد عنها و قال بعد ان تأكدت حاسته بان مجيئها صدفة لا اكثر:
- ابدأ عزيزتي . . علي واجب فيه مخاطرة و احتاج الهدوء، لدي موعد مع سعيد المصلوب بعد يومين في بانسيون ماري، ان لم اذهب اليه، الرجاء اخبريه بأني مسجون عند الانضباط العسكري، و هو سر بيننا! اصفرت ريتا، و بلا كلمات عانفته بشدة طويلا و هي تردد:
- لا تقلق . . . ان الله معنا.

و بعناقها و كلماتها المهدئة، احس بهدوء كان يحتاجه و ركز كل تفكيره على ما سيقوم به و سيجري . . . و هو يرى من النافذة و يسمع ازيز مراوح ثلاث مروحيات و هي تقترب من المعسكر . . شد على يد ريتا و استأذنها و فارقها و هي تنظر اليه بعيون تدمع بغزارة . .
ذهب سعدون الى قاعة التدريب الشتوي الرئيسية (البنكله) ذات الفتحات الكبيرة المشرفة من مسافة حوالي ٣٠٠ متر على ساحة هبوط الهليكوبترات . . علق فردة بسطال بسلسلة كانت مدلاة من السقف و

اتخذ موقعا يستطيع من خلاله رؤية لحظة نزول الوصي من مروحيته،
 و جثم على تل من اغطية و ملابس عسكرية قديمة و اخرج مسدسه و
 استعد للحظة التي اختارها و بقي يتابع هبوط الهليكوبترات .
 نزل الوصي وسط انغام الجوق الموسيقي العسكري و هو يعزف
 السلام الملكي . . و استقبله قائد الفرقة و عدد من قادة الالوية و
 الصنوف، و كان محاطا بافراد حمايته المدججين بالاسلحة الرشاشة . .
 و في لحظة مصافحته قائد الفرقة . . بدأ سعدون بالاطلاق من مسدسه
 على فردة البسطال المعلقة، التي جعلت الوصي يسحب يده من
 المصافحة و يهرب الى مروحيته دافعا من وقف في طريقه و في ثواني
 غادرت مروحيته وحدها ارض المعسكر و بقيت الأخرتان على
 الارض، و انتشر افراد حمايته و حرس المعسكر و هم يطوقون البنكله
 و انقضوا على سعدون !!

الرحاب

قصر

في ذلك العام تم افتتاح جسر الأئمة الجديد . . من جهة الأعظمية، في حفل جماهيري حاشد التم فيه الجميع لمشاهدة الملك الشاب فيصل الثاني و هو يفتتح الجسر تحت طوق خشبي احتفالي كبير ترفرف عليه الأعلام العراقية و اعلام التحيات، بمشاركة الوصي عبد الإله و نوري السعيد و الوزراء و كبار المسؤولين الحكوميين غير المحبوبين و الذين كانوا لاينالون الا لعنات الناس، علنا او مكبوتة في النفوس لأسباب متعددة.

تم افتتاح الجسر كاحد فعاليات مجلس الإعمار، في مواعده المقرر، رغم عدم اكتمال بناء ملحقاته من الشوارع الجديدة المتصلة به، خاصة الشارع الموصل منه الى رأس الحواش . . حيث بقي الشارع السابق بعد اصلاحه و التهيؤ لإعادة بنائه و بناء الممر الثاني له. و لا بد من القول ان افتتاح الجسر الجديد، ادى الى تهديم وازالة قسم كبير من محلة الشيوخ القديمة، و خاصة الحارات المجاورة لمركد الإمام ابو حنيفة النعمان، و شمل ازالة قسم غير صغير من السوق القديم و قسم من محلة الحمام . . اضافة الى الأقسام التي شكلت مكانا لبناء و إشادة ساحة (فلكة او دوار) الإمام الأعظم، في بداية شارع الأعظمية الموصل الى راس الحواش و ساحة عنتر، الشارع الذي اعيدت تسميته الى شارع " الإمام الأعظم "، التسمية التي اخذت المحلة اسمها منها و سميت به منذ القدم بـ " الأعظمية. " . و بسبب اعمال الهدم تلك التي ازلت اضافة الى البيوت، ازلت العديد من المتاجر التي جرى تعويض اصحابها و بنوا بها "السوق الجديد" المكونة اجزاء منه من طابقين، و الذي صار يقع داخل المحلة و ليس مطلا على الشارع بعد ازالة انواع الخرائب هناك. و حصل متغير آخر

هو كساد شريعة البلامة (اصحاب الزوارق ذات المجاذيف و العاملين عليها) الذين كانوا يحملون العديد من زوار الإمام الكاظم من ضفة الأعظمية الى ضفة الكاظمية و بالعكس، حين كان البلامة يعتمدون على ثريد باقلاء ام مصطفى، في الفطور و الغذاء، حيث كانت وجباتها تلك رخيصة الثمن.

اما ام مصطفى ذاتها، فبقي رزقها كما كان، بعد ان تزايد الطلب عليه من سكنة البيوت المجاورة، و بقي القدر الكبير الموضوع على طباخ نفطي صغير تحت قيادتها، جنبها سلة كبيرة يتبرع فيها سكنة الدور المجاورة بخبزهم اليابس و البائت، التي كان يندر ان تكون فارغة و على جنبها الآخر، وضعت طباخ نفطي صغير ثاني مولع بنار هادئة او مطفى و عليه طاوة كبيرة سوداء شبه مستهلكة لقلي البيض لمن يرغب مقابل ثمن صغير، او قليه لمن جلبه معه مجانا، اضافة الى صندوق وضعت فيه انواع من الخل و زيت الزيتون و البطنج . . على ارض مليئة بقشور الباقلاء كانت تكنس بين حين و آخر .

و ظهرت مشاكل من نوع آخر بسبب زيادة مرور الباصات الخشبية الشهيرة بإسم (دك النجف) التي كانت في العادة سريعة و كان فيها خللات متنوعة لكونها رخيصة الثمن كما كان يدور بين الناس، الا ان المشكلة الكبرى بها، هو ظهور حوادث دهس المارة و خاصة الاطفال، و كانت من اهم الاسباب هو انشغال سواق الباصات بينهم لدى مصادفة سيارات بعضهم ببعض، بانواع النقاشات و الشتائم المدوية و الردود العصبية و نسيانهم مسؤوليتهم في السياقة، اضافة الى استخدامهم انواع الهورنات التي صارت شتائم و فشار و تعدي، بعضهم ضد بعض ك - فيصل طيــــــــــــ - الأمر الذي ادى الى صدور تعليمات بمنع مرور الباصات الخشبية.

اضافة الى ظهور مشاكل من تخوف عديد من الناس و من زوار الإمام الكاظم من انهزام الجسر و هم عليه، و المخيف لهم انه كان بذلك

الارتفاع و بتلك الخرسانات و الانابيب العملاقة، الجديدة على عقولهم، بعد الغاء جسر الأعظمية القديم (جسر الدوب) الاليفة الاكثر امانا بتصورهم، لأنه كان مبنيًا على زوارق، و الناس اكثر معرفة و ثقة بها . . رغم انقطاع الجسر القديم عن مرتكزاته و طوفانه مع التيار الى عدة كيلومترات في مواسم الفيضان لأكثر من مرة، حين تمت ملاحظته بالماطورات النهرية حينها و اعيد الى مكانه .

فيما كانت اذاعة بغداد مشغولة باذاعة تفاصيل عن قرب خطوبة الملك فيصل الثاني بإذاعة اخبار متنوعة عن الموضوع . . من قرب خطوبته على اميرة مغربية ابنة الملك محمد الخامس هناك و الى اخرى و اخرى و الى استقرارها على خطوبة الملك الشاب على اميرة تركية من سلالة محمد علي باشا الالباني، الأميرة فاضلة . . و أعلنت انباء على زيارتهما لمرافق بغداد الملكية الهامة، منها زيارتهما للمقبرة الملكية في شارع الشباب المار ذكره في الاعظمية .

و تم الإعلان عن موعد تلك الزيارة للاعظمية و التأكيد على موعدها من الاذاعة لمرات، و اهتم الناس بحضورهم على الشارع بفضول طغى عليهم، لرؤية خطيبة الملك، هل هي جميلة ام قبيحة ام ماذا؟؟ ثم ، من هي لتحكم العراق؟؟ .

و هكذا ذهبت حاملا اختي ذات الثلاث سنوات بدافع الفضول الطفولي و دون معرفة الال، الى شارع الشباب و وجدت نفسي بين جماهير ليست قليلة تلوح لهما و هما ينتسمان ، و اخذنا نلوح اختي و انا له في الصف الاول للمحيين و حدث . . ان توقفت سيارة الملك المارة ببطء جنبنا و انحنى الملك من جانب السيارة المكشوفة و لوح لي بابتسامة جميلة ان اقترب منه، فاقتربت حاملا اختي على ذراعي . . و للمفاجأة حمل الملك اختي من ذراعي و قبلها على وجنتيها دائرا بها في مكانه على الجماهير المحتشدة على الجهة الأخرى للشارع، كأنما كان يعرض حبه للبلاد و اطفالها .

و رغم ذلك التغيير العاصف في حياة المحلة . . الا ان التتصت على

اذاعات موسكو و صوت العرب من القاهرة بتكتم، ازداد ازديادا كبيرا، وكان عدد من ابناء الجيران يتناقشون بينهم و قسم منهم يتناقشون مع والدي حول حقيقة ماتذيعه و الأخبار الأخيرة لـ " صوت العرب من القاهرة " التي كانوا يتابعوها سرايوميا، اضافة الى اخبار موسكو والـ بي بي سي التي كان والدي يتابعها كلها يوميا من جانبه و بصوت بالكاد يسمع.

حيث كانوا يستمعون اليها بصوت خفيض وبتكتم شديد، تكتم لعائشين في بيوت شرقية الطراز تطل غرفها مباشرة على الأزقة حيث يسير المارة . . خوفا من انفصاح سماعهم لتلك الأخبار المبنوثة من محطات ممنوعة لمارة في الشارع، يمكنهم ان يخبروا الأمن بذلك و يحدث ما لايمحمد عقباه . . اضافة الى تزايد الاستماع الى حفلات ام كلثوم من اذاعات القاهرة في الساعات المتأخرة من الليل و خاصة في ليلة الجمعة، حين كانت اغنية " يا ظالمني " هي اغنية الموسم لعام ١٩٥٧

و كانت الناس تتبادل بهمس، خبر خوف الوصي و جنبه و هربه بطائرتة المروحية المنفردة تاركا مرافقيه، من معسكر سعد في بعقوبة، و كيف حدثت و من هو البطل الضابط الشاب سعدون، و يتساءلون بقلق عن مصيره و هو الابن البار لأهالي الاعظمية، وسط انواع التعليقات و التلميحات:

- يا اخي، الوصي جبان رغم انواع النياشين على صدره و الهالات و
 رغم مظاهر التجبر
 - الخوف على سعدون الذي اعتقله الجبناء و اضاعوا اخباره
 - خوفكم من الجبناء ان تولوا السلطة
 - انتقام الجبان يكون شنيع
 - انتقام المأيون يكون اشنع
 - هسه عرفتموا ليش الناس تحب الملك و تكره عبد الإله ؟
 من جهة اخرى احدث خوف الوصي و هروبه من سماع اطلاقات

نارية، بل و هروبه حتى من مرافقيه و هو المشرف الفعلي و العملي على الجيش، و اوامره يجب ان تطاع بعيدا عن قوانين و اصول الجيش و الا . . . !! احدث مفاجأة و تغييرا هائلا في عواطف العسكريين تجاهه، لأنه سقط بأعينهم و كشف عن كونه جبان و هو يتصنع الوقار و الشجاعة، و هو الذي تسبب بتحطيم اعداد من الضباط الوطنيين لجرأتهم و لرفضهم اياه و رفضهم تنفيذ اوامره الفارغة، بدعاوي كاذبة و حجج بقيامهم باعمال تخريبية و اعمال تهدد امن و سلامة البلاد؟؟ .

اما ما حدث لريتا ذلك اليوم، فكان التالي كما روته بعد سنين . . بعد ان غادرها سعدون، لم تنس نظراته القوية المتحدية و كأنه مقبل على عمل هائل او على مهاجمة وحش او فريسة ما، و اثناء ذهابها الى باب النظام للفرقة سمعت اطلاقات الرصاص و كمنت بين احراش طويلة لمحاولة مراقبة ما جرى و ما يجري آنذاك . . شاهدت ارتباك الطاقم المرافق للوصي الذي هرب بطائرته المروحية المعلمة بالوان زاهية و بقيت اخريتان جاثمتان على ارض الساحة الواسعة. . و شاهدت كيف اتى مسلحون بسعدون و هو مكبل اليدين و يمشي بينهم مرفوع الرأس، ففهمت انه قيد الإعتقال كما اخبرها، و قررت الإسراع بتنفيذ وصيته بإخبار نقيب الإنضباط سعيد المصلوب عن اعتقاله . . حتى وصلت باب النظام و وجدت هناك جاريتها و بناتها، فأسرعوا بالعودة الى بغداد بنفس التاكسي الذي جاء بهم الى بعقوبة، الذي كان ينتظرهم.

و ذهبت بسرعة الى بانسيون ماري و التقت بجوزفين و فهمت منها ان النقيب سعيد سيأتي ذلك المساء نفسه، و التقت به بعد انتظار ليس طويل و اخبرته بما جرى لسعدون و انه بالتأكيد في موقف الإنضباط العسكري كما اخبرها . . و طلب سعي لمحاولة معرفة ماهية التهمة التي أوقف بسببها بالضبط و محاولة اطلاق سراحه، و بعد ان شكرها سعيد اتصل بالرائد ممدوح بضرورة اللقاء به و اتفقا بهدوء على اللقاء

في اليوم التالي في كازينو شريف و حداد مقابل النادي العسكري في بغداد، لأن الخروج من وحدات الفرقة الثالثة كان قد منع لذلك اليوم بسبب التحقيق الذي بدأ فوراً حول حادث زيارة الوصي . . في اليوم التالي التقى الصديقان و هنا احدهما الآخر، بعد ان اخبر ممدوح سعيد بخطة اخافة الوصي التي نجحت نجاحا كبيرا و قررا التحرك الفوري لمحاولة اطلاق سراحه.

في وقت لم يستطع فيه سعدون من معرفة الى اين يذهبون به بطائرة مروحية . . حتى هبطت على الارض و اقتادوه مكبلا بسيارة جيب عسكرية مكشوفة و سيارة حماية بعسكريين شاكي السلاح . . الى بناء كبير خيل اليه انه قصر من القصور الملكية، و لكنه لم يعرف اي قصر حتى قرأ لافتة حديقة من حدائق القصر التي مروا بها مكتوب عليها (قصر الرحاب . . الى القبو) و دخل في تفكير انهم سيقابلوه مع الوصي الذي هرب . . و لكن لماذا في القبو ؟؟ انزلوه من السيارة مقتادا بعنف كاقتياد اي مجرم خطير و انزلوه الى غرفة منفردة خافتة الضوء من القبو هناك، حيث شم روائح عفنه، و اجلسوه على كرسي مثبت بالارض، و سأله احدهم من الخلف عن هويته و عما كان يفعل بالمسدس في بنكلة التدريب الشتوي . . و لما لم تعجبه اجاباته انهال عليه بالضرب ثم جاء آخرون و اخذوا يضربونه بقسوة تخللتها انواع الشتائم القذرة عن شرفه و شرف زوجته و اخواته . . و ابتدؤا معه بالفلقة ثم باقسى منها و اقسى . . و استمر ذلك يوميا و لم يحصلوا منه الا على قول ثبت عليه:

- كنت اتدرب على النيشان و لدي موافقة خطية لأنني صياد ماهر معروف اهديت صيدي دوما للمعسكر، و لم يخبرني احد عن موعد وصول سيادة الوصي المعظم بالضبط، لأن الموعد تغير عدة مرات . . تستطيعون معرفة ان الرصاصات الثلاث استقرت في بسطال معلق في البنكلة، باتجاهات غير الاتجاه الذي تتحدثون عنه.

- لا نشاط سياسي لي.

- ليس لي اي نشاط عسكري منظم خارج النظام العسكري للجيش او ضده.

خلال ذلك الوقت تحرك النقيب انضباط سعيد المصلوب من موقعه و مكانته في الانضباط العسكري، و تحرك والده الذي كان قد تم استيزاره حديثا، اضافة الى الدور الهام للزعيم قاسم من خلال نفوذه في الجيش في اوساط الرتب العالية، الذين كان عدد كبير منهم من ابناء دورته و زملائه في كلية الأركان البريطانية في معرفة اين هو سعدون اولا، و لمحاولات التأثير بحذر بالغ على سير التحقيق للتوصل الى التخفيف عنه في التحقيق لإنقاذ حياته، و بالتالي لإطلاق سراحه بأية حجة، لكونه من الضباط الأكفاء في الجيش و ارضاء لعشيرته، التي لم يصلها نبأ اعتقاله بعد.

الى ان عرف الزعيم قاسم، بان سعدون موقوف في قصر الرحاب، و استطاع معرفة ما ورد في افادته في التحقيق، لتدبير ما يحتاجه وفقها، الامر الذي دبره الرائد ممدوح . . و توصلا الى ماهية المحققين و من هم و تقديراتهم . . و صار واضحا للزعيم قاسم ان افادة سعدون لا غبار عليها و انه سيطلق سراحه بعد اسابيع، مع احتمال توجيه عقوبة عسكرية ادارية له و لأمر فوج حماية المقر الذي كتب له (موافقة التدريب على النيشان في المعسكر) دون تحديد الزمان و المكان. بعد حوالي اسبوع جرى تحويل سعدون من السجن الانفرادي الى قاعة ضمت عديد من السجناء الذين رحبوا به بعد ان عرفوا اسباب اعتقاله، و عرفوا كبر و امكانات الجهات التي سعت لإطلاق سراحه سواء من احاديث الحرس او من بعضهم البعض. رحب بهم سعدون و كان يتصور في البداية انهم جميعا عسكريون، الا انه تفاجأ بكون اكثرهم ضحايا اختطافات و سلوكيات لا تقيم وزنا للقوانين المعمول بها و سخرت منها، بينهم شقاوات و سماسرة و قوادون محليون و دوليون و وكلاء و نصابون او عشاق سابقون لاميرات غير معروفات، و ابطال مغامرات لااخلاقية انفضحت، و ابطال اعمال لا قانونية انفضحت ،

اضافة الى وسطاء و قضاة فاسدين مرتشين من الوصي عبد الإله و انفضحوا، و قضاة حكموا في قضايا بما لايرضي الوصي. .
 و توصل سعدون بعد لقاءات و احاديث مع السجناء . . الى ان السجناء في تلك القاعة، مسجونون في سجن خاص عائد للوصي، و انهم سيقوا دون مذكرات قضائية اصولية كان يعمل بها، و انما لمصالح شخصية لعبد الإله الذي كانت ثروته و نشاطه المالي يمتدان خارج البلاد بملايين الدنانير العراقية (وفق قيمة الدينار العراقي آنذاك البالغة ٣،٣ دولار) . . و شعر بالفخر لما قام به لإخافة الوصي و شعر بانه مستعد للقيام باكثر من ذلك، كما تحدث لاحقا لأصدقائه المقربين. و بعد اكثر من شهر أطلق سراح سعدون و عوقب هو و أمر فوج حماية مقر الفرقة بحرمانهما من الترقية الاصولية القادمة. .

من جهة اخرى استمرت نقاشات برهوم و رحيم في موضوع حماية التظاهرات في خضم نشاطات سرية للتظاهر بمناسبة الذكرى الاولى لإنتفاضة الشعب ضد العدوان الثلاثي على مصر، و فيما كان برهوم يؤيد نشاط القوميين بالمشاركة بالسلاح و الإنتقام بالعنف لضحايا الإنتفاضة في العام الماضي . . قال رحيم:

- الاحزاب القومية تسعى للسيطرة على السلطة بالعنف او بانقلاب عسكري بعدد من كبار الضباط، يسيطر على السلطة و بالتالي يسيطر على الدولة لتحقيق اهدافها بالوحدة القومية دون العمل من اجل تهئية المجتمع اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا لذلك . . و اثبتت تجارب العديد من الدول انهم بذلك سينحرفون الى تكوين دكتاتورية عسكرية لاختلف عما سبق، ان لم تكن اسوأ.

و ان العديد منها ادخلت العنف و ممارسته في نشاطها اليومي و التعامل به، حتى صار في احيان شغلها الشاغل دون الاهتمام بتوعية الجماهير لتحقيق اهدافها بالخبز و الحرية و العدالة الإجتماعية، و

اتخذت من غاربيالدي و قضية وحدة الإمارات الايطالية مثالا و تواصل عدد منها مع افكار موسوليني و هتلر حول تحقيق الوحدة القومية و التطور الاقتصادي الرأسمالي، بالعنف و الحرب . . و ابقث بذلك على نظام الإستغلال القائم في بلادها و اشعلت صراع و حروب كبار الرأسماليين من اجل ارباح اكبر لصالح انانيتها و ليس لصالح شعوبها . . تحت شعارات الوحدة القومية و الرفض و النهوض و اضافوا لها عندنا الاهداف الاسلاموية التي لم ينادي و لم يدعو لها الدين الاسلامي و لانبيبه الكريم و حشوا الاكاذيب بها لكسب البسطاء .

حتى جاء نمط جديد من الأحزاب التي ناضلت و تناضض ضد استغلال الإنسان لأخيه الإنسان و ضد التمييز العرقي و الديني و من اجل رفاه الشعب بمكوناته، حتى انتصرت ثورة اكتوبر العظمى في روسيا القيصرية و هزت العالم (كانتصار الثورة الفرنسية، الثورة الصناعية في بريطانيا و الثورة الأميركية) و كشفت حقيقة مايجري و البواطن السرية للاستغلال و للصراع الطبقي بين الطبقات المستغلة الغنية بانواعها : الزراعية و الصناعية و التجارية، و بين الطبقات المستغلة الفقيرة المحرومة في المجتمع، التي بإمكانها التحرر من قيود الإستغلال، بشرط ان تقدم بديل واقعي، يحقق المساواة بين البشر و سارت على تلك الأهداف.

و صار الموقف من ثورة اكتوبر لأحزابنا هو الذي يسمح له من قبل التحالف الرأسمالي العسكري الدولي او لايسمح . . و بالتالي هو الذي يحدد من الذي يستطيع ان يحكم بإذنهم في بلدان العالم الثالث المتخلف النامي التي منها بلادنا، بموازن عالما الراهن و ما تسمح به او تمنعه تلك الموازين بين قوى الحرية و قوى الحرب و الاستغلال في العالم . . ان ثار شعب على حاكميه و انتصر. و لذلك نادى عفلق كاحد الوجوه القومية، نادى الغرب طالبا الدعم لحزبه، لأنه يعمل على تحقيق برنامجه و على مكافحة الشيوعية، على حد نداءه.

و في ذلك الوقت كانت التقارير تتوالى الى الرائد ممدوح، بأن الأحزاب القومية تسلح منظمات و مدنيين فيها و تحصل على السلاح وفق خطط لضباط قوميين كبار اعضاء في منظمة الضباط الأحرار، لدعم الثورة التي كانت المنظمة تخطط للقيام بها، للحصول على دعم شعبي مسلح لهم و لتحسين مواقعهم في منظمة الضباط الاحرار ذاتها، و كانوا يحصلون على السلاح من المعسكرات و من مراكز الشرطة بغض نظر من ضباط كبار او من مأموري مراكز شرطة او رجال أمن عاندين لهم . . اضافة الى اسلحة كانت تأتي من الجمهورية العربية المتحدة عبر الحدود السورية مع الموصل. .

و كان ذلك يثير استغراب برهوم الذي كان يلاحظ ذلك يجري بين جيرانه و من الرياضيين في الاعظمية و في علاقاته مع شباب من القوميين . . و كان يتساءل مع نفسه، لماذا لا يلقي القبض عليهم؟؟ في حين يلقي القبض على ابط ناشطين ديمقراطيين و يساريين و يقدمون لمحاكمات و يحكمون باحكام ثقيلة تحطم حياتهم؟؟

مظاهرات قلبت موازين ١٦.

في صيف ذلك العام اكتشفنا ان لدينا (جدة) تركمانية، الجدة عليّة ام تركي، التي لم نستقر نحن الأطفال على معرفة من تكون وفق منطقنا الطفولي . . هل هي زوجة اخرى للشيخ فخري ام من مريديه ام من مريدي طريقة صوفية اخرى صديقة لطريقة الشيخ فخري المنتشرة في كركوك آنذاك حيث كانت تسكن هي و ابنها العسكري تركي و عائلتها الكبيرة التي كانت هي الرئيسة فيها، في طرق صوفية دعت الى تساوي المرأة مع الرجل، و بها صار حلالا ان تكون المرأة رئيسة للعشيرة ان توفرت فيها الصفات الاساسية للرئاسة او الزعامة العشائرية .

كانت الجدة عليّة التي كانت تتحدث التركمانية، و لم تكن تجيد العربية كلغة حديث كما تجيدها كلغة قرآن و لغة قراءة و كتابة، كانت صديقة حميمة للجدّة أمينة و كانت تبيت في بيتها كلما زارت بغداد لزيارة مقام الكيلاني و الكاظم لتقديم النذور . . و كانت تزور " الشيخ كمر " و محملة بنذوره ايضا التي كان منها خروفا كبيرا بحجم العجل اتت به من كركوك، قررت ان يقدم الى الشيخ كمر كوفاء لعلاجه حالات مستعصية عانى منها عدد من نساء و رجال عشيرتها . . كانت حلوة المعشر تتحدث بفكاهة تنقلب الى جدية تحول سحنتها الى سحنة حاكم جاد ينظر في قضية خطيرة . . و هي تردد " سبحانه في مكانه."

من جهة اخرى اهدانا برهوم في تلك الفترة مجموعة من الطوابع البريدية، و شرح لنا كيفية تنظيمها في سيئات (مجموعات) وفق اثمانها و ان السيت يتكون من ثلاثة طوابع فما فوق و ايها التالف و ايها الصحيح، و ان معرفة ذلك يحفز على التبادل بين هواة الطوابع و الأهم يحفز على التعارف بينهم و عقد صداقات لا حدود لها . . و بدأنا بجمع الطوابع و اية طوابع راكنة من اقاربنا و من الاطفال في المحلة و

صارت لنا هواية تعلمنا منها اسماء البلدان و اين تقع و شجعتنا على ضرورة تعلم الانكليزية كلغة عالمية مكتوب بها اسماء البلدان، بعد ان تعلمنا الحروف الانكليزية و نطقها .

و في خضم جمع الطوابع البريدية و ليس الطوابع المالية التي كانت تستخدم كأقيام ضرائب في المعاملات الرسمية و التجارية . . جمعنا كمية لا بأس بها من الطوابع السعودية التي كانت تتجمع لدى احدى خالاتنا التي كانت تستلم رسائل من زوجها الفلسطيني، الذي وجد عملا مربحا في احدى الشركات السعودية، و حاول اقناع الخالة بالسفر و الإقامة في السعودية، الا انها رفضت و قالت انها (لاتستطيع العيش مع بدو و ناس يعيشون مع البعران و اهل عباءة و عقال)، و لاتتحمل العيش مع حرهم اللاهب و عواصفهم الرملية التي تأتي اليها بالعقارب الطائرة و الله يستر مما تحمله الى الساكنين هناك . . و من تلك التصورات التي كانت احاديث ذلك الزمن .

و لم تقتنع بمحاولات جدتي لإقناعها و لا تسمع لحججها المتنوعة، من ان الزوجة لابد و ان تسند زوجها في الظروف القاهرة، و ان تعيش معه و انهما و هما يواجهان الصعاب معا تتقوى عرى الزواج و العائلة . . و الى ان الدين يحرم الفراق و الإنقطاع بين الزوجين، لأن فيه خراب الزواج و خراب النية في تكوين عائلة و اطفال، التي يدعو لها الدين و كل الاديان السماوية. اضافة الى محاولات الاقناع المتنوعة لها من سعاد و رحيم و برهوم الذين وصفوا لها بأن ذلك محطة اولى لجمع المال الضروري لتأسيس ناجح للعائلة و تحرر من الحاجة للناس.

و لكنها بقيت على اصرارها و على انها ستخرج العام القادم من الجامعة و انها ستجد بالتأكيد عملا لأن اختصاصها الإداري مرغوب و ان لديها مايكفي من (الواسطات) للحصول على عمل براتب جيد، و انها لاتحتاج لزوجها ماليا . . كما كانت تردد.

و في ذلك الصيف جرى تسجيلي في الابتدائية - الصف الأول، في مدرسة " تطبيقات دار المعلمين الإبتدائية " في الأعظمية . . و هي مدرسة نموذجية خاصة مختلطة للبنين و البنات . . عائدة الى كلية الملك فيصل الاول كوسيلة ايضاح و تطبيق للمعلمين الجدد سواء كانوا دارسين في الكلية او كمعلمين مطبقين بإشراف اساتذتهم و حضورهم و حضور مجاميعهم في الصف، لملاحظة و تقييم عملهم و مدى أهليتهم ليكونوا معلمين نموذجيين فعلا . .

كانت المدرسة تتكون من بناية كبيرة جميلة من طابقين بنسق اوروبي للمدارس، و لديها ساحتين اسمنتيتين و ساحة ترابية لكرة السلة و كرة الطائرة، و كنا نلعب عليها كرة قدم ايضا . . و لها حدائق واسعة تمتد من " حديقة النعمان " المقابلة للمدرسة الى " حدائق كلية الملك فيصل " الواقعة خلف المدرسة، فيما يمر شارع الشباب على طول جانبها الأيسر . . و كانت الحدائق منظمة و مقسمة بحواجز مكونة من شجيرات ورد الجوري المتنوع، و فيها عدد من اشجار النخيل بينها اعلى نخلة شاهدتها بحياتي . . اضافة الى شجرتي سدر (نبق) عملاقتين، كانتا تحمل نبقا لذيذا كنا نجعله في مواسمه من الارض لنغسله و نتناوله.

و كان للمدرسة اضافة للصفوف، مكتبة و امين مكتبة الاستاذ اللبان . . و قاعة كبيرة للرسم تحتوي على دواليب للالوان المختلفة سواء كانت اقلام او الوان مائية او فحم او زيتية . . يمكن الرسم فيها على مناضد او على حوامل لوحات او على اغطية على الارض، و كانت لوحات جميلة معلقة على جدرانها . .

و كان معلم الرسم فيها آنذاك الاستاذ ميران السعدي الذي اشتهر كمثال بعد سنين، في زمن كان فيه معلمي الرسم يشجعون الطلبة ذوي القابليات الفنية المختلفة و يفسحون لهم المجال و يزودهم بما يحتاجون

من مواد و ادوات على نفقة المدرسة، في تجربة عشتها انا في السنوات اللاحقة كهواي للرسم، و كانت تلك القاعة تستخدم للاحتفالات و للحفلات الموسيقية التي كان يحييها المعلمون او الطلاب او طلبة مدارس اخرى . . الأمر الذي كون محيطا ساعد على خلق مناخ ايجابي، جاذبا للخلق و الإبداع لدى طلاب تلك المدرسة الابتدائية، بأعمارهم تلك.

و بعد الإعلان عن بدء الدوام و تحديد موعد بدء العام الدراسي الجديد . اوضحت الوالدة ضرورة شراء القرطاسية الضرورية لذلك من السوق الجديد قبل يوم او يومين من موعد الافتتاح، فذهبنا امي و اخوتي و انا بعد ان استداننا مبلغا من جدتي، التي اعتبرته هدية لنا لمناسبة افتتاح المدارس ذلك العام . . و مررنا على انواع المعارض و المخازن التي امتلأت بحاجات المدارس، من الدفاتر و الاقلام و المساطر و الى انواع الحقائب و الشيلالات و القمصان و القمصلات و الاحذية الرياضية . . و تحت الإضاءة الساطعة، من بعد ظهر ذلك اليوم و حتى هبوط الظلام.

و بعد نقاشات و مفاوضات بيننا و بين والدتي عن ايهما الاجمل، و ايهما الأصلي و ايهما الرخيص، اشترت والدتنا لنا ماهو ضروري و هي المعلمة الخبيرة بحاجات طلاب المدارس الابتدائية و باسعارها الحقيقية بعيدا عن محاولات النصب الفارغة في بعض الحاجات و خاصة الحقائب و ادوات الرسم و التلوين، التي قررت شرائها من الحاج ياسين الذي كان مخلصا لعائلة والدتي من ولائه للشيخ فخري و وفائه له

و في اليوم الاول للدوام . . اصطف طلاب و طالبات صفنا الاول الشعبة "ب" باشراف و ترتيب طالبة من الصف الثالث الابتدائي اسمها هيفاء التي ابتسمت لي و قالت انها تعرفني من زمن روضة الإرشاد

حين كانت في صف اعلى، و انها تتذكر ما صار للمعاونة الست كميلا على يدي هناك، كما قالت . . كان الإصطفاف في الساحة المبلطة تحت شجرتي السدر العملاقتين، في المكان المخصص لنا، بعد ان جرى تقسيم الساحة لإصطفاف جميع الصفوف، كلا في ركن ، مشكلين بذلك مربعا كبيرا فيه زاوية مفتوحة لمتحدثي ذلك اليوم.

تحدث المدير الاستاذ أمين رشيد مرحبا بنا في بداية العام الجديد، ناصحا ايانا بالتعاون و المحبة بيننا و اهمية عطف الكبير على الصغير و مساعدته، و مساعدة المحتاج الى مساعدة، و الى ضرورة اطاعة التعليمات المدرسية التي وضعت لخدمتنا و الابتعاد عن العنف في حل المشاكل . . تلتها قصيدة لإيليا بو ماضي لأحد طلبة الصف الخامس ثم كلمة لأمر فصيل كشافة المدرسة حيدر الذي تقدم على وقع طبول صغيرة و راية الكشافة الداعية الى خدمة الوطن. . ثم انشد الجميع نشيد " موطني " و كنا نحن الجدد الذين لانعرف النشيد، كنا نندنن معهم و على اللحن بعد ان اقسنا على حفظه على الغيب للمرات القادمة . . بتلك المراسيم الجميلة التي اضفت جمالا و جاذبية لبدء العام الدراسي، استقبلنا العام بملابسنا و قرطاسيتنا و حقائبنا الجديدة و كأننا في عيد حقيقي.

دخلنا لأول مرة في الصف الأول الابتدائي، و جرى توزيعنا على الرحلات الدراسية حسب الطول و صرت على رحلة واحدة مع زميلتي نهلة الجنابي التي صارت مهندسة، و خلفنا زبيدة الأخت الصغرى لـ د. عبد الصمد نعمان التي صارت بروفيسورة في علم الامراض في المملكة المتحدة بعد ان اكملنا كلية طب بغداد معا، و الى جانبنا الزميل و صديق الطفولة و الصبا د. محمود اكرم الهاشمي الذي تخصص لاحقا بالصحة المدرسية بعد ان اكملنا كلية طب بغداد معا ايضا.

و ضم الصف، ابناء جيراننا الكرد : سرور صادق بهاء الدين من العمادية الذي صار طبيب اسنان لاحقا ، الذي كان يداعبه مرشدنا استاذ جهاد بقوله له بلطف " جوني كاكه سه رور. . . جاكى ؟؟ للاسف آني كردي نازاني" في خليط لغوي مضحك عربي - كردي و لكن دافئ، يمكن ان يكون مفهوم القصد البرئ المتعاطف، و المهندس لاحقا جيهان بالطة من بامرني الذي صرنا نكتب واجباتنا المدرسية معا في حديقة النعمان لاحقا.

و ضم الطيار اللاحق البطل سعد عبد المحسن الأعظمي الذي أسقطت طائرته في حرب حزيران ١٩٦٧ و بقي في السجون الإسرائيلية لسنوات ثم اطلق سراحه بعملية تبادل اسرى لاحقا و حصل على اعلى وسام عسكري، ثم اشترك في حرب تشرين ١٩٧٣ و أسقطت طائرته ايضا و ضاعت اخباره على حد علمي، و د. ميسون اسماعيل حمودي ابنة الخبير الرياضي الشهير آنذاك.

اضافة الى زملاء آخرين صرنا في صف واحد في السنوات اللاحقة، كانوا آنذاك في الصف الأول الشعبة أ . . منهم د. فريد محمد سليم تخصص كومبيوتر المكتبات في الإمارات الآن، وليد حميد شلتاغ الدبلوماسي و القانوني المتخصص، د. جعفر حميد فرج الذي اكملنا كلية طب بغداد معا . . و زملاء انتقلوا الينا في سنوات لاحقة من مدارس اخرى، منهم السياسي المعروف المهندس سلم سعدي علي، د. فيصل عبد القادر العاني الذي اكملنا كلية الطب لاحقا معا . . و أخريات و آخرين آسف على عدم تذكر اسمائهم الآن.

كانت الأيام تدور بهدوء هناك، بعيدا عن الجمر الذي بدأ يتقد تحت الرماد في البلاد . . كنا نمشي كل صباح مسافة ثلاث مناطق باص الى المدرسة اخي و انا من جهة، و زبيدة و اخوها محمد الذي كان يسبقنا بصف من جهة اخرى، كل اثنين بمجموعة و من جهتنا كنا اخي و انا،

نمشي لنوفر اجرة الباص و نضيفها الى يوميتنا . . كنا نمر باعمال بناء شارع الإمام الاعظم التكميلية و بناء العمارات الجديدة على طرفيه، التي لم يخلو يوم من وقوع حادث فيها من سقوط عمال او حوادث دهنس مؤسفة لبعضهم سواء بالناقلات الكبيرة او تحت فلتان الرافعات، و الى انكسار او تكسير انبوب ماء رئيسي بالخطأ و غرق الشارع بمائه، الذي كان يحول الرصيف الى ممر حرج او مخطور. . في احد الأيام . . تغير المناخ العام للحياة اليومية باستقالة الحكومة و إعلان الأحكام العرفية و لا كلام عن البرلمان او دوره، هل جرى حله ام جمدا ماذا؟؟ الأمر الذي غير امزجة الناس و اشاع الخوف بينهم مما يمكن ان يأتي، و كانت الناس تردد ان الذكرى الاولى للعدوان الثلاثي صارت قريبة و ان علينا ان نستعد لإحتمال تكرار العدوان على بلادنا ذاتها . . في صباح اليوم التالي خرجت لوحدي للذهاب الى المدرسة و لا اذكر سبب ذهابي لوحدي، و التقيت بزبيدة برفقة ابوها بسبب مرض اخيها الذي اعاقه عن الذهاب الى المدرسة كما جرت العادة، كما قالت.

سحبنى ابو زبيدة بلطف ليتحدث معي، و قال لي بهيئته المهيبه ، بطوله و بكشيدته و نظاراته الطبية و بلهجة ابوية ودية:
- ابني أني أأتمنك على ابنتي زبيدة لتوصلها يوميا معك الى المدرسة لأن الامور تتطور الى اوضاع بس الله يدري شنو راح تصير، و ادفع لك عشرة فلوس يوميا مقابل ذلك، ماذا تقول؟؟
و وضع بيدي عشرة فلوس بشكل ستر ذلك من رؤية ابنته . . فرحت بالمبلغ و انا اقول له طبعاً عمي زبيدة مثل اختي . . و اشكرك على العشرة فلوس، بس لازم اخبر والدتي بذلك كما اخبرتنا و تؤكد على ذلك.

- زين ابني براحتك . . خبر بنت الشيخ فخري و تحياتي الحارة لها و لجدتك.

اخبرت والدتي بما اعطاني و ما قاله الحاج نعمان الأعظمي و سلامه

عليها و على جدتي . . فزعلت مني لأنني قبلت مبلغا من اغراب من خارج العائلة و قالت (رغم محبتنا و اعتزازنا بعائلة الحاج نعمان الأعظمي و ابنه الدكتور عبد الصمد، نعم ترافق زبيدة لأنه واجبك تجاه زميلتك و اختك، بس ممنوع تستلم فلوس عليه، ابني الفلوس تحطم المحبة و العاطفة الصادقة . . ترجع العشرة فلوس و تسلم لنا على الحجي و تقول له : بعيني حجي اقوم بالواجب، بس ما أخذ اجرة عليه)، و ذلك ماحدث في اليوم التالي، و استلم الحاج نعمان العشرة فلوس التي اعطاها لي في اليوم السابق و قال و الدموع تنساب من مقلتيه:

- هذي تربية اصيلة ابني . . لازم تهتمون ولدي بأمكم و ابيكم، تراه همه السند الحقيقي الوحيد لكم . . و من يدعي عليكم بغير ذلك فهو ليس الا كاذب ابني

!!

كانت اذاعات صوت العرب و موسكو ثم بي بي سي و عديد من مختلف وسائل الإعلام العالمية، تقوم بنقل تفاصيل لما حصل ايام العدوان الثلاثي في العام المنصرم، و خاصة انباء مقاومة فرق المقاومة الشعبية للشباب المصري و تضحياتها في بورسعيد التي هزت العالم حينها، و كيف صعدت تلك الأحداث روح الاحتجاج و الرفض في الدول العربية و خاصة في بغداد، التي انطلقت فيها انواع التظاهرات العفوية المستنكرة في العام الماضي . . و تضيف ان توترات تنبئ بحصول مظاهرات حاشدة في العام الجاري يمكن ان تغير انظمة حكم عربية، و تنتقل اخبار و تفاصيل عن استعدادات جماهيرية لذلك في بغداد، كانت تزيد الحماس بين الناس .

زارنا سعدون و مما قاله لوالدي:

- الدولة مستنفرة من صدك . . الجيش و القوات المسلحة بأعلى درجات الإنذار لصد اية مؤامرة على حد نص الإنذار، و يعتقدون ان ساعة الصفر ستكون في يوم الذكرى الاولى للعدوان الثلاثي في ٣١ اكتوبر

تشرين اول في الشهر الجاري. و تزايدت زيارات لبيتنا بسريرة و تكتم، و ازدادت نقاشات فردية او جرت من بعضهم مع بعض معا ، مع صوت مرتفع قليلا لموسيقى و اغاني عربية من مذياع موجه للشباك، حيث كان مايثير الإنتباه مع كل زيارة لشخصين او اكثر، كانت قرج المحلة ام سناء تصيح من باب بيتها المقابل لبيتنا، صياحا عاليا و متكررا :

- يسقط عملاء الروبل

- الموت للشيوعية

- كفار (ارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل) صدق الله العظيم.

تبين من تشابك الصلات و القرابات، انها كانت مكلفة من زوج ابنتها وكيل الامن بمراقبة بيتنا و القيام بانذار له عندما تشاهد ان هناك اجتماعا يعقد في بيتنا، لكنها لم تعلم ان زوج ابنتها كان تحت إمرة ضابط امن متعاطف مع جماعة عبد الرحمن الضامن القومية، الذي امره بإشاعة ان ام سناء تعاني من لوثة نفسية بسبب هروب زوجها الى المسقوف، و تعتقد ان الجيران هم السبب . . و الواجب تهدأتها، و ذلك ماحصل حيث ان صياحها ذاك لم يؤدي الى نتيجة.

و قال لنا الوالد:

- ولدي انتو تجلسون و تكونون عند باب البيت للتنبيه عن اي شئ غير طبيعي يقترب من البيت !! سيارة شرطة تحقيقات، مسلحين مجرمين، ملثمين، حرامية.

و كان ممن زارونا : برهوم، سعدون، بثينة البستاني، ناهدة شيخ رشيد، يعرب البراك، عبد الرزاق الصافي، عامر عبدالله، الشيخ الحيدري (جمال الحيدري بملابس رجال الدين الصوفيين)، اخيه صالح

الحيدري، عبد الرحمن الضامن، عبد الخالق السامرائي، اقارب عن محمد مهدي كبه، صالح اليوسفي . . لتبادل الأخبار و لتحديد ما العمل .

و في احدى اللقاءات تلك قال عامر عبد الله و قد قرأ في رسالة:
 - الشئ المهم الآن، علينا ان نسير وفق خطة جبهة الإتحاد الوطني التي تم الإعلان عنها . . نسير في حركتنا بالتعاون و وفق اهدافنا المشتركة مع الاحزاب القومية و الوطنية في الأعظمية كما سيجري في مناطق اخرى من بغداد، بعد ان تشكلت الجبهة في شتاء ذلك العام، لتكون خططنا ناجحة في التطبيق و نحقق اهدافنا .
 و اضاف برهوم:

- نرجو ان تكون الجبهة اكثر نجاحا من تجربة ١٩٥٢ الإنتخابية حيث بقيت القوى مشتتة، و ان تكون على خطى التعاون في وثبة كانون ١٩٤٨ . . الآن بتقديري ستكون اكثر نجاحا، بجهود سلام عادل سكرتير الحزب الشيوعي و محمد حديد من الحزب الوطني الديمقراطي لأن سكرتيرهم الجادرجي مسجون الآن .
 بعد ان استطاع حديد اقناع الاحزاب القومية الاكثر تطرفا في موافقها ضد الحزب الشيوعي و الحزب الديمقراطي الكردستاني (البارتي) و حقوق الكرد، استطاع اقناع حزب الإستقلال خاصة و البعث القليل العضوية و الجماهيرية بأهمية عضوية الحزب الشيوعي فيها و بإسمه الفعلي و ليس بإسم آخر، بسبب ما لمس حزبه من جماهيرية الشيوعي الكبيرة . . و استعداد سلام عادل لطباعة اي بيان تريده احزاب الجبهة في مطبعة الحزب السرية، فيما واصل الحزب الشيوعي تحالفه مع البارتي الذي شكل سندا متينا للجبهة .

كان برهوم المنسق مع القومييين يقول:
 - عندنا في الأعظمية اغلبهم يتجهزون بالسلاح، و شكلت الاحزاب القومية مجموعات عنفية مكونة ليس بالضرورة من اعضاء فيها، فعدد منهم اشقياء محلات معروفين . . لا اعرف ماسيودي ذلك، رغم

تأكيداتنا على عدم استخدام الاسلحة النارية، و الإلتزام بالدفاع عن النفس بالحجارة و العصي اذا حصل اعتداء او التوجه لإعتداء. .
 و اضاف صالح الحيدري:
 - هناك معلومات و اخبار من داخل القوات المسلحة و من تنظيمنا فيها، عن وجود خوف عام بين رجال الحكم من الشعب، و اعلان عدد من الضباط و الأمرين، بأنهم لن ينفذوا الاوامر العسكرية، ان دعت الى مهاجمة المتظاهرين !! لأن النظام الحاكم صار مفضوحا اكثر، و لأنهم صاروا مقتنعين اكثر بمطالب الشعب منذ انتفاضة العام الماضي و سقوط شهداء و جرحى!!
 و كرر ذلك سعدون اعتمادا على اخبار استخبارات اللواء الرابع و العشرين.

من جانب آخر، تزايدت النشاطات المتنوعة بشكل سري و بأقصى السرية للقوى المتعددة للتحضير للتظاهرات، و وضعت اسس اولية و قواعد للتحرك السلمي و عدم استخدام السلاح الناري، و الدفاع عن النفس بالحجارة و اقصاها بالعصي و جرى تكرار في حالة الدفاع عن النفس ! في الاعظمية يوم ٣١ اكتوبر، و جرى توزيع المهام كالتالي:
 اعدادية الاعظمية للبنين و ثانوية الأعظمية للبنات تنظيم نشاطها للاحزاب و القوى القومية العربية التحررية مثلهم السامرائي، و المنسق معهم برهوم ، كلية الملك فيصل الاول تنظيم نشاطها لليساريين عربا و كردا باحزابهم و قواهم، مثلهم كريم احمد و عامر عبد الله عن الحزب الشيوعي العراقي خريجا الكلية، عبد الرحمن القصاب عن حزب الشعب، حسين جميل عن الحزب الوطني الديمقراطي، صالح اليوسفي و دارا توفيق عن البارتي، اضافة الى ممثلي قوى و جمعيات وطنية و قومية متنوعة في مقدمتها جمعية الكرد الفيلية، و تجمع الأثوريين و الصابئة المنذائين.
 اضافة الى التنسيق مع ما يجري من الصراع داخل الحكومة، وفق الأخبار التي ترد من المصادر الموثوقة المذكورة أنفا . . و خاصة

الصراع الذي يمكن ان ينفجر بين اطراف حكومية و نيابية عليا و الوحدات العسكرية في حالة عدم تنفيذها اوامر مهاجمة المظاهرات . . و تنسيق ذلك مع الاحزاب الوطنية بكل سرية، يقوم به من كلفوا بذلك .

انطلقت التظاهرات بأعداد اكثر من المتوقع في شارع الشباب في الاعظمية . . بشعارات دعت الى : " الخروج من حلف بغداد " ، " اطلاق سراح السجناء السياسيين " ، " عاش تضامن الجيش مع الشعب " ، " تعالوا نجدد الوثبة " ، " المجد و الخلود لشهداء بور سعيد الابطال " و ادانت العدوان الثلاثي و طالبت بالخبز و الحرية و العمل .

في ضحى ذلك اليوم . . كنا في الصف عندما سمعنا ضجة و صخبا يتعالى و يقترب من المدرسة، و زار صفنا معاون المدير طالبا من الاستاذ الفنان كمال معلم الفنية بهدوء و بصوت واطى، ان يخرج الطلبة و الطالبات بصفوف منتظمة و ان الدوام انتهى لذلك اليوم، كي لاتتحول المدرسة الى ساحة صراع بين المتظاهرين و الحكومة و حفاظا على الطلبة من الأذى و من مايمكن ان يحدث .

خرجت من المدرسة الى شارع الشباب حيث كانت المظاهرة الحاشدة و عشرات جدد شابات و شباب ينظمون اليها و الهتافات تلو ، هاجم مقدمتها رجال الأمن و الشرطة بالدونكيات و اشتبك معهم المتظاهرون و طروهم بالحجارة، و كنت اتصور نفسي صاحب تجربة من العام الماضي، فاخذت اجمع الحجارة مع صبيان و اطفال آخرين من الشارع، في الاكياس المتوفرة سواء كانت ورقية او غيرها، و نسلمها و نمررها للمتظاهرات و المتظاهرين .

لاح لي وجه نسائي جميل من المتظاهرات نادنتني بإسمي بأن اقترب لها، استطعت معرفتها بأنها ست " ناهدة شيخ رشيد " التي كانت تزور

والدتي بين حين لآخر، و تذكرت كيف جمدت و انا اقف في الصف
عندما سألتني سؤالاً بسيطاً بقيت ساكناً و انا اطلع بها و قلت لها:

- ست انتي شكك حلوة .
و اجابنتي بابتسامه:

- نحن الآن في واجب . . استريح ابني.
قالت لي و نحن في المظاهرة التي كان يصعد فيها الحماس و الهتافات :

- احنا المعلمات و الطالبات سنحملك على اكتافنا لتهتف بصوتك بأعلى
ماستطيع!

حملني على الأكتاف و بدأت اهتف عاليا و اردد مايهتفن:

- يسقط الإستعمار

- يسقط عملاء الإستعمار

- اطلقوا سراح السجناء السياسيين

و قد لعب طلبة " كلية الملك فيصل " ، " اعدادية الأعظمية للبنين " ،

" ثانوية الأعظمية للبنات " ادواراً بطولية سواء في الشارع او من

سطوح مبانيهم . . بالهتافات و طر الحجارة، و الهبوا حماس و التقاف

سكنة كل محلات الأعظمية من النساء و الرجال الذين تزايدت اعدادهم

بشكل كبير، هاتفين بإسم الأحزاب الوطنية و القومية و اليسارية. .

و تزايدت اعداد رجال الامن و الشرطة من حاملي العصي و

الدونكيات و اشتد هجومهم على المتظاهرين من جهة، و من جهة

اخرى تسلل عدد منهم الى سطوح ثانوية الاعظمية للبنات و اخذوا

يقذفون المتظاهرين بالقنابل المسيلة للدموع و قنابل الغاز . . الا ان

اطلاقتين ناريتين من المتظاهرين في الهواء و هتاف " يسقط نوري

السعيد " ، " تسقط الملكية و الموت للقتلة " . . جمدت الحالة لثواني

اخذ بعدها رجال الشرطة و الامن بالهروب تحت ضربات الحجارة.

و من شدة فرحي و انا اشاهد هروب رجال الأمن و شرطة الدونكيات .

. استمررت بالهتاف و بصوت اعلى و اعلى . . حتى انفجر شئ امامي

محدثا دخانا كثيفا حجب عني الرؤية و كاد يخنقني و لا ادري ما حصل
و ما سيحصل بعد ذلك . . . لأنني فقدت الوعي!!

سمعت المتظاهرات و المتظاهرين و كان الوعي قد بدأ يعود لي
تدرجيا، و هم يقولون:

- انهم يرمون علينا قنابل غاز و قنابل مسيلة للدموع من سطوح ثانوية
البنات التي احتلوها.

ثم هتافات:

- قتلوا الصبي !! الموت للقتلة !! الموت الموت للقتلة!!
و كانت التظاهرة كلها من اقصاها الى اقصاها تردد ذلك الهتاف . . و

كنت اسمعه كصدى هائل يهز الشارع و مبانيه!!
عاد لي الوعي و وجدت نفسي محمولا و انا راقد على فراش او سديّة

لنقل جرحى و التقت عيني بعيني ست ناهدة و هي تقطر على وجهي و
شفتي ماء باردا من قماش في محاولة لإنقاذي او ايقاضي . . و وجدتني

اتحرك و ابتسمت ابتسامة كبيرة و صاحت:

- الحمد لله انه حي ! . . . حي!

سمعت مكبرات الصوت من وحدات الجيش التي استقدمت بالسيارات
المدرعة و توقفت بمسافة عن التظاهرة، و هي تنادي:

- اخواتي اخواني بلا رمي رصاص رجاء

- عاش تلاحم الجيش مع الشعب!

- نحن لانطلق عليكم . . . احنا اخوانكم!

و اجابتهم حشود من المتظاهرين الذين صعد عدد منهن و منهم على
المدرعات:

- نحن اخوان الجنود و اعداء الاستعمار و اذنا به!

- الجنود اخواننا و الحكام العملاء اعداؤنا!

اعادتني ست ناهدة و صديقاتها الشابات الى بيتنا و حملن حقيبيتي المدرسية و دفاتري، و حملنني عندما شاهدن ترنحي في السير . . . حملنني كأنما يحملن شيئاً عزيزاً غالياً او مقدساً و هن يتباهين بي و بدورهن بمساعدتي امام المارة و رجال المقاهي و محلات السوق التي بدأت اضواءها تنير الطرقات وقت الغروب، وسط كلمات تشجيع و تصفيق بين آن و آخر .

(انتهى الجزء الاول من " ذكريات بغدادية " يليه الجزء الثاني)

" ذكريات بغدادية "

الجزء الثاني

٤ اتموز

في تلك الفترة ارسلت الخالة وجبهة الشاعرة حفيدها محمود الذي قتلت والدته قبل سنوات انتقاما من ابيه المناضل مزهر المحكوم مؤبد في نقرة السلمان، ارسلته الى عائلتنا حفاظا عليه من نزاعات و انتقامات عشائرية اقطاعية اندلعت في مناطق الفرات، و صار واحدا من العائلة. و كان محمود يكبرني بسنتين و تسجل في مدرستي الابتدائية و صرنا صديقين حميمين قلما افترقنا . . كنا نقضي العطلة الصيفية المدرسية . . و كنت اخرج منذ الفجر والأهل والجيران نائمين على السطوح في شهر تموز اللاهب ١٩٥٨، حيث كانت الشوارع خالية، كان محمود احيانا معي . . و كنت التقى مع عدد من ابناء الجيران لنجمع علب السيكاير الفارغة من انواع سيكاير : التركي، لوكس، غازي العراقية، اضافة الى انواع العلب الأجنبية التي كان عدد من رواد مقهى " محمد راغب " الأغنياء يرمون بها بعد تدخين محتوياتها، من انواع سيكاير : كات (ابو البزون)، البحار، بلاك اند وايت ذات العلبة المعدنية

كنا تلاميذ محلة الشيوخ في الأعظمية نتنافس مع صبيان محلتي الدهوية وشارع عشرين . . نتسابق كي نحصل على اجمل العلب الفارغة لنصنع منها لعبا كبيوت كرتونية صغيرة نلعب ونلهو بها ونريها للآخرين الذين ان اعجبوا بها، كنا نبيعها لهم لتحسين خرجيتنا من اليومية الشحيحة بسبب فصل الوالد من وظيفته كمعلم بعد ان أطلق سراحه

اثر اشتراكه بالمظاهرات الصاخبة التي اجتاحت بغداد وعموم العراق تنديدا بالعدوان الثلاثي على مصر وعلى احتلال ميناء بورسعيد . . وفي مناسبات ذكرى وثبة كانون

.
.
.

في فجر الرابع عشر من تموز ذلك العام، وفيما كان ضوء الفجر يبدأ بالظهور، حين كنا نبحث بين تخوت مقهى محمد راغب الشهير بـ " محمد الكاوي " ، عن العلب الفارغة في الساحة الخارجية للمقهى الكبير. . جاءت مجموعة ملثمة بكفية الرأس من ثلاثة شباب ولصقت صوراً لم تكن واضحة كثيراً لضابط كبير كما ظهر من نجماته الظاهرة في الصور حاسر الرأس، كما شاهدناها بعيوننا ونحن كامنين تحت التخوت . . لننط من مكاننا بعد ان اكملوا وشوشاتهم مع " محمد راغب " الذي كان يراقب لهم الفرع الرئيسي المؤدي الى بداية الجسر الجديد آنذاك " جسر الأئمة " . . ثم ذهبوا بخفة وبكل هدوء مع علبة اللاصق التي حملوها.

اقتربنا من الصور لنرى لمن تعود، واستطعنا بمساعدة ضوء مصابيح الشارع التي كانت لاتزال مضيئة ان نراها ونقرأ ما كان مطبوعاً تحتها . . فقرأنا تحت الصورة " الزعيم الركن عبد الكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية العراقية " بينما صاح محمد الكاوي بصوت هامس يشبه الفحيح العالي النبرة بين صوت الراديو الذي كان يبيث آيات من القرآن بصوت عبد الباسط عبد الصمد :

- يا ولد صارت ثورة !! . . خبروا اهلكم !! . . عدت
 بسرعة لأخبر والدي الذي ولمفاجئتي التقيته وهو يخرج
 طائرا من الفرخ من البيت وكان يصيح :
 - انتصرت الثورة . . انتصرت !! " ابني خبر والدتك ان
 استيقظت ان لاتقلق قد لا اعود اليوم مساء . . ابني خليها
 هسه نائمة لاتصحيحها " !

ومع اكتمال ضوء الصباح خرجت مع محمود وصبيان
 المحلة الآخرين، في وقت بدأت فيه اذاعة بغداد تبث نشيد
 " الله اكبر فوق كيد المعتدي " و مارشات عسكرية
 وبيانات تعلن عن قيام الجمهورية وانتهاء الملكية وتطلب
 من الناس الخروج الى الشوارع لدعم الثورة !! فيما
 صارت اصوات المدفعية والقذائف تسمع بوضوح اكبر،
 بعد ان سمعناها آتية من بعيد و لم نكن نعرف ماهيتها ولم
 نعرف تفسيرها لها منذ ان بدأت بالدوي، لأننا لم نسمع مثلها
 قبلا !

وعلى منطقتنا الصبياني كنا نتساءل ونحلل " ايها افضل . .
 ملكية لو جمهورية ؟ ايها احسن واقرى ؟ وكنا نجيب
 الجمهورية احسن ! الجمهورية اكبر ! لأن روسيا وفرنسا
 والصين جمهورية بينما بريطانيا مملكة . . شوفوا مصر
 صارت جمهورية ! " !

وصلنا الى مدخل سوق الشيوخ المسقف القديم من جهة
 الجسر، لنطل على " شارع الأمام الأعظم " الرئيسي
 وحيث يبدأ جسر الأئمة (رأس الجسر) شاهدنا ولأول مرة
 في حياتنا " دبابة " . . وكانت في الحقيقة سيارة مدرعة
 محملة بالسعف والورود وبالناس الفرحين الهازجين

المليئين بالفرح و الهاتفين " يسقط الأستعمار والرجعية
 "،" عاشت الجمهورية "،" الموت لنوري السعيد، الموت
 للوصي عبد الإله " !!
 ثم اخذنا نسمع الهوسات الحماسية لآلاف مؤلفة من البشر
 قادمة على الجسر من الكاظمية وهي تهتف " جيش وشعب
 واياك يا قائد الثورة " ، " سنة وشيعة ايد بايد من اجل
 الشعب السعيد " ، " كلنا جنودك يازعيم " . لتمر المسيرة
 الهائلة امامنا التي كانت تدعو الى السير نحو باب المعظم،
 بعد ان التحم بها قسم من جموعنا .
 شاهدنا ناس متجمهرين على واجهة محل لتصليح
 الراديوات والتلفزيونات وكانوا يسبون ويشتمون حيث
 كانوا يشاهدون صوراً فوتوغرافية بلقطات مختلفة
 عرضت على واجهة المحل الزجاجية، كانت تعرض
 لقطات متنوعة لنساء ورجال انكليز يتضحكون مع عدد
 من رجال الحكم الملكي في حدائق وفي بلقونات لأبنية
 اوربية الطراز، كانت بينهم صورة لشخص ضاحك
 (موشي دايان) الذي كان وجهه يحمل غطاء اسودا على
 احدى عينيه، صورة كانت تثير الحشد المتنوع
 المتجمهر الذي طغى عليه متسوقون و متسكعون ونساء
 بعصباتهن وفوطهن السوداء، وكانوا يصيحون :
 - شوفوا اليهود الكفار اللي كانوا يحكمونا !!
 - شوف هذا اليهودي اعمى العين اكبرقاتل بحق امة محمد
 !!

- اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد !
 فيما صاح صوت : اخوان اليهود ليسوا اعدائنا ... اعدائنا
 الصهاينة
 .
 - شنو صياهنة ؟؟ كل اليهود اعداء الأسلام

- ويليك يمكن هذا يهودي بينا . .
 واستمر الهرج والسياح والشتائم، فيما كان صاحب المحل
 يصيح
 :
 - خاطر الله . . . ديروا بالكم لاتتدافعوا على الصور والا
 حطتم الواجفة الزجاجية !!

سارت جموعنا بمحاذاة " جامع الأمام الأعظم " على
 طريق " الحمام القديم " لينثر اصحاب المحلات ما لديهم
 من حلوى و حامض طو علينا . . و من مأكولات ملفوفة
 بورق ومكسرات، و على الجميع مجانا، والبعض نثر حتى
 مسكوكات نقودهم علينا . . لتنهال علينا انواع اغلى من
 الحلوى والشكولا من محلات لطوفي كاكا والنقود
 والصمون الحار ولنستلم انواع البقلوات والزلايبا
 والسندويج الغالي الثمن مجانا . . وسط اهازيج واغاني
 ودعوات وتكبير " اكلوا يرحمكم الله . . فدوه (فداء)
 للشهداء فدوه للسجناء " !
 كانت الجموع تتزايد بالتحاق جدد بها من محلات الحمام
 والحارة . . . ثم من رأس الجسر القديم و محلة السفينة
 وازقتها ومقاهيها الى حدائق المقبرة الملكية حين صعد "
 عوسي الأعظمي " يحيي الجماهير بألته الموسيقية ذات
 وقع الطبلية من على اعلى عمود كهرباء مشبك مطل على
 ساحة الشباب . . ووصلت الجموع مقابل المقبرة الملكية
 ووقفت مجموعة من المتظاهرين تريد تحطيم ابوابها
 فوقفهم عدد من النواطير من اهل المنطقة اضافة الى عدد
 من رجال الدين الذين هرعوا لحماية " قدسية المقابر و
 الأموات " و محذرين من " انتقال آثامهم اليكم " . .
 ثم حيا الركب المستمر باهازيجه وبابيات من شعر

الجواهري الكبير المذكرة بالشهداء :
يوم الشهيد : تحية وسلام . . . بك و النضال تؤرخ الأعوام
يوم الشهيد طريق كل مناضل . . وعر، و لانصب ولا
اعلام

في كل منعطف تلوح بلية . . و بكل مفترق يدب حمام
و اهازيجه المشيدة بالشعب والوطن . . حيا الطلبة
المتواجدين في ذلك الصيف في الأقسام الداخلية العائدة لـ "
كلية الملك فيصل" التي صارت لاحقا " دار المعلمين
الأبتدائية " ، الكلية التي قاد طلبتها العديد من المظاهرات
و النضالات والأضرابات مشتبكين مع رجال الشرطة، من
اجل الشعب و حقه بالحياة . . و التي قدمت العديد من
الشهداء وسجناء الرأي وخرجت عديد من الوجوه
والشخصيات السياسية لكل القوى الوطنية العراقية بكل
اطيافها

وطافت المسيرة بشارع الشباب . . شارع تتويج الملك
فيصل الثاني و زيارته مع خطيبته للمقبرة الملكية حين
حمل اختي سوسن ذات الثلاث ربيعا من يدي، شارع
المظاهرات والأشتباكات والأضرابات العصية على
الشرطة . . وفيما كنت مع المتظاهرين تذكرت حدثين وقعا
لي ولانساهما في ذلك الشارع . . الأول احداث انتفاضة
١٩٥٦ في الأعظمية و رمي المتظاهرين بالرصاص و
الهجوم بالسكاكين على طلبة كلية الملك فيصل، و هوسة :
الله واكبر يا عرب القاهرة حرقوها
وارتجت اركان السما وبور سعيد نهبوا
و الثاني : القنابل المسيلة للدموع، و قنابل الغاز التي
افقدتني الوعي، وسط اضراب كلية الملك فيصل و اعدادية
الأعظمية للبنين، ثم ثانوية الأعظمية للبنات . . في الذكرى

الأولى للعدوان الثلاثي . . .
 ولتستمر المسيرة و تلتقي في ضحى ذلك اليوم الجميل في
 رأس الحواش بجموع هائلة اكبر قادمة من جهة الكاظمية
 ايضا ولتتوحد بها، ليبدأ القراءون بقراءة البيان الأول
 للثورة بالترديد المرتفع الصوت لأذاعة البيان الأول من
 الأذاعة العراقية . وبدأت الناس ترفع صوراً لضباط جدد
 معروفين لها ومن ابنائها في الأعظمية و غيرهم . .
 فارتفعت صور العقيد رفعت الحاج سري وصور المقدم
 وصفي طاهر اضافة الى العقداء عبد السلام عارف
 والمهداوي . . اضافة الى عقداء المربع الذهبي الشهداء
 صلاح الدين الصباغ و كامل شبيب ورفاقهما الذين اعدموا
 مطلع الأربعينات . وكانت الناس تتساءل وتجبب عن
 هويات الضباط الجدد و من هم ، و زاد فرحها بعد ان
 عرفت انهم من اوساطها الكادحة والفقيرة والمتوسطة . .
 لقد انتصرت الثورة وانطلقت الجماهير العراقية بعربها
 وكردها وكل قومياتها، باسلامها ومسيحيها واديانها، وبكل
 طوائفها وكل قواها السياسية رجالاً و نساء، انطلقت
 بفرحها واعراسها، فرحها بما سيحمله الغد بقاء الأحياء من
 سجناء العمر،الذين شاب اكثرهم خلف القضبان، فرحها
 بعودة المنفيين والمهاجرين، وبفجر جديد يطل بعد طول
 نضال وتضحيات جسيمة، وبنهاية الطغاة الذين حولوا
 ضياء العراق الى ظلام وجهالة وفقر.
 كانت الناس تردد، لقد انتهى الحكم الملكي وقضي على
 فكرة (الحكم حق مقدس) مقصور على النخبة المصطفاة،
 الفكرة الأساسية في انظمة الحكم الأقطاعية الدينية، التي
 استغلها العثمانيون اسوأ استغلال في تثبيت حكمهم
 واخضاع الشعوب، وكرسها البريطانيون بعد انتصارهم

في الحرب العالمية الأولى، بتصعيدهم و تقريبهم لعدد من العوائل ذات النسب الديني، و ما اعيد صياغة قسم منه، او رسمت صور جديدة لأنساب بعضها الآخر، بعد ان

تجاوزها الشعب

لتلتقي الأمواج المتلاطمة بعد الظهر في الباب الشرقي، مع الأمواج والحشود البشرية القادمة من الكرخ والصالحية عبر جسر الملكة عالية (جسر الجمهورية لاحقاً) والحشود الأخرى القادمة من جهة المحلات المحيطة بساحة السباع و شارع غازي (الكفاح لاحقاً) . . ليتوالى الخطاب محرضين و داعين الشعب الى الإلتفاف حول ثورة الجيش والشعب وعلى اليقظة والحذر من مؤامرات الأستعمار واذنابه، وعلى طاعة السلطة الوطنية سلطة الجيش والشعب، سلطة العرب والكورد و الاقليات، ابتداء من تنفيذ اوامر منع التجول، التي تم اعلانها. لقد سعدت ثورة ١٤ تموز المزاج الشعبي الى اقصاه، بعد ان فجرت الطاقات الشعبية، وفتحت صفحات جديدة في حياة البلاد وخاصة في حياة اوسع الفئات الفقيرة والكادحة، وفي حياة القوميات غير العربية والأقليات والتكوينات القومية والدينية . . هكذا كانت مشاعرها و آمالها . . وسط تحذيرات المجريين من نشاطات الأحتكارات النفطية التي لن تسكت و ستواصل بلا كلل نشاطاتها المتنوعة لإيقاف مد الثورة، لالعبة على اوتار التذمر و الحساسيات والتنوع العراقي القومي والديني والطائفي، داعمة كل من تضرر و سيتضرر من اجراءات السلطة الجمهورية الجديدة التي اعلنتها في بيانها الأول، وخاصة كبار رجال الأقطاع والأداريين وكبار الضباط السابقين و الوزراء و النواب وعدد من كبار اغنياء المدن، اضافة لعدد من كبار

الضباط الذين بقوا في مراكزهم، ورجال الاجهزة الخاصة
 السعيدية . . و ابناء عشائهم و اقاربهم . .
 وسط انباء انتشرت بين المتظاهرين عن انزال الاسطول
 السادس الاميركي في لبنان، و وضع قواته على اهبة
 الاستعداد في الاردن للتدخل في العراق، و انباء عاجلة
 بثها الترانزستز الذي كان يحمله عدد من المتظاهرين، عن
 الحشود العسكرية السوفيتية في القفقاس التي هددت
 بالتدخل و كسر اي تدخل اميركي في العراق . .
 لقد امتلأت الساحات وشوارع العاصمة بالجماهير رجالا و
 نساء . . وبقينا نطوف ونطوف مع الجموع منذ فجر صباح
 ذلك اليوم الصيفي والى ليله، حيث فتحت ابواب البيوت و
 المطاعم والمصالح ابوابها لإطعام المحتفلين والمتظاهرين
 مجانا . . بعد ان امطرونا مرات و مرات بالملبس
 والحلويات بل وبالنقود، و نحن نطالب باطلاق سراح
 السجناء السياسيين . . و عدنا انا و محمود بباصات
 المصلحة التي بقيت في واجباتها الى ساعة متأخرة من
 الليل،
 مجانا

.
 و بعد مطالبات و عرائض عاجلة، صدرت اوامر بإطلاق
 سراح السجناء السياسيين وفق قوائم كانت تعلن في
 الصحف اليومية . . لتستمر الفرحة ونسافر الى سجن
 بعقوبة لإستقبال ابن عمي عدنان، بعد ان سافر محمود الى
 الحلة لإستقبال والده مزهر الذي أطلق سراحه من نقرة
 السلطان

انتظرنا وانتظرنا وسط حشود عوائل السجناء السياسيين
 متذكرين انتظارنا في مواعيد الزيارات السابقة وقال

الحرس بأدب هذه المرة . . " رجاء انتظروا . . انهم يكسرون حديدهم !! و قد لا يستطيعون المشي بسهولة بعد تكسير الحديد !! " . . و تذكرنا اننا سألنا السجناء الشيوعيين عند مواعيد المقابلات السابقة تلك عن سلاسل الحديد الرابطة بين حديد اليدين وحديد القدمين، واجابونا بلطفهم و بضحكاتهم الرنانة " انهم يشدونه علينا عند المقابلة فقط . . لأنهم يخافون !! " حين قالت جدة احد السجناء في ذلك الحين : ولدي يخافون من من ؟

- مننا ومنكم !!
 - ولكنكم في السجن ! ونحن مطوقون بالحرس . . !
 وقال صوت جاد متألم وبخفوت :
 - انهم مقيدون طوال الوقت، حسب نوع العقوبة !
 فجأة سمعنا صوتا كالرعد يهتف بحياة ثورة الشعب ! "
 عاشت ثورة الشعب " !
 و سرت اصوات عالية قائلة : كسروا حديده ! انه يخرج الآن . . انه المناضل زكي خيري !!
 لم نستطع ان نراه حين التفت الجموع حوله وتصاعدت الأكف بالتصفيق والحناجر بالهتاف بحياة الحزب ومناضليه .

كنا ننتظر خروج ابن عمي عدنان البراك !! الذي رأيناه لأول مرة عند موعد المقابلة السابقة في سجن بعقوبة . . حين كانت صورته مؤطرة باطار ثمين ومعلقة على سجادة حائطية صغيرة نظيفة على الدوام ، كانت تثير فينا مشاعر الحنين وكأننا نقف امام احد كبار الأتقياء الورعين . . حين كانت تنساب الدموع من عيني امي عندما تلحظها ونحن جنبها .

خرج عدنان بهدوئه وكبريائه و الهزال و الشحوب باديان عليه و على رفيقيه عبد الرحيم شريف الذي انتظرتة خطيبته المربية منيرة عبد الرزاق و عائلتيهما، و عزيز محمد الذي لم تأت والدته بعد، وسط التصفيق و انواع الإشادات بمواقفهم . . و وسط ابتساماتهم المشرقة و انواع الدعوات لعزير محمد لإستقباله في بيوت العوائل البغدادية، شاكرا اياهم و مفضلا انتظار والدته التزاما بموعدهما الذي حددته ببرقية ارسلتها من اربيل الى سجن بعقوبة .

بعد اسابيع عادت د. نزيهة الدليمي من ابعادها للنجف الى بغداد، د. عبد الصمد نعمان من ابعاده الى حلبجة و اعاد فتح عيادته المعروفة لأهالي الأعظمية، و عاد د. عبد الأمير السكافي من ابعاده للرمادي الى اهله في النجف و بدأ بزيارتنا و استأجر مشتملا في الاعظمية. . من جهة اخرى عاد الوالد الى وظيفته في التعليم و اعيد اعتباره و صرفت له رواتب الفصل السياسي، التي ساعدتنا على شراء تلفزيون بالتقسيط . .

و فيما انطلق الشعب العراقي بكل مكوناته الى فضاء رحب مبشر بمستقبل افضل، و كأنه هو المقصود في الكتاب المنتشر آنذاك للكاتب اللبناني اليساري المعروف " رثيف خوري " المعنون بـ " شعب عظيم يخرج من قفص " واصفا فيه انطلاقة الشعوب الإيرانية اثر انقلاب مصدق في ايران و كيف تعاون الشاه و الدوائر النفطية الغربية و الاستعمارية و جنرالات الشاه و قوى الاقطاع و كل القوى و الاحزاب اليمينية و الرجعية في القضاء على ثورته القاضية بتأميم النفط الإيراني . . و تأمين الخبز و الحرية و العدالة الإجتماعية.

تشكلت " محكمة الشعب " كمحكمة عسكرية عليا خاصة علنية برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي . . التي اطلعت الشعب و كشفت له و اعانته على معرفة الاحداث الحقيقية و انواع الاتفاقيات الغربية لإستغلال البلاد و خطط كسر اية معارضة او اي صوت عارضها، بعد ان عاش الشعب و الشباب انواع المجالس العرفية العسكرية السرية التي حكمت شباب البلاد بأحكام قاسية حطمت حياتهم و تسببت بالعديد من الشهداء، منها محكمة النعساني السرية سيئة الصيت . . محكمة الشعب التي رغم نواقصها و اخطائها، الا انها شكلت اول تجربة علنية لمحاكمة اعداء الشعب و فاسديه من انواع مليونيرية ذلك الزمن . . كانت مقاهي الأعظمية تكتظ بروادها لمشاهدة تلك المحاكمات العلنية الجريئة التي كانت تبدأ بحدود الساعة السادسة مساء في كل يوم من تلك الأيام . . و كانت تلاقي الترحيب و التصفيق و انواع النقاشات و من مختلف الإتجاهات لتأييد ما دار فيها، وسط سكوت البعض و هم يشاهدون الشعبية الهائلة للشيوعيين ورثة النضال العنيد ضد الرجعية و الإستعمار . . الشعبية التي لم تأت بقرار او بأمر خارجي، و انما بأعمال و توضيحات جسيمة و ايمان اثبت صحته بدور الشعب و اهمية تنظيمه في نقابات و جمعيات و اتحادات . . فتشكلت و انطلقت انواع المنظمات المهنية بمبادرتهم و تشكلت لها قيادات انتخبت و ضمت كل القوى اليسارية و القومية و الوطنية و من كل المكونات القومية و الدينية و المذهبية و الفكرية، نساء و رجالا . . وفق برامج دعت الى تقدم و خير البلاد و الشعب و شبابيه. منها ما كان يدور في مقهى محمد غائب في الأعظمية

مقابل بيتنا، لرؤية جلسات المحكمة العلنية و اخرى
لمناقشة ما كان يدور في البلاد في ايام الخميس والجمعة .
حتى صار شبه مجلس دوري للمناقشات السياسية، ضم :
والدي، الوجه الديمقراطي عبد الفتاح ابراهيم، الضابط
مكي الدباغ، القيادي البعثي عبد الرحمن الضامن، المحامي
القومي عبد الوهاب الضامن، الوجه النقابي المعلم عبد
الحميد الهيتي، الاستاذ الجامعي عبد الفتاح الملاح، عبد
الحكيم نعمان الأعظمي، الاستاذ جاسم الرجب اخو صاحب
مكتبة المثني، الصحفي الرياضي برهوم، القومي
الديمقراطي كرامة الرئيس . .
و بمشاركة من حين لآخر حسب مشاغلهم للقياديين
الشيوعيين عدنان البراك و عامر عبد الله، المحامي كامل
قزانجي الوجه الديمقراطي المعروف الذي اشتهر بمواقفه
في محكمة الشعب و تطوعه في الدفاع عن الشعب
الإسباني و جمهوريته ضد الدكتاتور فرانكو و عصابات
الفالانج في الأربعينات . . و كان يلتف حولهم عدد كبير
من رواد المقهى و يشاركون في النقاشات متفقين او
مختلفين في اجواء حوارات كانت تحترم الآراء آنذاك . .

لخال مزهر

وفيما كان يتوالى اقرار قوانين متعددة لصالح الشعب و من اجل عيشه عيشا كريما افضل . . كخروج العراق من حلف بغداد و من الاسترليني، و صدور قانون الإصلاح الزراعي و قانون تشكيل المقاومة الشعبية للدفاع عن الجمهورية و عن الشعب، بعد ظهور و بروز اعمال التخريب و ارهاب الناس . . حيث بدأت تظهر احداث مخيفة غريبة.

فقد اعلن عن اكتشاف عبوة ناسفة كبيرة تحت جسر الأئمة، اخافت الناس و اخذت تحذر من عبور الجسر و السير و التمشي عليه و هربت ام مصطفى من مكانها عند حائط درج الجسر، حيث كانت تحضر و تبيع تشريب الباقلاء الذي كانت تعتاش عليه كثير من العوائل الفقيرة عند شريعة البلامة . . و أكتشفت اخرى و اخرى في ايام تالية .

و حدث حريق كبير عند تانكي ماء الباب الشرقي، الذي ارعب الناس و تبين انه كان بفعل عبوة ناسفة حارقة و وضعت في بانزين خانة و في صهريج بنزين كبير كان يقع هناك . . حريق استمر لأسابيع و كان لهيبه و ادخنته ترى بالعين المجردة من سطوح منازل الأعظمية . . اضافة الى انقطاع و ارتباك تجهيز الكهرباء و الماء في بغداد، و القي القبض على عدد من الفاعلين منهم و أعلن عنهم بالإذاعة و التلفزيون الذي اظهر صورهم و اسمائهم. في وقت تغيرت فيه لهجة اذاعات القاهرة و صوت العرب

. . من التحيات و الإشادة بثوار ١٤ تموز و تغيرت اغاني
ام كلثوم المشيدة بشعب و جيش العراق المهنة
بانتصاراته، من:

شعب العراق الحر ثار ، و جيشه حقق الانتصار
و . . بغداد ياقلعة الإسود و منارة المجد التليد
الى:

راجعين بقوة السلاح . . جيش العروبة يابطل الله معك
مأساة فلسطين تدفعك نحو الحدود .
حول لها الألام بارود في مدفك
وسط اعلام يومي متفوق من دولة الوحدة بين مصر و
سوريا آنذاك، كان يدعو للوحدة العربية الفورية و (الوحدة
العربية لأجل تحرير فلسطين) كطريق وحيد لتحقيق ذلك
الهدف و انواع المارشات و الاناشيد الداعية لذلك، اضافة
الى البرامج اليومية المتكررة الموجهة الى العراق، التي
حملت الرسائل الصوتية للضائعين و المنقطعين
الفلسطينيين عن اهلهم في الدول العربية المحيطة
بفلسطين من (انا فلان الفلاني سلامي الى اهلي . . نحن
الان في دير البلح، اين انتم؟؟)، على سبيل المثال و
غيرها العديد من البرامج المهيجة للعواطف البشرية لكسب
ودها و تأييدها و التحرك الفوري من اجلها، في وقت لم
تثبت فيه ثورة تموز نفسها بعد .

و غيرها من برامج توجه بصخب نحو اتجاه مغاير
لأهداف الثورة، من اذاعات لها شعبيتها وسط الجماهير
العراقية في سنوات النضال ضد الحكم السعيدي . . و كأنها
تحمل العراقيين مسؤولية ايجاد حلول فورية للشعب
الفلسطيني بمواجهة و اعلان الحرب الفورية على العدو
(اليهودي) دون الانتباه الى ضرورة التعريف بالخطر

الصهيوني العالمي، ماهيته و حجمه و انواع ادواره و ليس اليهودية كدين . . طارحة بشكل مؤسف ما كان يجري و كأن ثورة ١٤ تموز قامت بها القاهرة من اجل تحرير فلسطين !! و ليس من اجل الخبز و الحرية و ضمان حياة انسانية افضل للعراقيين بكل مكوناتهم القومية و الدينية و الثقافية.

في زمن كانت فيه شعبية الرئيس المصري عبد الناصر تتزايد بين قوى التقدم و التحرر في العالم و حاز فعلا على قلوب و عواطف الملايين العربية، لسياسته في مواجهة الاستعمار و تحقيق التأميم الاول في العالم العربي و هو تأميم قناة السويس، الذي فتح ابواب تأميم الشركات الغربية و خاصة شركات النفط على مصراعيه، رغم تسرب اخبار عن قسوة دوائره بحق الآلاف من المعتقلين السياسيين المصريين المعارضين آنذاك . . و لكن كانت اسئلة تتصاعد و تتوسع، هل يريد عبد الناصر ضم العراق الى عرشه او هل يريد ان يكون هو زعيم العراق؟؟ في زمان كانت فيه العواطف و التطرف و ليس العقول و العلوم هي التي تقرر، و تؤدي الى اتجاه حركة الاطراف المتصارعة، و بالتالي تضاربها و تصارعها بينها . . الأمر الذي كانت تلعب عليه و تثيره بشتى الوسائل و بشكل شيطاني الاحتكارات النفطية و عموم الدوائر الغربية التي افلت العراق من سيطرتها.

وسط وفود متكررة من القاهرة و دمشق كانت نلتقي بنائب القائد العام للقوات المسلحة وزير الداخلية عبد السلام محمد عارف في بغداد، يؤكد فيها جميعهم على الإستعادة الفورية للحق السليب في فلسطين، القضية التي كانت ترى فيها الجماهير العراقية، ان الحكومات العربية كانت تتاجر بها،

لضرب حركاتها و احزابها التحررية و انها كانت تسمى لقضية الشعب الفلسطيني المناضل بكل الطرق لاستعادة ارضه و هويته العربية و حقه في الحياة . . و وسط خطابات و شعارات النائب عبد السلام عارف في الألوية التي زارها و لم يفهم منها الناس مايريد، من : طاسه ببطن طاسه و بالبحر غطاسه ، الى . . دين و عروبة و اسلام يا زعيم للامام . . و ان الاكراد يعودون بالاصل الى جدنا كرد بن مرد بن عرب، و انهم عرب سكنوا الجبال و صاروا يتحدثون بالكردية . . ؟؟ حتى صارت الأحزاب الوطنية و خاصة الحزب الشيوعي (الحزب الذي لم يشرك في الحكومة رغم ادواره الاكثر فاعلية بين الجماهير و بين الاحزاب) و الحزب الوطني الديمقراطي، صارت تطلب من القوى و الاحزاب القومية ان تهتم فعليا اكثر بأحوال العراقيين الخارجين للتو من الحكم الملكي و دستوره الذي طبقته دوائره وفق مصالحها و مصالح اتباع و ذبول الحكم الأنانية في زمنه، و تثبيت الثورة و ايجاد الطرق الصحيحة لتحقيق اهدافها المعلنة، و الالهم هو العمل على كسب ثقة العراقيين بتحسين حياتهم و احقاق حقوقهم ليتمكنوا بالتالي من الإيفاء بواجباتهم القومية و مساعدة اللاجئين الفلسطينيين على العودة لديارهم، فالجرح الفلسطيني واضح و لايمكن حجبه بغربال، و السؤال يكمن في كيفية علاجه . .

و صارت مجاميع تغزو ازقة و درابين الأعظمية و تكتب و ترسم بالألوان خارطة فلسطين السلبية و شعارات تحولت من (فلسطين عربية فلتسقط الصهيونية) الى (فلسطين عربية فلتسقط الشيوعية) كأن الشيوعيين هم الذين احتلوا فلسطين و شردوا شعبها و اهلها و استوطنوا

ديارهم و ليس العصابات الصهيونية المدعومة و المجند لها من الغرب و من احتكاراته الصناعية و العسكرية لإقامة رأس رمح لها في الشرق الاوسط بأي ثمن. .
 و تكونت مجاميع غريبة حاولت منع عبور اهل الكاظمية على الجسر و وصولهم الى الاعظمية و عموم بغداد، بدعوى انهم كفار شيعة و كفار شيوعيين . . و حدثت مشاجرات و صراعات بالأيدي لتحقيق ذلك، لولا تدخل شباب من المقاومة الشعبية، و اقامتهم دعوى ضد هؤلاء، الا ان الدعوى أهملت و سجلت ضد مجهول في محاولة اثاره الفتن، و تبين ان القائمين على تلك الإعتداءات كانوا على صلة وثيقة بمعاون شرطة الأعظمية آنذاك. .

كان الوالد يحرص كلما امكن في كل صيف حيث العطلة الرسمية للطلاب والمعلمات والمعلمين، على ان يسافر الى الحلة وفق الإمكانيات المالية التي لم تكن جيدة . . للترفيه عن والدتي المعلمة التي كانت تعاني التعب و الإرهاق لكونها ام لأطفال و معلمة و زوجها مفصول و مطارده و جراء كل اوضاع البلاد و ماينتجت عنها . . من مطاردة الوالد الى مواقف عداء متنوع لعائلتنا الصغيرة من جيران متنفذين كانوا يستخدمون قرج المحلة ام سناء و بناتها لإثارة انواع المشاكل، الى مسؤولية الخوف على الأطفال الاربعة.

كان السفر يخفف عنها، حيث أهل واقرباء جدتي، الذين كانوا يعيشون و يسكنون هناك من اشقاء جدتي وشقيقاتها و ابنائهم و احفادهم، وكان ابن الشقيقة الكبرى المحامي فاضل قد ارتبط بصداقة قوية مع والدي الذي تربطه

علاقات صداقية قوية مع عدد من وجوه و ابناء المدينة، ممن جمعهم النضال او الدراسة او نشاطات نقابة المعلمين

فكنا في العادة نسكن كضيوف في الحلة، في محلة القاسم حيث ضريح الإمام القاسم، ببيت المحامي فاضل و زوجته الحنون ام عماد التي تزوجت دون موافقة اخيها الكبير القصاب الذي كان يريد تزويجها الى ابن زميل مهنته صديقه . . و فرض على الاب و الام و الاخوة مقاطعتها و تسبب لها ذلك بحزن سكنها و لم تتخلص منه رغم انها رزقت بينين اصحاء و بزوج وفي، حزن كون منها امرأة قوية ان ابتعدت عن منابع الأحزان .

و تكونت لدي ذكريات جميلة و فكاهية و اخرى لاتنسى من الحلة و من اهاليها الطيبين . . ففي احدى تلك السفرات، ذهبنا في محرم انا و محمود الى موكب عزاء في القاسم، شارك فيه عدد من شباب المحلة و المحلات المجاورة . . و بينما كان الشباب يلطمون على وقع الدفوف و رداً يا حسين يا شهيد، كانت احدى الفتيات بملابسها السوداء و اعلى صدرها المفتوح و المحمر من اللطم تضامنا مع اللطامة، بدا انها كانت معجبة باحد الشباب اللطامة، فسألته عندما مر امامها:

- عيني . . هذا عزاء من؟؟
اجابها بجد و هو يلهث من تعب اللطم و المسير:

- عزا الحلة يا عيني !! عزا الحلة يا عيني!!
و مر مرة اخرى امامها و كررت السؤال عليه، و اجابها بنفس الجواب و بنظرة ثابتة على وجهها هذه المرة، و كررت السؤال للمرة الثالثة و هو يمر، فاجابها بانفعال جاد و
و بعيون مبحلة:

- عزا الحلة ياعيني !! عزا الحلة يابربوك !! عزا الحلة
يابربوك!!

فضحك الفتيات المصاحبات و انسحن بسرعة ، و ضحكنا
و ضحكنا كثيرا و نحن مسرورين من جرأة تلك الفتاة و
حسن تدبيرها هي و صاحباتها . سررنا من تدبير الشباب
للنكتة و الضحكة، مهما كانت الظروف و الاستحكامات
المجتمعية.

و في احد الأيام في الحلة، دعتنا الجدة غنية الى مولود
على روح المتوفين الذي ستحييه ملاية دعوها بـ " الزار"
لأنها تستطيع ان (تبكي الحجر)، فذهبت الوالدة و كنت انا
و محمود معها، برفقة ام عماد التي اصرت على الذهاب
لأنها لم تبك كفاية في وفاة والدها كما قالت، بسبب منع
اخيها لها بحضور الفاتحة كما مر، و رغم رجاء والدتي
اياها بعدم الذهاب لأنها قد تؤذي نفسها، خاصة و انها
اوضحت لها انها تذهب لتلبية دعوة الجدة غنية كالترزام و
كأصول عائلية لا أكثر.

دخلنا البيت ذي الطوابق الثلاثة من الزقاق الضيق لمحلة
القاسم، و قالت الوالدة لنا:

- ولدي انه مولود للنساء و انتما صبيان، فاذهبا الى السطح
و تستطيعان من هناك و بدون اية ضجة و بهدوء رؤية
المولود، و كررت (بكل هدوء).

و فعلا ذهبنا الى السطح العالي للطوابق الثلاثة، و كان
هناك تنور و كميات من كرب النخيل لإشعال التنور
(الكربة هي قاعدة السعفة) . . و اخذنا نتفرج محمود و انا
على ماتقوم به الزار التي كانت امرأة متوسطة العمر قوية
العود اميل للرشاقة، و بدأت بالنواح و تعداد محاسن
الموتى بالأسماء بدءا بالحسين سيد الشهداء . . و هي

تحنجل و تدور على الحاضرات بملابسهن السوداء و ترفع رأسها الى السماء بوجهها و عينيها السوداوين المخيفتين .

حتى بدأ بكاء النسوة الذي اخذ يرتفع و يرتفع و الزار تدعوهن الى البكاء اعلى و اعلى . . حتى صار البكاء عويلا و صراخا و بدأ بعضهن باللطم و الحنجلة خلف الزار بصراخهن العالي و دعواتهن للاحبة بانواع التوسلات المؤثرة بالعودة بعد الغياب، و كفى غياب!! و فيما كنا محمود و انا نراقب مايحصل باعصابنا المشدودة و قلقتنا على اهلنا مما يمكن ان يحصل بعد فقدان كثيرات السيطرة على اعصابهن . . و بقينا نراقب الوالدة و ام عماد من خلال زحمة النساء اللاطمات الصارخات، و شاهدنا المسكينة ام عماد تنط واقفة و هي تلطم على روح والدها بصراخ طغى على صراخ الجمع، لتسقط فاقدة الوعي و تجمع النساء حولها لمحاولة انعاشها بالوسائل البيئية المتوفرة لإيقاظها.

و بقيت اتابع ماسيحصل لوالدتي من هذا المولود البشع، و خوفا عليها وجدنتني ارفع كربة و ارميها على الزار من ذلك العلو كي توقف الصراخ و العويل، خوفا على امي . . و اصابت الكربة الزار على رأسها او جنبه و سقطت على الارض و هي تصيح بأعلى صوتها و تبحلق بعينيها المخيفتين علي و تقول:

- انت ابو القميص الماوي . . و الله لأسويك غراب !! و الله اسويك غراب!!

توقف المولود و توقف العويل و هدأ البيت و ابتعدنا بسرعة عن محجر السطح محمود و انا كي لا تشاهدنا، و نحن نسمع وقع خطى كثيرة تصعد الدرج، قال محمود

باعتباره ابن المحلة:

- لاتقلق كل كلام الزار خريط لا اكثر و سمعنا مثله مرارا
و لم يحصل شيء، الصاعدين للسطح يريدون معاقبتنا
بضربنا . . علينا الذهاب بسرعة الى سطح الجيران ثم
سطح الجيران الآخرين و سيخفونا عندهم و يخبرونا بما
سيحصل، لأنهم من بيت خالي. .

كان سفرنا الى الحلة في هذا الصيف هو للسلام و لتحية
المناضل مزهر ابن وجيهة بمناسبة اطلاق سراحه اثر
الثورة، فسافرنا كالعادة الى الحلة الى بيت المحامي فاضل،
و من هناك ذهبنا الى بيت الخالة المناضلة وجيهة للقيام
بواجب تحيتها و السلام عليها و تهنئتها باطلاق سراح ابنها
الجسور مزهر، حاملين لها الهدايا الاصولية و الحلوى . .
و شاهدت الذنبيين اللذين اصطادتهما الخالة وجيهة كما مر،
محنطين و معلقين على الحائط و فوقهما بندقية البرنو التي
ورثتها الخالة من زوجها الضابط الذي قتل في حرب
البلقان ابان الحرب العالمية الاولى. .

فرحت الخالة وجيهة كثيرا بزيارتنا لها و دعتنا لرؤية بيتها
المتواضع و غرفة مزهر النظيفة المليئة بالزهور البرية و
بالبسط البدوية و هدايا ممن مر قبلنا لزيارته، و قالت:
- من يوم اطلاق سراحه و مزهر مشغول بانواع الضيوف
المارين للسلام عليه، و وفود المهنيين له لإنتخابه رئيسا
لجمعية فلاحية كبيرة في ريف الهندية، و اصحاب المشاكل
الراجين منه المساعدة على حلها . . و قد ذهب الى هناك .
الى بيت الشيخ داخ المتعاطف مع الفلاحين الفقراء و احد
اكبر المطالبين بحقوقهم كما تعرفون. .

في فجر اليوم التالي ذهبنا بسيارة المحامي فاضل و اصرت زوجته ام عماد ان لا يذهب فاضل لوحده و ان تكون معنا، (لأنها لاتؤمن ان يكون لوحده) ! و هكذا بدأنا سفرتنا بالعممة و وصلنا الى قرية الشيخ داخ مع الخطوط الاولى للفجر . . و كان في طرف القرية هناك، تلا واسعا ظهر في اعلاه سياج حجري طويل قالوا، هذا هو بيت الشيخ

وصلنا الى باب البيت التي كانت في الواقع بوابة كبيرة من خشب سميك و كان هناك ناطور مسلح ببرنو، الذي اوقف السيارة و عرف المحامي فاضل و قال : تفضلوا !! و فيما دخلت السيارة الى ساحة البيت الترابية الواسعة التي بنيت حولها عدة غرف مشكلة معا كبنائية خان تجاري باطراف اربعة كأنها كانت ابراج مراقبة او حراسة، عرفت بعدها ان اولاد الشيخ و ابناء اخيه يعيش كل مع عائلته في غرفة او اكثر من تلك الغرف، و وقفت السيارة في فضوة قرب المضيف و نزلنا بعد ان ذهب النساء الى مضيف او غرفة كبيرة مخصصة للنساء هناك، و ذهبنا الى مضيف الشيخ داخ، و قدم الينا مسرعا مزهر و سلم على الجميع باحتضان كل منا فيما تصاعدت كلمات : الف الحمد لله ع السلامة . . بسلامتكم و دوم عزكم .

بعد دقائق جاء الشيخ داخ جارا معه خروفا كالتييس للذبح في استقبال الضيوف الاعزاء، و بعد كلمات التحايا و السلام و الجلوس على الافرشة و توزيع القهوة العربية من دلال كان قسما منها مخمرا على جمر منقل كبير . . انتهت الى ان الراديو الكبير الموضوع هناك و المعلم بثلاث قطع من القير تُوْشر مواقع : اذاعة بغداد، اذاعة الـ بي بي سي، و اذاعة صوت العرب من القاهرة، كان جميلا

و كان بيث اغاني نعيمة عاكف الاستعراضية الراقصة التي اشتهرت آنذاك. . . قال الشيخ دايع:

- امس عندما رجعنا من الصيد، صادفنا الشيخ جابر المعروف بكونه الابن الكبير لمن يملك اكبر اقطاعية في المنطقة، و هو قادم حديثا من لندن . . و سأل بصوت أمر (بأبي حق يصادر الإصلاح الزراعي اراضينا التي ورتناها ابا عن جد؟؟)، اجبته بأنه مدعو لزيارتنا و للحديث مع مزهر رئيس الجمعية الفلاحية في المنطقة لمناقشة ذلك، و قال انه سيأتي مساء هذا اليوم . . و لكن لفت انتباهي ان مرافقيه كانوا يحملون غدارات بورسعيد المصرية، و السؤال هو من اين و كيف حصلوا عليها و لأي غرض؟؟ . . سلاحنا في المنطقة لم يخرج عن البرنو و البرشوت و بنادق الصيد.

قال مزهر:

- سنتناقش حول قانون الإصلاح الزراعي و كيفية تطبيقه وفق تعليمات وزارة الاصلاح الزراعي و هي اوامر الزامية، و لنرى ماذا سيقول . . يمكن يتكلم بشئ عن سلاحه الجديد.

و من بعد ظهر ذلك اليوم، بدأ ابناء شيخ دايع و اولاد اخيه و احفاده يتهيأون و ينظفون اسلحتهم و العتاد و يتوزعون على اركان الباحة الواسعة خلف الأسيجة . . و مر عليهم الشيخ دايع منبها عليهم بضرورة الاستعداد الكامل . . حتى قدم الشيخ جابر بحماية اكثر من عشرين مسلح، غالبيتهم كانوا يحملون غدارات بور سعيد، دخل نصفهم معه الى المضيف و توزع النصف الآخر خارج السياج. .

و بدخولهم للمضيف اشار والدي لي بالخروج من المضيف
لأنه مجلس لمن اكبر سنا . . و فيما كنت اهم بالخروج و
احاول سحب محمود معي استوقفني الخال مزهر و قال
موجهاً الحديث لوالدي:

- استاذ رحيم ييقون و يشاركون الجلوس معنا ابنكم و ابني
محمود، و الا كيف يتعلمون و صاروا كبار؟ يمكن تتكون
عندهم ملاحظات و اشارات تساعد الجميع ايضا .
فبقينا، و جلس معنا عدد من ابناء الشيخ دايع و ابناء
اخوته . . و بعد السلام الاصولي و شرب القهوة و السلام
على الخال مزهر و الاحاديث عن القرى . . قال الشيخ
جابر فجأة:

- بربك اخ مزهر، بأي حق يصادر الإصلاح الزراعي
اراضينا التي ورثناها ابا عن جد، اليس هذه سرقة؟؟ و
لمن ستوزع؟؟ ستوزع على ناس مقطعين موصلين، لا
اصل و لافصل لهم . . جنا متونسين بنسوانهم بلا احم و لا
دستور!!

اجابه مزهر بلجة قاطعة و بصوت عالي:
- و انت حجبتها بصراحة استاذ جابر؟! و كأننا في مجلس
شيوخ، الصراحة بكل الاحوال احسن . . و شلون كنتم
تتونسون بنسوانهم؟؟ غير بالقتل و التهديد و الاغتصاب و
بالتجويع . . و كم حالة حصلت؟ و انت الشاهد او . . لو لا
؟؟ ليش ماتدافعون عنهم كأوادم و اخوان و اخوات لكم
بالخفة و الدين و العشيرة على الاقل .

بعدين يبين انك نسيت و انت الدارس المتعلم ان اراضيكم
كانت اراضي اميرية حكومية تديرها الحكومات السابقة و
وزعتها عليكم مقابل تاييدكم لها و اللي ماأيدها حتى بعدين
تسحبها منه، و اراضي اخرى بيعت لكم بفلس و نص

بالتهديد و اخرى نهبت لكم بالقوة بعد ان كانت مسجلة اميرية او باسم العشائر و صارت مسجلة باسماء اشخاص عينتهم حكومات العهد الملكي المباد مو غيرها، عينتهم كرؤساء عشائر، اضافة لعدد قليل من رؤساء العشائر فعلا ، مقابل تأييدكم للاحتلال البريطاني او السكوت عنه . . اراضي لم تخدموها و لم تعتنوا بها و انما عثتم على جهود الفلاحين ابناء جلدتكم و عشايركم و على عرقهم و دمائهم . . و على نساءهم كما تقول بلا خجل و هن بنات عمك . . نسيت قضية المسكينة ليلى ؟؟ من قتلها ؟؟ قتلوها لأنها رفضت ان تطئ طئ رأسها للذل و العار الذي حاولوا محاصرتها به . . و رفضت ؟؟ هل نسيت ؟؟ هل اذكرك برقم القضية و تاريخها ؟؟؟ اصفر وجه الشيخ جابر . . ثم قطع الصمت بصوت واطئ :

- نعم . . سؤالي كم تقطعوا من اراضيها و كيف سيتم الحساب . . و اذا لم تقبل ماذا ستعملون ؟؟
- احسن شئ تمر لينا بالجمعية و نوضح لك . . بس للعلم هي اوامر الزامية و الذي لايطبقها يحال امره الى القضاء و الشرطة!

و ساد سكون الى ان جلبوا صحن الفاكهة . . و اخذ الحديث يدور عن فاكهة ذلك الموسم و كيف يمكن تحسينها و حول السقي و مشاكله، و فلان تزوج للمرة الثالثة و لم يحصل على صبي، و فلان ضرب زوجته و تسبب لها بعاهة في ركبته.

و فجأة انزلت احدى الغدارات من كتف احد المرافقين و هو يقشر برتقالة و ارتطمت بارض المضيف المرصوفة بالطابوق الفرشي، و احدثت صوتا عاليا و فلتت رصاصة

من غدارة بورسعيد و اصابت سقف المضيف !! تسببت بلحظة صمت ثم صاح الشيخ جابر على حامل الغدارة:
 - لك تبقى مطي . . كم مرة شرحت لكم كيفية العناية بالغدارة و كيفية حملها و تأمينها، بس المطي يبقى مطي .

- يا بيك بس احنا اخبرناك ان هذي الغدارات غير امينة و تفلت منها الاطلاقات بسهولة، الف الحمد لله و الشكر مرت بسلام هالمره.

- انجب لك و اقلل فمك و الا اسده بالخرا !! كوم ولي . . و بقي الجميع بصمت يراقبون و يسمعون اسلوب و كلمات حديث الشيخ جابر مع ابن عمه و مرافقه في مجلس . . و لأقطع الصمت سألت الشيخ جابر:

- عمو هاي الغدارات منين مشتريها و كم سعرها . . تبين حلوة و هاي اول مرة اشوف مثلها!!
 - بويه هذي شغل كبار مو زغار . . هاي جبتها وياي من لندن كهديه لعشيرتنا من هناك .

و بعد ان تخفف التوتر . . استأذن الشيخ جابر للخروج، و خرج هو و مسلحيه و قد تدلت اكتافه على جانبيه، بعد ان دخل مرفوع الصدر و الاكتاف منفوخ الوداج، و انتظر ابناء الشيخ دايع و ابناء عمومتهم حتى غاب هو و مسلحيه عن الناظر، ليأتوا الى المضيف باسلحتهم و يجلسون معنا لتناول الفاكهة و المشاركة بالاحاديث، كما دعاهم الشيخ دايع . . و استمرت الاحاديث.

قال الخال مزهر و هو يلتفت لي و يربت على كتفي:
 - تسلم ابني السبع على سؤالك عن السلاح و ظل هالشكل حتى نطوق الظالم . . هم هالملاعين الوالدين يعتقدون و يصدقون اعتقادهم، يعتقدون انهم الافهم و ان الناس لاتعي

و لاتعرف ان تحسب و تلاحظ . . جايب سلاح هدية من لندن؟؟ و لك هذا سلاح مو صوغة شلغم !! شلون عبر بالمطار و شلون وافق الانكليز و الف شلون وراها . . هذه الغدارة معروفة و مكتوب عليها (بور سعيد - صنع في مصر) بالعربي ههههههههه

و اخبرنا عدد من الإخوان باجتماع الجمعيات الفلاحية في بغداد، اخبرونا بأن هناك دفعات من غدارات بورسعيد مسلمة لمهريين عبر الحدود السورية في ربيعة و توزعت على عدد من الإقطاعيين في اطراف بغداد، و قد رأوها و صادروا بعضها في اشتباكات يد مع عدد من اعداء الإصلاح الزراعي، و قالوا بانها اسلحة صنعت على طريقة غدارة الـ (برتة) الايطالية و لكنها لم تنجح لأنها غير امينة و تفلت منها الرصاصات بسهولة. .

انقطع الحديث . . حين اصغى الجميع الى صوت ام عماد و هي تصيح و اصوات نسائية تهدأها:

- شنو يعني مضيف رجال؟؟ لازم اشوف بنفسي. .

- ام عماد اهدأي عزيزتي . . صدقيني لو مثل ماتقولين كان

رحيم ترك المضيف!!

- عيني سعاد الرجال مايتأمنون، هالنوب عاد شيوخ . .

لازم اشوف بعيني!!

قالت زوجة الشيخ داخ الكبرى:

- عيني ام عماد احنا و خاصة شيخ داخ مايسمح بهالمسائل

و اذا احد عجبه، هاي مضارب العجر مو بعيدة يكدر

يروح الى هناك . . بس دقيقة انتظري نعطيهم نشده و هاي

عباية البسيها و ادخلي عليهم، بس دقيقة . . و صاحت على

ابنها الكبير و اخبرته بان ام عماد تريد تدخل و تتأكد بس

لا اكو غجريات !! ضحك الابن و قال:

- يا أمي انتي ماتعرفين الوالد شكك متشدد بالمسائل؟؟
- اكرمنا بسكوتك و سوي النا طريق ابني.

الملا مصطفى البارزاني

في مضيف الشيخ دايع كان الخال مزهر يتحدث عن ثورات الكرد التحررية في البلاد، في سليمانية و قائدها الشيخ محمود الحفيد و انتفاضة بارزان بقيادة الشيخ احمد البارزاني، سنوات الحرب العالمية الاولى.. و كيف تكررت في بارزان و شملت عموم كردستان العراق في سنوات الحرب العالمية الثانية، من اجل الحقوق القومية المشروعة و الحكم الذاتي للكرد و للاقليات المتنوعة في كردستان العراق في عراق ديمقراطي، و كيف كان الملا مصطفى البارزاني قائد ثورة بارزان و معاركها البطولية ضد الانكليز في العراق.. و كيف تأسست اول جمهورية كردستانية ذات حكم ذاتي عاصمتها مهباد و انتخب فيها الملا مصطفى رئيسا لأركان جيش القوات الكردستانية، و كيف هاجمت قوات شاه ايران و قوات العراق و تركيا الجمهورية الكردستانية الوليدة و احتلت مهباد و اعدمت قادتها و كيف صمد الملا مصطفى بقواته امام تلك الهجمات الوحشية، و كيف قاتلت قواته بقيادته و هي تنسحب نحو الاتحاد السوفيتي تحت الهجوم الثلاثي لتلك الدول آنذاك لأنها لم تجد حلا آخر، و ليصبحوا لاجئين هناك، بعد ان وافقت سلطات الحدود السوفيتية على استقبالهم. و اثر ثورة ١٤ تموز، تم الإعلان عن ان العرب و الكرد شركاء في الوطن و اعلن العفو الرسمي عن الملا مصطفى البارزاني و رجال قواته، و وجهت لهم الدعوة للعودة الى الوطن و الاعتراف بنضالهم العادل . . و انهم يعودون الآن على متن باخرة اوكرانية الى ميناء البصرة، و يستعد الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية لتحتيهم و استقبالهم في البصرة، و كيف ان الجمعية الفلاحية التي يرأسها الخال مزهر تنهياً

لتشكيل وفد للسفر الى البصرة و استقبال القائد الكردي الكبير و الرجال الذين تبقوا من قوته معه و عوائلهم هناك، و انهم سيقومون مهرجانا احتفاليا كبيرا رسميا و شعبيا، في البصرة لإستقبالهم .
 و انقطع الحديث بأن مدت ام عماد ماتمكنت من رأسها المحجب بصمت من الباب الموارد لتري حقيقة مايجري، لتتهي تصوراتها و عدم ارتياحها، و وقعت عينها و هي تديرها على الجالسين، وقعت على الخال مزهر الذي كان جالسا مقابل الباب، و الذي ما ان لمحها بقامتها الفارعة و بالعباءة التي كانت لم تصل الى قدميها، حتى وقف و هو يقول:

- العفو اختي ام عماد تفضلي تفضلي.. سوا طريق للحجية ام عماد!!
 - العفو خويه ابو محمود.. الف الحمد الله ع السلامة، اشرق علينا الخير بوجودكم خويه الف الف هلا و مرحبا!!
 - و الله عاشت ايدج اختي ام عماد على هالمبادرة الكريمة الشجاعة، اسأل الله ان يفرحكم و يمد بصحتكم انتي و اخويه الاستاذ فاضل و يخلي الكم ولدكم الحلوين السالمين الغانمين بجاه رب العالمين و النبي المصطفى.

و فيما بقيت ام عماد واقفة عند الباب و هي تحيي الجالسين من فتحة عباؤها و كلماتها غاصة بانواع الدموع، قالت:
 - و الله خويه ابو محمود و انت اخويه الكبير . . مابقي عندي بالدنيا من اهل الا ابو عماد.. و صرت اخاف عليه من الحساد و من الظلام و ممن لا عدهم ذمة و لا ضمير . . اخاف عليه من السحر و من عبث الغواني و الطايحات.

انصدم الخال مزهر بكلمات ام عماد و صاح بتودد و توسل:
 - تفضلي اختي ام عماد استريحي، كلنا اهل و عائلة واحدة، ابو عماد و الكل يعرفون، بمعزة اخويه الصغير . . تأمري و آني رهن اشارتك و امام الجميع.. استريحي بالله عليك.
 - العفو العفو خليلني واقفة ببابك الله يخليك خال مزهر.. تبقى فوق رأسنا

راية عز و كرامة و شهامة، و هذا ماي الفرات يشهد على ما اقول!!
تأثر الجميع بكلمات الخال مزهر و هو يطلب من ام عماد ان تأمر عليه
و هو المعروف بأن لا أحد يستطيع ان يأمر عليه في عشائر المنطقة
التي من اجلها قضى عشرة سنوات في سجن نقرة السلطان الصحرابي
و كلمته لاترد بل و تسري سريان الدم في الشرايين، فيما انحنى الخال
على ابو عماد و والدي و سأل بهمس:
- فهموني شنو هيه القصة.. ليش ام عماد بهذا الألم و هي المعروفة
بالشجاعة و الإقدام، اول مرة اشوفها على ها الحال..؟؟
اجابه ابو عماد بسرعة و بكل اختصار و بصوت واطى.. ان السبب هو
قرار اخيها الكبير عباس الذي قاطعها و حرم عليها زيارة بيت اهلهما
بسبب زواجهما دون موافقته، و توفى والدها و لم تستطع حضور
فاتحته كي لاتنقلب الفاتحة الى فوضى و اوامر.. و من يومها سكنها
الحزن و لم يتزحزح عباس عن قراره الى يومنا هذا.
وقف الخال مزهر و قال بصوت جهوري واضح و قاطع:
- عباس القصاب خوش ولد و معزته كبيرة بقلبي، لكن ماكنت اعرف
انه يتخذ هيج قرارات قاسية، و بحق من؟؟ بحق زينة نساء الفرات ام
عماد..

سمعتة ام عماد و اجهشت في بكاء مر..
- و الله و بحق شهداء الوطن المناضلين و بروح ام محمود و الغالين،
هو مسجل اسمه معنا في وفد استقبال الملا مصطفى في البصرة.. و
الله و الله اخليه يوكع دخيل على ملا مصطفى ان يحكم بقضيته و هو
من بيت دين و علوم و تصوف، و اذا مافاد معاه اعرض القضية على
رئيس محكمة الشعب فاضل عباس المهداوي ان يحكم بقضيته و احنا
راجعين، اذا مايجي و يوكع على اخته ام عماد و يصلحها و يطلب
منها العفو.. و خلي الحاضر يعلم الغايب!!
و بين بكاء و شهقات ام عماد الواقعة عند الباب و التي جمدت من
كلمات الخال المزهر، لأنها تعرف انه يعني كلماته و يفعلها.. غادر ابنا

اخ الشيخ دايع المضيف بسرعة و دون ضجيج و عيونهما تلمع لمعانا
دل انهما ناويان على شئ مهم، فتبعتهما و سألتهما:

- ايش راح تعملون؟؟
- رايعين لمخفر الشرطة حتى ناخبر عباس القصاب و نعطيه خبر بما
قاله الخال مزهر، لأن تلفون العم دايع مقفول و بالمضيف.

- بس يعني هاي مو فتنة؟؟
- لأ عيني.. سيأتي عباس مثل البرق من الحلة و هسه تشوف!!
و فعلا و في حدود منتصف الليل و نساء الشيخ لازن مشغولات بإعداد
العشاء بعد ان اضفن اليه عدد جديد من الدجاج بعد ذبحها و تنظيفها
على عجل، لأنهن كن واثقات من مجئ عباس و عدد من الرجال معه .
. حتى جاء عباس الذي خوف حرامية و مجرمي الحلة القديمة،
منتصب القامة و من معه و هم متمنطقين ببناديهم..

و قرب باب مضيف الشيخ دايع شاهد عباس اخته على ضوء اللوكس
الذي كان يضيئ ساحة المضيف . . و شاهده و جمدت و اخذها
بالأحضان و نزل فيها تقبيلا و بكاء و اختلطت دموعهما و هو يقول
لها:

- حبيبتي ام عماد سامحيني حبيبتي.. كنت احمق.. كنت.. امك و اخواتك
مشتاقين لك و ينتظروك بفارغ الصبر.. هاي عاداتنا الوسخة و انت
أعرف مني.. بويه العفو و انشاء الله، الله مايسامحني على عملي.. .

.....

.....

في خريف ذلك العام التقى النقيب سعدون بالمقدم ممدوح في النادي
العسكري و هنا احدهما الآخر على الرتبة الجديدة التي تم منحها
لضباط الجيش بمناسبة انتصار الثورة بمنحهم درجة رتبة اعلى و قال
المقدم ممدوح :

- عزيزي سعدون صدر امر نقلك الى عضوية هيئة اركان الفرقة
الرابعة لشؤون الإستخبارات برتبتك الجديدة و ارى ضرورة زيارتك

للزعيم عبد الكريم في مقره في وزارة الدفاع، لتحيته و السلام عليه و تقديم الشكر على الرتبة الممنوحة الجديدة، و انا شبه متأكد من انه سيعطيك موعدا للسلام عليه . . و من خلال ذلك تسأل عن امكانية رفع الغين السابق عنك و ان تكون بالرتبة التي نحملها جميعا نحن ابناء نفس الدورة العسكرية.. سأتابع ذلك و اخبرك! و فعلا بعد ايام اتصل المقدم ممدوح بسعدون و ابغاه الموعد الذي تحدد مع الزعيم في مقره في وزارة الدفاع، و ذهب سعدون برفقته الى هناك، و مما رواه المقدم ممدوح:

- ذهب معي سعدون الى مقر الزعيم في الساعة الحادية عشر من ذلك الصباح، و كان مع الزعيم: الزعيم طه الشيخ احمد أمر الحركات العسكرية و العقيد الركن وصفي طاهر المرافق الاقدم للزعيم . . و بعد اداءنا للتحية العسكرية قدمت النقيب سعدون للزعيم الذي رحب به و طلب منا ان نستريح بالجلوس في مكتبه و بدأ الزعيم الكلام موجها كلامه لسعدون، قائلا " من زمان اعرف عنك و اسمع بيبك و احب ان التقى بك، و وددت ان اهنئك على نجاح ماعملته في اخافة الوصي . . و اتفضل اذا عندك اي طلب و انا اسمع " فقال سعدون:

- سيدي بالتأكيد تعرف اني تعاقبت عدة عقوبات ظلما و غدرا، و انا لا انكر انني كأى ضابط اقتصرت اخطاء ايضا و مستعد للاعتراف بها و اتجاوزها، و لكنهم بقوا متصدين لي لمواقفنا كعائلة من المستعمرين البريطانيين و من عملهم على اشعال الصراعات العشائرية.. اطالب بالغاء عقوباتي!!

- فورا !! ماتضيع جهود المخلصين من ابناء الشعب و الجيش.. ابني انت تستحق وسام على اخافة الوصي.. ممدوح انتم من نفس الدورة، صحیح؟؟

صحیح
فقلت:

- صحیح سيدي!
- اليوم ! هذا اليوم . . زعيم طه تصدر امر باعادة الرتبة الحقيقية للمقدم

سعدون و تضع اسمه على المرشحين لإستلام وسام الرافدين من الدرجة الاولى و المرشحين لدورة الأركان القادمة! و منذ ذلك التاريخ حمل سعدون رتبة مقدم ! و صار مسؤول شعبة الاستخبارات العسكرية في اركان الفرقة الرابعة في معسكر سعد - بعقوبة..

و في تلك الفترة زارنا سعدون بملابسه العسكرية حاملا رتبته الجديدة بسيارة جيب قيادة جديدة و سيارة حماية عسكرية تحمل مدججين برشاشات سترلنك، و استقبل عندنا من والدي و والدتي و برهوم و الست ناهدة شيخ رشيد.. و عملنا نحن الفتوة على توزيع الشربت و الحلوى عليهم و تناولت الاحاديث مواضيع متعددة حتى وصلت الى ما قاله المقدم سعدون:

- شنو سألفة العركات على الجسر.. تقارير تقول انه اضافة الى جماعات متطرفة من اهل الاعظمية تمنع اهل الكاظمية من عبور الجسر، انضمت اليهم جماعات من اهل الكاظمية نفسها تطلق على نفسها (جماعة الشيخ محمد) تمنعهم ايضا و يقال انهم من اتباع المرجع الديني السيد الخالصي و ان الشيخ محمد هو ابنه و انه ضابط برتبة ملازم، و انهم بدأوا بمنع النساء السافرات من السير في اسواق الكاظمية، الا بان يكن محجبات و برفقة محرم و انهم دقوا شعارات و اجزاء من آيات قرآنية على حيطان الاسواق و على ابواب الحضرة الكاظمية منها " و لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى " و بدأوا بضرب من يروها غير محجبة بالعصي. .

بعدين.. شنو سألفة جمع الدراجات الهوائية من الشوارع في الاعظمية، بشكل شبه يومي و تحميلها بلوريات و مصادرتها او ارجاعها شبه محطة الى اماكنها، على انها لتلبية حاجة المقاومة الشعبية، الامر المتسبب بتدمير شعبي متزايد، احنا من جانبنا سندقق بمن يعطي هكذا اوامر و انتم حاولوا تساعدونا على معرفة مايدور و هل هو منظم و من اية قوى او احزاب. .

قال

برهوم:

- نعم عزيزي سعدون . . اضافة لذلك عدد من الجماعات القومية من الاعظمية صار عددهم غدارات بور سعيد، هاي منو يوزعها عليهم؟؟ يقولون انها بعلم ضباط قادة من الجيش للدفاع عن الجمهورية . . زين مو اكو جيش و اكو مقاومة شعبية بإمرة الجيش و تساعده، بعد ليش هالجماعات؟؟ خاصة و ان عدد واضح منهم مجرمين و سمعتهم سيئة . . بعدين اكو بيوت و مقاهي يجتمعون فيها باسلحتهم الى اوقات متأخرة من الليل مثل بيت الوكيل السري السابق، و جايدانه جديد مفتحة برأس دربونة الخبازة نجية في سوق محلة الشيوخ، مقابل معرض الحاج ياسين ابو القرطاسية اللي يلتقي فيها سعدون شاكرو اخوته و برزان بملابس الجندي، اللي لابسا لحماية نفسه . . و يتداول الناس مشاكل هالاشقيائية مع اشقيائية ولد الصفرة التي قد تصل الى مصادمات بالسلاح معهم بعد ان التزمت اطراف قومية و خاصة البعث احدهم و التزم الثاني جماعة الاستقلال .

بهذا الأثناء نقل تلفزيون بغداد في برنامج (الاخبار المصورة) مراسم استقبال القائد الكردي مصطفى البارزاني و رفاقه و عوائلهم في البصرة من قبل متصرف البصرة و قائد الفرقة العسكرية هناك، وسط حشود هائلة رجالا و نساء من كل المكونات العراقية و منظمات الاحزاب الوطنية : البارتي، الحزب الشيوعي، الحزب الوطني الديمقراطي و منظمات : المقاومة الشعبية، نقابات العمال، الجمعيات الفلاحية، اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية و النقابات المهنية و غيرها العديد .

وسط اغاني المطرب الوطني الصاعد احمد الخليل و الفرقة الموسيقية المصاحبة له، الذي كانت اوسع الاوساط المشاركة تردد و تصفق معه في المقاطع التي تتطلب:

من	تمر	انسام	عذبة	من	الشمال
على	ضفاف	الهور	تفتح	كلوب	

لو عزف بالناي راعي بالشمال
 عالربابة يجاوبه راعي الجنوب
 هه ر بجي كرد و عرب رمز النضال
 هرجي كرد و عرب رمز النضال
 هاي خوتنا و تاريخ انكتب، النا حافل بالمجد و التضحيات
 هالوطن شركة لكراد و عرب
 صخرة وحدتنا و معدنها صلب ماتهزهزها العواصف للأبد
 ايد بيد و كلب مشدود بكلب
 وبالشدايد واحد لواحد سند
 حلوه مره اثنيينا نعيش الحياة
 كلوبنا تخفق سوا . . جنوب و شمال
 هرجي هرجي كرد و عرب رمز النضال
 ثم نقل التلفزيون وصولهم الى بغداد . . الى فندق " تاكرس بالاس "
 الراقي المطل على نهر دجلة مقابل (حسو اخوان) في منطقة (الفاهرة)
 الحديثة من شارع الرشيد، حيث كانت حشود مماثلة من النساء و
 الرجال في استقبالهم هناك وسط الشعار المدوي الذي صاحت به
 الحناجر:

حتي حتي حتايا كرد و عرب برايا
 الى الابد الى الابد يبقى العرب و الكرد يدا واحدة
 و وسط لافنة حمراء طويلة كتب عليها بالابيض:
 " على صخرة الاتحاد العربي الكردي تتحطم مؤامرات الاستعمار و
 الرجعية"

و قد لعبت اذاعة بغداد دورا كبيرا في تحويل ذلك اليوم الى عرس
 وطني حقيقي، حيث امتلأت شوارع بغداد بالناس نساء و رجالا و
 شيوخا و اطفالا و من مختلف القوميات و الأديان و الطوائف و الى
 ساعة متأخرة من الليل و الى الصباح . . و هي تغني و تدبك و ترقص
 في الشوارع على انغام و كلمات و مقاطع تلك الاهازيج و الاغاني و

الشعارات . . عدا بعض محلات و ازقة بغداد التي منها الأعظمية و الجعيفر التي صدح فيها الراديو بتلك الهازيج و لكن التفاعل الشعبي فيها كان محدودا بل و كان متحديا لمحيطه فيها . و في غمرة ذلك العرس الشعبي الكبير . . مر علينا ابن عمي المناضل " عدنان البراك " و شارك في الاحاديث موضحا و مستفيدا منها في تكوين و توجيه افكار جديدة و ملحة الى الصحافة اليسارية عموما ، رغم انغماره المتنوع في النشاطات الحزبية و بالذات في الصحافة، حيث كان سكرتير تحرير " اتحاد الشعب " التي كان يرأسها عبد الرحيم شريف، اضافة لكونه احد محرريها الأساسيين، من جهة. و كان يشرف و ينظم نشاطات المحررين اليساريين في الصحف التقدمية الاخرى مثل : الإنسانية، ١٤ تموز، الثبات، الشبيبة، الغد، الفجر الجديد، المبدأ . . التي كانت تغلق باوامر وزارة الداخلية التي قادها آنذاك عبد السلام عارف و جماعته، لتفتتح صحف جديدة باسماء جديدة . . لتوضيح و كتابة المطالب الأكثر الحاحا للجماهير الفقيرة و المعدمة آنذاك، و لتحقيق المنجز الصحفي الأسرع و الابلغ و الاكبر تأثيرا بين الجماهير في عموم تلك الصحف، من جهة اخرى . . كما عبر لاحقا عدد كبير من الكتاب و الصحفيين اليساريين الناشطين آنذاك، و الباحثين اللاحقين.

و من السخرية ان القرج ام سناء وسط تلك الاجواء الاحتفالية، افتعلت لها مشكلة بأن هناك من سرق تنكة ازبالها و اخذت تصيح بعلو صوتها الأجش:

- واضح من سرقتها هذول لابد جماعة (كردي نازاني) ، جماعة هاربيشي . . عملاء مال نازاني . . انعل ابوكم لاجو نازاني!!!
وسط ضحك الجيران و تغامزهم عليها من خلف الشبايبك .

في تلك الفترة تم الإعلان عن صدور عفو عن القطب القومي العربي

رشيد عالي الكيلاني، الذي انقلب في مايس ١٩٤١ على حكومة ياسين الهاشمي في العهد السعيدي و حاول ازاحة الوصي الذي هرب، بمساعدة قادة الجيش عقداء المربع الذهبي بقيادة العقيد صلاح الدين الصباغ، الا ان المحاولة لم تنجح بعد ان هاجمتها القوات البريطانية و اعادت الوصي الى العرش و أعدم العقداء الاربعة، و صدر حكما غيابيا بالإعدام على رشيد عالي الذي فر الى المانيا الهتلرية و بعد سقوطها التجأ الى عدة دول و استقر اخيرا في مصر عبد الناصر. .

و تم الإعلان عن الغاء العقوبات بحق المشاركين فيها، و تكريم الحركة بكونها حركة وطنية تحررية . . و لدى وصول رشيد عالي الى بغداد، اعلن عن عزمه على العمل من اجل اعلان الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، و قد زاره عبد السلام عارف في بيته و اعلن تأييده لما ينوي تحقيقه في الوحدة الفورية، كما نشرت الصحف القومية و غيرها آنذاك.

في وقت كان فيه المقدم سعدون يتتبع اخبار تسرب الاسلحة من سوريا (الاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة) . . حتى عرف من ريتا في بانسيون ماري بانها سمعت من صديقتها سلمى بأن زبونها الضابط القومي الذي تتيم بها و اخبرها، بأنه يريد الزواج منها، و فقط عليه انتظار حركة سيقومون بها للاستيلاء على الحكم و سيأتيها كعريس غني و بالسلاح الجديد . . و بعد تدقيقات و تأكيدات سريعة، اخبر المقدم ممدوح الذي صار عضوا مهما في الاركان العامة (الحركات العسكرية)، بالخبر . . . و اخذوا يتابعون ما يجري.

بعد اسابيع اعلن راديو بغداد عن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم بالتعاون مع عدد من رجال العهد المباد و عدد من الإقطاعيين الذين خسروا اراضي واسعة بسبب الإصلاح الزراعي، عدد من كبار الضباط و الوزراء و الموظفين الكبار السابقين و بتأييد مجموعات من القوميين من حزب الاستقلال العائد لمحمد مهدي كبة عضو مجلس السيادة، بطريقة القيام بأعمال تخريبية تزعزع الأمن و الاستقرار و

البدء من بغداد، من اشغال حرائق، محاولة نسف جسور، قطع الاتصالات التلفونية، قطع الكهرباء بين حين و آخر، تخريب طرق و ارباك حركة النقل و غيرها . ثم اعلان عدم أهلية الحكومة القائمة للحكم و ادارة البلاد و المطالبة باستقلالها، و ان لم تستقيل سيلجأون لضباطهم للقيام بانقلاب عسكري لإزاحة عبد الكريم قاسم و الغاء الإصلاح الزراعي، بالتعاون مع حكومة عبد الناصر، بالتنسيق مع السفير المصري عبد المجيد فريد و ملحقه العسكريين المصريين.

و لم تنتشر تفاصيل المحاولة و لا اسماء القائمين بها لفترة و بقيت طي الكتمان في ذلك الوقت لإستكمال الادلة و حرصا على عدم توتير الأجواء مع عبد الناصر اكثر . . الى ثبت في اواخر ١٩٥٨ بالأدلة القاطعة تزعم رشيد عالي الكيلاني للمحاولة و مشاركة عدد من كبار الضباط فيها، منهم رفعت الحاج سري رئيس الإستخبارات العسكرية و مؤسس تنظيم الضباط الأحرار و عدد من كبار الاقطاعيين منهم عجيل الياور، و احمد مختار بابان رئيس وزراء سعدي سابق، و بدعم من دولة خارجية، اثبت التحقيق انها كانت الجمهورية العربية المتحدة.

فتمت محاكمة رشيد عالي الكيلاني في محكمة الشعب العلنية برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي وفق الدستور المؤقت المعلن، و بثت على الهواء، و تم اعلان الحكم على المتآمرين بأحكام ثقيلة و حكم على الضباط المشاركين بأحكام اخف . . و بعد فترة قصيرة اعلن الزعيم عبد الكريم قاسم عن العفو عنهم على اساس (عفا الله عما سلف) .

وسط اجواء هجوم متواصل لا ينقطع من اذاعات القاهرة و صوت العرب على الزعيم عبد الكريم و على العقيد المهداوي و على ما وصفوه بالمد الشيوعي العراقي . . و هكذا تصاعد الإستقطاب اكثر بين القوميين الداعين الى الوحدة الفورية و بين الشيوعيين الداعين الى تحقيق الإصلاح الزراعي و تعميق الديمقراطية في البلاد و التهيؤ الى اتحاد فدرالي عربي في ظروف يجري الإعداد لها . . حتى صار

الاختلاف صراعا قاسيا بين الطرفين، جرى وفق مستوى عقلية ووعي المجتمع و الاحزاب آنذاك و الظروف و الصراعات الدولية و الإقليمية . . و في الأخير كان صراعا صفقت له الاحتكارات النفطية و الدوائر الغربية العليا.

اطلقت ثورة ١٤ تموز انواع الطاقات الإجتماعية و الإقتصادية و العلمية الهادفة الى تقدم البلاد و رفاها . . و اطلقت تنظيم مطالب الحقوق الاجتماعية و حقوق العمل و بناء نقاباتها و جمعياتها، و اطلاق التعليم و برامج محو الأمية، و خدمات الصحة و محاربة الفقر. . فانطلق بناء المدارس و التوجه لتأسيس اول جامعة عراقية بيد و جهد و بعمل ابنائها، صار رئيسها احد علماء الفيزياء المعروفين عالميا الصابئي عبد الجبار عبد الله و نائبه عالم الطب العدلي، البغدادي أحمد عزت القيسي، و فتحت البعثات و الزمالات الدراسية الى الخارج دون قيود، و انطلق بناء المعامل و تحسين الحقول الزراعية و ادخال المكننة فيها، اضافة الى بناء و افتتاح المستشفيات و محاربة الامراض و استحداث دوائر جديدة حديثة و ملاكاتها لها. . و جرت عناية خاصة بالفنون بأنواعها و جرى توسيع معهد الفنون الجميلة و الإعداد لإنشاء مؤسسات لدراسات فنية و اكااديمية اعلى، و ايلاء عناية خاصة بالفنانين العراقيين و استقدامهم من دول الهجرة و الإهتمام بكبيرى السن منهم و تخصيص مكافئات و رواتب تقاعدية لهم، اضافة لإطلاق و انطلاق الصحافة بأنواعها. . كانت بغداد تموج بنشاط و حركة دائبة متنوعة الاتجاهات و التصادمت، التي لم تتوقف فحسب، بل انها اخذت تضم اوساطا اوسع و اوسع . . و كانت تثير انواع الحذر مما يمكن ان يجري، الأمر الذي سعد التطرف في مواقف الاطراف المختلفة مع بعضها ثم المتصارعة . . في عهد حكومة ضمت رجالا من كل الاتجاهات الإجتماعية و الفكرية المتناقضة والمتصارعة، و كانت بذلك بذاتها مسرحا لصراع مرير بين الحداثة و النزوع الى الحرية والتقدم و الرفاه لأوسع الأوساط

الشعبية و بين الأمية والجهل و الروح المحافظة. وكانت صراعا لأصحاب مصالح يحركون وينتظرون ويدفعون، لنسج و تفجير عواطف شقت عنان السماء في دعوات للقوة . . او للأنتقام و للسعي لإستعادة مافقده اصحاب تلك المصالح اثر ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ . فأخذ البلد يسبح بانواع الشعارات المتصارعة . . الممزقة والملطخة او الملغاة حديثا من واجهات البنايات و في مفارق الطرق، بكتابة شعارات انيقة على السابقة ذاتها، بنشاط متصاعد محوم وكأنه كان يسابق الزمن كي لاتضيع الفرصة !!؟ اضافة الى انواع الدوريات التي كانت تجوب الشوارع و تتصارع بينها ايضا بالصراخ والأيادي و الهراوات ثم . . بالخناجر وبالرصاص احيانا ثم في اكثر الأحيان . . لضبط الشعارات واعتقال من افترضوا فيهم انهم مخربون غرباء لأنهم قادمون من احياء اخرى لاتعرف ماهيتها!!

في زمن اخذت فيه الشعارات المرفوعة و المخطوطة تتغير بسرعة وبشكل مخيف، من الشعارات التي طالبت بالإسراع بتنفيذ قوانين الإصلاح الزراعي، تأميم النفط، معاقبة المتأمرين، مكافحة الأمية، ايقاف التجارب النووية في صحراء الجزائر و طالبت باطلاق سراح المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد و زعماء جبهة التحرير الجزائرية، والشعارات التي دعت الى التطوع في المقاومة الشعبية، وللدفاع عن الجمهورية

الجمهورية الفتية.

الى شعارات متصارعة متضادة الأهداف تنبئ باحداث، ان كان يخاف ويحذر منها كثيرون، فان الأوساط الأوسع بدأت ترتعب منها ولا تتصور ماهيتها و مداها . . من (وحدة تحرر ثار) لم يعرف ثار ممن، يسقط عملاء الدولار الممسوحة بـ يسقط عملاء الروبل، دين و عروبة و اسلام، الى . . يسقط جمال عفلق الحوراني، وحدة عربية فلتسقط الشيوعية بدلا من فلتسقط الصهيونية .

و بدأت محلات و ازقة بغداد تختلف و تتصارع و تتفق حسب نواع الشعارات المرفوعة فيها، وفي الأعظمية . . في " محلة الشيوخ " التي

كانت الشوارع تقفر فيها عند بدء جلسات " محكمة الشعب " التي كانت تحاكم اقطاب العهد الملكي السابق والتي كانت تبدأ في الساعة السادسة مساءً، حين كانت المقاهي تمتلئ بالزبائن و المتفرجين المتجمهرين و المتحلقين على اجهزة التلفزيون . . و كان صياح الفرح و توزيع الحلويات والملبس يختلط باصوات قرقرات النارجيلة و ضرب احجار الطاوي والزهر . . يتناغم مع اسئلة المحكمة المباشرة و الصريحة للمتهمين، و مع قراراتها و مواقف الشهود الجريئة . . صارت المقاهي تمتلئ بوجوه منفعلة غاضبة، و اخرى تكتم حقا و الأيادي تتحرك حركات انفعالية تهدد لايعرف من . .

و برز في تلك الفترة شقاوات المحلات و الأزقة، و كانت النسبة الأكبر منهم من الدرك الاجرامي ممن يعتاشون على الخوات و انواع التهديدات و على حماية المحلات و حماية اشخاص و تنفيذ اوامر من يدفعون لهم، و ممن هربوا من سجون او هاربين من القانون بسبب جرائم اقترفوها، و انتهت الناس ان اعدادا منهم تبنتهم احزاب و انها تستغلهم لتحقيق اهداف و نجاحات لها، كان اخطرها هو القيام باغتيالات ضد من يشكلون خطرا عليها و على خطتها الأنانية، برز منها في ذلك التوجه الخطير حزبا الإستقلال و البعث . .

حتى صارت الاشقيائية السياسية، و تكوين عصابات محلات و كأنها سمة و جزء فاعل هام و خطير في المجتمع . . و قد برزت بشكل مبكر في الموصل بسبب قانون الإصلاح الزراعي الذي وقفت ضده اقطاعيات عشائرية كبيرة و رفعت اشكال الشعارات المختارة و كأنها تدافع عن العروبة و الإسلام، و بتشجيع و دعم مالي و بالسلاح من الجارة سوريا (الاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة) بقيادة ناصر، فاصطدمت بالمقاومة الشعبية و بمنظمات الحزب الشيوعي و الوطني الديمقراطي و القاسميين و الديمقراطي الكردستاني هناك . .

و اشعلت اعمال الإغتيال السياسي بيد قتلة مأجورين من مجاميع الأشقيائية بتواطؤ الشرطة المحلية . . بحق النشطاء الشيوعيين و

الديمقراطيين و كل من عمل و دافع عن قانون الإصلاح الزراعي، و تنظم ذلك بين : شيوخ من شمر عرفوا بعلاقاتهم القوية مع شركة نفط عين زالة، الشقاقات المأجورين و دوائر الشرطة الساندة لهم، شقاقات البعث و الاستقلال، العقيد عبد الحميد السراج الحاكم العسكري لسوريا و العقيد عبد الوهاب الشواف أمر موقع الموصل في الغزلائي. و لم تكن عصابات الأشقيائية على وئام مع بعضها، بل كانت مشاجراتهم مستمرة كل يحاول ان يتزعم منطقته لوحده او ان يحاول توسيعها بلا مبالاة مما قد يحصل او يصيب الآخرين بضرر، كما حصل في احدى الليالي يوما في الأعظمية في محلة الشيوخ، ما القى الضوء على تلك المشاجرات و ماهيتها و مستواها (الحضاري) ان كان فيها مستوى.

كانت الأحاديث والألسن تلوك بسلوك و تصرفات بنات ام سناء و خاصة شكرية (المتحررة) اكثر من اللزوم !! سواء باظهار اطراف رداؤها الداخلي الشيفون الاحمر من حافة تنورتها البيضاء او الفاتحة اللون، او بقميصها المفتوح الصدر اكثر من اللزوم الكاشف عن تلاقي الثديين، و لكن المعلقة عليه مصوغة ذهبية كبيرة لإسم الجلالة (الله) . او بالزيارات المتكررة لمفوض من شرطة المحلة لهم، بإعتبره ابن خالة شكرية، كما كان يقال.

حتى قالت احدى الجارات القريبة لأم سناء، انه كلما جاء (ابن خالتها) المفوض، كانت ام سناء تخرج الى بيت ابنتها كريمة الساكنة في الطرف الآخر من المحلة عند مقهى الحجازي، وانها اي تلك الجارة كانت تسمع قهقهات شكرية ذات الدلالات معه في البيت، وهما جالسين لوحدهما او متحاضنين او مادا يده في ستينانها يداعب ثديها، او مادها على ظهرها ممسدا اياه ذاهبا الى الأسفل، و هي تبدي الفرح و التشجيع . . في الحديقة الخلفية للبيت ذات الأشجار المتشابكة، حيث كانت تستطيع ان تراهما من فوق، من شبك غرفة نوم ابنتها. و اكدت الجارة الاخرى الحاجة ام سعيد في جلسة نسائية كبيرة، ان

شكرية في تلك الزيارات كانت ترسل اختها الصغرى نوال الى القسم الأمامي للبيت لتراقب لهما باب البيت و لتجيب على من قد يزورهم لأن اكثر من واحد و وحدة لديهم مفتاح البيت . و روت عجائز في تلك الجلسة كيف انهن كن يجلسن في السطوح المطلة على مقهى محمد غائب لمشاهدة برامج التلفزيون الكبير المنسوب في ساحة المقهى . . وكانت شكرية و نوال يتصاحكن بققهات ممطوطة (انثوية لجذب الذكر) كما وصفنها، و باصوات مسموعة، و كانتا تسترقان الغمزات والإشارات مع شاب متأق بوردة و ليس برباط، حتى وصل الأمر الى ان ترمي ابنتها الصغرى نوال له بقطعة حلوى فتح غلافها وفض قراءة ورقة صغيرة محشوة داخلها و اجابها بابتسامه (ذكر استجاب لأنثى) على حد قولهن، موافقا بهز رأسه لها بإتجاه محدد بدا انه كان متفقا عليه، و استجابت له نوال بدورها بأن صعد الدم الى خدودها و ابتسمت على استحياء!

فيما كان محمد غائب يفتل بشاربيه الكئين و بنظراته الجانيية المصوبة الى الأعلى نحو شكرية متصاحكا و هو يعدل ما بين ساقيه بيده، لتستجيب له بضحكة ملأت وجهها . وهو يقول:

- طول عمري ما انسى افضال أم سناء و شكرية . . لولاها لما عشت

!؟

حيث كان يقال ان محمد غائب عندما كان طفلا، كان قد اختطف من الشارع من قبل الغجر . . وبعدها شب هرب منهم واخفته ام سناء في دولا ب تحت فراش شكرية، حيث كان ينام معها ليلا في ذلك الفراش تحت غطاء واحد (و الله أعلم ماكان يجري بينهما، و لكن لله الحمد لم ينتج عنهما نغل او طفل سفاح) . . كانت ام سناء تستدرج الأطفال الى بيتها بالملبس و الشكولا، لتستقي اخبار الجيران، و لتسوقهم لرمي الأوساخ و تنظيف المنزل .

في تلك الليلة جاء الشقي (عزوز) بدشداشته و بكوفيته البيضاء (المقدسة) النجدية، و عدد من مساعديه و كان الشقي (منعم ابو الجاج)

و باصوات عالية بين شكرية و منعم ابو الجاج و صيحات ويزي التي كتمت . . و اخذ الزبائن يغادرون المقهى و لا احد يعرف من اوصل سروال شكرية الى منعم، و هل كان سروالها فعلا . . ثم ماهو نوع تلك العلاقات ؟؟

بدأ ضرب البوكسات و اللكمات و ضرب الكراسي في منتصف ليلة الخميس ذلك و وصل الى اطلاق الرصاص بينهم و كل اخذ من التخوت سدا له . . حتى خلت المقهى و اطفئت الأضوية و انسحب الطرفان بلا ضجة و لكن وجدت دماء كثيرة . . و اختفى منعم ابو الجاج و قيل انه وجدت جثته ملقاة في احدى المزابل، و انتشر خبر ان الصراع كان بين قوميين وبعثيين على زعامة المنطقة بين منعم ابو الجاج سارق الدجاج المعروف في صباه و عزوز القاتل المأجور . .

فسر الأكثر خبرة و دراية . . تلك الصراعات الحادة في المحلات و الازقة، بكونها كانت تعكس الصراعات و ماكان يجري في قمة الحكم ذاته، بسبب تنوع كبار ضباط الثورة من الضباط الأحرار و عدم اتفاقهم و تعاملهم الصحيح مع جبهة الاتحاد الوطني للحزب التي عقدت قبل عام من الثورة، عدم اتفاقهم على ماهية البديل للحكم الملكي و تركيزهم على الانقلاب العسكري و سبيل نجاحه . . بسبب تنوعهم سواء على صعيد بيئاتهم الإجتماعية او ثقافتهم التي لم تكن مختلفة فقط و انما كانت متضاربة، بين الأديان من جهة، و الدين الإسلامي و مذهب و العلمانية و المدنية من جهة اخرى، و بين حملة الافكار القومية و الأممية و الإشتراكية.

و قد عبر الضباط الأكثر قربا من الزعيم بكونه كان اضافة الى كونه ضابط كفوء محنك في تحقيق النصر العسكري و كان منحازا للفقراء ساعيا لتلبية حاجاتهم، و انه كان يعتقد ان اقوى مايمكنه الإعتماد عليهم هم الفقراء و لكن لم يكن واضحا لديه بأية آليات و بأية ادوات؟؟ و انه

لم يكن سياسيا حزبيا و اعتمد على سياسيين جاملوه و داهنوه لمصالح، او لحرهم من انفعاله، او ممن لم يروا بديلا قادرا يحل محله، و هو الذي قاد ثورة كبرى هزت البلاد و المنطقة، و يواجه مخاطر متعددة وحده بتقديره، حتى بدأ لايقبل النقد بسهولة، و يعتبر النقد تقيلا من شأنه او لإضعافه.

في وقت واجه الزعيم فيه، بانتصار الثورة احزابا كبيرة ناشطة تستطيع تحريك مئات الآلاف باشارة منها و خاصة الحزب الوطني الديمقراطي، و الحزب الشيوعي الأكثر فاعلية في تحريك الشارع و البارتي الكردستاني، اضافة الى الاحزاب ذات الازرع العنيفة و التي تستطيع تحريك انواع المجرمين او تحريك افراد لغايات اجرامية او مخالفة.

فاخذه الحذر ثم الخوف منها في اجواء مليئة بانواع التطرفات اليمينية و اليسارية الداخلية، و انواع الدول الطامعة بالبلاد . . و اشار قسم من الضباط، ان الكتاب الأثير لدى الزعيم كان كتاب " الامير " لميكيا فيلي لما فيه من طرق ذكية لتحقيق حكم ناجح، كما كان يعبر . . و عبر عن ذلك في مرة يتيمة للصحافة . . في وقت كان التذمر يزداد بين اعداد من الضباط الأحرار، لأنه لم يتحقق تشكيل مجلس للثورة، و لا توجه جاد لبناء برلمان بإجراء انتخابات كما وعد البيان الأول للثورة . . و كلها من جهة و من جهة اخرى محاولات عبد الناصر المستمرة و المتنوعة لجر البلاد اليه آنذاك و مهاجمة الزعيم و تركيز النار عليه بدلا من دعمه و مساعدته لقيادته ثورة كبرى ضد الإستعمار، و وضع بلاده على سكة التحرر الذي كان ينادي به ناصر ذاته، اضافة الى انواع نشاطات شركات النفط و الدوائر الغربية العليا و اسرائيل . . انفجر الوضع في الموصل في آذار ١٩٥٩ باعلان العقيد الركن عبد الوهاب الشواف أمر موقع الموصل عن قيام انقلاب عسكري، بدعم و اسناد القوى المذكورة آنفا، بادئا باوامر انتشار القوات المسلحة في شوارع الموصل لل (السيطرة على الانفلات الأمني بالمدينة) الذي

اشاعه الاشقياء و انواع المتطرفين من كل الاطراف من مهاجمين و مدافعين لضياع القانون، و بدء استباحة الموصل بالحملة العشائرية التي هاجمت مدينة الموصل داعية الى (حضرية و بيت) الداعية الى نهب و مصادرة بيوت الموصل بنسائها . . اثر انتهاء اعمال المؤتمر العام لأنصار السلام بنجاح في الموصل بمشاركة عشرات الآلاف من كل مكونات لواء الموصل، الدينية و المذهبية و القومية، و بعد ان كشف عمال السكك عن وضع عبوة ناسفة كبيرة في الشرقات لتفجير قطار انصار السلام العائد الى بغداد .

اعلن العقيد الشواف البيان الاول للانقلاب من اذاعة محلية اهدتها شركة نفط عين زالة للانقلابيين، و تلى البيان الاول الوجه البعثي المعروف في الموصل فاضل الشكرة . . معلنا اسقاط حكومة بغداد و الغاء قانون الاصلاح الزراعي، على يد القوات المسلحة في الموصل و كركوك التي كان يقود فرقتها العسكرية الزعيم ناظم الطبقجلي . . و اعلن عن انتصار و اعلان الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة و اليمن ؟؟

الا ان الانقلاب فشل ساعة اندلاعه على يد القوات المسلحة الشرعية و القوة الجوية التي اعلنت ولائها مجددا للزعيم و للحكومة الشرعية في بغداد، وبدعم و مشاركة منظمات الحزب الشيوعي، القاسميين، الديمقراطي و البارتي اضافة لدعم عدد من فصائل المقاومة الشعبية، لأن قسم من فصائلها هناك كانت تعود للقوى القومية و البعثية المشاركة بالانقلاب، يوم كان الإنتماء لها طوعيا لكل مواطن بغض النظر عن اتجاهه.

فشل انقلاب الشواف الذي قتل اثناء الانقلاب . . الا انه فتح قروحا و جروحا في البلاد من اقصاها الى اقصاها و ترك ندبات قد لاتمحي لسنوات طويلة، لكونه كان التحدي الاول للزعيم، من القوات المسلحة و بالذات من رفاقه من الضباط الاحرار . . فتصاعدت النزاعات المحلية و اعمال الاغتيال و تزايد بروز الاشقيائية في محلات بغداد . .

و تحولت مقاهي الأعظمية ذات الاتجاه الناصري القومي الى شبه مآتم حين كان يشاهد جالسوها محاكمات المتهمين بإنقلاب الشواف من عسكريين و مدنيين في جلسات محكمة الشعب المنقولة على الهواء في التلفزيونات، بل و تحولت الى شبه مظاهرات قاد اغلبها اشقياء و قوميون و بعثيون متطرفون . . نادت بسقوط الزعيم و المهداوي رئيس المحكمة و هاجمت المحلات و حاولت الهجوم على رجال الشرطة و الانضباط العسكري . . و دقت انذارا للانتقام من كل من ايد الزعيم و البدء في الاعظمية!!

.
 خليل ابو الهوب

في تلك الظروف الكثيرة التعقيد، برز من عالم الشقاوات المأجورين و القتلة . . في عالم السياسة العراقية، اسم الشقي النبيل خليل ابو الهوب " خليل ابراهيم العبيدي " (ابو سرحان) من فقراء محلة السور - الفضل البغدادية الذي امتاز بشجاعته و قيمه النبيلة في دعم الفقراء و المعوزين و العوائل المحرومة و الدفاع عنها و عن حقوقها، و كان سندا حقيقيا لكل من لاذ به . . و قد نشأ نشأة اي شقي آخر، من حياة الفقر و الحرمانات . . الا انه كان يحمل اخلاقا و مثالا جعلت منه راية بارزة تحمل الخير، راية نبعت من العالم السفلي الإجرامي . . كان محكوما بجريمة قتل عادية و كان يقضي محكوميته في سجن بغداد المركزي في قاعة السجناء العاديين المحكومين بسبب جرائم قتل و غيرها من الجرائم العادية. و قد دأبت سلطات العهد الملكي على استخدام السجناء العاديين للإعتداء و لضرب السجناء السياسيين الشيوعيين الذين احبهم خليل ابو الهوب لحسن تعاملهم معه و احترامهم اياه و وجد فيهم من كان يبحث عنهم . . رجال ذوو رجولة و حنكة و وفاء لأهلهم و لشعبهم، و ذوو

علم و معرفة و اخلاق، و مثلما انجذب لهم انجذبوا له و احبوه. .
 في احد الأيام عمل رجال (الحرس الخاص) للسجن مكيدة للسجناء
 الشيوعيين ليقوم السجن العادي الخطر محمود قرداش و جماعته
 بمهاجمتهم في القاعة، بانواع الهراوات و الاسلحة الجارحة، فتصدى
 له خليل ابو الهوب الذي سبب له الفرع و جمد جماعته، لكبر اسمه و
 هيئته و سمعته في الشجاعة و الإقدام، و نزل فيه ضربا موجعا، جعل
 الحراس الاغبياء يسعون لإنقاذ قرداش منه. و تسبب ذلك بمواجهة ابو
 الهوب تعذيبا قاسيا و زيادة في عقوبته و اتخاذ ادارة السجن موقفا
 معاديا له، و تم نقله الى سجن الكوت حيث تلقفه السجناء الشيوعيون
 هناك كرفيق عزيز عليهم و اهتموا بتعليمه و ثقافته و توطدت الصلات
 و المحبة و الاحترام بينهم. .
 و لم تقصر العوائل البغدادية بزيارة ابو الهوب في سجن الكوت، ابو
 الهوب ذلك الشقي الذي ترك اثرا واضحا في مناطق نفوذه وهي مناطق
 الفضل و ما يحيط بها من احياء مثل العزة و الجوبة و المعدان و سيد
 عبدالله و شارع الشيخ عمر الصنائعي و غيرها من المحلات و المناطق
 التي كانت تعيش بأمان تحت حمايته، و لإنضباط اشقيائيهيها رهبة من
 مكانته.

الرهبة التي تكونت من ان هذا الشقي النبيل لم يأخذ خاوة او اتاوة يوما
 من معوز او محتاج، بل كان ما يجنيه من الاغنياء لا يبخل به على
 محتاج . . . ولم يكن شقيا مؤذيا او ظالما بل شقي يتحلى بخلق رفيع
 وكرم فاض بجوده على المحتاجين ، و حيكت حوله مئات الحكايات
 التي مجدت دوره و حياته و مثله.
 و اثر ثورة ١٤ تموز ، حين بدأ المجتمع بالتغيير نحو الأمام و وفر
 اجواء جديدة عمقت الشعور العالي بالوطن و الاحساس بالوطنية بعد ان
 تعرض ابان العهد الملكي الى انحرافات و سلوكيات بعيدة عن قيمه
 و اخلاقه، و بتلك الأجواء ساهم خليل ابو الهوب و المئات من كوادر
 و قيادات اليساريين و الديمقراطيين بمحاربة السلوكيات الخاطئة و احلال

قيم الثورة ومبادئها في الخبز و الحرية و نحو العدالة الإجتماعية. .
 حيث تحولت عشرات المقاهي الشعبية الى مقرات لإتحاد الشبيبة
 الديمقراطي القريب من قوى اليسار و الديمقراطية، لتشكل منتديات
 ثقافية داعمة للثورة ومنجزاتها، و انتشرت اخبار ابو الهوب بأنه كان
 احد المساهمين البارزين في تحويل المقاهي (المشبوهة بالتعامل
 بالممنوعات) الى مقرات للشبيبة وبذلك ساهم بسد طرق الانحراف
 والرذيلة وحول تلك الاماكن الى منتديات تربي على الوطنية وتبني
 ثقافة المجتمع الجديد الخالي من (الادمان والمقامرة والمخدرات).
 و بشعبيته و تواضعه و نفوذه الواسع في عالم الأشقياء، و لصدقه في
 التعامل و جرأته، و حزمه بحق المذنبين و الإعتدائيين . . استطاع
 ايقاف العديد من الأشقيائية المأجورين عند حدهم في محاولاتهم
 لمهاجمة الناشطين اليساريين و الديمقراطيين . . و بنشاطه النقابي و
 بعيدا عن البهرجة و المظاهر و المرافقين . . انتخب رئيسا لنقابة عمال
 النقل، ثم عضوا بارزا في المكتب التنفيذي للإتحاد العام لنقابات العمال
 في العراق . .

١٩٥٩

ايار

اول

في يوم خميس في ربيع ذلك العام، قالت ادارة المدرسة ان لا دوام في ذلك اليوم . . انه يوم حداد على ارواح الشهداء !! و لم يقل احد حداد على ارواح اي شهداء لأنهم كثيرون و انا على عادتي لا بد ان اعرف . . فسألت معلمنا المرشد الاستاذ عبد القادر:
 - استاذ اي شهداء منهم؟؟
 قال:

- هكذا جاء الأمر و لم يذكر اي شهداء !
 الا ان زميلتي في الصف التي كنت ادرسها الحساب بعد الدوام، فائزة ابنة العقيد عبد الكريم الجدة أمر الإنضباط العسكري العام قالت لي، انها سمعت من والدها انه تم فجر ذلك اليوم تنفيذ حكم الإعدام بحق الضباط : رفعت الحاج سري و ناظم الطبقجلي و نافع داود و غيرهم ، بسبب محاولتهم القيام بانقلاب عسكري و اعمال فوضى راح ضحيتها العديد من الاهالي قتلى و جرحى، و قال : احتمال هذا اليوم سيكون عطلة في مدارس الأعظمية، و اذا هي عطلة ارجعوا للبيت بهدوء و بسرعة . . لأن اغلب الاحتمالات راح تصير اليوم مظاهرات و ضرب و مضروب و انتم ما عليكم الا العودة للبيت و بسرعة و بلا مناقشات..

كان المعروف عن العقيد الجدة كونه ضابطا مهنيا لا يتدخل بالسياسة و كان من المؤيدين البارزين للزعيم عبد الكريم.. و كنت قد تفاجأت يوم زار مدرستنا مع مرافقين اصروا على مرافقته و هو يهدئ بهم لأنها مدرسة كما قال، و

طرق باب صفنا مستأذنا من المعلم بالدخول و قال:
 - استاذ ان لا تأذن لي بالدخول.. سأنتظر في الساحة.
 تراكض استاذنا فاسحا له المجال للدخول، بكلمات اهلا و
 سهلا و حاضر لأية خدمة.. دخل الصف لوحده، العقيد
 الركن بطلعته الرياضية و بملابسه العسكرية و نجوم رتبته
 و الخط الأحمر من كلية الأركان على كتفيه، و قال سائلا
 عني
 - انا والد فائزة و اود تحية الأول على الصف و لي رجاء
 منه..

و بإشارة من المعلم وقفت و قلت:
 - نعم عمو الاستاذ..
 - ابني.. مبروك عليك النجاح و التفوق ، سألت عنك و عن
 والديك و فرحت بكونك من تلك العائلة الطيبة.. ابني
 رجائي اليك ان تساعد ابنتي فائزة بدرس الحساب، زورنا
 للبيت مرة او مرتين بالاسبوع و ساعد ابنتي على فهم
 المسائل الحسابية.. تستطيع ان تمر عصر اليوم بعد الدوام
 الى بيتنا صحبة فائزة على شرب شاي و كيك و نتفاهم..
 و بعد الرهبة التي اجتاحتني و انا اشاهد ذلك العملاق
 بملابسه الخاكية و نجومه، استعدت رباطة جأشي و قلت :
 - نعم عمو.. لكن فائزة اكبر مني و رسبت من العام
 الماضي..

- نعم رسبت للأسف بسبب الحساب، و لذلك طلبت منك ان
 تساعدنا في درس الحساب الذي لم نستطيع فهمه، و انا
 واثق انك تستطيع.
 و اخبرت والدي عن زيارة العقيد الجدة للمدرسة و طلبه و
 كيف كان، قالت والدتي ان زوجة العقيد كانت زميلتها في
 دار المعلمات و انها انسانة طيبة، و شجعني والدي على

الذهاب و مساعدة ابنته فائزة على ان لا أتأخر عندهم و ان ارجع للبيت قبل غروب الشمس و عبر طرق داخلية بعيدة عن العين، احسن للسلامة.. ذهبت مع فائزة الى بيتهم الذي كان يقع في رأس الحواش في الجهة المقابلة لمعرض باتا الكبير هناك بعد تفليش قصر الهاشمي القديم و اعادة بناء مساحته الكبيرة . . في شارع فرعي كانت فيه (مديرية شرطة الأعظمية) و (الإسعاف الفوري) ، و كان في الشارع عدد من السيارات المسلحة و عدد اكبر من الجنود المسلحين . . عرفت بعدئذ ان العقيد الجدة كان يخاف على ابنته من الإعتداء عليها و من الإختطاف من قبل انواع المجرمين و القتلة المأجورين، فكان علي مرافقتها كلما امكن، عند الذهاب الى بيتهم بعد دوام المدرسة.. و في ذلك الخميس و بعد خروجنا من المدرسة لأنهم اخبرونا ان لا دوام ذلك اليوم، اوصلت فائزة الى بيتهم و ذهبت الى بيتنا عبر طرق النصّة و النزيزة و وصلت الى مقهى محمد غائب . . شاهدت هناك تشييعا مهيبا شارك فيه نساء و رجال، لجنازة ملفوفة بالعلم العراقي، وسط هتافات عالية و خاصة في مقدمتها . . من نساء تقدمتهم ابنة اخت العقيد الطبقجلي ست نجلة و هي تحمل صورته و ست خولة كامل شبيب و كان الجميع يهتفون بردة واحدة : شيعوه مات شهيدا.. مات من اجل الوطن شيعوه مات شهيدا.. مات من اجل الوطن كان تشييع العقيد ناظم الطبقجلي، تشييعا كبيرا من اعداد كبيرة من اهالي الأعظمية نساء و رجالا و كان يسير على ردة واحدة كما مر، تسوده الرهبة و التحدي . . الى ان دخلت اصوات نشاز عالية دعت الى تغيير الردة الى :

شيعوه مات شهيدا.. مات من اجل العرب!
 و تداخلت الردتان بشكل ازعج و آلم اهل الضابط الفقيد
 خاصة و احدث فوضى فيه .. فيما شاهدت (الشيخ عزوز)
 بكوفيته البيضاء النجدية (المقدسة) و بنظاراته السوداء
 وسط حمايته من الأشقيائية السرسرية المعروفين في
 المحلة و هو بمظهر اكثر من جاد، بعد ايام من فضيحه
 مع شكرية التي صارت و كأن شيئا لم يحصل، و هو
 يصيح:

- من اجل العرب.. ويلكم !! قولوا من اجل العرب !!
 و حصل عراك و تدافع و بوكسات.. ادى الى اطلاق
 رصاصات لايعرف من اطلقها و لا نحو من.. و جاء عدد
 كبير من رجال الشرطة لحماية المشيعين وسط اختفاء
 عزوز من التشييع.. و عادت ردة (.. من اجل الوطن)
 المنظمة للتشييع السائر نحو السوق المسقوف، الى مقبرة
 الخيزران.

....

....

مسيرة عيد العمال العالمي

قبل اكثر من اسبوع، من حلول الأول من أيار في نفس عام
 ١٩٥٩ أعلن عن العزم على القيام بمسيرة عمالية حاشدة
 في يوم العمال العالمي.. و اخذت اوساط واسعة من الشباب
 و خاصة شباب العوائل الأكثر فقرا في العاصمة بغداد،
 تستعد لإحياء هذا اليوم التحرري، للرجبة بمعرفة ماهيته و
 للاحتفال به مع شعوب العالم .. اضافة الى مشاعر غلب
 عليها تحدي محاولة انقلاب الشواف و الأوساط القومية،

اوساط الاقطاع، و كبار ضباط و موظفي اجهزة النظام الملكي، و لإظهار قوة الجماهير لكبريات الشركات النفطية و الدوائر العليا الغربية و دوائر الجمهورية العربية المتحدة بقيادة ناصر، لأجل ايقاف مؤامراتها و محاولاتها الانقلابية على جمهورية ١٤ تموز . . المشاعر التي لم تكن بتأثير تحريض من الحزب الشيوعي و الأوساط اليسارية و الديمقراطية فقط، بقدر ماكانت مشاعر تحملها الاوساط الأكثر فقرا و أملا بحكم الزعيم عبد الكريم . . فانطلقت المسيرة في صباح الأول من ايار في الساعة العاشرة صباحا تزامنا مع انطلاق مسيرات الاول من ايار الرسمية في الدول الاشتراكية وسط انواع المارشات و الاناشيد بمختلف اللغات التي كانت تنقلها الإذاعات العالمية و اقسامها العربية و خاصة اذاعة موسكو، و مسيرات و مظاهرات و اعتصامات الطبقة العاملة في دول العالم الرأسمالي و دول العالم الثالث المنقولة بتسجيلات صوتية عبر الإذاعات . . مكونة أملا بالنصر . . و قد انطلقت من الباب الشرقي و كان مخططا لها ان تسير على طول شارع الرشيد، وصولا الى وزارة الدفاع حيث مقر الزعيم عبد الكريم، لإبداء التحية الاولى له اثر انتصار الثورة . . و قد بدأ تلفزيون بغداد بنقل تلك المسيرة على الهواء.

و في البداية كان في مقدمة المسيرة عدد من قادة الإتحاد العام لنقابات العمال، منهم علي شكر وصادق جعفر الفلاح و آخرين، و كان قد أعد لها من قبل اوسع و اكبر الأحزاب شعبية في الشارع آنذاك : الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الوطني الديمقراطي و البارتي . . و كان من الواضح ان انشطتها في التعبئة و التنظيم كان الحزب

الشيوعي، بمشاركة هائلة من الجماهير الكادحة المؤيدة لثورة ١٤ تموز و ما اعلنته في بيانها الأول . . . فكان المسؤول عن تنظيم و سير المسيرة المحامي محمد حسين ابو العيس عضو م . س للحزب الشيوعي العراقي و يرتبط به عدد من كوادر و نشطاء الحزب المكلفين بضبط سير المسيرة و ضبط الالتزام بالشعارات المطروحة من قبل الحزب التي كانت محددة تحريريا . . و بإشراف السكرتير العام للحزب سلام عادل الذي كان يجلس في مكتب احد الكوادر الحزبية للمحامين، الذي شغله مكتب الاتحاد العام لنقابات العمال، في الحيدرخانة . . و كان على صلة بما يجري في المسيرة و في مفاصلها الأساسية، و كلف ابو الهوب و رفاقه و جماعته بحماية المسيرة في مناطق شكلت منابع خطر عليها و على الأعداد الهائلة من المشاركين فيها . . .

كانت تظاهرة و مهرجانا و اول عرس شعبي كبير يحيي ثورة ١٤ تموز رجالا و نساء و بمختلف الازياء الوطنية لكل المكونات العراقية، تخللته انواع الدبكات الشعبية العربية و الكردية و الارمنية و الأثرورية و انواع الجوبي في الشارع و على الشاحنات المزينة . . و رفعت فيه انواع الشعارات المنذدة بالمتأمرين على ثورة تموز و المطالبة بإنزال اقصى العقوبات بهم، و شعارات : يعيش الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم، السهر على تطبيق قوانين الإصلاح الزراعي، عاشت الأخوة العربية الكردية و المطالبة بتحقيق الحقوق القومية لشعب كردستان، المطالبة بسن قانون لحماية المرأة، الطبقة العاملة العراقية تحيي الزعيم الاوحد عبد الكريم قاسم . . . و المطالبة ب : تأميم الشركات النفطية ، استثمار الغاز و

المعادن، تصنيع البلاد و ادخال و تطوير المكننة في الزراعة، تطوير العمل النقابي و استحداث قوانين الضمان الاجتماعي و الصحي للعمال، اتحاد فدرالي صداقة سوفيتية، يعيش ابن الشعب البار عبد الكريم قاسم، عاش تضامن الجيش مع الشعب، تطوير التعليم . . وسط مكبرات صوت لأغاني و ديكات و موسيقى فرح عراقية متنوعة، و اهازيج تدعو الى التضامن الاممي و الى السلم و الى وحدة الطبقة العاملة في العالم (في محاولة لنقل الشعارات كما رفعت آنذاك - م ب). ازدادت اعداد المشاركين بالمسيرة زيادة هائلة، حتى اجمع المراقبون الوطنيون و الأقليميون و الدوليون و تعليقات الاذاعات العالمية بمختلف اللغات، اجمعوا ان اعداد المشاركين ناهزت المليون او اكثر في وقت كان فيه تعداد الشعب العراقي وفق احصاء ١٩٥٧ بحدود السبعة ملايين نسمة فقط، و جلب انتباههم المشاركة الواسعة للشباب و المشاركة النسائية الأوسع لأول مرة في تاريخ العراق في مسيرة هائلة تحدث لأول مرة في التاريخ السياسي للبلاد .

و تواصلت المسيرة المنقولة على الهواء طوال ليلة الاول على الثاني من ايار . . واصلت مسيرها و حماسها للدفاع عن الجمهورية و عن الزعيم، و اعدت نقابات عمال المخازن و الافران انواع الخبز و الصمون و المعجنات و قامت بتوزيعها على المشاركين، فيما رمت شاحناتهم المزينة، رمت بخبزها المحمص الذي كانت تتلاقفه الأيدي، و الذي خبز و أعد في تنانير مولعة محمولة عليها . . و وزعت نقابات عمال المطاعم انواع السندويشات السفري على المشاركين في المسيرة المستمرة نهارا و ليلا

الى ماقارب الاربع و عشرين ساعة . .
 و قد لاحظ مشاهدو التلفزيون انقطاع الصوت عن النقل
 الحي المستمر و عودته لاحقا . . لمرات و مرات، تصور
 البعض انها انقطاعات فنية بالصدفة . . الا ان الواقع
 الجاري كان غير ذلك، فقد انطلقت حناجر كثيرة بشعارات
 لم تنقطع بل و تصاعدت، شعارات لم تدرج على الشعارات
 المقررة للمسيرة، مطالبة باشكال متنوعة بالسلطة للحزب
 الشيوعي

و قد ابتدأت بـ "عاش الزعيمى عبد الكريمى.. حزب
 الشيوعى بالحكم مطلب عظيمى" ، ثم تكررت و تصاعدت
 على شكل "حزب الشيوعى بالحكم مطلب عظيمى" فقط..
 و اشكال متعددة اخرى، رغم طغيان الشعار الأول "عاش
 الزعيمى.. حزب الشيوعى بالحكم.. " على غيره. الأمر
 الذى تسبب بارتباك بين ضباط الزعيم المرافقين له فى
 مقصورة التحية، بملاحظتهم عدم رضاه الواضح من هذا
 الشعار و من الحماس الشعبى الكبير المنادى به.. الأمر
 الذى سيأتى بنتائج لا يمكن القول الا بأنها اذمت الاوضاع
 اكثر ان صح القول، اضافة الى ان ذلك الشعار فى الواقع
 لم يكن متبنى من الحزب الشيوعى ذاته، بغض النظر عن
 صحته او عدمها.

....

....

و بينما كان ذلك المهرجان المليونى يسير بهتافاته
 الحماسية المثيرة للافراح و التفاؤل بمستقبل افضل لكادحي
 و فقراء العراق، و التى كانت تصم الإذان و هو يتقدم..
 ساد مقاهي الاعظمية الوجوم و الترقب و التوعد.. حتى بلغ
 ذروته مع غروب شمس يوم الاول من ايار..

حيث هاجمت مجموعة من الشقاوات المحسوبين على القوميين و البعثيين المتعصبين (طوق السلام) و من كان يسهر على صيانتها، الطوق الذي كان يغطي الشارع من جهتيه و الذي بناه عمال اعضاء في اتحاد الشبيبة الديمقراطي، و كان مزينا بصور متنوعة لحمامات السلام ليغطي مقدمة جسر الأئمة، كمشاركة منهم في الاحتفال بالاول من ايار..

و حصلت مشاجرات و ضرب بوكسات و طعن بالخناجر راح فيها عدد من القتلى و الجرحى، بينما حاولت مجموعة اخرى مسلحة بالخناجر و الهراوات عبور الجسر الى جهة الكاظمية لتقطع الجسر نهائيا، فاصطدمت وسط الجسر بمجموعة مسلحة مشابهة من اليساريين و الديمقراطيين قادمة من الكاظمية كانت تحاول اسعاف الساهرين على طوق السلام، بعد سماع انباء الإعتداء . . و سقط عدد آخر من القتلى و الجرحى من الطرفين. و في نفس الوقت تقدمت مظاهرة كبيرة مسلحة بالخناجر و الهراوات و هي تحمل شعارات اتحاد الشبيبة الديمقراطي في الاول من ايار . . تقدمت من جهة كمب الصليخ اليساري عبر شارع عشرين و السدة الترابية، لإسعاف جرحى ذلك الطوق و لتفك القطع عن جسر الأئمة و اصطدمت بعدد من المعتدين الذين تفاجأوا بها . . و هرب امامها اولئك الشقاوات، و قيل ان عددا منهم اختفى في معاوية شرطة الأعظمية ذاتها . . و استمر التوتر حتى جاء عدد من رجال الانضباط العسكري و سيطروا و فرضوا الهدوء باسلحتهم، بعد ان لم تبدي الشرطة اي رد فعل على ما كان يجري بل و نسيت واجباتها تجاه القتلى و الجرحى و التحقيقات الاصلية؟؟

و في ذلك الجو المتوتر، صار بيتنا و كأنه احد مراكز لقاء اليساريين و الديمقراطيين و الشيوعيين في الاعظمية . . بحضور متغير و متتالي لـ : عدنان البراك، اخيه يعرب، د. عبد الصمد نعمان الاعظمي، اخيه عبد الحكيم، والدي، د. عبد الأمير السكافي النجفي، المحامي الكظماوي كاظم الطائي، يرهوم، المقدم سعدون، المحامي كرامة الرئيس، ناهدة بنت شيخ رشيد، بثينة البستاني و آخرين و أخريات.. و دارت احاديث هامة سلطت الضوء على ماكان يجري: قال يعرب البراك و كان احد مساعدي السكرتير العام سلام عادل :

- كنت احد المكلفين الحزبيين بضبط المسيرة و اخبرت حينها الرفيق سلام عادل بذلك الشعار.. الشعار لم يكن على لائحة الشعارات الرسمية للحزب في المسيرة. الشعار نادى بـ (حياة الزعيم و بإشراك الحزب الشيوعي بالحكومة) سوية بشعار واحد.. و بتقديري ان المطالبة بإشراك الحزب منطقية لأنه الحزب الوطني الوحيد الذي جرى استبعاده و عدم اشراكه بالحكومة، رغم كبر نضالاته المشهودة ضد الحكم التعسفي السعدي و رغم التضحيات الهائلة لرفيقاته و رفاقه و رغم اعدام قادته و القتل المتواصل لناشطييه و الحكم بأحكام طويلة و قاسية على نشطائه السلميين المطالبين بالخبز و الحرية و بنوع من العدالة الاجتماعية.. فالشعار لم يطالب باسقاط الزعيم و استلام الحزب الشيوعي للحكم على ركام كرسية.. المحامي الطائي: بتقديري.. انا لا افهم لماذا غضب الزعيم من ذلك الشعار، هل اعتقد ان الشيوعيين سيطيحون به و كيف؟؟ لم يرفع الشيوعيون اي شعار معادي للزعيم ، بل انهم يدافعون عن الثورة و بالتالي عنه بإعتباره زعيم

الثورة.

عدنان البراك: فعلا.. موقف الحزب و نشاطه كله منصب على الدفاع عن الجمهورية و عن زعيمها، و الانقلاب او الثورة عليه لاتتم برفع شعار.. و انما بسياسة و اجراءات تنظيمية على ضوء دراسة ماهية الخصم، الزعيم الان ليس خصمنا في نهجنا السياسي اليومي و نهج جريدتنا "اتحاد الشعب" التي تطرح مطالب اساسية لتثبيت كيان الجمهورية . . و القيام بثورة جديدة يتطلب القيام باجراءات لا بد لها ان تأخذ بنظر الاعتبار موقف الجماهير منه، الجماهير شبه تعبهه و تنتظر كرمه عليها بتصورها، هذا هو الوعي السائد لحد الآن . . حتى عبر قسم من الجماهير بأنه رأى صورته على القمر؟؟ ، و زواج قسم آخر بينه و بين الحزب الشيوعي و كأنه احد ضباط الحزب و انه يحمل الاسم الحزبي "مطر" كضابط عائد للحزب و تحت قراراته . .

د. السكافي : احد اصدقائي ضابط و هو احد مسؤولي التنظيم العسكري للحزب يقول . . ان الغالبية من رفاقنا الضباط يحبون الزعيم و لا يمكن تعبتهم للثورة عليه مهما كانت الاسباب، و الثورة لم تكمل عامها الأول بعد . . بل ان اي طرح حول قضية السلطة سيصل بالتأكيد الى مكتب الزعيم، لأن الحزب مؤيد للزعيم في كل نشرياته و مواقفه، و بالتالي ينطبق على اسلوب كسبه للمنتمين الجدد . .

د. عبد الصمد : وصلني خبر افاد بأن عدد من الرفاق الضباط طرحوا رأيهم في اجتماع حزبي حول ضرورة تحرك الحزب لإستلام السلطة لحماية الزعيم نفسه و من اجل المزيد من الإجراءات الديمقراطية و تعميقها لصالح الشعب و طبقاته الفقيرة . . و تفاجأوا بأنهم أحيلوا على

التقاعد بعد ايام. الا يعني ذلك ان مايجري في الإجتماعات الحزبية للمنظمة العسكرية يصل الى مكتب الزعيم؟؟ سعدون : أويد كلام الدكتورين . . عدد كبير من الضباط الشيوعيين يحبون الزعيم و لا يقبلون بالمساس به، و فعلا لاحظت في الشهرين الأخيرين احالة عدد كبير من الضباط اليساريين على التقاعد علما انه لولاهم لانتصر الشواف بإنقلابه على الزعيم . . و بدلا من ان يهتم بهم لأمانتهم له استمر على سياسة (عفى الله على ما سلف) و حافظ على اعداد كبيرة من الضباط القوميين و البعثيين الذين لا يحبوه . . هل هي محاولة منه لإحتوائهم او تقليل خطرهم عليه؟؟ او انه يتخذ سياسة جديدة تعيش على ايجاد توازن بين الطرفين ليتيح لنفسه الحكم؟؟

و قال يعرب عن الشعار و كيف رفع، التالي :

- بإعتقادي بدأ الخطأ عندما مرت المسيرة بالسكك، و تقدم عدد من اعضاء المكتب السياسي للحزب كانوا في بناية حسو اخوان ليكونوا في مقدمتها، فانسحب القادة النقابيون بلا نقاش من المقدمة، لإعتقادهم ان الحزب قرر ان يقود المظاهرة بدل اعضاء قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال . . (مايعكس ماهية الوعي السياسي و الحزبي في الحزب و النقابات آنذاك - م ب).

نقلت ذلك الخبر للرفيق محمد حسين ابو العيس المنظم الرئيسي و المسؤول عن المسيرة، و نقل ذلك عدد آخر من المكلفين بضبط المسيرة منهم طالب عبد الجبار، آرا خاجادور . . و ذهبنا للرفيق السكرتير سلام عادل في مكتب المحامي اليساري في الحيدرخانة، فاجتمع بنا و ناقشنا الموضوع و كنا : الرفيق السكرتير سلام عادل، القيادي محمد حسين ابو العيس عضو م . س للحزب،

عضول. م طالب عبد الجبار، و نحن الكوادر المتواجدين : ابو شلال، آرا خاجادور، ابو الهوب، و انا و آخرين لا اعرفهم . . و توصلنا الى ان الشعار ليس رسميا و انه قد جاء بسبب الحماس الكبير لتحدي و للرد على القوميين و البعثيين بسبب اساليهم في محاولة الشواف الانقلابية و كمحاولة لإيقافهم عند حدهم . . و ان العدد الهائل للجماهير التي انضمت الى الحزب الشيوعي و لاتزال، هي اكبر من قدرة الحزب على استيعابها، و قد تسببت بعديد من السلوكيات التي لم تكن منظمة او مقرة من قبل قياداته، و بعبارة اخرى هيمن وعي الجماهير الجاري على الوعي داخل الحزب .

و من الضروري عدم نسيان ان الحزب يعيش اول خروج له من نشاطه السري القاسي امام الضغوط البوليسية و الدموية لسلطات العهد الملكي الى العلن، اي انه تحول بشهور من منظمات صغيرة مبنية على القواعد الصارمة للسرية و المركزية، الى حزب علني مطلوب منه قيادة غالبية الشعب . . و توصلنا الى انه لايمكن اسكات هذا العدد الهائل المطالب الزعيم باشارك الحزب بالحكم، و انها انطلاقة جماهيرية .

و قال احد الرفاق بأننا في حالة تشبه موقف ماركس و هو يشاهد انطلاقة " كومونة باريس " التي لم يتوقع لها ان تنجح، و لكنه اعتبر انه من العار الوقوف ضدها او بوجهها و هي تفضح و تتحدى الظالمين علنا للبدء بالعمل على دق اول مسمار في نعش الطغاة . . بجماهير يشق حماسها عنان السماء و التي لا بد ان تجد الطريق للإنتصار!

والدي:

قال

و

- احتمال كبير ان يعتبر الزعيم هذه المسيرة المليونية للحزب و بالتالي الشعار المذكور، هو تحدي له نفسه . . في الوقت الذي ينشط فيه الحزب الشيوعي في تأييد عبد الكريم قاسم من طرف واحد اي من جهته لوحده، و يتعامل مع الزعيم كما اراده الحزب او تخيله ان يكون، و ليس كما هو الزعيم الكائن في الواقع و كيف يفكر و يقرر، كزعيم ساعي للحفاظ على زعامته و تكريسها له لوحده . . و رغم هذه الصورة المعقدة لذلك الواقع، اجمع مؤرخون و متخصصون محايدون، بأن تلك المسيرة المليونية التي حدثت لأول مرة في تاريخ العراق و ابرزت موقع الحزب الشيوعي العراقي بين الجماهير العراقية التي طالبت من الشارع بإشراك الحزب الشيوعي بالحكم . . قد اربعت الدوائر الغربية العليا و شركات النفط و احتكاراتها، و خافت على مصالحها في العراق و في المنطقة . . فقررت ان يكون هدفها هو الحزب الشيوعي العراقي، و ان تجند كل طاقاتها و امكاناتها و بأنواع الطرق، لضربه و تحطيمه بكل الوسائل . . سواء كانت مباشرة او غير مباشرة، او عبر وسطاء او قوى اقليمية او قوى دولية . . حتى صار الحزب الشيوعي العراقي هو هدف الشركات النفطية و الدوائر الغربية العليا !!

اعتداءات و تشريد

و فيما انتشرت اخبار عن قلق الزعيم مما حدث في مسيرة الاول من أيار، و خوفه من الحزب الشيوعي الذي قد يستولي على السلطة بتقديره، و اجج ذلك التقدير عدد من كبار الضباط المحيطين به من تابعيه و من القوميون المتنوعين.

انتشرت اخبار معاكسة سببت عدم ارتياح الاوساط اليسارية، عن حدوث اختلاف في قيادة الحزب الشيوعي ادى الى اتخاذها قرارا بإبعاد السكرتير العام سلام عادل و عدد ممن وصفوا بكونهم مقربين له و متكئين معه في القيادة (التي ثبت بطلانها لاحقا)، فأرسل السكرتير العام و عضوا المكتب السياسي جمال الحيدري و محمد صالح العبلي الى الدراسة الحزبية في الإتحاد السوفيتي لـ (تحسين مستواهم الفكري و النظري) كما وصفت، و بتهم متعددة تمحورت على انهم متطرفون يساريون، و تشكلت هيئة سكرتارية لقيادة الحزب . . . في خطوة وصفت حينها و انتشرت انبأؤها بكونها كأنما كانت لتهدئة الزعيم، لأن ذلك القرار كان لا بد ان يصل الى الزعيم.

من جهة اخرى، اتخذ الزعيم قرارات هدفت الى (قصاصة) اجنحة الحزب الشيوعي النشيطة بتعبير ضباط من مكتبه، و بالتالي محاولة اضعافه و الحد من نشاطه، و قرارات أخرى هدفت الى غض النظر عن نشاط و اعمال الجهات القومية المتنفة (خاصة الاستقلال و البعث) . . . استغلتها الأخيرة بالعمل على استمرار تدفق الاسلحة المتسربة التي دأبت عليها تلك الجهات بلا انقطاع و خاصة البعث و الإستقلال، لتخطيطهما و تقديرهما بانها ستكون فاعلة لأية فعالية او تغيير قادم سيقومون به، خاصة بعد استغلال احداث كركوك للاحتفال بالذكرى الأولى للثورة هناك لاحقا، و ما حصل فيها من صدمات مؤسفة و

سقوط قتلى و جرحى بسببها .
 فيما اكدت اكثر من جهة رسمية و دولية معروفة بالنزاهة و الموضوعية و الإستقلالية . . بكونها دبرت بليل من ماجورين لشركات النفط و الإقطاع، و رتبوا صورا مررت للزعيم من ضباط كبار من طاقمه و من مكتبه، عن حدوث اعمال وحشية بحق اناس أخذوا أسرى، لصقت بالحزب الشيوعي و نشطائه، تبين لاحقا بكونها صور لأسرى من رجال منظمة التحرير الجزائرية، و ماكانوا يعانونه في سجون الإستعمار الفرنسي البغيض . . حتى و صلت مواقف الزعيم في قمة هجومه على اليسار في خطابه في كنيسة مار يوسف في ٢٩ تموز ١٩٥٩ ، حين اتهم علنا الحزب الشيوعي بإرتكابه اعمال و جرائم لإنسانية خارجة عن القانون.

و كأنها كانت الضوء الأخضر للقوميين و البعثيين للقيام بأعمال انتقامية من عموم اليساريين و الديمقراطيين بدعم و اسناد ضباط جيش و شرطة من قوميين كبار و موظفين كبار باجهزة الدولة السعيدية السابقة التي لم تتظف من اعداء الجمهورية، فبدأت اعمال الإغتيال شبه المنظم بحق اليساريين و الديمقراطيين . . راح المئات ضحايا لها، بأنواع الحجج حتى وصلت الى استهداف ما اصطلح عليه : كل (مصلاوي مسيحي، هو شيوعي) و كل (شيعي شركاوي، هو شيوعي) اصطلاح على الاخير اختصارا بـ (شين تكعيب).

و بغض نظر و سكوت من مكتب الزعيم الذي بدأ بالتعبير عن موقفه بكونه (فوق الميول و الإتجاهات) و السير على سياسة محاولة ايجاد توازن بين اليساريين و القوميين المتنوعين، و على سياسة اهمال و غض النظر عن الدعاوى المرفوعة من ضحايا اعمال العنف القومي و البعثي . . و قام ضباط مكتبه بنشاطات هدفت الى (تقليل اظافر) الطرفين وفق تقديرهم و رؤاهم و لكن بالإبقاء عليهما شرط ان يبقيا متناحرين مشغولين ببعضهما البعض بعيدا عن الزعيم، و هدفت الى التعقيد و التسوية بقوانين الإصلاح الزراعي.

من جهة اخرى اثار نهوض النساء اثر الثورة و دخولهن الواسع في دوائر الدولة و المدارس و المعاهد التعليمية و الاكاديمية، اثار الاوساط الدينية المحافظة و مؤيديها و وصلت القمة في مواجهة المناقشات العلنية لمسودة قانون الاحوال الشخصية اواخر عام ١٩٥٩ الذي انصف المرأة . . و الذي ووجه باعمال سوداء سرية لتوريث الحزب الشيوعي و لتجريمه و كأنه هو الحزب الحاكم و كأن الحكم بيده، فقاموا بأعمال حرق القرآن في الشوارع، قام بها فريق خاص من البعثيين و اتهم بها الحزب الشيوعي (شرحها بتفاصيل لاحقا الكادر البعثي السابق حسن العلوي).

و نظموا مظاهرات حملت شعارات (ماكو مهر بس هالشهر)، مدعين بأنه (هدف الشيوعيين المعادين للدين و للعائلة و للأخلاق)، و بدأ العمل على تكوين احزاب اسلاموية لـ (الدفاع عن المجتمع من الخطر الشيوعي) : شيعية (حزب التحرير ثم حزب الدعوة . .) بدعم من دوائر شاه ايران التي دفعت لإصدار فتوى (الشيوعية كفر و الحاد)، و سنية بدعم من مراكز الأخوان المسلمين في السعودية و مصر (الحزب الإسلامي، الإخوان المسلمين . .)، و بتحريض و تشجيع دوائر عائلة لعبد الناصر بعناوين متنوعة . . فاتحين بذلك جبهة جديدة للهجوم على الحزب الشيوعي و على الحركة التقدمية و الحداثة التي اطلقتها ثورة ١٤ تموز . . و امتلأت الحيطان بشعارات القرآن دستورنا، تحرير القدس طريقنا الاوحد، دين و عروبة و اسلام يا زعيم للامام . . و ازدادت البرامج الدينية في الإذاعة و التلفزيون و ازداد الصرف على الوفود الدينية.

و سار كل ذلك على خطى و برامج الشركات النفطية و دوائر الغرب بإستهداف الحزب الشيوعي العراقي و محاولتها لتحطيمه . . بتقييم و استنتاج عدد كبير من الباحثين في شؤون الشرق الأوسط و المؤرخين المحايدين.

من جهة اخرى، و بدلاً من النقاشات الهادئة البناءة لتحقيق شئ على طريق الخبز و الحرية في مقاهي الاعظمية . . . بدأت الشجارات التي كانت تتحول من صراخ فقط الى صراخ ينتهي بالتراشق بالكراسي وتحطيمها او تصل الى اطلاق الرصاص، بين مجاميع متنوعة : قومية عربية و اسلامية وبعثية، لتقرير و فرض من هو زعيم المنطقة و ماهية حدود تلك المنطقة في خضوعها لسيطرته .

في وقت بدأت تظهر فيه وجوه غريبة عادت لأشخاص ذوي سحنات وشعور ولحى، فسرت في البداية على اساس انهم مساكين ل احد لهم او على اساس انهم من النساك المتعبدين لله، تبين لاحقا انهم من عصابات خطف الأطفال، و قد فضح ذلك اثر اختطاف صبي في ليلة علا صراخه فيها طالبا النجدة و انقاذه من الوحوش !! و التم الناس على موقع الصراخ كان بينهم محمد الكاولي الذي عرف احد الخاطفين و شخصه بكونه من خطافي الاطفال، بمشاهدته اياه في حياته مع العجر و قال : انهم يختطفون بطلب من احد او لتهديد احد!!

و بدأت الإعتداءات على الوجوه الإجتماعية في الأعظمية، الوجوه التي عرفت بالطيبة و دعم الفقراء، و قد بدأت بالإعتداء على الحاج نعمان الأعظمي وابنه الدكتور عبد الصمد نعمان، حيث ضرب الحاج المهيب بطاسات اللبن وسط السوق، و حاولوا قتل د. عبد الصمد بالهجوم على عيادته في احدى الليالي و استطاع الإفلات، و ضرب الحاج احمد سامح بالهراوات، و جرت محاولة قتل المحامي كرامة الريس الذي كان من اهالي الأعظمية الأصلاء بالخناجر .

في وقت هرب فيه استاذ كلية الصيدلة عبد الفتاح الملاح من المحلة، و هروب و انتقال بيت ست زكية الموصلية ام نزار و زوجها مكي الدباغ و العائلة بكاملها في احدى الليالي اثر تهديدات تلقوها باختطاف الابنة الصغرى رائفة ان لم يتركوا المحلة، و جرت اكثر من محاولة اعتداء و تحرش على بنات شيخ رشيد الجميلات، بتهمة ان اخوهن الضابط

الحقوقي يعمل في محكمة الشعب، و بدأ ضربنا بالحجارة بمرورنا في عدد من الشوارع من صبيان غرباء، و حاول الطيبون هناك حمايتنا و ذودهم عنا . . . لقد بدأت حملة مكافحة الشيوعية في الأعظمية كما اعلنوا !! و تعمقت و ازدادت بحرق مقاهي الديمقراطيين و المكتبات التي كانت تبيع جريدة " اتحاد الشعب " ، و منازل اليساريين و عدد من مؤيدي الزعيم .

في نفس الوقت كان مثيرا مايدور في دربونة نجية الخبازة الضيقة غير النافذة (المسدودة) و الواقعة مقابل معرض قرطاسية "الحاج ياسين " في السوق القديم المسقوف، الدربونة التي كانت تؤدي الى عدد من المنازل القديمة ذات الشناشيل شبه الفارغة وكان اشهر من يلتقي فيها : الشيخ عزوز النجدي بكوفيته البيضاء (المقدسة) بعد ان عملوه و لقبوه بالشيخ، سعدون شاكر، برزان من تكريت بملايس الجندي، ابو الطرشي، ابن عبد الشهيرة و عزوز الاقجم وغيرهم .

ممن كان غالبيتهم من المحكومين والفارين من العدالة، او المسواة قضاياهم الإجرامية عبر عدد من معاوني الشرطة و محامين، كما روى حينها الشقي منعم ابو الجاج الذي وجد مقتولا في عش الطيور لدار في محلة الحمام، ثم في مزبلة هناك . . الدربونة التي كانت تفض فيها نزاعات الأشقياء حول الزعامة وخاصة مع منعم ابو الجاج و ولد الصفره و غيرهم، في تلك الفترة .

و قد لاحظ بقالون في السوق مجئ ضابط من ديوان مجلس السيادة و هو من الاعظمية، و قد شاهدوه لمرات في التلفزيون في مراسيم الديوان التي كان ينقلها تلفزيون بغداد . . لاحظوا مجيئه الى تلك الدربونة بملايس ريفية (دشداشة و سترة)، و كوفية عراقية ملفوفة على رأسه، كل رأس شهر و كلما حصل شجار عنيف و تهديدات بصوت عالي بينهم، فسره البقالون المجربون و ممن لهم صلات و ما شاهدوه، بأنه كان يقوم بدور ضابط ارتباط بين اولئك الأشقياء و ديوان مجلس السيادة، حيث كان يدفع لهم خرجية و مصاريف و مكافئات لـ

(الدفاع عن الوطن من خطر اليهود!)
 في وقت كان فيه مجلس السيادة مكون من رئيسه الفريق نجيب الربيعي
 وعضوية محمد مهدي كبة و خالد النقشبندي، و كان يقوم بدور رئاسة
 الجمهورية و كما أعلن للتحضير لإنتخابات في زمن الزعيم، و كان
 اغلب ضباطه من القوميين و البعثيين و مؤيديهم.

في احدى امسيات ذلك الخريف التي انهمر فيها المطر مدرارا، لم يعد
 رحيم الى البيت مساء بعد انتهاء دوامه في شركة " فريخ و حمد "
 كعادته ، فقلقت الأم ولم تعرف ماذا عليها ان تعمل، سوى طمأننتنا
 ومحاولة لمنا على اكلة شتائية "بقلاوة فكر" (بقلاوة فقر) التي كان
 الأطفال يحبونها بشكل كبير و ينتظرون بفارغ الصبر ان تعملها لهم
 والدتهم، المكونة من قطع الصمون اليابس ملوثة بشئ من البيض و
 مقلاة بالدبس.

تأخر الوقت واخذت الساعة تقارب منتصف الليل ولم يعد رحيم . .
 الأمر الذي دعى الوالدة الى ان ترسل اخي الكبير الى بيت ابن خالته "
 فائقة" القريب، ليخبر ابنها محمد بالتأخر غير الطبيعي لزوجها والطلب
 منه ومن اخوته اتخاذ شئ ما للسؤال عنه.
 بعد برهة عاد اخي الكبير مع ابني الخالة الكبيرين اللذين حاولا ادخال
 الطمأنينة الى قلب والدتي و التخفيف عنها باحاديثهم ونكاتهم . .
 واستفساراتهما الجادة بين حين وآخر عن رحيم، و استمرت الأحاديث
 عن موجة الإعتداءات بالضرب بالهراوات وبحرق عدد من المنازل
 بعد تساؤلات سعاد لأبني اختها، اللذين تحدثا عما كان يجري في
 الأعظمية تلك الايام، الا انها ابعدا تماما احتمالات اية مخاطر شبيهة
 يمكن ان تحصل لعائلة ابنة الشيخ فخري العالم، رغم ان مذكراه اكد
 مخاوفها وجعلها تصدق و لو بدرجة ما ماكان يتحدث به رحيم اليها عن
 مخاطر قادمة!!

قال محمد الذي كان يعمل سائق شاحنة في مصفى الدورة:
 - والله كلهم مجانيين . . ناس تريد تسوي البلد جنبه مثل اوروبا اللي
 سابقة علينا بمئات السنين ،وناس تريد عودة دولة الخلافة القديمة
 السابقة علينا بمئات السنين ايضا .
 بعيد منتصف الليل . . سمعت قرقعة دخول وتدوير المفتاح بباب الدار .
 . عاد رحيم !! كان مبتل الملابس ممتقع الوجه شاحبا من البرد و البلل ،
 و بعد ان حيا الجميع و تصافح مع ابني اخت سعاد . . قال لنا وهو
 يلهث .

- ولدي اذهبوا ناموا بكره عدكم مدارس . . تأخرت بالشغل للأسف !
 كان عندنا جرد حسابات لازم ينتهي اليوم ! . . اذهبوا ناموا والا لن
 تستطيعوا النهوض صباحا كي تذهبوا الى المدرسة!!
 عند ذهابنا . . شاهدت اقتراب الكبار من بعض وتحدث رحيم بما يشبه
 الهمس:

- حاول عزوزز دهسي بسيارته!!
 - كيف كيف كيف !!?
 - ككل يوم كنت قادما من جهة الجسر وبعد ان اجتزت السوق القديم . .
 ووصلت الى قرب بيت ابو عزوز ، تحركت سيارة عزوز البيكاب
 الصفراء وكانت مطفأة الأنوار . . تحركت بإتجاهي بسرعة فائقة
 وبشكل مفاجئ ، الأمر الذي ادى بي الى الأسراع بالدخول الى الجادة
 الجانبية عند مدرسة اليهوديات الموصلة الى بيت الخال " زكي . . "
 دخلتها ركضا ولاحقتني السيارة التي كان يقودها عزوز وهو يشد
 غترته البيضاء على وجهه الذي لم ير منه سوى خيال عينيه . .
 ركضت بسرعة الى الدرايين الضيقة المتفرعة من هناك التي لاتستطيع
 اية سيارة الدخول اليها واسرعت الى الخرابة فيها، واختبأت بين
 انقاضها وكنت اسمعه وهو يصيح:
 - ويلك يا احمر !! لن تغفلت يا عميل ستموت كما يموت الكفار و العملاء
 !!

وبيئنا ولولت الأم وصاحت:
 - ليش شنو مسويلهم رحيم ؟؟ . . رجال رايح جاي بدربه .
 كانت الوالدة سعاد تتحدث و هي في تصورها مكانتها الاجتماعية في
 المحلة و هي ابنة الشيخ فخري الذي يحلفون برأسه و يذكره . . بعد ان
 صدقت كلام الأهل و تهدناتهم لها الى درجة صارت يمكن ان تكون
 ضارة.

و صاح محمد و منور:
 - ياكلب يا ابن الكلب . . عزوز الأعوص العين!!
 و توالت تعقيبات ابني الخالة منور و محمد و نقاشاتهم:
 - اشدهم !! هذا عزوز جندي الآن مو ؟؟
 - لأ . . هو يلبس ملابس عسكرية كما يلبس الأشقياء برزان و سعدون .
 . الملابس العسكرية تحمي لابسها و الناس تتردد عند الأحتكاك به لأنه
 حكومة ؟؟

و قال رحيم:
 - واضح انهم يريدون قتلي، و اخذوا قرارهم . . لاحقتي سابقا
 بماتوسيكله الاحمر و تصورت انها ليست اكثر من مصادفات . .
 صارت الحياة غير ممكنة لي في هذه المحلة و خوفي على العائلة و
 الاطفال، ننتقل من هنا ؟؟
 وكانت المرة الأولى التي يتحدث بها بهذا الشكل . . هل معقول انه يريد
 ترك منزله الجميل الذي سقاه عمره و صار امله بالحياة، البيت الذي
 شهد حبه وناه وولادة اطفاله الأحبة، البيت الذي لايملكون غيره سندا
 في الحياة . . و اضاف:

- ننتظر برهوم . . قد يأتي برأي او عمل او افكار جديدة!!
 جاء برهوم بعد ان ارسلوا له خبرا في ذلك الليل المتأخر. . . .
 قال الصحفي الرياضي برهوم الذي كان اكبر اخوته:
 - الموضوع لايقصر على ما يجري في الأعظمية . . تجري نفس
 الحوادث في الكاظمية و الجعيفر و الكرخ القديمة و الصالحية

والشواكة و الكراة و باشكال و حجج متنوعة . . الناس اخذت تفقد عقلها في صراع بين قوى الشعب ذاتها كلها . . صراع ياخذ اشكالا و صيغا كثيرة التنوع، الله يستر كيف راح يتطور ؟؟
قال الاخ الصغير منور:

- عزيزي برهوم انت ليش ما تحاول تتحدث وايا عمي الأستاذ و هاب و خالي زكي . . عن مشكلة دربونة نجية الخبازة، يعني يحاولون بواسطة اقاربنا اللي بشرطة الأعظمية ان يضعوا حد لأنواع الأشقيائية والسفلة الذين بدأوا يتجمعون وبتزايدون و يسكن قسم منهم في البيوت القديمة للدربونة.

- عزيزي منور ليش شكو بدربونة نجية الخبازة ؟ هذي دربونة مهجورة . . وتعرف اي مكان مهجور و متروك يمكن يسكنه اي واحد مقطوع وماعنده احد و . .

- عيني برهوم مو هاي المشكلة . . المشكلة انه يتجمع هناك ليس الفقراء فقط، ولكن القتلة المجرمين والحرامية والقوادون . . يعني انت ما تخاف على اهلنا و الاقارب و الاحبة ؟؟
انتبه برهوم الى اخيه محمد الذي كان يعتبره احد الفتوات المعروفين في المنطقة و قال:

- شنو محمد ؟ اشو انت ساكت ؟؟ صحيح اللي دا يقوله منور ؟ ؟ لأنني ابتعدت عن الأعظمية من يوم حملة مكافحة الملاريا وسفري المتكرر للشمال وللموصل ثم انشغالي بالصحافة و التعليقات الرياضية والكتابة بالأختزال وايا عمي و هاب . . يعني و الله اني اذهب من الفجر للمطبعة و ارجع نص الليل !! الله يساعد بنت الناس شلون صابرة وياي . . غنية هم عندها مستشفى و خفارات وهم مشكلة الرضيعة . . اي شتكل محمد . . اكو هيجي شئ ؟
- والله يابرهوم . . أني هم مثلك هالأيام . . من الفجر الى تالي الليل بالشغل.

- افهم ابو جاسم نعم . . و الحجي بيننا بس هواي يريدون خاطرك من

بين ذوله، وهم حريصين على ان لايزعلوك لأنهم يحتاجوك دائما . .
 ولاتتسى عزيزي، رحيم زوج اعز خالة عندنا ، منو عندنا غيرها وهي
 اكبر بنات و ولد العالم الشيخ فخري اللي افضاله مغرقتنا لحد الآن.
 شكرته خالته والدتي سعاد قائلة:
 - الله يخليكم ويصونكم . . اني هم ما عندي احد غيركم من اهلي من . .
 (واختنقت بعبراتها) . . من وفاة والدي الله يرحمه. .
 فهم محمد الإشارة . . حيث كان حسب وقته و حسب عطله من عمله،
 يسوق شاحنة كبرى من شركة الشاحنات قاطعة الصحراء الكائن مقرها
 عند ساحة الوثبة . . وكان قد عبر كثير من المطاردين والمطلوبين الى
 اماكن امينة مقابل اجور سخية، اضافة الى براعته في تهريب الكثير
 من المواد الغالية التي كانت تدر عليه ارباحا كبيرة . . فكان على علاقة
 مصلحة و عمل بمجاميع من العالم السفلي البعيد عن القانون، في زمان
 كان واضحا فيه ذلك الترابط المصيري بين كل الخارجين عن قانون
 البلد . . من المزورين وسراق المشاريع والقاصات الكبيرة والمهريين،
 والمحكومين الهاربين من السجون العادية والسياسية و الشخصيات
 السياسية المطاردة.
 وقال:

- على بختك برهوم !! احنا على العهد . . بس انطيني مهلة لأن كثير
 من الأمور اخذت تتغير منذ نجاح الثورة . . اللي اجرت عديد من
 التغييرات على مجتمع الأشقيائية ذاته اللي صار عدد كبير منهم يطيع
 ابو الهوب في اعمال الخير و مساعدة الفقراء خاصة و انه مدعوم من
 حزب سياسي يملك الشارع ، يحارب الجريمة و المجرمين و
 الممنوعات . . بتقدير ان عزوز الأعوص النجدي . . لايتحرك من
 عندياته، الموضوع موضوع عشائر و بدو ومراجع دين و شريعة
 و دراويش . . و اشقيائية من المعادين لأبو الهوب و مسنودين من
 ضباط كبار اثرياء عايشين بكل وكت. .
 الى ذلك فتح الجميع عيونهم و ساد صمما ثقيلًا ، قطعه برهوم قائلا لـ

محمد:

- محمد آني ما افهم بهالأمر . . اريد رحيم منك.

فقال محمد:

- على بختك برهوم . . اعتمد علي !! ساعمل اللي اقدر عليه وما اقصر فيه وانت تعرف!

وبعد ان شربا استكان الشاي الطازج الأخير من القوري الثاني الذي حضرته والدتي على جمر المنقلة . . سلم محمد ومنور على خالتهما و زوجها وحيا اخاهما الكبير برهوم وخرجا .
وهنا استدار ابراهيم الى رحيم وقال له:

- لنتحدث الآن بحريتنا عزيزي رحيم . . ماذا يحصل في البلد ؟ ! البلد منقسم على نفسه . . كانت الناس فرحانة بالحكم الجديد، و تنتظر محاكمات المهداوي لرجال العهد المباد بفارغ الصبر وتصفق للمحاكمات وللأحكام، بل كنت تشاهد الشوارع خالية والمقاهي مكتظة بالناس لمتابعة محاكمة كبار رجال العهد الملكي . . الا ان القضية صارت تأخذ مجرى مختلف منذ محاولة الشواف و محاكمة عارف و محاكمة كبار الضباط القومييين علنا، والحكم عليهم بالأعدام وتنفيذ الأحكام.

- عزيزي برهوم . . الذي يحصل بين رفاق الأمس القريب رهيب !! يعني والله ما اعرف كيف ضابط او مجموعة من الضباط الأحرار يقومون بمحاولة انقلاب ضد رفيقهم رئيس البلد الذي هو منهم و رئيسهم العسكري ايضا في منظمة الضباط الأحرار، وهم الآن وللتو وصلوا الى الحكم . ثم اذا قاموا بمحاولة انقلاب فإما ان الانقلاب ينجح ويطيحون به ويعاقبوه و اما يفشل ويطيح بهم ويعاقبهم . . سنة حياة قاسية ولكن ما العمل ؟ هل يعفو عنهم ؟!

- عزيزي رحيم . . انا اتحدث معاك لتوصل ذلك عن طريق الصحفي المعروف عدنان البراك ابن اخيك الذي هو على صلة باعلى القيادات السياسية و النقابية لكل الاطراف اليوم . . الكل في الأعظمية يعرفون

رفعت الحاج سري و ناظم الطبقجلي و اكثرهم يحبوهم و يحبون عوائلهم و يحترموها . . يعني لو كانت محاكمتهم سرية مثلا و الأحكام اخف الم يكن افضل؟؟ لأن ذلك التسرع خلق الآن صراع شعبي بين الناس . . بس الله يدري الى ماذا سيؤدي .

- اي نعم . . بس الزعيم عفى عن عارف ؟
 - و اشلون عفو ؟ اعفاء من كل مناصبه و احواله على التقاعد عسكريا وارساله كسفير الى المانيا الغربية . . . عزيزي بعيدا عن كل الأسرار و خفايا الثورة و اسرارها . . كثير من الناس و خاصة في الأعظمية يعتقدون ان عارف هو زعيم الثورة . . لأنه هو الذي كان المنفذ الأول وهو الذي قرأ بصوته البيان الأول للثورة .

- نعم . . بس هذا لا يكفي لأن كل الضباط يعرفون ان المسؤول الأول هو الزعيم عبد الكريم .

- عزيزي الأمور ليست كلها بالحقائق العلمية و الواقعية . . اهل الأعظمية خاصة يرون ذلك لأنهم يعرفون عبد السلام !! و يشعرون انه منهم لأنه من اهل الأعظمية و يسكن في الأعظمية هو و اقربائه و علاقاته و اصدقائه و علاقات زوجته العائلية كلها هنا . . خاصة و انه ليس ساكنا فقط هنا، بل و لأنه من جميلات التي هي من العشائر التي يعود لها ابرز ضباط الجيش العراقي منذ تأسيسه الى اليوم و اكثرهم يسكنون الأعظمية.

- يعني مو كل الناس هنا ضباط . .

- صحيح بس الحكم صار حكم ضباط الآن . . الناس في الأعظمية يشعرون ان عبد الكريم صار يكرههم و انه باعدامه اخوانهم و ابنائهم . ابعدهم عن الحكم، لأن اكثر العوائل هنا كان عندها ضابط او واحد في قيادة الحكومة او على صلة بها . . اكثر العوائل تكدر تسأله و تطلب منه ان يساعدها في تلبية حاجاتها ان احتاجت، تقدر تحكي معاه . . و الآن انتهى كل ذلك . . لذلك تشوفهم متهسترين لأنهم انضربوا و سيعملون على الانتقام بكل الوسائل.

- عزيزي برهوم . . يعني انت تعتقد ان الصراع الجاري يدور على مصالح ومنافع عدد من العوائل وانه صراع مناطق ومحلات . . . لعد هذه الثورة و انقضاء عهد ومجئ عهد جديد ناضل من اجله و صفق له الجميع و خاصة في الأعظمية ماذا يعني ؟ الا تلاحظ تهديدات الغرب . . الاتلاخط الطموح المؤسف لعبد الناصر في البلد ؟؟

- عزيزي رحيم . . انت تتحدث عن شئ اتفق معاك فيه وانت تعرف . . وانا اتحدث عن شئ آخر اسمه الأعظمية . . الأعظمية واهلها كانوا ومنذ تأسيس الدولة العراقية لهم دور واضح في الحكم فيها، منهم ابرز الموظفين و الضباط الكبار ومنهم اكثر موظفي و موظفات الدولة ونسبة الطلبة والطالبات معروفة بين ابنائهم .

- يعني برهوم . . كان لازم مايعدمهم ؟ تتذكر عقدا المربع الذهبي ...
 مو عدمهم الملك ؟

- بلى . . ولكن انقلبت الدنيا عليه عندنا هنا في الأعظمية خاصة!!
 - هذا التذمر سيستغل!!

- وسيستغل التحدي الذي يتصف به اهالي الأعظمية و اهالي محلات بغداد القديمة و محلات مواقع الاضرحة المقدسة المعروفون بتحدي السلطات المتعاقبة . . كل بطريقته ووفق اجتهاده وقناعاته، على ان لايصطدم بقناعات الآخرين لكون الجميع ابناء بلد واحد . . ضروري التعامل معهم بدقة و حذر و بالحسنى المناسبة لزمنا و للعقلية الاجتماعية السائدة فيها اليوم . . خاصة و ان حفلات السفارة المصرية لاتنقطع و دائما الدعوة فيها مفتوحة لأهالي الاعظمية ليلتقي بهم الملحق الثقافي . . و الملحق العسكري اللي اخبر بارزين من اهالي الاعظمية، ان مشاجب السلاح المصرية مفتوحة امامكم، بس انتو شدوا حيلكم !!!

زمن الاغتيالات .٧.

بعد تلك الليلة التي نجا فيها من الموت، لم يخرج رحيم من البيت في صباح اليوم التالي . . لتقليب الفكر بما عليه ان يعمل و كيف عليه ان يجنب العائلة و الاطفال مخاطر اوقعهم هو بها بنشاطاته، خاصة و انه الآن يعمل اداريا في معهد الفنون الجميلة، بعد ان صدر امر بنقله من العملية التعليمية الى الإدارية من دون سبب مقنع غير (بناء على ماتقتضية المصلحة العامة)، و استلم مسؤولية مخازن المعهد و حساباته.

لم يخرج من البيت، و لكن بعد فشل محاولته بالتعلل بكونه مريض، حيث ارسلني قبل ذهابي الى المدرسة الى بيت موظفة الفنون (مزدان) لعمل اجازة اعتيادية له كخطوة اولى كي يراجع طبيب، الا انها قالت ان ذلك ممنوع منذ شهرين، و لم تفلح محاولاتها التلفونية لذلك، بسبب صدور تعليمات مشددة بمنع الإجازات الأعتيادية .

وصار صاحب طلب الاجازة الإعتيادية يعرض نفسه الى انواع المساءلات التي تصل الى التحقيق السياسي والشك بـ (معادة الجمهورية الفتية الخالدة) والإحالة الى الشرطة و الأمن بتلك التهمة . . فاضطر الى الدوام متأخرا بعد ان رتبت له المحاسبة الصديقة (مادلين) حجة ادارية، في وقت كان فيه مسؤول الإدارة المسؤول عن ضبط الدوام للموظفين و طلبة المعهد (شاكر المفتي)، و هو من الموظفين المسلكيين السعيديين الواقفين بالمرصاد لليساريين من طلبة و عاملين رغم تعبير جميعهم المتواصل بتأييد الزعيم . . وفق قوائم مدققة من دوائر الأمن السعيدية المسلكية، او له و عبر صلات قوية بها .

و بعد ايام و بينما كان رحيم راجعا الى مكتبه من بناية احد المخازن . .
 . اخبره مساعده "عبد عبيد" قائلا:

- استاذ رحيم . . هناك سيدة بانتظارك ! انها تنتظر في القاعة الكبيرة
 عند الباب الرئيسي للبناية!

- الم تخبرك من تكون او لماذا جاءت ؟ قد تكون طالبة من طالباتنا لديها طلب ؟
- استاذ . . من الواضح انها ليست من طالباتنا ! من ملابسها ومساحيق وجهها و موديل شعرها و و تنورتها البيضاء القصيرة . . و بعد ان قدر ماسيقوله لاحقا . . قاطعه رحيم قائلاً:
- الم تعطي اسمها كعادة الضيف القادم من خارج المؤسسة ؟
- نعم بعد ان سألتها قالت، انها شكرية . . ابنة جارتكم ام سناء . . واخذ رحيم يفكر:
- هل هي شكرية السفيهة التي كانت تعمل كاتبة في دائرة اسالة الماء ؟ ماذا تعمل هنا ؟؟ و من اين تعرف اني اعمل هنا ؟؟
- جاءت شكرية بعد ان ذهب اليها عبد عبيد لتأتي معه، فقابلته وقالت:
- استاذ . . تشرفنا بلقاءكم باعتباركم من انصار المرأة . . والله من يوم مازارتكم د. نزيهة الدليمي صحبة الدكتور عبد الأمير ابن ؟ ابن ؟ بالمناسبة هو ابن من ؟
- . . اسمه دكتور عبد الأمير السكافي
- يعني آني مريضة مرض نسائي و اريده ان يكشف علي . . اشلون يمكن تحديد موعد معاه ؟
- والله كما اعرف . . ليس لديه عيادة.
- زين . . في بيتكم . . ؟
- في بيتنا ؟ والله و انت تعرفين اتصور . . بيتنا صغير واطفالي كثيرون وكلهم طلاب ووالدتهم معلمة ولديها طفلة رضيعة . .
- لعد كيف كنتم تجتمعون في البيت ؟؟ . . زلم و نسوان . . نازعين لابسين ؟! حتى بنت شيخ رشيد الحليوه طلعت كم مرة من بيتكم و هي تعدل تنورتها المبللة . . يمكن جانت توها مخلصه هههههههههاي بس مو علينا استاذ !! احنا نقرا المحمي . . بعدين شنو مخبوصين بقوانين مساواة و حرية المرأة ؟ الحرية شنو . . غير تدخين و شرب عرك و اكل المحرمات، اني كلها اسويها. الحرية مو معناها و تعني ان المرأة

تنزع و تلبس بكيفها . . . أني مستعدة هسه انزع كدامك بس نزل الستارة شوية!!!

شحب وجه رحيم من تلك الكلمات الوسخة المفاجئة و الأخرى التي لا اساس لها من الصحة . . . وتألم لحاله من محاولة جارة ننتة للتسيد عليه ومن سلاطة لسانها، ومن خروجها على كل التقاليد الأجتماعية ابتداء من زيارتها له في عمله و هو الذي لم يسبق له ان تحدث معها او حياها، و لم يسبق لهما ان تزورا كعوائل على الأقل !! وقرر ايقافها عندها.

فقال لها و بصوت جاد و مرتفع قليلا:
- شوفي ست شكرية !! ... ولو اني عرفت اسمك الآن فقط لأن لاسابق معرفة بيننا رغم اننا جيران ، ولكني اقول لك . . . الزمي حدودك في الكلام والزمي الصدق فيه ! عن اية اجتماعات تتحدثين ؟ انت تعرفين جيدا اننا لم نأت من ثقب حائط، ولدينا عدد كبير من الأقارب رجالا و نساء يزورونا و نزورهم، واذا كانت زوجتي معروفة لكم من هي و من تكون في الأعظمية . فاننا من عائلة معروفة من صوب الكرخ من محلة "خضر الياص" وزوجتي تعرفيها جيدا . . . بعدين شنو نازعين لابسين؟؟ و تريدين تنزعين كدامي؟؟ ولج انتي ماتستحين؟؟ يالله برة !

اجابته بمباشرة و بهدوء ولأبالية:
- رحيم . . . لا تسوي نفسك عصبي براسي . . . انت لم تدعوني حتى لكأس شاي او للجلوس على الأقل . . . اني ذاهبة . . . ولعنة الله على الساعة التي قررت فيها ان ازورك !! عبالى شهم و ابن اوادم . . . و اردت ان اراويك انا مع حرية المرأة!!
وذهبت بعد ان مرت على غرفة (شاكرا المفتي)!! . . .
بقي رحيم واقفا وقد اصعقته المفاجأة و تزامت الأفكار في رأسه . . . " هل هي صدفة ؟ قبل ايام فقط حاول عزوز دهسه بالسيارة، والآن تأتي

اليه عشيقته شكرية خاتون و بكل سفاهه و تريد منه ان يعمل لها موعد مع دكتور عبدالأمير لأنها مريضة كما قالت؟؟ ثم ماعلاقة ذلك بكوني من انصار المرأة وانها شاهدت د. نزيهة التي صارت وزيرة الآن، عند زيارتها لنا قبل سنوات في العهد الملكي؟! لا اعتقد ان الموضوع موضوع ذاكرة لفتت بها الجو لتشجيعي على السعي لترتيب الموعد مع الطبيب . . . بعدين هي هاي حرية المرأة؟؟؟ تقو . . و الله من انعل ابوك لابو ابو اللي جابك علينا .

و من زمان لم يزور بيتنا د. عبد الأمير ولم نلتق علنا في الأعظمية . . بل انه ترك البيت الذي كان يسكنه مع عدد من طلبة كلية الطب الثوريين . . ويسكن الآن و منذ تخرجه في مشتمل يعود الى بيت قريب على بيت ومجلس الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، لإهتمامه بحضور المجلس. مشتمل نقل اليه امه و اخته من النجف لتسكنا معه . . يمكن ان من كلف شكرية بزيارتي يريد ان يعرف اين يسكن د. عبد الأمير الآن، والله يدري مايدبرون له؟ ثم لماذا مرت على غرفة شاكر المقتي بخروجها؟؟ هل تعرفه او مرسله من ناس لديهم مهمات معه؟؟ الشك كبير بكونها مريضة فعلا، لأنها تبدو كالحصان لا يبدو عليها كونها مريضة . . كل لهجتها في الاستفسار كانت تدلل على انها و كأنها تستنطق و تقوم بمهمة ما مطلوبة منها؟؟ . . هل هي تحب فعلا صديقي د. عبد الأمير، صعب تصديق ذلك من امرأة ساقطة بارادتها . . و استمر بالدوران في حلقات مفرغة لاتنتهي من الافكار، و لكن توصل الى ان المهم اخبار د. عبد الامير بذلك لينتبه، لأن يبدو ان شكرية علاقاتها بالامن متعددة.

بعد ايام من نجاة الوالد من الدهس و صار حذرا في حركته و صار لايتأخر حتى لو قطعوا من راتبه، و يعود للبيت من طرق اخرى كان يضطر لتغييرها يوميا و قبل غروب الشمس . . التقى محمد بأخيه برهوم و دار بينهما التالي:

- عزيزي برهوم تره صدك ما قاله رحيم، انهم مقررين قتله لأنهم يكولون ان رحيم يهودي، و قد فصل من الوظيفة قبل سنوات بتهمة (شيوعي صهيوني خطير)!!

- ابو جاسم شنو هالخريط؟؟ رحيم من عائلة مسلمة بغدادية معروفة و تزوج اصوليا من خالتنا سعاد وفق عقد اسلامي شرعي بشهادة اوراقه الثبوتية و بحضور خالته راجحة الملاية المعروفة و زوجة اخيه الكبير و كنت انا احد شهود الزواج . . اما (شيوعي صهيوني خطير) هاي كانت التهمة المرتبة اللي فصل بها آلاف اليساريين من اعمالهم الحكومية . . بسبب نشاطهم في مظاهرات العدوان الثلاثي ضد حكومات نوري السعيد.

- هكذا كان مطبوع على جدول ورقة حكومية فيها الأسماء و التهم مقابلها . . و امام عدد من الأسماء علامة ضرب بالأحمر مخطوطة بقلم رصاص احمر.

- اوراق حكومية مطبوعة؟؟ انت شفتها بعينك؟؟
- نعم!! صادرة من الأمن العامة . . اردت آخذ نسخة منها، رفضوا!!
- زين هاي عادة تكون سرية و تخص أمن الدولة، منين محصلين عليها و شلون؟؟

- عزيزي برهوم و هاي بيناتنه الله يخليك . . اللي افتمته ان اعمالهم تجري بإشراف حكومي و شخصيا بإشراف (المقدم صالح مهدي عماش) اللي يعمل بالإستخبارات العسكرية، و هو يسكن في الأعظمية - محلة الحارة المجاورة لمحلة السفينة، و يمكن هو اللي يزورهم بدربونة نجية الخبازة بملايس ريفية بين فترة و اخرى . . و صدر امر من الزعيم بتعيينه وكيل اداري لقائد القوة الجوية اليساري زعيم الجو الركن جلال الأوقاتي، و يعمل في مكتبه رغم انه ضابط مشاة و لا كفاءة او خبرة بالقوة الجوية لديه . . و يقولون انه يجيد اللغة الانكليزية و يتعامل مع جهات غربية يمكن شركات نفط و غيرها، و لذلك يتعامل بالدولار لأن ماعنده وقت للتصريف؟؟

نقل برهوم ماسمعه من اخيه محمد الى رحيم و تناقشا حوله و حول زيارة شكرية للقاء رحيم . . . و توصلا الى ضرورة اليقظة و الحذر من جهة، و هل ان ذلك يجري في الأعظمية فقط او في عموم بغداد ام كيف ؟؟ و بعد يوم او يومين التقى رحيم بـ د. عبد الأمير و عدد من الأصدقاء في مكتب المحامي كاظم الطائي في الكاظمية، و بتبادل معلوماتهم و مناقشاتهم حولها توصلوا الى:

ان هناك خطة للبعثيين و القوميون للقيام باغتيال العناصر اليسارية الأكثر نشاطا، يمكن ان تكون للتخضير للقيام بعملية كبيرة لتغيير نظام الحكم و ستبدأ مع اعلان موعد انتخابات المعلمين التي ستدور في الايام القادمة، و المعلمين من الجنسين هم اكبر تجمع جماهيري تقمي بعد الطلاب . . حيث بدأ الصراع عنيفا لتزوير الانتخابات و منع المعلمين اليساريين و المنات من المستقلين بالسلاح، منعهم من الإدلاء بصواتهم على القائمتين المتنافستين البارزتين : القائمة المهنية، الديمقراطية . . و قائمة الجبهة التعليمية الموحدة التي ضمت البعثيين و القوميون و الاسلاميين.

و فعلا بعد يومين أعلن عن اغتيال المدرس المحبوب ممدوح الألوسي مرشح القائمة المهنية في اعدادية الأعظمية للبنين، بضربه عدة مرات بغطاء صندوق سيارته (الكبنك) و هو يفرغه من حاجات اشتراها لتوه من السوق وقت غروب شمس ذلك اليوم. .

و سجل محضر بالجريمة التي اتهم بها صانع في محل يبيع الثلج عرف اسمه الاول (عزت) من الدور و يلقب بـ الدوري، و هو من ارباب السوابق في جرائم متنوعة . . و في تلك الفترة كان مسؤولا عن توزيع جماعات من الشباب و الاطفال في تقاطعات الشوارع لضرب من كان يمر هناك بالبوكسات او بالحجارة او بالهراوات، من اليساريين او من ابنائهم و بناتهم . . حتى عاد اخي مفيد في يوم من الايام مورم الوجه لأنهم ضربوه بالهراوات، بسبب حمله ملصقات تدعو لإنتخاب القائمة المهنية، و عاد محمود ابن مزهر الى البيت، و هو مدمى بسبب حمله

لصحيفة " اتحاد الشعب "، كان قد اشتراها من الكاظمية .
 في وقت انتشرت فيه محاولات الإغتيال في بغداد بحق الناشطين
 اليساريين، منها محاولتنا اغتيال فاشلة استهدفت ابو الهوب، و قد
 ساعدت نقابات العمال على حفظ الأمن و الهدوء و انقاذ اليساريين و
 الديمقراطيين في محلات بغداد، حيثما امكن .

في احد الأيام آنذاك قال المساعد في مكتب والدي في معهد الفنون
 الجميلة (عبد عبيد)، انه سمع من طلبة من المعهد ان البعثيين و
 القوميون يقومون بحملات اغتيال منظمة بكل الوسائل و وفق جداول . .
 و ان القيادي الثاني في البعث (حازم جواد) جاء الى بغداد من مصر
 سرا و جلب معه كمية كبيرة لأول مرة بهذا الكبر الى بغداد، من
 رشاشات بور سعيد و مسدسات بينها كواتم اضافة الى قنابل يدوية، و
 صناديق كثيرة من العتاد . . و انهم رأوا او قدروا تلك الشحنة عند
 وصولها الى دربونة احدى الخبازات في سوق الاعظمية القديم.
 و تأكد نفس الخبر من محمد اخو برهوم من جماعات العالم السفلي في
 دربونة نجية الخبازة، و قد ناقش الوالد و الجماعة و ماجاءوا به من
 اخبار، في بيت د. عبد الامير و توصلوا الى ان البعثيين يتهيأون لعملية
 كبرى لإسقاط الزعيم . . و اوصلوا تلك الأخبار الى المقدم سعدون
 الذي اوصلها بدوره الى المقدم ممدوح، العامل في المكتب المركزي
 للإستخبارات العسكرية.

و قد وصف حازم جواد ما كان يحدث بعد عقود من السنين في مقابلته
 مع صحيفة (الحياة) اللندنية في (حازم جواد يتذكر)، بانهم كانوا
 يستعدون لإغتيال عبد الكريم قاسم و قد تمت المحاولة في بداية تشرين
 الاول اكتوبر عام ١٩٥٩ . . و انه جاء من مصر صحبة تلك الأسلحة
 و ان الأمين العام للحزب آنذاك فؤاد الركابي كان وراء ذلك القرار
 بموافقة عبد الناصر، وكانت الخطة تقضي أن يعقب نجاح محاولة

الاغتيال تحرك ضباط بعثيين وقوميين و مدنيين مسلحين للإمساك بالسلطة . . (يمكن مراجعة محاضر جلسات محكمة الشعب بهذا الخصوص، و كراس فواد الركابي "الحل الأوحد" الذي كان يعني الحل الاوحد لإسقاط الزعيم الاوحد) . . اذن لم يكن الهدف احداث فوضى فقط، بقدر ما كان الهدف هو الإستيلاء على السلطة و تحطيم الخصوم بشكل مخطط.

و هكذا هبأ القيادي في البعث اياد سعيد ثابت مجموعة بقيادة عبد الوهاب الغريبي، و تدربوا في مزرعة الرضوانية، و قد ضمت المجموعة كوادر من الحزب و شقاوات . . كمنت في عيادة الدكتور البكري في رأس القرية منتظرة قدوم الزعيم من جهة باب المعظم الى الباب الشرقي في مغربية ذلك اليوم، و بوصوله الى النقطة المحددة، رمى الغريبي قنبلة دخانية لتفريق الناس التي كانت تحيي الزعيم من جانبي الشارع . . و انطلق وابل من الرصاص من غدارات بورسعيد عليه.

و كانت النتيجة ان جرح الزعيم بعدة اطلاقات في ساعده و لم يفقد الوعي، و مقتل السائق (حرز) و جرح المرافق قاسم الجنابي الجالس جنب السائق و لم تكن هناك حمايات لسيارة الزعيم لا من الامام و لا من الخلف، وكانت السيارة ماركة شيفروليه صالون عادية و ليست مدرعة، مصبوغة بلون خاكي ككل سيارات وزارة الدفاع. . .

و بعد سؤال الجمهور المحتشد حول السيارة للزعيم، ماذا علينا ان نعمل ؟ اجابهم الى مستشفى دار السلام في العلوية، و كان الخبر قد انتشر كالبرق مؤديا الى خروج عشرات الآلاف من سكان المناطق المحيطة الذين احتشدوا للأطمئنان على الزعيم، و بعضهم حمل هراوات و خناجر للدفاع عن الزعيم و للانتقام من المجرمين . . من صرائف و مناطق الشاكرية و المجزرة و خلف السدة من جهة المستشفى، و كانت الناس في تزايد لاينقطع . . احكمت القوات المسلحة سيطرتها على العاصمة بقيادة العقيد (احمد

صالح العبدى) رئيس اركان الجيش و الحاكم العسكري العام، الذي كان موضع ثقة الزعيم . . في خطة دفاعية كانت معدة سلفا كما تناقلت الانباء.

و بسبب القلق من تلك الحشود و مايمكن ان يحصل . . اصدر العقيد العبدى بيانا اوضح فيه ان (مجموعة من الحاقدين على سلامة الجمهورية و الزعيم الاوحد) حاولت اغتيال زعيم البلاد، الا انها فشلت و يتم القاء القبض عليهم و التحقيق معهم، اضافة الى اعلانه ضرورة الهدوء و منع التجول في بغداد من ساعة اعلان البيان الى صباح اليوم التالي.

و فيما جرح اثنان من المهاجمين و قتل مسؤول المجموعة الغريري (برصاصات خطأ من الشقي صدام، كما قيل) و تركت جثته في الشارع . . الجثة التي كانت مفتاحا لتشخيص من و ماهية الفاعلين، سواء من تشخيص الجثة او من الوثائق و الاوراق المصاحبة لها . . و جرى تشخيص الغريري كأحد كوادر البعث و ان المعظموي شاكرا حليوة مسؤول الغريري الحزبي الذي القي القبض عليه في الحال و اقر و تحدث بتفاصيل عن العملية و اشخاصها، و تم اعتقال ماقارب الـ ٦٠ شخصا في الأعظمية من كوادر و مؤيدي البعث، فيما احكمت القوات المسلحة سيطرتها و نفاطها التفتيشية على الاعظمية . . في وقت وضعت عدد من منظمات الحزب الشيوعي العسكرية، وضعت نفسها في حالة انذار للتدخل سواء لحماية الزعيم او للسيطرة العسكرية على الحكم، كان ابرزها المنظمات التي كانت بقيادة ضباط الدروع الذين كانوا يقودون كتائب مدرعة في ابو غريب و في التاجي: العقيد سلمان الحصان و الرئيس الاول خزعل السعدي . . كما انتشر حينها.

في زمن امتلأ فيه الضباط و خاصة الشباب بمشاعر ان بإمكانهم تغيير السلطة او السيطرة عليها بعد نجاح ثورة يوليو المصرية ضد الملك فاروق بقيادة الضباط عام ١٩٥٢ . . و النجاح الباهر لثورة ١٤ تموز

١٩٥٨ ضد الملكية بقيادة الضباط الأحرار .
 لقد ادى فشل المحاولة و الاعتقالات الواسعة التي جرت في الاعظمية،
 ثم المحاكمة العلنية للقائمين بالعملية في " محكمة الشعب " و الاحكام
 الثقيلة التي صدرت بحقهم . . ادت كلها الى تحول الاعظمية الى حالة
 من الهستيريا، بين تحدي اكبر للسلطات و بين مهاجمة من بقي فيها من
 الديمقراطيين و اليساريين . . و اخذنا نتجنب المرور في الشوارع و
 المحلات و الحارات الاكثر تطرفا فيها، حذرا من اعتداءات مجرمين
 او من صبيان و جهوهم للقيام بتلك الاعمال بحق اولئك الاشخاص و
 عوائلهم، وفق تشخيصات عينية بالمشاهدة و التأشير . . فكانت شهور
 قاسية فعلا.

.
 ذات خميس و كنت عائدا من المدرسة فرحا، لأنهم وزعوا النتائج
 الامتحانية ذلك اليوم و كنت الاول على الصف، و مر مدير المدرسة
 علي لتهنئتي في الصف و لدعوتي الى احتفالية ستقيمها ادارة المدرسة
 للطلاب الأوائل على صفوفهم في الايام القادمة .
 مررت في سوق الاعظمية القديم المسقوف و انا متعجب من نظرات
 اغلب البقالين الثابتة الجادة الصامته المصوبة نحوي . . لم تكن نظرات
 تهنئة على النجاح و التفوق ابدا . . كانت نظرات جادة عن عن شئ
 كبير حصل، ممكن للعائلة او للوالد و الوالدة او لأحد اخوتي!!
 خرجت من السوق الى الجادة العريضة الموصلة الى بيتنا . . كانت
 الجادة شبه خالية من الناس خالية من اية سيارة و ليست على عاداتها . .
 صمت مطبق وسط نظرات هي ذات النظرات التي كانت في السوق
 القديم . . استمررت بالسير حتى شاهدت شخصا ممددا مطروحا على
 وجهه و يتحرك بصعوبة، اقتربت منه و انا احاول ان اساعده كيفما
 استطع . . كانت الكدمات و الجروح السطحية تغطي وجهه الذي لم
 استطع تمييزه حتى عرفت . . انه ابي!!

- كان ابي غارقا بدمه!!!
صحت لا اراديا:
- يابه ياب . . بابا!!!
- هدى نفسك حبيبي ! انا بخير . . حاول تساعدني على السير و سادلك على الطريق، لاتخبر ماما ابدا بما حصل ابني، انا بخير!
حاولت ان انهضه و اسنده للسير، كانت الدماء لاتقطع من صدره او من اعلى بطنه . . سرنا بهدوء و ببطء وكنت ادع الوالد يستريح بين فترة و اخرى كما كان يطلب . . و هو يردد:
- انتبه ان لا تكون ملاحقين!
- الشارع خلفنا خالي؟؟
- بكره او بعد بكره تصير طبيب كما خططت ماما . . اهتم بالطيبين ! بالمناضلين في سبيل العدالة و الخبز و الحرية!
استمرينا على مشينا البطئ . . . و قطعنا مسافة عشرة دقائق باكثر من ساعة، و الدماء مستمرة لم تتوقف رغم اني قطعت قميصي و شدته على صدره و بطنه كما اوصى، على مكان النزيف الذي كان مختفيا بملابسه ذاتها!
- ابني وصلنا بيت د. عبد الأمير . . الذي لايعرفه احد، حافظ على السر.
- طرقت الجرس، فتحت الباب ام عبد الأمير التي روعت من رؤية الدم و صاحت و هي تولي وجهها الى الداخل:
- اموري اموري . . رحيم جريح و ينزف!!
- استقبلنا د. عبد الامير بهمة و نشاط و بينما كان يفحصه، كان يسمعي و انا احده كيف وجدت الوالد و كيف وصلنا كما طلب مني اخباره . .
- ابني ابوك بخير ! بس لازم ننقله الى المستشفى لأنه بحاجة لنقل دم و لعملية سريعة لقطع النزيف بسبب جرح عميق في بطنه . . السيارة حاضرة بس ساعدني لإسناده . .

اعتداءات و آراء .٨.

نقلنا الوالد بالسرعة الى المستشفى الجمهوري، و نفذنا من الباب الرئيسي المحروس بكثافة آنذاك، بسيارة د. عبد الامير بعد ان عرض للحرس هويته الطبية كطبيب و بعد ان تأكدوا بأن هناك مصاب في الحوض الخلفي للسيارة كان يسند رأسه على ساقى . . .
 اتصل د.السكافي برئيس الاطباء المناوب طالبا الحديث مع الاستاذ الجراح د. خالد ناجي و تم الإتصال، و جاء د. خالد ناجي الذي كان ينام في المستشفى احيانا رغم كونه رئيس الاطباء المسؤول عن قسم الجراحة . . حيا د. خالد السكافي و حيا والدي الذي كان على معرفة به من ايام النشاط الشعبي لدعم مشروع د. خالد ناجي و اخيه د. اسماعيل ناجي في تأسيس العيادة المجانية للفقراء، و التي كان فيها الوالد من النشاط البارزين . . أدخل الوالد بعجالة الى صالة العمليات و بعد تجهيز الدم المناسب، علقوه له و باشرؤا بعملية جراحية لإنقاذ الحياة من نزيف كبير.
 بعد انتهاء العملية الكبرى التي استغرقت حوالي الساعتين، و بقاء الوالد تحت تأثير التخدير العمومي . . قال د. خالد للسكافي :

- عزيزي دكتور، كما تعرف اننا لانستطيع ابقاءه دون ورقة شرطة اكثر من هذه الليلة على مسؤوليتي، (حيث كانت ورقة الشرطة في حالة الإعتداء تدخل المصاب بتحقيق سياسي يمكن ان يصل الى اعتقال المجني عليه ذاته) . . بتقديري تنقله غدا صباحا قبل الساعة الثامنة اليك و عليك مراقبة حالته، و في حالة اية صعوبة تواجهه ليلا او نهارا، اتصل بي و سأتي اليك . . بس انتم بعدكم ساكنين

قرب بيت الشاعر محمد مهدي الجواهري ؟ و اني حاضر
 عزيزي
 - نعم استاذ سيبقى تحت رقابتي، و مكان اقامتي هو نفسه
 الذي زرنا عليه قبل شهرين !
 بعد توادعهما، استدار د. السكافي لي و قال :
 - عزيزي، مبروك نجاح العملية !! عليك ان تذهب بسرعة
 الى بيتنا لتذهب والدتي معك، حتى تخبر ست سعاد ان
 الوالد سيبقى عندنا بضعة ايام لمجئ ضيوف اصدقاء من
 النجف . . انتبه ان لاتخبرها عن الحادث، سنخبرها
 بالتدريج عزيزي، علي ان ابقى الآن جنب رحيم .
 وصلت بيتنا مع ام د. عبد الأمير و ابنتها و ذهبت فورا الى
 الحمام حيث استبدلت ملابسني التي تبقت بدم الوالد و كي
 لا اتعرض الى تساؤلات والدتي التي كانت قلقة اساسا علي
 لتأخري في تلك الظروف، و كان دوام المدرسة ينتهي بعد
 الظهر يوم الخميس . .
 و بشعور لم اعرفه و يمكن، بسبب قلقي على الوالد و ان
 لايبقي وضعه طي الكتمان هكذا، و كنت اريد ان املأ الدنيا
 صراخا احتجاجا على ماكان يجري، اخبرت اخي و رفيق
 عمري محمود بما حدث، و قال :
 - لايمكن ان يمر الإعتداء على العائلة بصمت و الا صدقني
 سيقتلونا الواحد بعد الآخر او يجرحونا او او . .
 ضروري إخبار والدي مزهر بالحلة و نشوف . .
 - عزيزي محمود، ارجوك طلبوا مني ان لا أخبر الوالدة
 فكيف إخبار والدك؟؟
 - والدي يعرف يتصرف، صدقني !
 في تلك الليلة اتصل محمود بأبيه مزهر في الحلة و اخبره
 بما جرى . . سمع مزهر بالحادثة في نفس يوم وقوعها و

تصرف كما قرر هو من ضرورة، فاتصل تلفونيا بوالدتي لتطمينها، ثم زار بيتنا في ساعة متأخرة من تلك الليلة، مع اصدقاء طلب منهم الإنتظار في سيارة اخرى خارج البيت، كما قال . . وطمأن والدتي التي هي ابنة خالته، مجدداً، قائلاً لها :

- سعاد ! ابو مفيد بخير و سيعود اليكم . . ولا تقلقي يا بنت الخالة، بيتكم بأمان !! (و كان قد ابقى ثلاثة من اصدقائه المسلحين القادمين معه، جالسين على تخوت مقهى محمد غائب لحماية الدار دون علم احد) سأزوركم و ابقى عندكم عندما يعود رحيم اليكم . . و اذا اي امر، خدمة؟؟ توصلين كلمتين بيد محمود بس لجارتكم ام حميد بنت الجلبى .
- شنو الموضوع ابو محمود؟؟

- عزيزتي خير الأمور ان يواجه المرء الحقيقة منذ البداية .
مجموعة سرسرية حاولوا الاعتداء على ابو مفيد و استطاع الإفلات منهم و قرر ان يبقى خارج المنزل بضعة ايام حتى تهدأ الأمور، و بالحقيقة انا اتفق مع رأيه و جاي حتى ابقى معاه و نشوف تاليها . .
- تسلم ابو محمود تسلم على صراحتك ! لأن ام د. عبد الامير اخبرتي بأنه سيبقى عنهم لمجئ ضيوف من اصدقائهم من النجف، و لم افهم القصة جيداً . .

في تلك الظروف زارتنا جدتي الحاجة أمينة و استطاعت ان تقوي امي و تشد ازرها، كانت تبين لها ان رحيم يسير على خطى والدها الشيخ فخري في عمل الخير و حب الناس، و لذلك الناس تحبه و تحترمه و لذلك ايضا يكرهه الأشرار و المجرمين و اللاعبين بقوت الفقراء و اليتامى،

و بقيت جدتي في بيتنا لمؤازرة والدتي و بينت لها بالتدريج و بطريقتها ما يمكن ان يحصل للخيرين . . . و كان محمود يعاود والده يوميا صباحا و مساء لإعلامه بوضع البيت و العائلة، بينما بقي مزهر في بيت الجليبي القريب . . و بعد يومين او ثلاثة، استطاع الوالد ان يعود الى البيت ثانية بشرط ان يبقى مستلقيا في الفراش طيلة قرار الاستاذ د. خالد ناجي، و كان يعاوده يوميا د. عبد الأمير . . في وقت كان الوالد فيه يخفف من وقع الحادث علينا و يكرر : بانه حصل بسبب مجموعة اشقياء متخلفين لا علاقة لهم و لا يعرفون بالسياسة . . ؟؟ و كان زواره الذين زاروه متسترين بظلام الليالي يخفون عليه، و كان اكثرهم يتفق مع رأيه بكون المعتدين اشقياء و لكن . . عليه الحذر ممن يحركهم.

في ليلة من تلك الليالي وفي ساعة متأخرة، جاء مزهر و المحامي فاضل من الحلة و دخلا البيت بعد ان تركا احد المرافقين ينتظر في سيارتهم الجيب المدنية التي جاء بها، و ركنوها قرب باب البيت . . دخلا وكان يبدو عليهما انهما كانا مسلحين . . و بعد السلام و التحيات و السؤال عن الصحة و بعد شرب الشاي ، وضع " مزهر " مطروفا تحت وسادة الوالد قائلا :

- هاي هدية صغيرة من الأهل و من الربع . . و قال :

- اريد فقط ان تخبرني من كان الفاعلين اذا شاهدت وجوههم ؟ و اذا لم تشاهدهم فبمن تشك . . لأنك بالتأكيد شفت هيناتهم، طولهم عرضهم نيرة صوتهم، خاصة و ان الوقت كان وقت ظهيرة ؟ هسه انجيبيهم الك يعتذرون و اذا ما قبلوا . . والله و حق هذا الله . . نجيبهم بالقوة و البادئ

اظلم
 - عزيزي مزهر، يحفظ لك محمود . . مثل ما اخبرتك،
 هذول مجموعة شقاوات من التافهين و ناس سائبة ، لا
 علاقة لها بالسياسة و مثل هؤلاء موجودون في كل محلات
 بغداد .

- لا يا ابو مفيد و احنا اللي نفتخر بيك و بمعارفك . . هذه
 سياسة !! هذه سياسة يتبعوها بشكل منظم ضد الحزب و
 مؤيديه و اصدقائه بالاساس، لأنه و جماهيريته الكبيرة
 يشكل السند الأساسي للجمهورية، و هم يعملون ضد كل
 القوى الديمقراطية لأنهم يعتبروها ساندة له . . يعملون بكل
 الطرق ضد الحزب لشله و ارباكه و لمحاولة القضاء عليه،
 كما يخططون . . انهم يسعون باساليبيهم هذه و عن طريق
 قتلة و اشقياء مأجورين و آخرين مدربين، لأسكات كل
 صوت وطني نزيه، سواء بتهديده و محاولة قتله او اجباره
 على ترك معتقداته او او اجباره على تقويله لمعتقدات
 اخرى .

- خويه مزهر اذا ردينا عليهم بالعنف ستتعدد المشكلة اكثر
 و لن تنحل ، بل سيتسبب ذلك بمشاكل اكبر للحزب و
 للمحسوبين عليه ! و انا مسؤول عن عائلة تسكن هنا.
 - صدقتي لا يسبب ذلك مشاكل للحزب ابدا . . بالعكس،
 بالعكس تماما نحن في مجتمع يفهم التسامح
 والعفو فقط عند المقدرة، لأن العفو عادة عند المقدرة !!
 والا فلن يفهم التسامح الا بكونه ضعفا . . الأمر الذي
 سيزيدهم استكلابا و سترى !
 صدقتي !! احنا في المعامل و التعاونيات و المؤسسات
 التي ردينا فيها عليهم باسلوبهم وحسب الظرف و الوقت
 طبعا، صار الوضع هادئ لأنهم صاروا يحسبون لنا

حساب جدي، بل اخذوا يخافون من ممارسة مثل هذه الأعمال ضدنا !
 - مزهر تريد اتسوي الحزب . . جماعات تتعارك و تكون مستعدة للتعامل العنيف فقط ؟؟
 - لم اقل هكذا ابدا ، الحزب السياسي يتبارى بالسياسة الصائبة، التي تحتاجها و تريدها الناس و بنضاله من اجل نجاحها يحقق للكادحين مطالبهم، فتحبه الناس و تؤيده و تدافع عنه، و اذا كان حزب كادحين فعلا، فعليه ان ينظر لمصالح و حاجات و ظروف الكادحين ، و ان يعلم رفاقه و ينظمهم على ان معركتهم صعبة و ان المتربصين به كثيرون . . بس اللي يتعدى عليه و يغتال رفاقه، لازم عليه ان يرد، اذا لم ينصفه القانون و من يقوم عليه من الحكومة .

زين انا اريد اتفق معاك برأيك . . و اسألك، هل تستطيع ان تشتكي عند الشرطة ؟ انا متأكد انك لاتستطيع، لأن الشرطة ذاتها متفقة معاهم و ستعتقلك بتهمة الشيوعية . .
 مو صحيح لو لأ ؟
 - يمكن صحيح . . لكني لا اريد ان اورط الحزب بمشكلة بسببي !! الا ترى انهم باتباع تلك الأساليب يحاولون جر الحزب الى معركة، هم راسمين لها و مخططين لها . .
 - عزيزي دع عنك الحزب الآن . . انت مواطن جرى اعتداء عليه بهدف قتله بدون سبب واضح، في ظروف لايتطبق فيها القانون . حيث لا يكفي ان يصدر القانون، الشئ الأساسي هو امكانية تطبيقه . . صحيح ذلك من وجهة نظر المتقنين يو لأ ؟
 - صحيح . . بس اكمل لأنني لم افهم ماذا تريد ان تصل !
 - اقول حصل الاعتداء و اهل المعتدى عليه يريدون ياخذون

حقهم و الحكومة لاتوفره لهم، فيريدون على الاقل يردون على الإعتداء كي لايتكرر، لأن اذا ما ردوا، هيبتهم و سمعتهم تروح . . و تلك الكلاب راح تستكلب اكثر . . !!

- بس احنا مو في غابة !

- نعم !! بس هم بسلوكهم هذا و ماكو احد يحاسبهم، سووها غابة . . و الناس ما تتحمل مثل هالوضع، الناس لاتتحمل ان يجري اعتداء عليها بسبب انحيازها للحزب و سياسته، و الحزب لايرد . . والاراح تنذب تراه برأس الحزب . . و تصوير الناس تتحدث بان المذنب هو الحزب، لأنه ورطهم ؟! . . شنو مثلا ذنب المئات من الشجعان المشهود لهم اللي اغتالوهم بانواع الطرق ؟؟ . . مو راحوا بشربة ماي ! قتلوهم الجبناء بالصدر و الحيلة . . وصار عدد من ربعنا الصداميين يقولون : خنتنا الحزب، بهاي ممنوع و ذبح غير مقبولة، و هاي ينراد لها صبر . . والماي يسري والأمور تترتب بليل !

- مزهر ! لايمكن لحزب سياسي يدعو للحرية والديمقراطية ان يتصرف كشقي . . وانما مهمته الأساسية بتقديري، انه يعمل على ربط الصراعات الاجتماعية الفردية والمحلية المحدودة بقضية اكبر . . هي قضية كل البلد وقضية اوساطه الكادحة و حقوقهم و حقهم بالحياة الكريمة مثل غيرهم . اعتقد احنا نناقش القضية من زوايا مختلفة . . في المدينة نضال شكل و بالريف شكل ، و بين العمال و بين الطلاب شكل . . و بين اهل المحلة الواحدة شكل آخر .

- جا شنهي ، هو مو حزب واحد لو كيف ؟

- شوف ابو محمود ! نعم حزب واحد ! الحزب يضع السياسة و الخطوط العريضة لتنفيذها و منظماته كل واحدة

تطبق تلك السياسة الواحدة باللموس حسب ظروفها و موقعها و دورها في المجتمع !! و بصراحة اسولف لك . . احنا في بلد غني بثرواته الطبيعية و مكان جاذب لمطامع اعلى القوى الكبرى في العالم، ولأسباب تاريخية كثيرة كنا و لانزال نعيشها، يعاني مجتمعنا من تخلف حضاري . . التخلف يترك اثاره على كل اهل البلد، وعلى تفكيرنا و سلوكنا . . والآن وبعد ثورة جبارة ، يسعى ابنائه الى استحصال حقوقهم من الأجنبي الذي طيلة سطوته احكم تكبيل البلد باشكال متطورة من القيود . . اضافة الى القيود التي هو مكبل بها اصلا بسبب التخلف . وهذه الصراعات التي يشهدها البلد هي بنت تلك الأسباب مجتمعة . واقول لك ، انا لم اتفاجأ بمحاولتهم ايدائي، بعد ان بدأوا بايذاء ابناء محلتهم الأصليين من اهاليهم هم ، لأنهم يدعون مثلي للتححرر و الديمقراطية . . كما هاجموا استاذ " كرامة الرئيس" و اضطروه الى ترك عائلته وصار يسكن خارج المحلة ، ضربوا " حاجي نعمان الأعظمي " الشخصية الوطنية المحبوبة في وضح النهار، على كبر سنه و امام داره و اضطروه الى الأنتقال من المحلة و هو احد ابرز وجوهها، ضربوا ابنه " الدكتور عبد الصمد " و حاولوا حرق عيادته وهو الذي يعالج مرضى المحلة مجاناً، فانقل . . اضطروا " شيخ رشيد " العلامة الديني المعروف، و ابناء الضامن الذين الأستاذ " عبد الرحمن الضامن " الذي هو منهم فكريا و غيرهم و غيرهم . . و اضطروهم الى ترك المحلة ، علما ان اهالي المجني عليهم و اقاربهم الساكنين فيها لم يحركوا ساكن ! والآن و انا طريح الفراش ، لم يزرنا احد من اهالينا و اقاربنا الساكنين في المحلة، عدا النساء و هن يتحدثن بالم

عن خوفهن و خوف رجالهن على عوائلهم و اطفالهم . انا اشكرك من كل قلبي على عنايتك و على موقفك الجسور، ولكن الرد بهذا الشكل مع كل شهامتكم، سيعقد المشكلة اكثر . . عندما اتشافي سأترك الدار و اعود اليها عندما تهدأ الأمور، و كما قلت انت : انها هجمة منظمة ، و لكنها تزداد و تقل وفق الوضع السياسي، الذي لا بد وان ينحسم .

. ثم لكل حادث حديث !

- لعد شكو مسوين هالتنظيمات الكبيرة و المدنية و العسكرية . . حتى تنتظر و ماذا تنتظر؟؟ صدقني ابو مفيد و آني اللي شايف معارك و معارك و شايف البطولات و الخيانات و باقي بنقرة السلطان عشر سنوات و انت تعرف . . تره ماينراد نظريات و نقاشات اكثر من اللزوم . . حتى اباننا و اجدادنا عرفوا ان يصلوا للحقوق و كيف يدافعوا عن الحق . . فالزعيم . .

- شنو علاقة الزعيم بالحادث؟؟

- الزعيم يحب الفقراء ويعطف عليهم و وزع عليهم اراضي و حاول و يحاول ان يرفع من شأنهم و سكنهم في بيوت بلاش و فتح لهم (مدينة الثورة) ثم (مدينة الشعلة) اللي يستحقوها و هم عشقوه بكل الأشكال و رفعوه الى القمر . . بس هو كيف يحب الفقراء؟؟ هل هو حب عذري لو شلون؟؟ غير يكون منهم قوة حقيقية تحميهم و تحمي حقوقهم حتى يستطيعون مواجهة قوات الخصوم اللي دا تتجمع ضدهم و ضده، من : شركات النفط و عبد الناصر في الخارج، الى البعثيين و القومييين اللي اصابهم مس باوامر عبد الناصر، و الى الاقطاعيين و رجال الدين و بكوات العهد السعدي : قوة و اموال و سلاح و غض نظر و دعم حكومي !! . . و الله يستطيعون يحطمون اي بلد !

يعني بالسياسة مو بالعواطف، لا يرحم الفقراء و لا يخلي
رحمة الله تنزل عليهم، و لايهمه ان يضرب حزبهم حزب
الفقراء او اي حزب يمثلهم و يتشرد مؤيديه، بل يغض
النظر عن ذلك، لأنه لا يحب الاحزاب و يخاف منها كإبن
بار للجيش . . من هنا فالرد على الإعتداء ضروري، يعني
على الاقل حتى يحترمنا و يفهمنا الزعيم، و خاصة انتم في
بغداد . . و الا فمعناها احنا نجتمع له التأييد و نخدمه بلاش
من طرف واحد و بلا مقابل، و هو تاركنا و مايهمه ما
نعانيه و كل السلطة بيده !!
او انه يحب الفقراء و يحب ان يبقوا كجماهير غير منظمة
. . جماهير تصفق له و تهتف له كزعيم أوحده، بلا احزاب
منظمة تنظم هذه الجماهير و تجعلها تستعد لمواجهة
المخاطر المتجمعة !! . . . و لا تنسى ان الحزب الشيوعي
طرح مذكرة و كررها لمرتين لكل الاحزاب اليسارية و
الديمقراطية و القومية و الكردية، لتكوين لجنة تنسيق
سياسية للتفاهم، و دعى الى " نعمل معا " . . و لكن لا احد
استجاب و لا احد ناقش او حتى بين انه مهتم بذلك على
الاقل !!

التفت مزهر الى المحامي فاضل قائلاً :
- عزيزي فاضل احنا لازم نخبر "محسن " حتى يعود
لأهله ، لأننا ما راح نحتاجه بعد، لا هو و لا اخوته و ولد
عمه المسلحين، حتى يأخذون راحتهم . . . ساتصل به
بالتلفون من بيت الجلي على مكتب الدلال، حيث ينتظر . .
ثم التفت الى الوالد و هو يقول :
- قلنا لهم ينتظرون كاسناد النا في مكان قريب، لأن يجوز
نحتاجهم !!

قال فاضل بعد سكوته الطويل :

- انا دائما افكر ، كيف استطاع مؤسس الحزب فهد ان يشكل حزب واحد يضم كل العراقيين و بالأحرى فقراء العراقيين والداعين الى انصافهم و انصاف كل ضحايا القمع و القسوة . . بالدعوة الى التقدم و الديمقراطية و بالعلوم والمعرفة، عمال و فلاحين، طلاب و مثقفين، رجال و نساء . . اهل الريف و اهل المدينة، اهل البراري و الجبال . . عرب ، كورد ، تركمان ، يزيدية و آثوريين و كلدان و صابئة ، سنة و شيعة ، اسلام و مسيحيين، و ان يكون منهم قوة مادية حقيقية لاتستطيع الحكومات ان تتجاهلها . . . حزب منتشر في كل مكان و تنظر له اوسع الناس بثقة و بأمل، و تنخرط وتكافح من خلاله وتتبع اخباره و مواقفه، لأنه عرف يعبر عن مطالبها و آمالها، و بالسير معها وفق درجة و عيها . . و في مقدمتها بفتح آفاق العلوم و المعرفة و تطبيقاتها لها، بعيدا عن الاحلام و الخيالات في رسم صورة مستقبل خيالي لايتحقق . . و كيف اختاره رفاقه كقائد اتفقوا على ان يقودهم، و متى ؟ في الثلاثينات . . و هو مسيحي كلداني !! - بلي، بس عزيزي كان ذلك في (زمن اللا) ، و ليس في (زمن اللا و اللا و النعم) !! - و اشكد راح نبقى في (زمن اللا و النعم) ؟؟ و الدنيا تتطور و تتغير بالأيام و يمكن بالساعات و وضع البلد بين المراوحة و بين العودة للوراء . . سفن الفضاء صارت اليوم تهبط على القمر المقدس، و علاجات السرطان بدأت تظهر !!

.

 و بتأثير تلك الأحاديث المريبة و المخيفة عن دربونة نجية

الخبازة، حاولت انا و حفيد الخالة الكبرى فائقة : " سراج " ، وبدافع الفضول بعد ان سمعنا انواع القصص الإجرامية و غيرها عن تلك الدربونة المهملة التي لايدخلها احد بسبب الخوف من القتل او من الجن والأرواح الشريرة التي تهدد في الليالي كما انتشر بين الناس هناك ؟؟ . . .
 الدربونة المعروف عنها انه سكنها احد الشحاذين، فيما كان شحاذ اخر اعمى يجلس في مدخلها للاستجداء و كان يضع نظارات عميان سميكة مغلقة اكتشفنا بعدئذ انه ليس اعمى .
 !!

شاهدنا وبعد تقصد و مراقبة عينيه الشيطانيتين، انهما كانتا حادتين حتى شاهدتا الحجر الصغير الذي رميناه باتجاهه بكل هدوء في احدى محاولتنا لإختبار عماء، و التقطه . .
 و لا اتذكر كيف قررنا، هل كان تحدي ام هو اصراري على معرفة من يحاول قتل ابي، لأخبر العزيز برهوم كي يتصرف، بتقديري ؟؟ فدخلنا في ظهرية يوم صيفي لاهب الى ذلك الزقاق الضيق الذي كان مدخله خاليا تماما حتى من الشحاذ (الاعمى) . . . كان زقاقا باردا، ذا منازل قديمة مائلة الحيطان يحيطها سكون مثير للفضول بروائحه التي لم تكن كريهة كما كان معروفا عن تلك الازقة المتروكة، والذي حمل اكثر من لغز، بدايته ان الدربونة مسكونة بناس و ليست خالية منسية . . . !!
 نبهني سراج الى الباب المفتوح على مصراعيه الذي كان قبل سنين لبيت - عبود الأقرع - وكانت الريح تلاعب ستارته بشبه انتظام، انتبهنا الى اصوات منتظمة تشبه الصراخ او الضحك المكتوم قادمة من الطابق الثاني الواطئ للدار، و شاهدنا من زاوية وقوفنا . . ساقين عاريتين بيضاوين مرفوعتين الى الأعلى تتحركان بتقلص

وانبساط او صعودا و نزولا، حيث كانتا تبدوان واضحتين
 من خلال شباك كبير مكسور الزجاج كان يقابلنا في
 الشناشيل الداخلية الواطئة . .
 و سمعنا صوت رجالي كأنه كان يغني :
 - اوووو . . " طالعة من بيت ابوها و رايحة لبيت الجيران
 . . لابسه (الله) بصدرها و لاحكها قاسم نعمان " (المديع
 القومي الذي اشتهر في ذلك الوقت) . . صدك مسكوكة
 حلوة و لا يكه لـ هالصدر الليموني الحلو، ولج الف عافية .

فجرنا الفضول الى الدخول بحذر و نحن متخبأين وشاهدنا
 بشكل اوضح ان هناك رجل وامرأة شابة مستقلبين على
 سرير عريض . . كانا يبدوان شبه عاريين بسبب الغطاء
 الخفيف الذي كان عليهما والذي كان ينحسر عنهما ويعود
 لوضعه بحركاتهما النابضة التي لاتنتقطع تحته . . كانا
 يتلاعبان وكانت الشابة تضحك ضحكا يشبه الكركرات
 المكتومة حين سمعنا همسهما :
 - اسرع !! لازم ارجع بسرعة !
 - لاتستعجلي . . خلينا منسجمين
 - يمكن زوجي يأتي . .
 - كيف ياتي؟؟ هذه الدربونة و الله تخاف منها حتى
 الشياطين . . منين يأتي ؟
 - لأنني . . لأنني . . تركت حطب التنور يشتعل ... و اذا لم
 ارتبه مجددا يمكن ان يتسبب بدخان كثيف يوسخ الأول
 والتالي ، وانت . . تعرف السطوح !
 - انتي رائعة اخ اه اه ... اااا هـ
 - يكفي ! الا يكفيك . . مو خلصت ؟ لأنني لا استطيع بعد . .
 اخبرتك علي الدورة ..

- هذي هسه خمسة دنانير، انتي اليوم تطيرين العقل !
 - بالعافية عيني، و عالجايات . . انشاء الله اجيب لك اخبار
 جديدة ؟؟

في ذلك الوقت قررنا الرجوع و الانسحاب من الدربونة
 بحذر عالي و اتفقنا ان اكون انا اول من يخرج بعد ان ادقق
 ان الدربونة خالية و على حالها في ذلك الصيف اللاهب، و
 يكون سراج التالي خلفي و بشرط بحذر عالي . . و اثناء
 الرجوع كنت اسمع اصوات كالأنين او كما يصورون في
 افلام الرعب، حاولت ان اعرف مصدرها من جانب او من
 تحت ؟؟ و لم استطع رغم شبه تأكدي بأنها اصوات بشرية
 و ليست جن و عفاريت كما يتناقلون في تلك المحلة القديمة

كان الناس في تلك المنطقة من الأعظمية يتناقلون بهمس و
 حذر، لخوفهم من عزوز . . يتناقلون عن انه كان يبحث
 عن نساء شبابات يسهل عليه اصطيادهن، سواء بالدين و
 الآيات او بالمال او بالجنس او بعضها معا، و بعد
 اصطيادهن يهددهن بعمل ماأمرهم به و الا يفضحن . .
 كما حصل مع سروال شكرية الذي وجدوه في سيارته و
 صار الصدام الذي قتل فيه منعم ابو الجاج . .
 فكون عزوز بتلك الطرق شبكة من نساء شبابات عمل على
 غرسهن او على وصولهن الى بيوت اليساريين و
 الديمقراطيين، للقيام بأعمال تهدف الى فضحهم اخلاقيا او
 تؤذيهم، او نقل معلومات مهمة تسهل اختطافهم او
 اسقاطهم، بعيدا عن القيام بأعمال سرقة البيوت او الاطفال
 التي صارت تمارس لاحقا . . فكانت العوائل شديدة الحذر
 من استخدام شبابات للتنظيف او كخدمات منازل، او
 لرعاية اطفال، دون التأكد من خلوهن من تلك المخاطر . .

و بقدر ماكانت الناس هناك تخاف من عزوز، فإنها كانت
تحتره و تكرهه !!

و استمرت الحياة اليومية تسير من هدوء الى عواصف و الى ترقب، بضوء قرارات الزعيم . . الذي اعلن فجأة عن العفو عن حاول اغتياله، في موعد عيد اضحى العام التالي على اساس (عفا الله عما سلف) . . الامر الذي اطلق انواع الاحتفالات و تعابير الفرح في الاعظمية، و الجعيفر في الكرخ . . وسط اندهاش و وجوم في محلات و عوائل بغدادية معروفة بتوجهها الديمقراطي و اليساري، لعدم شمول العفو ابنائهم و آبائهم، و بقي المئات من المعتقلين اليساريين و الديمقراطيين في السجون دون محاكمات . . بل بالعكس اخذت اعدادهم تزداد لتصل الآلاف .

و بالعكس جرت احالة وجبات جديدة من الضباط الاكثر اخلاصا للزعيم على التقاعد، بينهم العقيد سلمان الحصان و المقدم سعدون و المقدم ممدوح من محيط العائلة و الاصدقاء، بتهمة اليسارية او النشاط السياسي في الجيش، و وضع ابرز الضباط الاحرار اليساريين و الديمقراطيين من قمة الهرم الى قاعدته، تحت مراقبة اجهزة الامن رغم مواقع الكبار منهم في ذات القيادة العسكرية للزعيم نفسه، و بسبب ذلك العفو الوحيد الجانب للقوميين و البعثيين و الإحالات الكثيرة على التقاعد للضباط اليساريين و الديمقراطيين، انتشرت بين الناس تفسيرات و تساؤلات متنوعة بين منطقية و بين انها كانت من اناس تعرف ما كان يجري في كواليس حكم الزعيم .

هل شكل العفو ضربة الى محكمة الشعب العلنية التي كشفت خطورة القائمين على المحاولة؟؟ و بالتالي قلق المحكمة من انهم اذا افلتوا فإنهم سيكررون المحاولة مرات و مرات، (و فعلا بإفلاتهم اتوا بعد حدود سنتين مجددا كقادة قتلة في انقلاب شباط المشؤوم ١٩٦٣ . .) هل شكل ضربة الى محكمة الشعب خاصة و انها كانت توصف بكونها يسارية.

او لأن تلك المحاولة ادت هدفا من اهدافها و هي انها اخافت و اقلقت الزعيم، فأعلن عن العفو عن القائمين بها . . و يصف قسم من المتخصصين بأن الزعيم قام بتلك الإجراءات لإعادة توازن القوى القومية مع القوى الديمقراطية و اليسارية.

و رد آخرون بان الزعيم ان كان مهتما بإيجاد ذلك التوازن، لماذا لم يعلن و يدفع لتكوين (لجنة تنسيق للأحزاب الوطنية عربية و كردية بشعار " لنعمل معا ") التي طرحها الحزب الشيوعي على الاحزاب الوطنية؟؟ . . فيما تساءل قسم آخر لماذا لم يعمل الزعيم فعلا على قيام برلمان وطني بضوء انتخابات عامة، وفق الدستور المؤقت الذي أعلن اثر قيام ثورة ١٤ تموز . . ام انه خاف على كرسيه الذي قد يفقده اثر انتخابات عامة تؤدي الى حكم مؤسسات دستورية؟؟

في نفس تلك الفترة أعلن مكتب الزعيم عن تأسيس مدينة اليرموك للضباط، التي تقرر ان تبنى على مراحل و وجبات و ستوزع دورها على الضباط باسعار زهيدة عبر اقساط تستمر مدة خمسة و عشرين عاما، عبر جمعية بناء المساكن للضباط ، في خطوة فسرت بكونها لإرضاء ضباط الجيش و فسرها كثيرون انها كانت في اطار محاولة لجعل الجيش العراقي بوحداته و بنائه ك (الحزب الذي يسند الزعيم) و بقيادته بإعتباره القائد العام للقوات المسلحة، خاصة و ان الزعيم لا يثق الا بالجيش و يخاف من الأحزاب، بتأثير المقربين منه. .

و خاصة من الحزب الشيوعي لأنه مدعوم من موسكو، بتصوير مقربيه و بأن الشيوعيين ينظرون الى ثورة تموز كثورة كيرنسكي الروسية في شباط ١٩١٧ و يهيئون للثورة الكبرى كثورة اكتوبر بعدها، رغم مرونة الحزب الكبيرة معه . . و يخاف من الاحزاب القومية لأنها مدعومة من القاهرة التي كانت تدعو علنا الى تغيير الحكم و الى الوحدة الفورية مع القاهرة بل و حاولوا اغتياله، حتى انه لم يتفهم الحزب الوطني الديمقراطي الوسطي بقيادة الجادرجي و لم يأخذ بإعتراضاته على سياسته بل عمل على شقه. .

و بالتالي لابد من التذكير إن الزعيم لم يأت الى الحكم بطلب او على رأس منظمة او حزب شعبي ينتمي اليه او يقوده، و لم يأت الى الحكم الا بعد اتفاق مع (جبهة الإتحاد الوطني) الشعبية التي وافقته على القيام بحركته العسكرية لإسقاط الحكم الملكي - السعيدى و اقامة الجمهورية .

و لابد من الإشارة الى دور درجة الوعي الشعبي الهائل في التأثير على الاحزاب الوطنية و سياساتها، فإن التأييد الشعبي لخطوات الزعيم في ايجاد عدد من الحلول لأوسع الطبقات و الفئات الفقيرة، قد اثر تأثيرا كبيرا على سياسات الأحزاب، و خاصة الحزب الشيوعي الذي امتلك تأييدا جماهيريا هائلا، تأييدا لم ينفصل عن التأييد للزعيم، الذي لم يتوقف به الحزب الذي دعا الى (حماية الجمهورية و تعميق انجازاتها)، الا ان ذلك التأييد كان تأييدا حماسيا عاطفيا لم يثمر عن حركة شعبية منظمة تحمي ماتحقق من مكتسبات و تحمي الزعيم ذاته و تحظى بدعمه. و في تلك الفترة كذلك، أعلن رسميا عن قيام اتحاد طلابي جديد لمنافسة ومواجهة الاتحاد الطلابي الشرعي (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) . . سمي بـ (الاتحاد الوطني لطلبة العراق)، و عن قيام منظمة نسائية تواجه المنظمة الشرعية المناضلة (رابطة المرأة العراقية)، سميت بإسم (منظمة نساء الجمهورية) اضافة الى (دار الأخت المسلمة) التي كانت كضوء اخضر للقوى الاسلاموية للنشاط . . و فتحت لتلك المنظمات مقرات رسمية مدعومة ماليا و حكوميا، في جهات متنوعة من الأعظمية. و هكذا سارت الحال و كأنما على تواصل و تصعيد الصراعات الحزبية و تنظيماتها . . بدلا من العمل لتشجيع التفاهم بينها.

و يرى محللون مستقلون، ان سياسة الزعيم الداخلية لم تختلف في الجوهر عن سياسة عبد الناصر ازاء القوى السياسية المصرية، التي ادت الى محاولة اغتياله من الاخوان المسلمين من جهة، و ساق المئات من الاخوان المسلمين و عشرات الآلاف من الديمقراطيين و اليساريين

الى السجون السيئة الصيت هناك، رغم انواع المرونة التي اتبعتها القوى الديمقراطية و اليسارية معه، حتى اعلن الحزب الشيوعي المصري حل نفسه، و دخل اليسار المصري في الاتحاد الاشتراكي العربي الذي اسسه ناصر لدعمه هو، كمنبر من جهة اخرى .
 الا ان الزعيم عبد الكريم رغم كل محاولاته القاسية بحق القوى اليسارية و الديمقراطية العراقية من الاعتقالات المتواصلة و الى غض نظر اجهزته عن الاغتيالات بحق ناشطيها، بقيت تؤيده و تعمل على حمايته و لكن من جانب واحد، و وصل الحزب الشيوعي الى الإعلان عن حل منظمته العسكرية، و كان هاديه هو ما حققه و يحققه الزعيم للفقراء من جهة، و تعمق الصداقة العراقية - السوفيتية من جهة اخرى، اضافة الى تصديق اقسام كبيرة لتصورها هي ان الزعيم (ابنها البار)، و الى (تفهم) ان سياسته ضروري قبولها لعدم توفر بديل آخر .
 استمرت سياسة الإغتيالات التي اتبعتها القوى القومية بحق الديمقراطيين، و بتعاون مع الاجهزة الخاصة لمكاتب الزعيم . . خاصة تلك التي وحدث نفسها في اطار (الجهة القومية) فيما رفع البعث شعار (البعث طليعة الثورة العربية)، في سعيه لضم كل القوى القومية تحت اوامره.

ففي احدى امسيات تلك الفترة عرض تلفزيون بغداد في برنامج (السلامة العامة) حادثة اصطدام مروية على طريق النجف، لسيارة فولكسفاكس مع شاحنة كبيرة محملة هرب سائقها و مات كل راكبي السيارة متفحمين، و بادراج اسمائهم كانت المفاجأة الكبيرة، ان الركاب كانوا د. عبد الأمير السكافي و اخيه و ابني عمه الذين كانوا ذاهبين الى مهرجان انصار السلام في النجف .
 كان د. عبد الامير السكافي سكرتيرا لحركة انصار السلام في النجف، و كان ذهابه الى المهرجان من ضرورات انجاحه بكلمته التي سيلقيها هناك . . و قبل ذلك كان قد عبر اكثر من مرة عن انه يلاحق و قد يغتالوه بأي شكل، فكان يتحرك مع مرافقيه المسلحين و هذه المرة كانوا

من عائلته الذين كانوا جميعا معه في نفس السيارة . . و كان ذلك الاغتيال بشاحنة كبيرة خرجت من طريق زراعي لتسد الطريق على سيارته الفولكسفاغن التي كان يسوقها، صحبة اخيه و ابناء عمه، و احدثت اصطداما مروعا ادى الى احتراق سيارته و تفحم راكبيها و الى هروب سائق الشاحنة، و بقيت مناقشات تلك الحادثة المشؤومة و تطوراتها تنقل على الهواء في التلفزيون لأكثر من شهر . . و سجلت الحادثة على ان مسببها كان مجهولا . . (فيما كشفت سنوات لاحقة انها كانت خطة لإغتياله).

و قد اقيمت مجالس الفاتحة و العزاء على روح الدكتور عبد الأمير السكافي النجفي و رفاقه في كل الوية العراق، اضافة الى مجالس الفاتحة المحلية، و في مجلس فاتحة نسائي اقيم على روح الدكتور السكافي في الأعظمية جرى النقاش التالي بين المديرية الست منيرة الاورفلي و و الدتي و سعاد:

- للاسف خيرة شباب البلاد يذهبون ضحايا لصراع الاحزاب و نظرياتها و برامجها القادمة من الخارج، بلادنا تعاني من التخلف و الفقر و الأمية و الامراض و العادات الاجتماعية المتخلفة التي تزيد البلاد تخلفا . . اين نحن الآن من الوحدة العربية الفورية و اين نحن من الاشتراكية؟؟ بتقديرى ان الزعيم يحمل افكارا و يقوم بأعمال تخدم الشعب و تطوره و لا افهم لماذا تهاجمه كل الاحزاب و خاصة القومية و البعثية و الى درجة ما الحزب الشيوعي . .

- نعم عزيزتي . . المشكلة ان التخلف نافذ في جميع الاحزاب لأن الأحزاب هي مؤسسات اجتماعية من ذات الشعب و افرادها رغم حملهم لأفكار جديدة الا انهم من هذا الشعب الذي ربته سلطاته الحاكمة على الظلم و القهر و الجهل . . النظريات العالمية مفيدة و لكن ليس ان تؤخذ كنصوص قرآنية، و انما يستفاد منها فائدة واقعية كمرشد في اطار ظروفنا و درجات وعينا و طموحاتنا كشعب متنوع الثقافات و الاديان، لمحاربة التعصب و التخلف و الجهل و العادات و التقاليد

الموروثة كأنها مقدسات . . يستطيع الزعيم دعوة كل الاحزاب الوطنية للقاء و الاتفاق على برامج عملية للحكم . . لكنه يمكن ان يكون خانفا من فقدان كرسية، في ظروف اقليمية اوجدت قائدا كعبد الناصر الذي سحره حلم الزعامة على العرب، الذي تشجعه انواع الجهات المتضررة من حكم الزعيم في مقدمتها شركات النفط و الاقطاع .

في نتائج الامتحانات النهائية لذلك العام نجحت الاول على الصف و اهداني الوالدان دراجة هوائية (بايسكل) ماركة " هركوليس "، كنت احلم بالحصول عليها، و صار علي تعلم ركوب الدراجة الذي لم يكن سهلا و لكن . . بعد طبات و سقطات و حوادث صغيرة محدودة آذيت بها مرفقي و ركبتي و . . تعلمت قيادة الدراجة التي كأنها فتحت امامي عالما جديدا في التجول و رؤية الاعظمية و حواريتها و شوارعها الجميلة و خاصة الشارع المبلط على السدة المار على حافة النهر و الواصل الى (مسانية شيخ بلاسم) التي كانت بناء كونكريتيا يحمي حافة النهر لإنشاء قصر (بلاسم الياسين) احد ابرز اقطاعيي الزمان الملكي . . التي توقف العمل عليها اثر ثورة ١٤ تموز. و بني عليها لاحقا قصر استاذنا البارز المرحوم د. كمال السامرائي. اضافة الى شارع عمر بن عبد العزيز و شارع المغرب و باب المعظم و الى مناطق السفينة و شارع الشباب و المناطق الشعبية .

في احدى تلك الجولات على الدراجة الهوائية، وصلت الى شارع عشرين من جهة السدة و قرب كازينو الراية العربية، شاهدت و انا بين الصبيان المتجمهرين ماسكا دراجتي، موكب عرس قطع الشارع، جلس العروسان فيه ظاهرين على مسند الجلوس الخلفي لسيارة مكشوفة، و فرقة موسيقية كانت تعزف على الآلات الهوائية معزوفة (شيش كباب) الذائعة الصيت آنذاك خلفهما في سيارة بيكاب مكشوفة، و شكل الموكب اكثر من عشر سيارات من مدعوين، كانت احداها لرجال

دين معممين . . المفاجأة ان العروس كانت شكرية بنت ام سناء!!
 و كان في احدى السيارات عزوز و هو بملابس اوروبية و نظارات
 سوداء، مرقت سيارته جنب سيارة العروسين، و كان يتكلم بصوت
 مسموع و السيارات تسير ببطئ و قال:
 - ها شكرية هذا منين؟؟ . . منو؟؟ اشو آني ما اعرفه؟؟
 - مو قلت لك . . راح اتزوج و العريس من الربع ؟
 - ولج ياربع منهم؟؟
 - شيخ لاتصير سخيف الله يخليك . . واحد من المعامل!!
 - ولج هذا يبين عليه غشيم !! انتي متأكدة انه يعرف شيسوي هالليلة؟؟
 - بلي بلي سواها عدة مرات !! و آني و ياك على العهد كما اتفقنا . . لا
 تغار!!

و بعد عقد الزواج الذي قام به شيخ و شهود في بيت العريس الذي
 غص بالضيوف الذين كان غالبيتهم من المشهورين بالسفاهة و بانواع
 السفالات . . تحرك الموكب ليلا نحو بيت ام سناء على وقع الـ (شيش
 كباب)، و استطعنا انا و عدد من صبيان المحلة اللحاق بهم بدرجاتنا
 لفضولنا لرؤية ما سيحصل كما توقعنا . . حتى استقر الجميع عند باب
 بيت ام سناء، و كان اصدقاء العروسين يمسدون مؤخراتهما من اسفل
 نحو الاعلى او (يبعضونهما بصداقة) كما كانوا يقولون، لأن العروسين
 كانا يضحكان من تلك المداعبات، كي يثيرانهما جنسيا احدهما نحو
 الآخر كما هو متعارف في اوساط ام سناء و شكرية و عزوز و من لف
 لفهم.

دخل العروسان بيت ام سناء، مع عدد من الضيوف المقربين لهما و هم
 في هرج و مرج بسبب ادخال يد احدهم في سروال احدى الضيفات من
 الخلف دون مقدمات، و صرخت . . و تمزيق احد الضيوف السكارى
 ستيان احدها التي عيطت بصوت عالي : جر ايدك . . و الله اقطع
 ذكرك!!

و بعد هوسات و قرع طبلاات و وقع رقصات، و عياط و هلاهل، فيما

كانت صواني البقلاوة و الزلابية تدخل مليئة لتخرج بعد دقائق فارغة .
 انسل المدعوون ذاهبين الى بيوتهم بضجيج من نوع آخر، هو نوع
 من العراك على تقاهة الاجور التي دفعها اهل العريس لأهل الموسيقى
 و لأهل الحلويات و التاكسيات . . حتى خرج الشيخ الذي عقد الزواج و
 هو يشتم و يتوعد، لأن احد السكارى من المدعويين السيئي الصيت
 داعبه في مكان حساس.

بعد ساعات خلا بيت ام سناء من المدعويين و بقى فيه العروسان و ام
 سناء و يمكن اخت العروس ايضا . . و أطفأت الانوار و بقيت انوار
 مقهى محمد راغب المجاورة تضيئ الشارع، وسط هدوء عام عم المحلة
 حتى فتح باب بيت ام سناء و أغلق بقوة بضجيج صحى الجيران الذين
 تسمروا على شبابيكم مما رأوه . . كان العريس واقفا جنب باب ام
 سناء، في ركن يصله قليل من الضوء و هو عاري بالتمام و يطرق
 الباب بقوة و يصيح:

- لج شكرية يا معودة عيب، افتحوا الباب . . الناس عبالها دا نسوي
 سينما بلاش!!

- انجب مخنث !! مزيقة و موكب و شيش كباب لكنك لم تستطيع . .
 صرت اني ما اعجبك ابو بولة ???
 - متعود اسويها بيناتنا بس مو تحت مراقبة . . صوج امج اللي طلعت
 من ورا الستارة تراقبنا و صاحت، تريد اساعدك ؟؟ . . طبعاً طكت
 روحي و ضاع صاحبنا!!
 و صاحت ام سناء:
 - ابن الكعبة . . تقشرون علينا ؟؟

- لا و الله ما افشمر عليكم . . بس مامتعود على الجنس الجماعي!
 - انجب سرسري عبالك راكضة وراك ؟؟ الى هسه عشرات يتمنوني و
 بشبابي جان الف واحد يتمنى بس يشوف اطفر قدمي . . و يسمى جنس
 جماعي، ولك ردت اساعدك ابو بولة!!
 و قالت شكرية:

- امي على كيفج واياه . . مو اخبرتك احنا مسويها مرات و مرات و كان كل شي طبيعي و كأنما يفوت على زيت . . تعال ولك كافي، عقوبتك خلصت و اطمئن ماكو رقابة بعد . . امي انتي كافي . . يعني يمكن مخليه عينج عليه ؟؟؟ كافي كافي . . و فتحوا الباب و دخل العريس المسكين ابو بولة . .

.

و في عصر ذات يوم . . . كانت الخالة الكبرى فائقة في السطح الثاني الأعلى لبيتهم تنظف الزاوية التي اعتادت ان تصلي عندها، بعد ان حملت معها نصف ابريق ماء لرشها ، وبينما كانت تعد مشربة الماء وتضعها على سياج السطح حيث ينامون على افرשתهم المعدة في السطوح . . لمحت فجأة ديكها الذي فقده !! كان واقفا على حاجز الجيران الذي يلي حاجز بيتهم . .

وقفت تتأمله جيدا و تتححصه ان كان هو ام لا . . حتى صاح الديك مكررا صياحه نفسه الذي كانت تسمعه بين يوم وآخر ولا تعرف من اين كان يأتي ، فنادت مسرعة زوجة ابنها منور:

- عيني وردة . . تعالي شوية للسطح!

وبينما كانت وردة تتوجه الى السطح صاعدة درجات السلم الذي كان يبدأ من ساحة الدار . . صاحت لتسمعها الحاجة:

- شنو القضية خالة ؟؟

- ابنتي . . شوفي هذا الديك ، انه ديكنا !! الم اقل لكم انه هنا بالمحلة لأنني لا ازال اسمع صياحه كل فجر و كل غروب . . شوفي انه واقف

على سياج بيت السكران . .

وبعد ان وصلت وردة الى حيث وقفت الحاجة . . نظرت جيدا الى حيث اشارت ، قالت:

- اي و الله . . حجية كلامك صحيح ! بس هسه شرآح انسوي ؟ بيت السكران مهجور والناس تخاف تذهب الى دربونة البيت، دربونة نجية

الخبازة المسكونة بالأرواح . . ماتتذكرين يوم اللي سمعتي انينها و
اصواتها التي تصاعدت وقت البرق والرعود و المطرة الكبيرة . .
- اسكتي عيني وردة . . نعم نعم سمعت الأرواح وهي تستغيث . . اللهم
صلي على محمد و على آل محمد . . . بسم الله الرحمن الرحيم . . هو
الحي القيوم.

وبعد ان تناقشنا بهدوء و بوجهين شاحبين لتذكرهما الأرواح . . قررنا
ان ترسلا ابن وردة البكر (سراج) الى هناك عبر تسلق السياج الفاصل
بين حوشهم وحوشي الجيران . . وان يحاول مسك الديك والإتيان به
لجذته الحاجة فائقة او ان يحدد على الأقل اين هو وفي اي بيت بالضبط

كانت الحاجة فائقة الساكنة في بيت ابنها منور الواقع في سوق
الاعظمية القديم بين بياعي الخضار من الجهة الخلفية، قد اشترت ذلك
الديك منذ عام . . ومنذ ذلك الوقت، كان هو سلوتها و مصدر فرحها
لأنه و صياحه كان يذكرها بزوجها المتوفي الذي برع بهواية اقتناء
الديكة الجميلة ذات الصياح الجهوري الجميل، خاصة و انه يصيح في
الفجر و عند الغروب.

كان ديكا ابيضاً كبيراً تتلامع ريشاته كلمعان الفضة المذهبه، تحت
اشعة الشمس . . التي كانت اشعتها تحيل لون ذيله الكثيف الداكن الى
الوان القوس قزح الجميلة، التي كانت تزداد جمالا عندما كان يسير
مختالا الى جنب دجاجات المنزل الطليقة في حوش البيت وحديقته
الصغيرة.

و قد فقدته الحاجه فائقة مساء نفس اليوم الذي صاح فيه جيرانهم
المجاورين، (بيت القصاب) . . يخبرون عن وجود حرامي نزل من
السطح و اختفى في بيتهم، حين حدثت ضجة كبيرة اثر صرخة ابنتهم
الصبية من الفرع . . وبقي الجميع يبحثون عن الحرامي الذي دخل
مخدع ابنة القصاب المدللة التي كان ابوها (لا يلبسها الا الذهب) كما
كانوا يقولون لكثرة المصوغات التي كانت تتزين بها من اساور و

خواتم و اقراط ومصوغات تطلق عليها نساء الاحياء القديمة " سلاح " ، كضمان للبننت عند الحاجة الملحة. . بحثوا عن الحرامي دون جدوى، الا ان الذهب اختفى.

بعد ان شاهد سراج المكان من السطح و حدا له البيت المقصود . . جاء راكضا الي كي نذهب معا، فتسللنا مساء ذلك اليوم قبيل حلول الظلام . . عبر السياج و ذهبنا الى حيث اشارت له امه وردة وجدته . . حين بدأ الظلام يلف المنازل القديمة المنخفضة هناك . . وبينما كنا سائرين بحذر اجتذبتنا اصوات رتيبة على ايقاع دفوف، فشهدنا و نحن نبحت من موقعنا، في طارمة اكثر ارتفاعا، حلقة ذكر لرجال ملتحين بملابس وبكوفيات رأس بيضاء وهم ينشدون باصوات بدى عليها الخشوع والضبط و على ايقاع الدفوف:

طلع	البر	علينا	من	ثنيات	الوداع
وجب	الشكر	علينا	مادعى	الله	داع
ايها	المبعوث	فينا	جئت	بالأمر	المطاع
جئت	شرفت	المدينة	مرحبا	ياخير	داع

وعلى اصوات الإنشاد الرخيمة التي كان يكسبها نقر الدفوف ايقاعا مؤثرا ساحرا مع خيوط النهار المنسحبة الأخيرة . . لم يبتعد عني سراج عند بحثه عن مكان الدجاج ويصيح السمع عسى ان يسمع قافأاتها ، وهو يسير بخفة و يحاذر ان لا يصدر صوتا وسط ذلك الجو المثير للخوف الذي كانت تحدثه اصوات تتعالى بين حين وآخر وهي تكبر بصوت عال:

- حي !! حي !!

- الله حي ! الله حي !!

وبينما كنا نتعثر في عدد من الغرف المظلمة، بمخزونات حبوب و اطعمة وصفائح تنبعث منها رائحة دهن الطبخ و استطعنا تمييز زوايا لمخزونات بنزين و نطف من روائحها . . رأينا فجأة عزوز ملفعا رأسه

- بكوفيته البيضاء، وكانوا ينادوه بـ:
- حاجي شيخ.
- واستغربت كثيرا من ذلك، لأنني لم اكن اتصور ان ذلك المتهتك و اللأخلاقي عزوز يحمل مثل تلك الصفات . بل ولم استطع ان اتصور ان الحاج او الشيخ يضاجع النساء ايضا كبقية خلق الله ، لأن الشيخ و الحاج اسمى من ذلك لأنه شبه مقدس في محراب تعبد الخالق جل و علا، كما كنا نسمع من جداتنا. و في ذلك الظلام الذي كان يزداد هيمنة و في جو الرهبة ذاك ، سمعت حديثا منبعثا كالفحيح ، لم استطع ان اتبين اصحابه:
- كم جمعتم ؟!
- اكثر من ثلاث آلاف دينار، غير الذهب!!
- بس؟؟ وبعد ؟
-
- حصلتكم سلاح ؟؟
- حجي صالح قال ، حصتكم اربعة مسدسات .
- وينيها ؟
- بالمقبرة!!
- قولوا لهم . . نحتاج اكثر . . الهراوات وحدها لاتكفي !! و القائمة طويلة مو داتشوفون ؟؟
- يمعود حاجي وافق . . اربعة مسدسات منين نستطيع نحصل عليها ؟
- يعني هذا مو بطر ؟ . . منين يجيبوها ؟
- ليك يابه . . هذوله وراهم سفارات و جيوش الدنيا !! مو مثلنا عايشين على الصدقات و الجوامع!!
- و انتو عايشين عالصدقات و الجوامع بس ؟؟ الم يأت صاحبكم من (لنده) - يقصد لندن - امس فقط و غرقكم بالفلوس و كله اخضر ؟؟
- بكره عندي روجه الى (الشيخ عمر) و اتفاهم و اياهم و الا . .
- قال سراج متمتما:

- هذول يتكلمون مثل الكابوي في افلام السينما . . فلوس وسلاح وناس رايحة جايه لأوروبا ؟ يعني نول المتسكعين والأشقيائية عندهم علاقات و صداقات و حبايب و ايا اوربيين ؟ يمكن قسم منهم يتحدث انكليزي ايضا ؟ عجيب غريب . . يعني اذا واحد سولفه لن يصدقه احد . . قررنا ان نرجع من حيث اتينا الى منزل الخالة فائقة، بعد ان شاهدنا قسما منهم يتوجهون نحو الزاوية التي كنا مختفين فيها، فانسحبنا بكل هدوء وحذر بعد ان صار احدهم قريبا جدا منا ونسينا قضية الديك . . واسرعنا الى الزاوية الداخلية التي اظلمت تماما و تسلقنا السياج المتهرئ وعدنا الى البيت و سراج يكرر:
- الحمد لله والشكر . . الف الحمد لله والشكر!!
و حين تحدث عما شاهده وسمعه لم يصدقه احد ، لامة ، ولاجدته التي قالت له:

- ابني صير رجال . . انت ذهبت لجلب الديك . . لاتسولف قصص و روايات من خيالك . ابني هذا حرام!
هذول ناس فقره، ماعندهم غير الدين والأسلام والله ينصرهم.
- والدهن والحبوب والحلويات اللي مخبيها ؟ و سوالفهم عن الذهب و السلاح ؟؟؟ جده هذول حرامية من كلامهم و شكلهم!!
- انجب ولك . . هسه جاي سراج يفهمنا . . ابني انت صغير بعدك ماتعرف !! افتهمت؟؟ لاتحجي بالخيالات تره ماحد يصدقك و توكد بالف مشكلة ويؤذون ابوك . . استغفر الله ياربي !!

الإغتيال

اضطر الوالد لترك بيتنا خوفا علينا و حذرا من الغدر، و صار ينام خارج البيت في بيوت اصدقاء و اقارب، و كان يأتي لزيارتنا كلما هدأت الاوضاع في المحلة و بإشارة من برهوم. و كان يتفقد بحرص كبير ادائنا لواجباتنا المدرسية و احتياجاتنا، و كنا نتواعد معه للخروج معا الى اقارب او الى سينما او الى معهد الفنون الجميلة في أماسي مواسم التمثيل و الحفلات الغنائية و الموسيقية و في اماسي الاحتفالات العامة للمعهد.

و في تلك الفترة صار اعتداء كبير على معهد الفنون الجميلة حيث يعمل والدي، لسمعة المعهد المتزايدة بانحيازه لليسار و للزعيم و لمواكبه الإحتفالية في ذكرى ثورة ١٤ تموز و عيد العمال العالمي، و لوحات و رسوم طلابه و فنانيه و مثاليه المنحازة الى حاجات و قضايا الشعب بمكوناته و الى قضايا العمال و المرأة و الفقراء . . التي انتشرت في الجرائد و وسائل الإعلام و على الحيطان البارزة في الساحات العامة في بغداد.

و اعتبرت القوى القومية و البعثية المعهد، معهدا لتعاليم اليسار و الإشتراكية و اعتبره الإسلامويون، معهدا لـ (الكفر و الرذيلة) لكثرة اعداد الطالبات فيه و غالبيتهن سافرات غير محجبات و يتحدثن مع الطلاب (دون احم و لا دستور) بل و قد يتضحكن معهم !! . . فخطت تلك القوى مجتمعة للهجوم على المعهد مع التهيؤ لإحتفالات عيد العمال العالمي، و ان يكون بالسلاح الابيض غير الناري، بشرط عدم احداث ضجة كبيرة، و ان يكون بعد انتهاء لعبة كرة قدم في ملعب ساحة الكشافة القريبة على المعهد، لتحقيق تغطية بداية . . ثم تجمع كبير للمهاجمين و ليحقق الهجوم مفاجأة للإيقاع باكبر الخسائر. .

و بالفعل في وقت غروب الشمس في ذلك اليوم و بعد انتهاء لعبة كرة القدم و خروج افواج المشاهدين و المشجعين الذين تحشد المهاجمون بينهم، من الملعب . . بدأ الهجوم على المعهد الواقع في محلة الكسرة - الأ عظمية مقابل بناية البلاط الملكي السابق (البناية الرسمية لمجلس السيادة آنذاك) . . . بدأ الهجوم بدخول عدد من المهاجمين من الباب الرئيسي للمعهد، و دخول اعداد كبيرة منهم من الابنية المحيطة بالمعهد عبر سياجاته، حاملين الخناجر و القامات اضافة الى المسدسات و غدارات بور سعيد.

و هاجموا كل من وقعت اعينهم عليه او عليها بالسكاكين و الهراوات و انزلوا بمحتوياته . . من لوحات ديكورات المسرحيات و الآلات الموسيقية و ملابس التمثيل، و ابواب الغرف و غرفة العميد و غرف الإدارة و الحسابات و عموم غرف المعهد و مسبحة الصيفي الخلفي و حدائقه خسائر كبيرة و جسيمة في حسابات ذلك الوقت . و بسبب المقاومة العنيدة لطلبة و طالبات المعهد و عامليه من المتواجدين فيه في المساء، بما تمكنوا عليه بايديهم و باستخدام قطع الخشب المتكسر، صعد اثنان الى سطح المعهد و كانا يصيحان بطلب المساعدة من مقر (سرية الخيالة المستقلة) القريبة، بعد ان وجدوا ان المهاجمين قد قطعوا اسلاك التلفونات و صارت الإتصالات بخارج المعهد مستحيلة.

و بسبب تلك المقاومة غير المتوقعة، استخدم المهاجمون المسدسات و الغدارات و بدأوا باطلاق الرصاص على المدافعين و المدافعات العزل، و صعدوا الى السطح و رموا طالبي الإستغاثة من السطح، و سقط ادهم و كسرت ساقه، و استطاع الثاني ان يتعلق بلوحة الزعيم الكبيرة للفنان فائق حسن المعلقة على ذلك الجدار، و استند عليها في النزول الى الاسفل . . اللوحة التي كان قد اهداها منتسبو و طلبة المعهد الى الزعيم بمناسبة عيد الحيش، التي كانت تغطي واجهة الطابق الارضي و العلوي لذلك القسم من المعهد . . و قام المهاجمون بحرق

تلك اللوحة التي اخذت تحترق بعدئذ ببطء .
 لم تستجب سرية الخيالة الى نداءات طلب الإستغاثة، الأمر الذي كان
 مبعث شكوك و استفسارات عديدة، بل لم تستجب قيادة السرية الى
 دعوات و صرخات الموقوفين السياسيين من اليساريين و الديمقراطيين
 الذين كانوا محتجزين فيها الذين دعوا الى الاستجابة، رغم ان السرية
 لم تكن موقفا اصوليا او مكان احتجاز . . لم تستجب السرية رغم
 وصول احتجاجاتهم الى اعلى الاصوات و الى استخدام قدور الطبخ و
 اغطيها في احداث ضجة كبيرة في المنطقة السكنية المحيطة، وسط
 تهديدات الموقوفين بايصال اخبار ذلك الإهمال الى رئاسة الوزراء .
 الا ان لجوء المهاجمين الى اطلاق الرصاص بسبب المقاومة التي
 واجهوها كما مر، اوقع حراسة سرية الخيالة في حرج وسط تهديدات
 الموقوفين السياسيين بالإخبار عن اهمالهم . . فاتصلت قيادة السرية
 بالشرطة و اخبرتها بأنباء ذلك الهجوم، حتى حضرت سيارات
 (الشرطة السيارة) و الإنضباط العسكري و سيارات الإسعاف
 بصفاراتها المدوية . . الأمر الذي ادى الى انسحاب المعتدين، بعد ان
 تسببوا بجرح عدد كبير من الطلبة و الطالبات و من العاملين، و تسببوا
 بخسائر مادية كبيرة للمعهد في اثائه و اجهزته الموسيقية و لوازمه
 الفنية المتنوعة . . و انتشرت اخبار ذلك الإعتداء بسرعة البرق و
 جاءت حشود شعبية كبيرة متنوعة من مختلف الجهات، ساعية للدعم و
 للدفاع عن المعهد و طلابه و منتسبيه .
 و بعد ايام بدأ المعهد بإشراف عميده الفنان التشكيلي الشهير د. خالد
 الجادر . . بدأ بإعداد برامج احتفالية و احياء مواسم مسرحية و
 موسيقية، بنشاط لجانة الطلابية و المهنية كإشارة الى ان (الفن باق) و
 يزدهر و يتطور و ان معهد الفنون الجميلة و تطور دراساته و فعالياته
 هو احد قلاعه الثابتة، رغم مخططات القوى الظلامية .
 و كانت تلك الاحتفالات فرصة لنا نحن الصبيان الفرحين بلقاءات الوالد
 و بالتعرف على الفنون الجميلة في البلاد، و خاصة الرسم الذي كنت

ناشطا به و تعلمت من النقاشات هناك الى خلطات الوان جديدة و الى تطور وسائل التلوين بالنقاش مع الطلبة الذين كانوا مستعدين لكل توضيح . . اضافة الى ميول اختي شذى و سوسن الى الموسيقى و الغناء و ميولنا جميعا الى التمثيل و مشاهدة و متابعة المسرحيات الهادفة و خاصة تلك التي تعبر عن معاناة و مشاكل و احلام المحلات الشعبية.

و قد اهتم بالحضور الى تلك الفعاليات الحاشدة، عدد من وجوه البلاد السياسية التي كانت تحاول شد عزائم منتسبي و طلاب و طالبات المعهد، و تحاول اعلان تضامنها معهم و استعدادها للدفاع عنهم . . و الذي لا انساه منها كان حضور العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الشعب، في احدى تلك الأمسيات، و سلم على العوائل التي قدمت للتضامن مع المعهد فردا فردا و منها عائلتنا، كان انسانا بسيطا متواضعا في تعامله، و جلس في مكان فارغ كان جنبي في جلسة العوائل تلك من زوار المعهد، رغم تأكيد المضيفين عليه الى الجلوس في صدر الجلسة.

لم املك نفسي الا بأن حدثته عن ابن عمي عدنان و زيارتنا له كسجين سياسي في معتقل بعقوبة ، و كيف كنت اذهب الى بيت عمي في الفضل و أقضي ليالي هناك و كيف عرفت ان الزعيم كان يزور بيت اخته في المهديية . . فقال المهداوي:

- نعم ابني كان الزعيم يزور بيت والدتي في محلة المهديية و كنا نلتقي هناك قبل الثورة، بعيدا عن انظار المخبرين السريين . . نحن من عوائل شعبية و منحازون لقضية الفقراء، و لفهم قضية الفقراء فعلا و دورها الهام في تكوين المجتمع، عليك ان تقرأ كتب ذات قيمة تعرفك على المجتمع و على الحقائق السرية غير المكشوفة و التي تحاط بأنواع فنون السرية و الخزعبلات و حكايات الجن و السحر . . انصحك بقراءة مؤلف (اليوساء) للكاتب الفرنسي الإنساني الكبير (فكتور هيجو) للتعرف على مايجري حقيقة في المجتمع، حاول ان

تحصل على النسخة الأصلية و ليس التجارية. النسخة الأصلية في العراق موجودة في (المكتبة الوطنية) فقط للاستعارة، و البقية كلها تجارية.

و لم انسى تلك النصيحة الثمينة و فعلا قرأت او درست مؤلف (البؤساء لفكتور هيجو) بنسخته الأصلية الصادرة عن دار اليقظة العربية بعد سنوات، حين استعارتها لي اختي سوسن من مكتبة المناضل الديمقراطي الكبير العقيد وصفي طاهر عن طريق ابنته نسرين . . كان المؤلف مكونا من اثني عشر مجلدا كبيرا، جرتي ماعرض من حقائق الى قراءة المؤلف الأصلي للـ (الحرب و السلام للكاتب الروسي الكبير تولستوي)، لكون المؤلفين يبحثان في احداث و مجتمعات و نفوس و سلوك طبقات نفس الفترة الزمنية التي تستعرض تاريخ اوروبا آنذاك. شكل معهد الفنون الجميلة آنذاك و كأنه ملتقى دولي لأنواع الثقافات العالمية بكل وسائل التعبير الإنسانية من الرسم و الخط و الى الفنون التشكيلية و المسرحية، و ضم فنانين و اكاديميين اوروبيين و اوروبيات و عرب، و باحثين عراقيين و عرب و من كل قوميات و مكونات العالم، بينهم الدارسين في تراث العراق الحضاري و حضارات النهرين.

و لبساطة و حميمية العلاقات و الاحترام بين منتسبي المعهد و خاصة اساتذته و طلابه و طالباته ، شاهدنا و عرفنا اشياء جديدة لم نألّفها قبلا، كالتعرف على الأستاذ الجيكي لألة (الفلوت) الموسيقية، الذي كان طبيب اسنان و يهوى الموسيقى في براغ، و استطاع بجهود كبيرة ان يتفرغ للموسيقى و صار استاذا لها في الأكاديمية الجيكية للموسيقى، و جاء بعقد حكومي الى المعهد . . و صار يعالج اسنان و الذي في شفته بتكاليف قليلة.

و تعرفنا و تبادلنا احاديث ممتعة مع الأستاذ الحاج ناجي الراوي بطل المسلسل الاجتماعي التلفزيوني (الغوال) و مقدمته الموسيقية و ردتها (غوال غوال ، عداد نجم . . فوال)، و مع الأستاذ حميد المحل بطل التأتأة

في مسرحياته، و الاستاذ و الممثل المعروف جعفر السعدي الذي كان يدرّب طلاب قسم التمثيل على اطلاق الضحكات المججلة، فكان يطلق ضحكاته التي تهز القاعات المحيطة، و كان يتحول الى الحديث الجاد فجأة ليشرح كيف يطلق الممثل ضحكة مججلة .
 و كان الاساتذة يوصلونا بسياراتهم صحبة الوالد الى باب بيتنا في حال تأخر عرض مسرحيات الموسم الثقافي الى ساعة متأخرة من الليل وفق عادات يومذاك، تعبيراً عن الود و المحبة و حرصاً على الوالد من اعتداءات قد تطاله و تطالنا معه، ليوصلوا الوالد بعدئذ الى حيث ينام تلك الليلة.

فتحت حادثة دربونة نجية الخبازة، باب فضولنا الكبير سراج و انا، الذي لم نستطع الفكك منه و من سحر سرها و سر اصوات الجن في الليلي؟؟ و بقينا على الدوام نراقب مدخل ذلك الزقاق و نحاول الدخول فيه و الى مسافة اعماق من السابق . . بعد ان كنا نتأكد من خلوه من اية مراقبة او حراسة . . بل انها زادت من فضولي و تفكيري بالسعي للذهاب حتى لوحي.

ففي ظهرية حارة تسللت الى داخل بيت عبود الأقرع في الدربونة و سمعت اصوات مكتومة تشبه اصوات انسان او اكثر و هو مكتم الفم محاولاً الإستجد . . فتسللت الى جهة الصوت و وجدت نفسي مقابل شباك خشبي قديم ضيق محطم الزجاج واطى يصل قرب الأرض . . كان مغطى بغطاء صوفي شاهدت من خلال تمزقاته شخصاً مكتوف اليدين مكتم الفم يحاول الصراخ من تاثير الآلام التي كانت تسببها ضربات عصي انهال بها احدهم عليه ضرباً على اماكن متورمة من جسمه، و هو يصيح به وسط انين متواصل يأتي من اماكن أخرى لمحتجزين آخرين لا يعرف من اين اتوا بهم و لا كيف ادخلوهم الى دربونة نجية الخبازة و الدربونة يقع مدخلها وسط السوق الذي تبقى

دكاكينه مفتوحة الى ساعة متأخرة من الليل . . كانوا يننون من آلام الضرب و التعذيب الذي يتعرضون له، و اهل المنطقة يعتقدون انه انين لأرواح و جن، كما اشاع عزوز و جماعته:
- ويلك متى تتكلم . . كيف نجد ابن الصفره الكبير !! تريد تموت؟؟

- م م م
- ويلك !! صدق لن ينفك شيء، فالكبير ارسل لك من الكرخ اخيه (برزان الجندي) شخصيا وهذا مجنون لايتفاهم !! متى تعقل؟؟
فجأة دفع باب المنزل عدة اشخاص ودخلوا باحة الدار و هم يتجادلون بصوت عالي عن سيذهب في الموعد القادم الى (الشيخ عمر) و كانت اعلى الاصوات، اصوات حجي صالح الملقب بـ (عماش) و عزوز، كما كانوا ينادونهم.

اختبأت بسرعة في بيتونة (تحت) درج قديم و انا احس عنف ضربات قلبي التي كانت كما لو انها سترمي قلبي خارج بدني. وبعد ان مروا من امام بيتونة الدرج الى باب الغرفة، انتهزت الفرصة لأصعد الدرج من هناك الى السطح، الذي منه قفزت الى السطح المجاور الأوطأ من الأول.

ومن هناك الى بقايا حائط عريض مهدم ينحدر الى الارض، مشيت عليه بكل سهوله كما لو كان السير عليه كالسير على ممر معد و مرتب جيدا . . قاد عبر البيوت المحروقة الشناشيل المتروكة في الزقاق المؤدي الى بيت (صبرية الخبازة) الذي كنا نلتقي فيه لرؤية التلفزيون كما مر، اي الزقاق المؤدي الى الأزقة الضيقة الواقعة خلف دربونة نجية الخبازة في الجهة الأخرى، التي تفتتح مقابل بيت القابلة "الستتر حسيية"، حيث كانت تتجمع هناك مياه أسنة قال عنها البعض:
- انها مياه امطار.

وقال آخرون:

- انها مياه الصرف الصحي التي لاتجد منفذا بسبب انسداد مواسيرها لقدمها !! و بسبب البيوت التي انهارت بسبب الحريق الكبير هناك، و

قيل بسبب معارك الثارات هناك، التي ادت الى انسداد تلك الأزقة وصارت غير نافذة من طرفيها بسبب فيضان مجاري المياه القذرة. و بينما كنت متفاجأ من انفتاح تلك الازقة على بعض . رأيت هناك سيارة عزوز البيكاب الصفراء، حيث اكتشفت لأول مرة ان دربونة الخبازة نجية ليست غير نافذه (اي ليست مسدودة)، وانما هي تنفذ الى الأزقة الخلفية المذكورة عبر السطوح و الحيطان المتهدمة التي تتحدر الى الاسفل، و التي سويت ممراتها . لتنتفح في النهاية على الشارع العام النازل من جسر الأئمة، و حيث يمكن من هناك دخول و خروج شاحنات و حمولات و مختطفين الى تلك الشبكة من الأزقة القديمة، و الى دربونة نجية الخبازة من الجهة الخلفية . و هكذا عرفت بأنهم يأتون بالمختطفين من تلك الجهة الخلفية عبر المياه الأسنة الخلفية و بعيدا عن السوق.

وداعا خليل ابو الهوب!

في يوم خميس، كنا انا و محمود قد تواعدنا مع والدي في (المقهى البرازيلية) في شارع الرشيد، للقاءه و لشرب القهوة البرازيلية اللذيذة التي سمعنا الكثير عنها . كي يدلنا على (مكتبة مكنزي) التي كانت تبيع الكتب و الصحف و المجلات الصادرة باللغة الإنكليزية، بعد ان اخبرنا الوالد ان الكثير من حقائق البلاد يمكن ان نجدها باللغة الإنكليزية فقط آنذاك، او اية لغة اوروبية عالمية . التي يفسح لمطبوعاتها المجال لأنها تحقق ارباحا عالية للدولة من جهة و لأن قليلين يستطيعون القراءة و الفهم باللغة الإنكليزية، من جهة اخرى . و من رصيف (مكتبة مكنزي) تفاجأنا و نحن مع الوالد بقدم موكب هائل اوقف الحركة في الشارع و بقي الناس رجالا و نساء واقفين على الارصفة يترقبون قدومه و هم يزدادون عددا . لم تكن مظاهرة و لا

احتفال مبكر بعيد العمال العالمي الذي كان موعده يقترب، و انما كان موكبا طغى عليه سكون مهيب سمع من خلاله قرع مؤثر حزين لطبول و دفوف بمقاطع عالية الاصوات كانت تهز شارع الرشيد هذا . . من آلات موسيقية هوائية تدعو الى المشاركة في الحزن و الألم، تقدمتهم حلقة كبيرة من شباب و كهول كانوا يدبكون دبكا حزينا بطيئا، على وقع تلك الألحان الحزينة و هم يلوحون بمناديل بيضاء، تلوحة الوداع

يرددون:

و

قتلوا البطل خليل ابو الهوب!

قتلوا السائر على نهج الإمام علي و نهج الخليفة عمر و نهج الحسين الشهيد!

استشهد ابو الهوب كما استشهد ائمة الحق و العدل و من سار على طريقهم!

كان تشبيعا اهتزت له العاصمة بغداد هذا كبيرا، شاركت فيه الوف مؤلفة من الرجال و النساء، وصل تعدادها الى اكثر من نصف مليون مشارك و مشاركة في ذلك الزمن، وفق مراقبين محليين و عالميين مستقلين، تشبيعا شاركت فيه الاحزاب الوطنية و في مقدمتها الحزب الشيوعي و الحزب الوطني الديمقراطي و البارتي و النقابات العمالية و اتحادات الطلبة و الشبيبة و رابطة المرأة و النقابات المهنية من نقابة المعلمين الى نقابة المحامين.

حين بكت و لظمت العوائل الفقيرة دما و حزنت الارامل و الثكالى و الايتام لان خليل ابو الهوب هو الرجل الشهم و مساعديه الذي كان يعين المحتاجين و يساعد الضعفاء و ينشر الامان و الاطمئنان بين اهل منطقتة و مناطق بغداد الشعبية و خاصة الشرقية منها، و ذاع صيته في العراق بأسره كمثل للمناضل الجريء في سبيل الحق، سار على خطاه المئات من الفئات في مدن العراق.

استشهد ابو الهوب الذي تحولت على يده و يد مؤيديه من فئات الأحياء الشعبية، تحولت مئات المقاهي الشعبية الى منتديات ثقافية

داعمة للثورة ومنجزاتها، استشهد الذي كان احد المساهمين البارزين في تحويل المقاهي (المشبوهة بالتعامل بال ممنوعات)، الى مقرات للشبيبة الرياضية و الثقافية و الفنية، و ساهم بسد طرق الانحراف والرذيلة، وحول تلك الاماكن الى منتديات تربي على الوطنية وتبني ثقافة المجتمع الجديد الخالي من (الإدمان والمقامرة والمخدرات). استشهد الذي بشعبيته و بنفوذه الواسع في عالم الفتوات و الأشقياء، و لصدقه في التعامل و جراته، و حزمه بحق المذنبين و الإعتدائيين . . استطاع ايقاف العديد من الأشقيائية المجرمين و المأجورين عند حدهم في محاولاتهم لمهاجمة الناشطين الديمقراطيين، الذين رغم محاولاتهم تجنب الاحتكاك، الا ان اعداء الثورة كانوا هم البادئين والمهاجمين وحصل ما حصل . . وكان القائد الشعبي خليل ابو الهوب هو احد ضحايا ذلك الزمان.

فانتشرت اخبار و تواترت اخرى، انه في احدى مقاهي منطقة شارع الشيخ عمر اجتمعت مجموعة متنوعة من جهات معادية للثورة كان بينهم عزوز (في مواعيده في الشيخ عمر)، جهات كانت تخطط و تنفذ اساليب جديدة للاجهاز على ثورة ١٤ تموز، التي بدأت بنهج الإغتيالات الذي كان يتواصل و كانت النقاشات فيها تدور حول اختيار من للاغتيال و من هو اللاحق؟؟ وفق قوائم شوهدت وهي مطبوعة بألة كاتبة حكومية كما شوهد و انتشر، و كما مر . . على رأسها مطالبة البعض باغتيال مجموعة من الشخصيات المحيطة بخليل ابو الهوب، فجاء الامر بالبده ب (خليل ابو الهوب.. عندها تنفلس كل جماعته !!). وفعلا اتخذ القرار . . و بعد مراقبات و تتبع متنوع تحدد المكان، ففي احد الايام كان ابو الهوب في مقهى زناد في ساحة النصر في السعدون وبينما خرج من المقهى هاما بالصعود الى سيارته الجيب، انهمر عليه الرصاص من محترفين من اكثر من جانب، وحاول ان يسحب مسدسه ولكن لم يقوى لإصابته البليغة. . و هرب الجناة باتجاه شارع ابي نؤاس حيث كانت تنتظرهم سيارة

خاصة رباعية الدفع، ومنها ذهبوا الى ماخور في (محلة الميدان) ليليلغ القتلة مسؤولهم بأنجاز المهمة . . بعد ان تداخلت اعمال الاجهزة الامنية الحكومية مع القوى القومية في هدف (مكافحة الشيوعية)، بإشارات خضراء من شركات النفط و عدد من دوائر الحكومة الامنية. .

و منذ ذلك الحين شاع ان الجاني القاتل الرئيسي هو (الشقي محيي مرهون) البعثي الذي صار بعد سنين كما قيل أمر الإنضباط العسكري و كانت عملياته القذرة تلك، هي جواز مروره لذلك الموقع، في زمن اعتمد فيه البعثيون على قتلة و مجرمين مأجورين ثم على عسكريين في تنفيذ خططهم كما تأكد لاحقا، و خاصة بعد سقوط الدكتاتور الدموي صدام و انكشاف آلاف الملفات عن اسرار ما جرى و ما كان يجري، و وفق شهادات قياديين فيه على الهواء. .

و في كلمة المحامي محمد حسين ابو العيس عضو م. س للحزب الشيوعي في الحفل التابئني الذي اقيم للشهيد، اتهم فيها اجهزة الحكومة في المسؤولية عن الجريمة الكبرى . . حين تواطئت المؤسسات الامنية و غضت الحكومة نظرها عن الجريمة و فاعليها و اهدر دم قائد وطني شعبي عراقي اصيل، و قد ارسلت قيادة الاتحاد العام للنقابات في العراق الى اتحاد النقابات العالمي عن الجريمة، فارسل اتحاد النقابات العالمي برقية الى الزعيم استنكر فيها الجريمة و طالب بالتحقيق الفوري فيها و معاقبة قتلة القائد العمالي عضو قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق، و اجاب مكتبه الى الاتحاد العالمي، بأن ابو الهوب كان مجرما عاديا قتل في تصفية حسابات بين مجرمين!!

و قد اكد مؤرخون و علماء مجتمع و سياسيون مستقلون، بأن مقتل ابو الهوب بتلك الطريقة الإجرامية و غيابه، قد صعد العنف في تعامل الاطراف السياسية مع بعضها البعض، حيث حول عددا من فتوات الاحياء الشعبية الى التعامل بالعنف دفاعا عن النفس و ثارا للشهيد ابو الهوب و مواجهة للسلاح المنفلت وقتذاك . .

و حرقوا البيت!

و يرى العديد من المراقبين و المؤرخين، ان مقتل ابو الهوب بتلك الطريقة الإجرامية و غيابه، لعب دورا كبيرا في تصعيد العنف في تعامل الاطراف السياسية مع بعضها البعض في محلات السكن و الاسواق و في اماكن العمل، حيث انه قد حول عددا من فتوات الاحياء الشعبية الى التعامل بالعنف دفاعا عن النفس او ثارا للشهيد ابو الهوب، او مواجهة للسلاح المنفلت وقتذاك . . .

في وقت كان فيه المقدم (طاهر يحيى) القومي الإتجاه هو مدير الشرطة العام، و كان ساعيا للحفاظ على مقعده بأي ثمن، حتى تسبب في نشاط معاونون وضباط شرطة في ملاحقة و ضرب العناصر الديمقراطية و اليسارية . . و خاصة السابقين منهم حيث لم يجر اي عمل او سعي في تنظيف اجهزة الشرطة و الأمن السعديتين، رغم طرد و معاقبة كبار ضباطهم الذين لم يتجاوز عددهم عدد اصابع اليدين، لإنكشاف ادوارهم القذرة التي لم يعد ممكنا اخفائها، في ممارسة انواع العقوبات الفردية و الجماعية بحق السجناء السياسيين في فترة الحكم السعدي، التي راحت ضحاياها اعداد كبيرة من السجناء السياسيين و خاصة من الديمقراطيين و اليساريين، كمجازر سجن الكوت و سجن بغداد المركزي على سبيل المثال . . .

فنشط اولئك الضباط و معاونون ذوو انواع الخبر في ملاحقة و الإنتقام من الديمقراطيين و اليساريين بما اکتنزوه من تدريبات و خبرات سيئة، نشطوا في محاولات

تحتفيهم، و في حماية المعتدين سواء كان مقابل رشاي ماليه او مقابل دعم حكومي، اضافة الى تزويدهم باسلحة او بالوثائق الخاصة بالافراد و العوائل، بعيدا عن عيون القانون و من يدعون بحمايته. و صار صعبا على الوالد العودة الى البيت، و بقي عائشا في بيوت الاقارب و الاصدقاء و في عدد من البنسيونات ذات السمعة الحسنة مع مناضلين آخرين، و صرنا نلتقي به خارج البيت . . و عمل الوالد لتلاحمنا كعائلة بأية وسيلة ممكنة و في اوقات متقاربة كلما امكن، فتعددت زيارتنا الى اقاربنا في الحلة اوقات العطل و بقائنا كعائلة هناك لأيام في كل مرة . . و وجدت نفسي في الحلة و كأني في عالم آخر يختلف عن الأعظمية و بغداد من جوانب متعددة و خاصة قوة العلاقات و الاواصر العائلية الكثيرة التداخل و قوة الصداقات العائلية و انفتاح العوائل بعضها على بعض، عززها الميل بقوة نحو الديمقراطية و النضال ضد الإقطاع و ضد انواع عصاباتة التي صار افرادها يخافون من ارتياد الاماكن العامة في مدينة الحلة، حذرا من عناصر اليسار .

و في الحلة، كنا نذهب الى السينما الصيفي في الصوب الصغير (الضفة الاصغر)، الذي كان يضم احياء حديثة و خاصة لموظفي الدولة و كان احدث احيائه (حي بابل) الذي كانت تسكنه ابنة خالة والدي و زوجها الضابط أمر حامية الحلة و عائلتهما . . و قبل الوصول الى ذلك الحي بعد عبور الجسر و نحو اليسار و على طريق مزفت كنا نصل الى السينما الصيفي التي كانت تعرض افلاما عربية مصرية ، ا تذكر منها افلام فريد شوقي و الممثلة كوكا و

الراقصة سامية جمال في افلام (تمر حنة) و (رصيف
 نمره ٥) و غيرها و على انغام و اغاني محمد عبد الوهاب
 و فريد الأطرش و الى درجة اقل لا اعرف لماذا، اغاني
 العنديلبي الاسمر عبد الحليم حافظ . . .
 و كان ذلك الطريق يمتد بموازة شط الحلة مارا بين انواع
 البساتين و الأحراش، التي كان الناس يحذرون من الذهاب
 اليها لإحتمال ان يصادف المرء قطعان من الجاموس التي
 كان يقودها رعيانها الى الشط في اماكن متفق عليها . . و
 لا انسى ذات يوم حين دفعني فضولي لرؤية البساتين
 فذهبت وحدي، و كان ان صادفت قطيعا هائجا من
 الجاموس الهائل الحجم و لم اعرف ماذا افعل و حاولت
 الركض نحو بستان مجاور، و صاح علي راعيهم ان اثبت
 في مكاني و ان لا اركض لأن الركض يجعلهم يركضون
 خلفك كما قال و لا انسى صيحاته : (اجمد مكانك !! اجمد
 مكانك !!)، (لا تركض تزه يحطموك !!) و هكذا جمدت
 و كان الجاموس يمر حولي راكضا غير آبه بوجودي . . و
 بعد انتهاء تلك العاصفة رأيت محمود ابن مزهر الذي كان
 يبحث عني بقلق قائلا :
 - عزيزي وين رايح . . خوفتنا عليك. ارجوك لاتتركنا و
 تذهب وحدك، هنا توجد انواع المخاطر. هاي الحلة مو
 بغداد !

و فيما كان النساء يجلسن معا، كنا نحن الصبيان اما مع
 الرجال و اما معا او نكون بزيارات عدد من الشيايب الذين
 كانوا من جيل جدتي امينة، لينطلقوا بالحديث عن
 مغامراتهم في شبابهم، و في مجلس الجد (سعودي) الذي
 كان يحدثنا عن الحرب العالمية الأولى و كيف سيقوا من
 منازلهم بالسياط الى الحرب، و كيف البسوهم ملابس

الجنود و كان عليهم الذهاب مشيا على الأقدام بجزم شبه ممزقة الى البحر (كان يقصد بحيرة وان)، لمحاربة (جيش المسقوف الصليبيين)

و في احدى رواياته، انهم عانوا من انتشار امراض قاتلة بين الجنود مثل (ابو زوعه - الكوليرا) و الطاعون و غيرها، بسبب الجوع و المشي المهلك و تحت سياط أمر المجموعة العثماني الذي تفاهمنا معه (على حد قوله) مقابل ليرات ذهبية بان يتركنا في بيوت القرى التي نمر بها و نعود للتجمع معا و نواصل السير . .

و قال، كنا نجد في القرى الطعام رغم انواع المجاعات، و نجد النساء الوحدانيات اللواتي سيق رجالهن الى الحرب مثلنا او هربوا منها و بقين وحيدات يعانين الوحدة كمعاناتنا . . و احنا كنا مثل هرورة شباط (جمع هر) ما نايمين مع امرأة لشهور، و ذلك ماخفف من معاناتنا و من بعدنا عن دفي المنزل و العائلة . .

سألته عن معنى (هر شباط)، و يعني ليش النوم مع امرأة يخفف من المعاناة، بعدين هاي شلون امرأة تقبل غريب في فراشها و هل هي سنية او شيعية او مسيحية او يزيدية او شنو؟؟ قال لي اسأل ليلي، و قال : ابني البشر . . بشر، المهم ان لا يحصل اعتداء و تجاوز، لازم تفهم !! و لازم تفهم احنا لم نعتدي على احد، بالعكس زدونا بعدئذ بطعام جيد للطريق، لم نكن نفكر بأنهن مسلمات او غير مسلمات و لا عربيات او غير عربيات . .

و طبعا مثل (هرورة شباط) صارت محاولات اعتداء و استجبنا لصيحات النساء من معتدين و تطورت الى ضرب بالايدي و بوكسات و الى قتل و مقتول و المهم حمينا النساء من تلك المحاولات الوحشية . . و لا تنسى ان

المجرمين هم من يشعلون الحروب و يحطمون البشر و العواطف و القرى و يسوقون الجميع الى محارق من اجل ارباحهم و كنوز الذهب !! كانت ليلي ابنة اخيه معلمة شابة و تتهياً لدراسة تخصص (تربية و علم نفس) في الجامعة، و كانت اكثر ابناء جيلها من الاخوان و ابناء و بنات عمها اهتماما بالجد سعودي، حيث كان الجدان الاخوان و عائلتهما يسكنان في بيت كبير واحد في محلة القاسم . . . بعد احاديث الجد سعودي، ذهبت الى غرفة ليلي و كان بابها موارب، فدفعت الباب بهدوء للدخول و تفاجأت بأن وجدتها تغير ملابسها فوقفت في مكاني و تراجعت و اغلقت الباب الذي احدث ضجة عند اغلاقه و سمعتها تقول :

- ها ؟؟ خفت ههههههه . . لا تخاف عزيزي تعال اذا محتاج شي !
 - يبيبي يعني . . . اردت الاستفسار منك . . عن معنى (هر شباط) اللي حدثنا عنه الجد سعودي.
 - هههههههه هاي شديسولف الكم عمي سعودي ؟؟
 - عن الحرب العالمية الأولى . . و كانوا ينامون ويا نسوان القرى مثل (هرورة شباط) . .
 - كافي كافي . . افتهمت. عزيزي القطط كبقية الحيوانات في وقت التناسل و التكاثر و خاصة في الربيع تلثقي و تتناسل و القطط لديها موسمين مرة في نهاية الشتاء في شباط و مرة في نهاية الصيف . . لذلك الناس تسمع موائها و خاصة الذكور الهائجة جنسيا و هي تنادي على الانثى بمواء عالي و بنغم خاص عالي و الانثى تجيب، و تسمع صراعاتها للحصول على الانثى، و هذا الذكر يسموه عدنا

كنت استفقد منذر الابن الصغير للجد كريم الذي لم اراه رغم استفساري الدائم عنه، منذر الذي كان اكبر منا و كان يهتم بنا نحن الصبيان و يجيينا على تساؤلاتنا بكل صراحة و وضوح و كان محبوبا من الجميع لبأسه و ميله للمسالمة و لإهتمامه بالعائلة و حنينه على افرادها . . . في احد الايام اخبرني محمود ابن الخال مزهر، باننا نستطيع رؤية منذر الذي كان يعيش متخفيا آنذاك لأنه (جندي فرار الآن) و قد فر من الجيش بسبب اشتعال الحرب في الشمال ضد الكرد بعد ان قتل اخوه الجندي في احدى المعارك هناك .

ذهبنا الى الموعد لرؤية منذر في شارع الجمهورية (الشارع الجديد) عند سينما هناك . . . انتظرنا في باب السينما و كانت اعداد المتجمعين هناك في تزايد و كان غالبيتهم من الشباب، و لم افهم لماذا ذلك التجمع المتزايد هناك الى ان رفعوا لافتة حمراء كبيرة مكتوب عليها (السلم في كردستان - الحزب الشيوعي العراقي / محلية الحلة) و كانت مقدمة لتظاهرة سارت و ملئت الشارع هناك و سارت بحماس كبير و سرنا معهم و انضمت اليها اعداد من النساء و من الكهول . . . الى ان هاجمتنا قوة من رجال الشرطة بعصيتهم و من رجال الأمن الشاهرين مسدساتهم، و اشتبك المتظاهرون معهم بالحجارة و هم يسبوهم . . .

قد اعتقلوا عددا منهم :

- كلاب . . . نفس شرطة و امن نوري السعيد !!

- نفس الوجوه القذرة !

- على صخرة الاتحاد العربي الكردي تتحطم مؤامرات الاستعمار و الرجعية !!

كان منذر شابا اسمر محبوبا من اهل المحلة و المحلات

المجاورة لأنه كان يحب مساعدة الجميع ان احتاجوا لمساعدة و صار محبوبا اكثر من النساء اثر حبه لابنة عمه الجميلة (بسمة) التي كانت تبادله نفس المشاعر، و كانت بيوت المحلة مفتوحة للقاءاتهما الطيبة المحترمة لترتيب امور مستقبلهما، خاصة و انه كان يعد للزواج منها بعد ان يكتمل مايجمعه من مال لتغطية نفقات العرس و بيت الزوجية، حتى جاء امر سوقه للجيش الذي كان يعني اضافة الى الاشتراك بالقوة في الحرب ضد الكرد و هم اخواننا و اصدق اصدقائنا المجربون بدون سبب واضح، كما كان يردد، اضافة الى انه كان يعني ان زواجه سيتأخر بعد انقطاع اجوره من عمله في مطعم و عمله في علوة المخضر .

عدنا الى بغداد في مطلع ذلك الصيف، و كانت العاصمة ملتعبة بمظاهرات " السلم في كردستان" التي كان ينظمها الحزب الشيوعي العراقي اساسا و كان لولب التجمعات الجماهيرية المطالبة بالسلم، و قد امتلأت حيطان الشوارع الرئيسية بشعارات : السلام ، الحكم الذاتي لكردستان العراق، تسقط عصابات الجاش و الجثة في كردستان . . و ذهبنا الى بيتنا بعد ان فارقنا الوالد، و فرحنا كثيرا بسلامة قطننا التي نسيناها في البيت الذي قفلنا ابوابه و شبابيكه، و نسينا ان نترك لها حريرتها بالخروج لشرب الماء و اكل ما كان يتوفر، طيلة ايام السفر . . .

بعودتنا شاهدنا مجئ جيران جدد نزلوا في مشتمل بغرفتين اكملت بنائه ام سناء من اموال ابنتها شكرية التي جمعتها من معاملها (!!)

تكونت عائلتهم من أب كردي ارمل توفيت زوجته بالكوليرا بعد ان تركت له صبيا (جودت) و صبيتان (بارزة و باكيزة)، و زوجته التركمانية الشابة (ام رضوان) . . وقد زارنا الأب طالبا منا العناية بعائلته عند غيابه عن البيت بسبب عمله كسائق شاحنة على خط اربيل - بغداد، بعد ان علم بأن الوالدة هي بنت الشيخ فخري . . و فعلا بذلنا جهدنا في محاولة ابعاد الصبيتين عن ام سناء و مكائدها، التي كانت تكلفهما بخدمتها بشراء حاجات من السوق لاسباب كانت تفتعلها من مرض و عجز و . . فكنا انا و محمود نقوم بها و نعطيها للصبيتين لتسليمها الى ام سناء مع محاولتنا لتشجيع الصبيتين على رفض طلبات ام سناء بالتدريج . . و تطورت صداقة طفولية علت بالذاكرة بيني و بين باكيزة الجميلة بغمازات خدودها التي كانت تتوضح بابتسامتها . .

صداقة حفزت عندي روح حماية باكيزة من ام سناء العقرب، الامر الذي طور صداقتنا اكثر فكانت تحدثني عن امور كثيرة عنهم . . من وفاة والدتها في البيت الذي كان في محلة العرب قرب خانقاه في مدينة اربيل، الى زواج ابيها من الشابة التركمانية لتهتم باولاده، و كيف كان هناك معارضون لذلك الزواج من اهل الشابة التركمانية و كيف هددوا بقتلها و باشروا بالإعداد لذلك، و كيف نقلهم والدها مع اهم اغراضهم في ليلة ظلماء من اربيل الى بغداد، بعد ان وجد صديقه ذلك المشتمل لهم في بغداد . .

و في ذات يوم اخبرتني باكيزة، بأن ام سناء قالت ان مصلحة المياه ستقوم بتجديد شبكة الماء في المحلة، و ان البوري الرئيسي و عقده يقعان في باب بيتكم و عند الشبابيك كما قالت، و لذلك جرى تعليم الموقع بالبوية

الحمراء على حائطكم و على الباب بعلامات ضرب
(اكس) . . و انهم سيبدأون العمل احتمال بعد اسبوع !!
في ذلك اليوم او فيما تلاه زارنا محمد ابن الخالة فائقة في
ساعة متأخرة من الليل و كان مثلثا ب غترة (كوفية) و قال
لوالدتي :

- خالة سعاد . . عليكم ان تنتقلوا من البيت . . سمعت انهم
سيعدتون عليكم بس الله يعرف كيف !!
- ليش عيني محمد؟؟ ابو مفيد تارك البيت و انت تعرف، و
الأمر تسير بهدوء . . .

- خالة الله يخليج و اكيد ابو مفيد يعرف، صارت الأمور
غير شكل مو مثل قبل . . صارت محلات مقفولة للقوميين
و البعثيين و عوائلهم و محلات مقفولة لليساريين، و ذولة
عدنا هم البادئين و ماشين بيها بالقوة !!
- بس محمد احنا عائلة الشيخ فخري من ابرز من اسسوا
محلة الشيوخ في الاعظمية !

- خالة سعاد ذولة مايعترفون لا بشيخ و لا باستاذ و لا و لا
. . المهم يكونون بس قوميين و بعثيين في الأعظمية . .
- شلون يعني؟؟ غير الكل عراقيين و كل واحد عنده الرأي
اللي يشتهد بيه و المهم ان لايعندي و لا يقوم بما حرم الله
؟؟ بعدين لوين نروح ؟ هاي محلتنا و هذا بيتنا و بنيناه
بطلعان الروح . . زين منين نجيب فلوس للايجارات؟؟
- آني المهم خبرتكم و ابو مفيد يثق بكلامي، و اعرف انه
للاسف تارك البيت حتى يجنبكم المشاكل . . تره ماكو حل
آخر . . .

لم تستطع الوالدة ادراك مخاطر كلام محمد و كان من
الثابت لديها انها ابنة تلك المحلة الاصلية و لا يمكن لأحد
ان يقتلها منها، خاصة انها ابنة الشيخ المعروف ببركاته و

لأنها كانت تسمع احيانا مثل تلك الاقوال من سرسرية بالشارع في اربيل ايضا . . و اجتمعنا : مفيد و محمود و جودت اخو باكيظة و انا و تناقشنا بالمشكلة و اتفقنا بأن لانترك اية من اخواتنا تسير لوحدها في الشارع دون وجودنا معها او خلفها . . و ذلك ماجرى. استيقظنا صباح ذات يوم و فتحنا باب البيت الخشبية و صادفنا رائحة نפט قوية عندها و رأينا بابنا و هي مشبعة بالنפט، اضافة الى النفط الذي شبع قير الشارع امامها، و رأينا شبابيك غرفنا الخشبية المطلة على الشارع قد طليت بطبقة كثيفة من نפט اسود سال الى قير الشارع . . و لم نستطع بغياب الوالد تفسير ذلك بكل غشم (غشمنة) و تصورنا انه تنظيف من امانة العاصمة للوقاية من دودة الإرضة (الإرضة هي الدودة التي تعتاش على الخشب و تتخره) التي كانت منتشرة في نواحيها . . في بعد منتصف ليلة الصيف ذلك و كنا نائمين في السطح . استيقظت و انا في الفراش على رائحة دخان كثيف جعلني اسعل ببلغم مسود، و اذ ادرت وجهي . . رأيت نيرانا هائلة كانت تجتاز و اعلى من السطح !! فاسرعت بايقاظ الجميع و اسرعا الى الطابق الارضي و كانت النار تنبعث بقوة الى داخل البيت و تقطع الطريق للخروج من الباب الرئيسية الا بمخاطرة لا تعرف نتائجها . . و فيما حاولت الخروج وسط النيران لفتح الطريق لوالدتي و البنات اللواتي كن محيطات بي . . للخروج من البيت، اسرع مفيد لتضبيب انبوب السقي (الصوندة) على حنفية الحديقة الصغيرة الخلفية و اخذ يرش الماء على النيران، و حمل محمود السطل ليملأه بالماء و يرش الماء على النار .

بعد ان استطعت اخراج أُمي و البنات بأن يكونوا خلفي في مواجهة النيران و للتخلص من الدخان الكثيف الذي ملأ البيت و الطارمة الخلفية الصغيرة . . خرجنا الى الشارع ! كان الشارع مكتظا بالناس و بانواع الصيحات الداعية للانقاذ و قد امتلأ باغلب الجيران سواء كانوا معروفين او غير معروفين لنا، رجالا و نساء و هم يحاولون اطفاء النيران بكل الوسائل المتوفرة لديهم، من جرادل مليئة بالماء الى صوندات تحمل الماء، و الى خرطوم كبير للماء حملة القهوجي محمد راغب الكاولي من المقهى المجاور .

اضافة الى صبيان و اولاد كبار لم اعرفهم . . كانوا يحملون التراب بقطع اكياس الجنفاص من الخرابة القريبة و يرموه على النيران، و خرجت الشابة التركمانية (ام رضوان) و جودت و بارزة بجرادل الماء و ربطوا صوندهة لنقل الماء الى قرب بابنا و باثروا برش الماء على النيران

و في تلك الحالة المأساوية المخيفة، التي حمدنا الله فيها ان جميعنا كنا سالمين و لكننا لم نعرف بعد ماذا التهمت النيران من اغراضنا و حاجتنا و الأثاث . . كانت ام سناء تصيح :

- يسقط عملاء موسكو . . !!
 و كان الجار الحاج فاضل السامرائي يصيح عليها :
 - انجبي ولج ام سناء انتي مو مال احترام . . ولج المحلة دا
 تحترق . . الله يستر اذا اشتعل الكهرباء !!
 - الموت لعملاء موسكو !!
 - طبي لبيتكم ولج و حق هذا الله اشبعج ضرب اذا بقيتي
 بهالخریط . . ما عندج دين ما عندج عقل . . ولج هنول

عائلة و بس الاطفال و امهم بالبيت . .
و كانت اصوات الناس و همساتهم و صيحاتهم تدور و
تتعالى، سمعت منها :
- لم يأت الإطفاء الحكومي . . خابرتهم عدة مرات و يطلع
تلفونهم بس مشغول !
- هذول يجوز متواطئين و اياهم !
و كانت الوالدة تصيح :
- برهوم ، محمد ، منور . . الحقوا !! بيتنا يحترق !!
و لكن لا استجابة لإستغاثاتها منهم، و قالت جدة امينة التي
قدمت مسرعة من بيتها و لم نعرف من اخبرها في
منتصف تلك الليلة، قالت :
- عيني سعاد . . برهوم عنده خفارة اليوم بالمطبعة، محمد
بعد مارجع من سفرية الشام . . اروح الى بيت شعيب
ابراهيم (بيت شعوبي ابو البيض)، بالتأكد شبابهم راح
يساعدون !
و لم تنتبه ان شبابهم كانوا اول من جاءوا لإطفاء النيران .
و هكذا . . كان هذا اول حرق لبيت على اهله لأسباب
سياسية في الأعظمية . . .

الساطور! ١٢.

بقي اهالي المحلة ساهرين لما تبقى من الظلام، و كان بعضهم رائحا غاديا قلقا من ان ينشب حريق آخر في بيت آخر لأن اغلبهم لم يعرفون اسباب الحريق، و لأنهم كانوا يعرفوننا و يحبونا و كانوا واثقين من اننا لم نسي لأحد و ليس لدينا عداوات، بل كانوا يثقون بوالدتي و عارفين من تكون و يؤمنون لديها مصوغاتهم الذهبية و المتنوعة و حلبيهم و حوائجهم الثمينة، في حالات الارتهان .

مع طلوع الفجر جاءت الخالة فائقة تنبأنا بأن ابنها محمد وصل من سفره بسياقته لباص النيرن الكبير، قادمًا من الشام . . في زمن كانت الناس فيه تخاف على احياءها من ذلك السفر الشاق لسوء الطريق الذي شهد حوادث مميتة للسائقين و الراكبين، و بسبب كثرة عصابات السلاية سواء كانوا من اهل المدن او من البدو بجمالهم .

بعد دقائق رأيت محمد ابن الخالة فائقة و هو قادمًا بملابس العمل المبقعة ببقع الزيت المعفر بأثرية طريق بغداد - الشام . . و كان الشرر يتطاير من عينيه. لم ينتبه لي و لا الى بيتنا المحروق الباب و الشبايبك و الذي اسودت حيطانه، بل ذهب رأسا الى بيت ام سناء و طرق الباب الذي لم يفتحه احد، فرمى بكل ثقله عليه لعدة مرات و هو الطويل العريض البارز العضلات من تدريبات الملاكمة و رفع الاثقال، حتى خلع الباب و سمعت صياح ام سناء و هي تظل برأسها عبر الباب المخلوع:

- ويلك . . هاي شكو ؟؟ شنو السالفة ؟؟
 و صاحت بعلو صوتها:
 - و الله اخبر عليكم المديرية!!
 اجابها محمد بصوت متعالي:

- يلله خبري المديرية اذا بيع خير !! اريد اشوف ابن اختك السفية الطايح الحظ . . مو ينام عدكم ؟؟ يمكن ينام بين شكرية و بين زوجها

ابو بولة لأن واحد يثق بالأخر و شلون دجاجة و شلون ديح . . و صاح فيها:

- الأحسن أني أروح إليه .
و دفع ام سناء الشاحبة من المفاجأة دفعة قوية الى جنب، سقطت اثرها على الارض . . و تسلل الى داخل البيت و هو يصيح:
- وينك لطيف؟؟ خفت يامفوض الأمن اللي قبلوك بعد ما شكوا طيــــ.....

- وينك لطيف؟؟ نايم بحضن شكرية اللي بقيت لاصق بيها سنين و بالتالي بالت بالت عليك عليك؟؟
- ولج شكرية اتستري!! صدرج و ... كله ميبين . . اني ماجاي عليج ، جاي على السفية ابن خالتك.

نظرت من شباك غرفة ام سناء و انا اتنصت لما يدور، و لم اكن اعرف ان محمد بذلك الإقدام و بتلك الشجاعة التي اسكتت كل سكرة بيت ام سناء القرج التي اسرعت تعد الشاي و هي تتعوذ من الشيطان و تبسمل و تتلو ما تعرف من كلمات آيات قرآنية . . نسيت حديث برهوم لأخيه محمد و نصيحته اياه بترك القاجاغ و تهريب الملاحقين و كيف اجاب برهوم:

- عزيزي برهوم . . بدون محصول القاجاج لا استطيع اعالة العائلة الكبيرة من الوالدة الى زوجاتي الاثنتين و اولادهما . . و بقيت افكر . . هل من يقوم بالقاجاغ و التهريب تكون لديه هذه القوة و تهابه الناس؟؟ هل تهابه من جرأته ام من حاجتها اليه؟؟ و لماذا كل تلك السرية بتلك الاعمال؟؟
سمعت صياح محمد و هو يحدث لطيف قابضا على ياخة قميص نومه :

- ويلك ما خبرك الملازم ان تتركوا بيت ست سعاد الآن، لأنني انا المكلف به الآن؟؟ . . الم يخبرك انها خالتي؟؟ ويلك . . خالتي!!
- ها؟؟ نعم!! بس اجانا امر سريع من فوق!!

- منين؟؟ ابن القندرة منين جاءكم؟؟
- من الساطور!!

- و انت تستلم اوامر من الساطور لو من الملازم يامفوض الامن؟؟
- استلم الاوامر من اللي يصرف لي راتب..
- على هالكلام اقدر ارفع دعوة عليك و يرموك بالسجن او يطردوك من وظيفتك.

- نعم تقدر.. لكن ارجو ان تصدق ان الملازم و أمره انفسهم يخافون من الساطور.. و شفنا هذا بعيوننا و عايشناه!!
بعد صمت . . ترك محمد ياخته و افلته و توجه للخروج هو يشتاظ غضبا و كان غارقا بالتفكير، حتى انه لم يتوقف حتى لا إراديا لرؤية شكرية التي ظهرت من باب غرفة زواجها اثر الصمت الذي حصل، و كانت نصف عارية و تبسم له، فيما كانت ام سناء تركض ورائه صائحة:

- استريح ابو المعتز الشاي حضرناه لك بهالفجر .
نظر محمد اليها نظرة اشمنزاز و حقد قائلا:
- لازم ارواح الآن!!

وقف محمد امام بيتنا المحترق و هو يتأمله بصمت مرددا مع نفسه :
للأسف هكذا صار حال ابنة الشيخ الكبير فخري الآن . . اولاد الكلاب، حتى لم تفد معهم طيبة ست سعاد و مساعداتها لهم و لأبنائهم، هل يريدون قتلها مع ابنائها؟؟ ام هي محاولة لايقاع خسائر لاتعرف حدودها بها و بعائلتها . . و اقترب من باب البيت الخشبية التي كنا انا و مفيد و محمود نحاول تنظيفها من آثار الحروق النافذة، كي نتمكن من اغلاقها و فتحها، و بالتالي من قفلها علينا ليلا حذرا من اي معتدي يدخل بسهولة عبر باب لا يمكن سدها او قفلها .
سألنا محمد:

- هل الوالدة يقضانه و هل استطيع رؤيتها؟؟
- نعم يقضانه و هي لم تتم !! جدتي معها .
- المسكينة . . الله يساعدها !! ولدي خبروها ، اذا تذكر محمد ابن اختها يريد يتحدث معها .
- طفرت دمة من عينه و هو يشاهد ان نصف اثاث غرفة الضيوف محترق و رائحة الحرق تملأ المكان . . . قبل يد الوالدة و سلم على جدة امينة و هو يردد:
- الف الحمد لله ع السلامة . . للاسف لم اكن جنبكم حتى ادافع عنكم و اساعدكم . . و الله الآن وصلت من الشام و معذرة على مظهري غير المناسب . . و الله خالتي بذلت جهدي و ايا هالمجرمين قدر ما استطعت، و للاسف يبين لازم تنتقلون، كما عرفت و تأكدت قبل ايام و اخبرتك . . سأعمل جهدي من جديد و اعطيك خبر .
- كانت الوالدة مطرقة تبكي بصمت، و هي تهز رأسها له بموافقتها على كلامه، فيما قالت جدة امينة:
- روح عزيزي حاول، و ما التوفيق الا من عند الله!
- و مع تلاوة و تجويد الشيخ عبد الباسط عبد الصمد من مذياع مقهى محمد راغب . . اخذ الزوار يتقاطرون على البيت . . قائمين بالواجب و عارضين شتى الخدمات لنتائج ما تخرب في بيت الابنة الكبرى الاثيرة للشيخ الجليل فخري . . و ذهب محمد شاقا انواع الطرق للوصول الى احد ناشطي العالم السفلي المار الذكر . . الى ان التقاه في مقهى قدر في الدرايين القديمة لـ (العوينة) احدى محلات (الخلاني)، و بعد تقديمه هديته الثمينة و بعد احاديث متنوعة سأله:
- من هو الساطور؟؟
- اووهووو . . هذا يخوف، عندك مشكلة و اياه؟؟
- لا و الله . . حبيت اسأله معروف و كم يكلف أي حاضر!!
- عزيزي محمد، اولا اشكرك على كيس التبغ الغالي اللي اهديته لي . . هذا الساطور قاتل محترف و عليه دعوات و دعوات، و يقال و العهدة

على الراوي انه احد قتلة ابو الهوب، رجل بالحكومة و الشرطة و رجل بحزب البعث . . و يقال انه اغتصب اخت زوجته و اغتصب بنت الجيران و هدد ابوها بالقتل ان اشتكى، واحد لازمة و لاضمير عنده . . عوفك من سالفته احسن اليك .
 - عزيزي حرقوا بيت خالتي اخت امي .
 - احد مات ؟؟
 - لا . . بس افتهمت ان الساطور هو اللي ناطي الامر .
 - عوفك من هالسالفة لعد . . لأن مراح يتغير شئ مهما تدفع من تكاليف . . الساطور ينفذ اوامر لو وزير الداخلية لو مدير الأمن العام .
 . اخبر خالتك ان تنتقل من المحلة، هذا الحريق تره بس انذار بموديل هذا الوقت، و الا يقتلونها او يقتلون زوجها او واحد من الولد !!
 عزيزي محمد خلي على حائط البيت قطعة (معروض للايجار) . . معناها استلمت الرسالة و ستنتقل حالما تحصل على مكان!!

ذهب محمد الى المطبعة ليخبر اخاه برهوم ما حصل و الذي كان لم يعرف بعد بحريق البيت، و حدثه بما جرى و قصة الساطور التي اذهلت برهوم الذي قال انه سيذهب فورا الى الخالة سعاد، و ما يستطيع فعله لها خاصة و انها لوحدها مع الابناء . . وصل برهوم الى بيتنا بتاكسي على وجه السرعة و قال للوالدة و هو شديد التأثر:
 - خالتي . . الموضوع جدي و خطير ! هذوله قتلة و عندهم قتل بني آدم كقتل نملة. لازم تنتقلون الى مكان آخر خارج الأعظمية باسرع وقت، و الا فإن المطارادات و التهديدات و الافعال الاجرامية ضدكم لن تنتهي، و لا تستطيع لا الشرطة و لا الحكومة منعهم، لأن رجالها يخافون منهم.

آني و زوجتي غنية و المساعدين المعتمد عليهم عندكم دائما، و هذا رقم تلفون المطبعة عند الضرورة، لأنني بين البيت و المطبعة فقط و ان حصل اي تغيير ساخبرك، اكيد ابو مفيد لايعرف ما حصل . . سأتصل

به حالا و نشوف اين تذهبون مؤقتا الى ان تستقرون. بعدين خالة لا ترعلين انت بقيتي مصررة على عدم الانتقال رغم محاولات ابو مفيد و محاولات محمد لإقناعك بالانتقال من قبل اشهر، الى ان اخبرك محمد بأن لآحل آخر قبل ايام، صدقي بأن جهودنا لم تفيد . . هسه حضري ملابسكم و اهم الحاجات في حقائبك للانتقال المؤقت السريع و سيقى مساعدي في البيت لحماية البيت و ما تبقى من الاغراض.

و فيما بقيت الوالدة صامتة حزينة و هي تفكر بأنها ستترك بيتها الذي بنته بكل جهودها و عواطفها و ستترك اهلها و محلتها . . خرج برهوم حزينا على حال خالته التي اعتبرها هي المثال للأُم و الأخت و صديقة المحن، و كيف جعلته الأقدار لا حول و لا قوة له لمساعدتها و اقسام بأنه لا بد ان يجد ردا على ما يحصل او يجد وسيلة لإعلان ما يحصل . . و بعد اتصاله بالوالد و ترتيب امرا معه، بقي تلك الليلة يعاني الأرق و الافكار تتصارع في ذهنه الى ان توصل بأن يكتب شيئا يروي فيه ما كان يحصل و ينشره، و انغمر في كتابة مقال الى صحيفة (المبدأ) التي كانت تقوم بدور صحيفة اليسار بعد اغلاق صحف : اتحاد الشعب، الشبيبة، ١٤ تموز، صوت الاحرار . . . و غيرها التي كانت تتبادل الدور كلما أغلقت احداها بتهم التحريض ضد (حكومة الثورة) او باتهامات بانواع التهم الهدامة، و كأنه عودة لدور السلطات السعيدية في خنق حرية الصحافة اليسارية، في حين كانت الصحف القومية و البعثية و الاسلامية لا سلطة عليها!!

فنشرت صحيفة (المبدأ) اليسارية مقال برهوم في صفحتها الاولى و بإسم مستعار للكاتب و الذي كان (مراقب)، و اثار المقال ضجة كبرى في الحياة اليومية و احدث هزة و تساؤلات في الاوساط التقدمية في بغداد . . . و قد ورد فيه:

" اذا كانت اعمال التهجير في الأقطاعات القروسطية القديمة تتم بحق رافضي سلطة (سيد العبيد)، الأقطاعي او (السلطة العشائرية الأبوية

القائمة) او بحق رافضي تنفيذ اوامر السيد و رغباته، تلك الاعمال التي كانت تنفذها شلة مسلحي السيد، و التي مع تلك الروابط و درجات الوعي كانت ايضا تلقى مقاومة من عدد من ابناء العشيرة ذاتها تضامنا مع الرفض . . لأسباب عائلية او دينية او عشائرية دعت للاخوة و وصل الأرحام و الرأفة و الإحسان. .

فانها في المدن وخاصة في العاصمة بغداد التي تضم اناسا من مختلف القوميات والأعراق والعشائر والأديان . . وممن يحملون انواع المعارف و الأجهادات والقناعات، فإن اعمال التهجير و الحرق والطرده من محلات بعينها، قد خبر اهالي بغداد مصادرها و اهداف التحريض عليها . . بكونها كانت في اكثر الأحيان تبدأ من عدد متنفذ في الحكومة، او من موظفين رسميين فيها، او ان تتم بشكل آخر شبه رسمي الا انه علني تقوم و تحرض به صحف، و يتحدث و يحرض به مختارو محلات و مفوضو شرطة.

او ان تتم بشكل ليس علني . . ليس نقصا في قوة او قدرة تلك الاوساط، وانما غالبا ماكانت تشكل بتكرارها و تراكمها، مقدمات لصناعة فتن و صناعة أحداث مكروهة كبرى من قبل رجال متنفذين في الحكومة ذاتها . . او من قبل ذوي نفوذ اجتماعي، مالي او اقتصادي او ديني و طائفي يخدم ارادة او يخدم وجهة غير معلنة بعد لقوى خارجية اقليمية او دولية كبرى، و لتنفيذ خططها.

وهي وعلى تنوعها و تتاليها . . لم تؤد يوما مهما هللت و ادعت، لم تؤد الى وضع حلول لمشاكل التآخي و التعايش معا او لحسمها ، وانما اتبعت كسياسة وكاسلوب عمل عنيف و متوحش لقوى نافذة تريد لتلك المشاكل البقاء و الديمومة او لزيادتها، بزيادة التوترات توترا، لأن الجهة المحرصة عليها و البادئة بها اضافة الى الأضرار المباشرة التي تتسبب بها بحق المتضررين . . فانها ستخلق ردود افعال معاكسة ضد الفاعلين، ردود افعال قد تكون اشد بأسا و هولا من قبل المتضررين بحق من ارتكبوا تلك الاعمال المنافية للاعراف و القيم الاجتماعية و

للدين

الصحيح.

وهي ان حلت و انتهت في اماكن اثارها كما يتراءى للبعض، الا انها ستترك ندوبا وآلاما في البلاد كلها، لن تمحي بسهولة، و هو مايريده القائمين بها و يسعون الى ادامتها كوسيلة من وسائل التحريك والتحريض لبلوغ اهداف سوداء ارادوها لركوب نتائجها . . لتبقى احدى الوسائل الهامة لضبط سير البلاد في الاتجاه الذي شاركوا في رسمه و تحديده لها في مرحلة تاريخية سابقة يريدوها ان تستمر في مسارح حياتها و حياة رجالها . . مقابل اموال او حصص في ارباح" . بعد يومين و في ساعات الفجر الاولى توقفت سيارة مدنية سوداء و سيارتان مسلحتان للانضباط العسكري في باب بيت برهوم في الدهوينة و طرقوا الباب طرقات عنيفة ايقضت الجيران الذين تجمهروا خلف سياجات سطوحهم لرؤية مايدور خاصة و ان العسكريين كانوا يصيحون بأعلى اصواتهم:

- هذا بيت صحافي الرياضة برهوم ؟؟

- انا برهوم . . ماذا تريدون ؟؟

أمر المفرزة:

- انجب ولك . . تريدون تسوون انقلاب على القروسطية ؟؟؟ و استندار على مساعده قائلا بصوت خفيض : القروسطية هو كتب مو ؟؟ - نعم سيدي

- اي انقلاب و اي قروسطية عزيزي ؟؟

- لاتسوي نفسك ماتعرف او مخبول . . امشي و ايانا هسه فورا

بجامتك هاي . . و انتم ولد الخايبة فنتشوا البيت على سلاح او على جهاز او اي شئ غريب تشوفوه بالبيت!!

و بينما اصعدوا برهوم الى السيارة المدنية السوداء و اجلسوه مكبلا بين عسكريين بلباس مدني في الحوض الخلفي للسيارة، خرج العسكريون بعدئذ من البيت بعد تفتيشه و هم يحملون ترانزستورا (كانت الترانزستورات قليلة جدا و غير معروفة بعد في الحياة العامة آنذاك) و

بعد حرق بيتنا، ارسل عمي (ابو عدنان) يخبرنا بأن ننتقل الى بيته، بعدما فاتحه ابنه الكبير الصحفي (عدنان البراك) بما جرى لنا و بأننا يجب ان ننتقل فوراً من الأعظمية بما خف حملهُ ريثما نجد بيتاً نستأجره . . كان بيت عمي يقع في الكرخ - قرب السفارة البريطانية القديمة، في محلة الكريّمات، بعد ان انتقلوا من بيّتهم في حي الزعيم - اسكان غربي بغداد (الحي العربي الآن)، اثر حملة الأعتيالات والتهديدات بالقتل وحرق المنازل التي بدأها البعث و القوميون هناك، و طالت القوى الديمقراطية واليسارية و عوائلهم

و هكذا ذهبنا مع حقائبنا الى بيت عمي الذي كانت تسكنه عائلته الكبيرة مع الجدة راجحة، و رغم اننا شكلنا ضغطاً على البيت و العائلة بعددنا، لكننا كنا فرحين بالتأمننا مع الوالد و بأننا نعيش معاً، رغم الضغوط و الحاجات المالية التي كانت تزداد بالنسبة لعائلة عمي الكبيرة و بالنسبة لعائلتنا، مع انتقالنا المؤقت و مع مصاريف تصليحات الحروق و البحث و التهيئة لإستئجار بيت ننتقل اليه كبقية العوائل

كان سكنة محلة الكريّمات - عقد البيجات خليط عراقي بغدادي مسالم جميل، سكنته عوائل مسلمة، و عوائل مسيحية حيث كانت شموع القداسات المسيحية تشعل في الاماسي داخل البيوت النظيفة المعطرة آنذاك، التي صرنا نزورها بعد ان تعرفنا على الفتى الأثوري رمزي و ذهبنا

بمعيته الى بيوت اقاربه و العوائل المسيحية الصديقة لعائلته للتعرف على ابنائها و بناتها . الذين كانوا يشجعونا على زيارتهم بعد ان عرفوا بقصتنا . . . و كانت اعداد العوائل الصابئية في المحلة واضحة بعاداتهم الاجتماعية التي لاتفرقها عن عادات العوائل المسلمة، اضافة الى عدد من العوائل اليهودية التي كنا نميز بيوتها من رائحة زيت السمسم الذي يطبخون به طعامهم . . . كان غالبية سكنة المحلة اصحاب مصالح خاصة و مهن، و مصالحتهم ودكاكينهم قرب سكنهم، و كانت الألفة بينهم هي السائدة مهما كانت دياناتهم التي لم تشكل حاجزا او مانعا في التعامل، بقدر ماشكلت طريقة للتعارف و للاحترام المتبادل و معرفة الحقوق و الواجبات الانسانية بينهم، و تعزز حياتهم كجيران يتطعمون و يسرهم التذاذ الجار بما يطبخون على طريقته و بما يعدون في مناسباتهم . . . و كان من البارز ان طالبات و طلاب المحلة كان يساعد ادهم الآخر في التهيئة للامتحانات للنجاح و التفوق و كانت بنات عمي يدرسن مع صديقاتهن في بيوتهن و خاصة مع عدد من الطالبات الصابئيات المتفوقات دراسيا . و في مرة و كفتيان من كل مكونات المحلة قد دعينا الى حفل زفاف لابنة عائلة مسيحية هناك و شارك جميع الحضور بالغناء و الديكات و الردات، و بالاغاني و الترانيم المتنوعة على تنوع الاديان و القوميات و بلغات الطوائف الاصلية ذاتها . . . و كنت على عاداتي في رغبتني للتعرف على المكان الجديد او الغريب، بالطواف في المحلة للتعرف عليها و على المحلات المجاورة، و كنت استأجر دراجة من البايكسكلي هناك، و عرفت ان الطريق المواجه لمدخل بناية السفارة

البريطانية القديمة يمر داخل محلة الكريمات (و هو الطريق الذي انقطع اثر بناية عمارات و شق شارع حيفا اثر توسعة شارع المستنصر) و يصل الطريق الى مقابل منتزه مغلق مهمل لينعطف يمينا و يستمر الى ان يفتتح على منطقة علاوي الحلة - سينما بغداد (سينما قذري الاضروملي)، و عرفت بأن الطريق المقابل لذلك المنتزه المغلق يسكنه اصحاب جاموس و يمكن الحصول منهم على قيمر ممتاز بسعر متهاود . . . و فيما كنا كلما رأينا قطعة من اثاث او سجاد و لوحات فنية، ستائر و اغطية جميلة او راديو او تلفزيون فاخر في بيت . . . كان الحديث يجري على انها مما حصلوا عليه من نهب السفارة البريطانية التي كانت هي الحاكمة و السارقة الفعلية الاكبر للبلاد آنذاك، و التي هزمتها ثورة ١٤ تموز ١٩٥٩ ، و انهم بذلك قد استطاعوا استرداد و لو جزء ضئيل من اموالهم . . . رغم ان رجال السفارة كانوا مستمرين في نشاطاتهم لإجهاض و اسقاط الثورة و كانوا هم الداعمين و الممولين لأنواع العصابات التي مر ذكرها مهما ادعت تلك العصابات و مهما حملت من شعارات جديدة .

كانت الاحاديث تدور عن الشاب الجريء (عباس شكاره) او (عباس ابن شكاره)، الذي استطاع هو و عدد من فتوة احياء الكريمات و الشواكة بجرأتهم من صد هجومات افراد عصابات الكرخ القديمة : من الجعيفر و سوق الجديد و التكارثة . . . على المعلمين الديمقراطيين، حيث كان اولئك الافراد يمنعون و يضربون من يأتي لانتخابات المعلمين و اسمه مدون على قوائم اسماء الديمقراطيين و اليساريين الممنوعين بقرار تلك العصابات، من الانتخابات

التي كانت تجرى في ثانوية الكرخ للبنين، و التي كانت مقرا علنيا للقوى القومية و البعثية، مقرا محروسا بتلك العصابات .

اضافة الى مقرهم (فندق بور سعيد) المطل على ساحة الشهداء، والذي كان مقرا غير معلن لأشكال المجاميع المسلحة التي قامت باعمال الإغتيال و حرق المنازل و المصالح الصغيرة و الكبيرة العائدة لعدد من العوائل الديمقراطية و اليسارية في مناطق جهة الكرخ الاخرى و الشوافة، و هو الفندق الذي منه انطلقت رشقات رشاشات بور سعيد التي وجهت للمتظاهرين الديمقراطيين و مسيراتهم و تسببت بسقوط شهداء و جرحى و جريحات، سواء في عيد الأول من ايار او في مظاهرة (السلم في كردستان) كما سيأتي، و في مسيرات تجمعات المعلمين الديمقراطيين الداعين الى انتخاب (القائمة المهنية الموحدة) للمعلمين .

و قال رفاق عباس شكاره، ان عباس بقي يستفسر لمدة طويلة، عن لماذا لاتحمي قوات الشرطة المتواجدة المتظاهرين من هجوم تلك العصابات و لماذا لا يلقون القبض على افرادها ؟ ثم من اين حصل افرادها على الاسلحة المتنوعة و من يجهزهم بالمال و السلاح ؟؟ حتى تجمعت لديه معلومات هامة و ذات دلالات كبيرة، قرر ان يحصرها بجماعته كي لا تفسد خطته لمواجهة تلك العصابات . . اخبره احد نشطاء معاونة شرطة الصالحية :

- عزيزي عباس، الاوامر و التوضيحات المستمرة و المكررة، التي تأتينا من فوق عن المظاهرات، بأن من يقوم بها هم رجال عطاله بطاله يحركوهم عملاء من موسكو و

يدفعون لهم بالروبل الروسي، و اكثرهم سرسرية و دايمين بالشوارع، سكيرين و ماخافون من رب العالمين . . اما عن النساء اللواتي يشتركون معهم في المظاهرات، فأولا المرأة (ناقصة عقل و دين) و ثانيا اغلبهن اما مطلقات او عانسات محمرات مخططات يدورون على رجال فيتحشكون بيهم بروائحهن العطرية و محاولة احتضانهم او السقوط عليهم (يبحثن عن رجال بإثارتهم بعطورهن و بالاحتكاك الجسمي معهم) . . لذلك احنا ما يشرفنا ان ندافع عنهم !!!؟

اضافة الى معلومات كانت تتوارد اليه، بأن السفارة لاتزال نشيطة و لها وكلائها و عملائها، و ان هناك زوار دائميون للسفارة بصفة خدم او عمال حدائق او عمال تصليحات، يدخلون و يخرجون منها ليلا عبر باب صغير جانبي يدعوه (باب الخدم)، و يقع على الساحة الجانبية الواسعة الخالية من المارة و المليئة بالاشجار، و هي مجاورة لـ (القسم البلدي السابع) . .

و اضافت المعلومات، ان جماعته استطاعوا تشخيص احدى الزائرات و كانت قوادة معروفة في المنطقة، لديها بيت في الجهة المقابلة للاذاعة و استطاعوا التوصل الى دورها و دور المشتغلات عندها و علاقاتهن القوية مع فندق بور سعيد الأنف الذكر . .

اضافة الى ملاحظتهم تاجر من اهالي الصالحية، كان بعدما يخرج من السفارة عن طريق ذلك الباب، كان يلتقي في مقهى هناك بكبار من افراد تلك العصابات و يسلمهم اموالا عرفوا لاحقا بانها من السفارة التي كانت تصرف عليهم بالدولار كخرجية و مصرف جيب اضافة لتغطية مصروفات اكبر، و قد نشرت عن ذلك حينها صحف

بيروتية أغلقت بعد نشرها ذلك الخبر و كانت قد اسمت ذلك التاجر (لطيف) او (عبد اللطيف)، الا ان تلك الاخبار أعلنت بتفاصيل بعد عدة سنوات (قيل انها نشرت اثر الهبة الشعبية التي اجتاحت الشارع اثر خسارة حرب ٥ حزيران ١٩٦٧)، ثم اعلن عنها الطلبة الإيرانيون اليساريون ايام الثورة الإيرانية حين وجدوها ضمن وثائق السفارة الإيرانية في الولايات المتحدة عند احتلالهم لها في شتاء ١٩٧٩ .

و بين تغليب عباس شتى الافكار في ذهنه و بين مناقشة ذلك مع جماعته مع دلائل اخرى . . توصلوا الى ان تلك الإعتداءات المتنوعة على الديمقراطيين و اليساريين، مصدرها واحد هو الذي يقوم بنشر تلك الاشاعات القذرة بحق المتظاهرين و المتظاهرات و غير ذلك من اوامر ضباط كبار مرتشين في سلك الشرطة، لجعل رجال الشرطة غير فاعلين او لدفعهم لضرب المتظاهرين و ليس لضرب المعتدين على المتظاهرين . . و يقوم ذلك المصدر ذاته بتمويل و تسليح تلك العصابات و عصابات البعث و القوميون .

فكانت مبادرة مذهلة ان هاجم (عباس شكاره) و رفيقه بمسدساتهما و جماعتهما بخناجرهم و عصيهم، هاجموا فندق بورسعيد بعد ان انطلقت منه اول الرصاصات على تجمعات المعلمين التقدميين و الديمقراطيين في يوم انتخابات المعلمين، و اسكتوا من اسكتوا فيه و هرب من هرب منهم، و حصلوا على اسلحتهم التي تركوها بعد هروبهم .

في وقت كان الناس يتحدثون فيه عن الضرورة القصوى لوجود من يقوم بالدور الجري الذي قام به البطل (ابو

الهوب) الذي افتقدوه و الذي لعب مقتله بتلك الطريقة الإجرامية الجبانة و غيابه، لعب دورا كبيرا في تصعيد العنف في تعامل الاطراف السياسية مع بعضها البعض في محلات السكن و الاسواق و في اماكن العمل، (رغم تهديدات الحزب الشيوعي بضرورة اللجوء الى المحاكم و القانون في وقت كانت فيه المحاكم و القوانين مشلولة) . . و كان ذلك تأكيدا آخر على ان مقتل (ابو الهوب) غدرا قد حول عددا من فتوات الاحياء الشعبية الى التعامل بالعنف دفاعا عن النفس و عن محلات السكن او ثارا للشهيد ابو الهوب، و مواجهة للسلاح المنفلت و قنذاك، في وقت كان فيه القضاء عاجزا عن مواجهة و معاقبة المعتدين . . و كان (عباس شكاره) احد مساعدي ابو الهوب في جانب الكرخ، و كان يعتبر ان عدم مواجهة تلك العصابات و اسكاتهما، يعني فسح المجال لها للتغول و للاطاحة بثورة ١٤ تموز و ما بما حققته من منجزات للفقراء و لعموم المجتمع بكل مكوناته . . و قام عباس شكاره بالدور ذاته و ان بشكل آخر في حماية و انقاذ المشاركين في تظاهرة (السلم في كردستان) التمويهية التي نظمها الحزب الشيوعي . . حين قرر الحزب القيام بمظاهرة كبيرة حاشدة ما امكن للمطالبة بإيقاف الحرب و ايقاف قصف قرى كردستان الأهلة بالسكان و ان تحقق تجمعا لأكبر ما ممكن من كل العراقيين و اهل بغداد خاصة، بكل مكوناتهم و طوائفهم القومية و الدينية و الإثنية، و ان لا تتمكن قوات الشرطة من إيقافها، حتى اكمال سيرها من ساحة النهضة في شارع الكفاح الى ساحة التحرير . . فقرر ان تكون هناك مظاهرة تمويهية تنطلق بنفس الساعة

من اليوم المحدد، و ان تنطلق من ساحة المتحف في الكرخ و تسير نحو ساحة الشهداء لإلقاء رجال الشرطة و ليجري تقرير اين ستتوقف بعدئذ او تلتحق بالمظاهرة الأصلية، و حشد في المظاهرة التمويهية تلك عددا من وجوه المعروفة نساء و رجالا . . . فانطلقت المظاهرة الاصلية من ساحة النهضة بعد ان جمع منظموها اعدادا كبيرة من العصي لمواجهة رجال الشرطة ان هاجموها، و فعلا واجهت اعدادا كبيرة من رجال الشرطة الذين بقوا مشلولين رغم اسلحتهم امام عصي المتظاهرين الذين اشتبكوا معهم رغم سقوط عدد منهم جرحى، و استمرت المظاهرة الى هدفها المقرر في ساحة التحرير، مشكلة بذلك ثاني اكبر تظاهرة جماهيرية في تاريخ العراق القريب بعد مظاهرة الاول من ايار ١٩٥٩ . عند عودة عباس شكاره الى الصالحية و كان فرحا بما حققته مظاهرة (السلم في كردستان) الاصلية . . تفاجأ مفاجأة كبيرة بخبر تفريق المظاهرة التمويهية و ذلك في ساحة (سينما بغداد) اثناء سيرها، بمهاجمتها من قبل رجال الشرطة و رجال عصابات البعث بالرصاص و بالعصي و سقوط عدد من الجرحى و سوق ما قارب الثلاثين من المتظاهرين رجالا و نساء كان عدد منهم من الجرحى مخفورين . . حيث سيقوا الى موقف مركز شرطة الشواعة !!

فقرر هو و جماعته في الحال تطويق المركز و تهديد من فيه ان لم يطلقوا سراح الموقوفين و الموقوفات، و ان تطلب الأمر مهاجمة المركز خاصة و انهم يعرفون المركز و مرافقه و الدور الشرقية المحيطة و الملاصقة به و يعرفون سكنتها جيدا . . بانهم شجعان و اصدقاء مخلصون

وصلت المجموعة الى باب مركز الشرطة من الجهتين و
 صاح عباس بالحرس :
 - السلام عليكم . . ابني آني عباس شكاره . . اخبر المفوض
 كاظم، اريد اتكلم معاه هنا بالباب حتى يطلق سراح
 الاخوات و الاخوة المناضلين اللي وقفوهم ظلما و عدوانا
 و فيهم جرحى . . .
 اجابه الحرس و كان وجهه يزداد اصفرارا و هو يشاهد
 عباس شكاره بلحمه و شحمه لأول مرة . . عباس الذي
 سمع الكثير من مآثره و مناقبه في الدفاع عن الفقراء و
 عوائلهم و حمايتهم و مساعداته لهم، و ذاع صيته و هيئته
 و شجاعته و كرهه للظلم . . في محلات و حوارى
 الكريمات و الشواكة و الصالحية و الشاكرية المترامية
 الاطراف، في الكرخ و كراة مريم . . اجابه و هو يحاول
 استجماع نفسه و يقاوم شعور الرهبة الذي اجتاحه في
 مواجهة الهيبة الطاهرة و الروح الانسانية :
 - عليكم السلام سيد . . .
 - تحرك ولك . . اشو صافن؟؟ . . . تحرك !!!
 و اطلق عباس رصاصة في الهواء بمسدسه لكسر انجماد
 الحرس الذي تصوره رافضا لما طلبه منه،
 ركض الحارس و رفيقه بينادقهما الى الداخل و اختفيا
 تنفيذا لأمر المفوض . . و خرج الموقوفون و الموقوفات
 الى باب المركز و المفوض الخفر يصيح من الداخل :
 - عمي كلهم افراج !! افراج !!
 - و الله اكسر رؤوسكم اذا مادين ايديكم عليهم . . .
 - لا و الله استاذ !! . . احنا استلمناهم فقط و كنا نعرف انهم
 ابرياء، بس اتوا بهم مقبوض عليهم . . حتى قدمنا لهم

طعام، أسألوهم

في يوم من تلك الايام اخبر عدنان ابن عمي، والذي بأن ممثل عن مكتب الاتحاد العام لنقابات العمال في الصالحية، اخبره بوجود بيت للإيجار في محلة الشواكة، و ان البيت قديم و يحتاج تصليحات لذلك فإنكم ستدفعون نصف الإيجار و (اذا عجبكم البيت نعمل عقد الإيجار منذ الآن و بكفالة ممثل مكتب اتحاد نقابات العمال) . . و بعد معرفة الوالد كم هو نصف الإيجار و انه و الوالدة ممكن قادرون على دفعه، و بعد مناقشة الوالدة، وافق على البيت بزيارة سريعة اليه و معرفته من هم الجيران و خاصة عائلة نيازي الساكنة هناك و ابنها الكبير النشيط في مجال المعلمين الديمقراطيين . . و هو متصور ان ذلك الحال مؤقت في كل الأحوال . .

و فيما فرح والذي بأنه سيستطيع التخفيف عن اخيه و عائلته الكبيرة . . كانت الوالدة حزينة لأن صبرها على فراق بيتها يبدو انه صار دائماً، بعد ان اعتقدت انهم انتقلوا مؤقتاً و حتما سيعودون الى محلة الشيوخ . . كان الأنتقال يحمل اكثر من معنى واكثر من صعوبة لها، حيث سننتقل من بيت كان على صغره يكفيننا، وكان ملكا لوالدتي دون دفع ايجارات مكلفة، في محلة شكلت مرابع طفولتنا واهلنا واقاربنا وجيران عمرنا، الى محلة مجهولة وناس جدد لانعرف عنهم شيئا . .

والأصعب كان يعني صعوبات ستتحملها الوالدة لوحدها و عندها طفلة بعمر السنتين لاتعرف اين ستركها في اوقات دوامها، و هي بلا أمها (جدتنا) و بلا اخوات و اقارب و

جيران عمر، و كان عليها ان تنتقل كمعلمة من مدرستها الأصلية (مدرسة الشفق الابتدائية للبنات) في الصليخ - الكريعات، حيث كن معلماتها و المديرة، زميلاتها و صديقات عمرها . . الى مدرسة مجهول اهلها، كما كانت تفكر و تزداد حزنا، ناسية او غير مصدقة بأنها أجبرت على ترك بيتها بالحرق . . او ان تبقى في مدرستها التي صارت في الطرف الآخر من العاصمة، و التي سيكون الوصول اليها صعبا يوميا خاصة في الشتاء بين المشي و ركوب باصات المصلحة، هي و معها طفلة طالبة في المدرسة، كان باص مدرستها الخشبي ينقلهما من بيتها الى المدرسة و يعود بهما . . و بمساعدة برهوم و محمد ابني الخالة فائقة، تم استئجار شاحنة صغيرة لنقل ما تبقى و لم يحترق من اثاث البيت، بعد ان بذل محمد جهدا في اختيار السائق خوفا من سرقة الأغراض او اعتراض السيارة من قبل جماعة الساطور للمزيد من الإيذاء . . حتى وجد سائقا من دراويش الشيخ فخري الذي سيكون حريصا على سلامة ابنة الشيخ . . و قفت شاحنة نقل اثاث البيت الصغيرة بمحاذاة رصيف شارع الشواكة المزدهم بالسوق و الناس وفي مدخل المحلة المعروفة، وتساءلنا انا و محمود عن موقع البيت من البقالين، عارضين عليهم ورقة العنوان . . وبعد نقاشات اكثر من بقال، توصل الجميع ان افضل مكان تقف فيه الشاحنة لنقل الأثاث منها باليد الى البيت ليس عبر السوق، لأن الزقاق لا يكفي لدخول سيارة، وانما على السيارة ان تدخل فرع (مطعم مهدي الكبابجي) الشهير و هو الفرع المحاذي لسياج السفارة البريطانية هناك، و بعد اكمال الفرع تصل الشاحنة الصغيرة الى حيث بيت الوجيه

البغدادي (الدفتردار) ومن هناك يمكن تقدير اين ستقف الشاحنة، ليتم حمل الأغراض الى البيت باليد . . . فعلا ذلك ماتم .

كانت المنطقة من مناطق بغداد القديمة التي يسكنها بغداديون من عوائل مسلمة و مسيحية و صابئية، اشتهر فيها (كباب اسطة مهدي) الدائم العمل ليلا و نهارا لكثرة و تواصل الطلب عليه و فيما عرف اسطة مهدي بمهارته في عمل الكباب باسعار مقبولة، عرف عنه انه كان من (انصار السلام) و ان القوميين المتطرفين اغتالوا ابنه الشاب قبل سنتين للانتقام من والده . . .

وكان الجديد في سوق الشواعة هو سوق السمك الجديد في عمارة من طابقين و كان جاذبا لأنواع المشترين لأنواع السمك المرغوبة و الطازجة و باسعار معتدلة . . . وصلنا الى البيت و نحن ننقل الاغراض من الشاحنة اليه، كان بيتا قديما كبيرا فيه سبع غرف و صالة منخفضة شبه سرداب، و يقع مقابل خرابة مغلقة تعود الى بيت المولى هناك، قيل انها كانت خان تجاري قبل عشرات السنين . . . و كان منظر النهر (الشط) من الطريق الاسمنتي للمشاة المرتفع و الممتد بمحاذاة النهر الى رأس جسر الشهداء، كان في ذلك الصيف جميلا فعلا و نحن نراقب الزوارق النهريّة ذات المجاذيف (البلام) و هي رائحة غادية من جرف الشواعة نحو جرف عمارة الدفتردار ومقهى زناد وشارع النهر في الرصافة . . . مشكلة وسيلة نقل ثابتة بين نقطتي الجرفين تلك عند حائط (بيت الوتار) المطل على النهر مباشرة، الذي كان مخطوطا عليه من زمن الملكية) اطلقوا سراح المناضل زكي خيربي) . . . وبين فرحنا و ضجيجنا و نحن نشاهد النهر في شمس ذلك

الصيف و نحن نعيش حلما باننا سنسكن في بيت يطل تقريبا على النهر و لو عبر ساحة فارهة . . كنا نحن الفتیان فرحين لأننا نرى لأول مرة اننا بمواجهة قلب بغداد عبر النهر، قلب بغداد بعماراته العالية و خاصة عمارة الدفتردار المطلة بواجهتها على النهر من جهة الرصافة، وحيث تنتصب عمارة مصرف الرافدين الأعلى خلفها، التي كانت اعلى عمارة في العراق . . .

لاحظنا قلق الوالد وهو يشاهد الأم وهي تقف في مدخل المجاز صامتة و دموعها تجري بغزارة، مقابل مهد لرضيع لم يزل فراشه الصغير هناك و حوائجه معلقة على طرفيه، ووقت وكأنها اصيبت بالتجمد . . . لقد رفضت ان تسكن هناك بعد رؤيتها لذلك المهد، وقالت و العبرات تخنقها و وسط تلك الدموع الغزيرة و بلهجة خافتة حزينة :

- ابو مفيد . . . هذولة مثلنا . . . ايضا عائلة شردت بالقوة و تركت منزلها وبأثاثه !

ولم تمد ايديها على اغراض بيتنا المنقولة من الأعظمية ولم تجلس على بقايا الأثاث الموجود في البيت، رغم توسلات الوالد بان الموضوع مؤقت، وسنحافظ على اغراض البيت المتبقية و نرجع الى بيتنا في الأعظمية عندما تستقر الأمور . . . في وقت جاء فيه رجل بعد ان طرق الباب المفتوح، بملابس نظيفة لصيادي السمك، و بغترة ملفوفة على رأسه و كان يحتذي حذاء نعل لامع نظيف . . . و بعد الإستئذان بالدخول، نظر الرجل الاسمر الوسيم الينا نحن الفتیان مرتبنا على اكتافنا، و سلم على الجميع، و قدم نفسه للوالدة قائلاً :

- حجية . . . اني عباس ابن شكارا عن نقابات العمال الذين ارسلوني للترحيب بكم، اهلا بكم و اذا احتاجتوا اي شئ

انا حاضر وموجود بين يوم و آخر على الشريعة (طريق المشاة الاسمنتية) اوقات الغروب والناس هنا تعرفني . . احنا هنا حجية نحميكم من اي تصرف او سلوك قد يضر بكم !

ويظهر انه كان على دراية بموقف الوالدة الراض، فقال ابن شكاراة :

- حجية هذول لايمكن مقارنتهم بكم و بأخلاقكم و تربيتكم .
 - حجية هذول عائلة مجرم قاتل كان يملك نصف المحلة و اعطى اوامر برمي المتظاهرين بالرصاص و حرق و نهب محلات تجارية و مسجلة ضده عدة دعاوي قضائية .
 . كان تارك زوجته و بيته و عايش مع عشيقته في فندق بور سعيد، و بعد ان اشتكت عليه زوجته لأنه لا يرسل لها مصرف للعائلة، اخبرها بأن تترك البيت و الاغراض اللي فيه لأنها زبالة و سينشغل بها المستأجر الجديد، و احنا ساعدنا عائلته على الانتقال من المحلة بعد جاءت دخيل عندنا .

انتبهت الوالدة الى صدق كلامه و هو يقول :
 - حجية حضرتج ماتفكرين بحقك و بحق عائلتكم؟! يعني يشردون عوائلنا و عوائلنا تهرب راضية بمصيرها لأنها تدعو الى احقاق الحق . . بالله عليكم اين الظلم ؟ الا تفكرين من هو الظالم الأصلي ؟ و انت الدارسة و من بيت محترم . . اشلون لعد تستطيعين تحصيلين على حقوقك، مو حرقوا بيتكم؟؟

مجرمون و سياسيون

كان صاحب البيت احد الشركاء او الشريك الأكبر في " فندق بور سعيد " المطل على ساحة الشهداء، والذي كان مقرا غير معلنا لأشكال المجاميع المسلحة التي قامت باعمال الأغتيل و حرق المنازل والمصالح العائدة لعدد من العوائل الديمقراطية واليسارية في مناطق الكرخ والشوافة، والذي منه انطلقت رشقات رشاشات بور سعيد التي وجهت للمتظاهرين الديمقراطيين ومسيراتهم، كما مر . . و تم ترتيب عقد الأيجار مع المالك الذي كان يسكن في ذلك الفندق، بواسطة مختار المحلة.

زارنا من الجيران من عائلة نيازي استاذ جميل ان لم اخطأ اسمه، سلم على الجميع و على الوالد الذي تفاجأ به و تذكره بكونه من عائلة نيازي التقدمية المعروفة القادمة من الناصرية، و اخو الشاعر و الاديب المعروف صلاح نيازي، و قال بانه و والدته و اخوانه حاضرون لتلبية اية احتياجات قد تحتاجوها و ان والدته ستزورنا في اليوم التالي، و توجه مع الوالد الى بيت العازف و الملحن الكردي المعروف (أحمد الخليل) الساكن في البيت الواقع في نهاية الزقاق الضيق الذي يمر جنب البيت، الذي كنا نسمع انغام عوده و لم نعرف من اين تأتي. . اضطررنا لفرش ما امكن من البيت و خاصة لإستقبال الضيوف، ببقايا أثاثنا حيث لم يبق لدينا في ذلك الوقت اثاث يكفي لتأثيث سبع غرف و صالة في ذلك البيت الكبير القديم . . و جاءنا اول غداء من الجيران من عائلة النجار، حمله الينا ابنهم عزت و اصدقاه. . عرفنا الشاب الصغير عزت على البيت ومرافقه بعد ان سكنته عائلة

عمه لبضعة شهور مضت و انتقلت منه لعدم صلاحيته للسكن . . و
 حذرنا بضرورة الإنتباه من الجرذان التي تأتي من الشط الى البيت عبر
 فتحة المرافق (المرحاض) لكونها وحشية و قد تهاجم . . و نبهنا الى ان
 التأسيسات الكهربائية للبيت قديمة و تتسبب بتسريب الكهرباء وقت
 الأمطار و تتسبب بلسعات كهربائية قوية (شبه صعقات) للماشي على
 الدرج الداخلي و للداخل الى المرحاض ان كان يحتذي حذاء رطب، و
 ضروري جدا اطفاء الكهرباء عند المطر، و اكد على ضرورة شراء
 اللاينات (جمع لايت) ذات البطاريات لإستخدامها عند اطفاء الكهرباء
 وقتذاك!!

استطعنا بما بقى لدينا من اثاث، فرش غرفتين للنوم في الطابق العلوي،
 بعد فرش الصالة المنخفضة التي تشبه السرداب حيث وضعنا
 التلفزيون، و غرفة الخطار ببقايا آثاثها، اضافة الى الطارمة المسقوفة
 المطلة على ساحة البيت الداخلية . . و بقيت ثلاث غرف في الطابق
 العلوي فارغة تماما.

في اليوم التالي زارتنا ام صلاح نيازي و رحبت بنا و قالت (اهلا و
 سهلا بكم . . غداكم حاضر و المعذرة عن التقصير، يستطيع الفتيان
 حمله لأنني اليوم وحدي في البيت) . . و في اجواء فرحنا باحتضان
 الجيران الجدد لنا و اهتمامهم بنا، ذهبنا انا و كريم و مفيد لحمل
 صحن الطعام الذي كان عبارة عن شوربة خضروات و بقول بلحم
 بقر مقلي اضافة الى الخبز و طرشي البيت . . و هي الشوربة الشهيرة
 باسم (شوربة زين العابدين).

و استلمنا في ذلك اليوم زير (بستوكه) طرشي من عائلة الطرشجي
 كتحية استقبال و مودة . . و زارنا في يوم تالي صبي مؤدب قال انه من
 بيت جيراننا المطل على النهر مباشرة، و انهم من عائلة الوتار
 البغدادية المعروفة، و اخبرنا بأن غداننا في الغد سيجلبوه هو و والدته
 و اخته . . و فعلا حملوا لنا الغداء الذي اعدوه و كان تشريب الباقلاء
 بالخبز و المكال بالبيض المقلي و معه النومي حامض الطازج المنظف

و المرتب بقشوره الذي صارت والدته ام عطور ترسله الينا بين جمعة و اخرى في اغلب ايام الجمع، و عرفتنا على نفسها بكونها ابنة خالة (مأرب) صديقة الخالة سعيدة في الجامعة و انها عرفت من نكون و ابنة من تكون امي، و انها عرفت بألم ما حصل لنا، رغم انها ليست سياسية و لا منحازة لأحد و كانت حزينة على مقتل الملك الشاب فيصل الثاني.

لم ننتبه نحن الفتيان للحديث عن الجرذان و تسريب الكهرباء، بقدر فرحنا و اهتمامنا بأننا صرنا نعيش في قلب بغداد و قريبين على اماكنها المحببة لنا آنذاك . . كنا نعبر جسر الشهداء مشيا لنصل الى سوق السراي و سوق الاقمشة و سوق دانيال الشهير ببيع انواع الدانتيل و الازرار (الدكم) التي كانت تحتاجها الوالدة في خياطة ملابسنا على ماكنتها سنجر.

من جهة اخرى بأن بإمكاننا عبور جسر الأحرار مشيا من محلة الكريبات المجاورة و مرورنا بسينما (ريجنت) التي سميت بسينما الجمهورية التي كانت تقابل (ملهى ليالي الصفا) . . بعبورنا الجسر مشيا حين كنا نصل بذلك الى شارع الرشيد حيث السينمات الشهيرة، من سينما الوطني الى سينمات روكسي و ريكس و سينما الخيام في الباب الشرقي . . و الى محلة السنك المعروفة. في العصاري و الأمسيات كان الناس في محلة الشواكة يتجمعون على طريق المشاة الإسمنتي القديم الموازي و المطل على النهر بمجاميع مجاميع يستمتعون بنسمات الهواء العليل الهابة من جهة الشاطئ، و هم يتبادلون شتى الأحاديث و خاصة ماكان يدور من اوضاع في البلاد و في المحلة، و كنا معهم . . هناك قدمني عزت النجار الى الأستاذ (ابو التمن) الذي كان معلما في مدرسة الكرخ النموذجية و كان يعمل في اوقات محددة في (شركة سفريات ابو التمن) الواقعة في ساحة الوثبة التي كان يصلها جسر الأحرار بعبوره للنهر . . و كانت الشركة الاولى آنذاك لنقل المسافرين بباصات مكيفة بين بغداد و دمشق و عمان . .

كانت احاديث الأستاذ ابو التمن ممتعة و هي متنوعة عن بغداد و عن بلاد الشام من جهة، و عن محلات و حوارى بغداد و عن ما كان يجري في البلاد من جهة اخرى، و كان يرسل تحياته لأبي الذي كان يعرفه و يشجعنا على سماع اخباره و آرائه و كان يرد على تحياته بأجمل منها. و لما عرف الأستاذ ابو التمن بهوايتي في جمع الطوابع، اهداني البوم كامل للطوابع العراقية في زمن الملك فيصل الاول و غازي و فيصل الثاني، و التي كانت مجاميع غالية مرتبة على هيئة سيات طوابع، قال عنها انها ستكون من اغلى الطوابع العراقية بعد سنوات.

و تعرفت على الفتى (منير) الذي كان اهله جيران بيت عمي في الكريمات، و كان يزور بيت خاله الكبير في الشواكة بشكل شبه يومي، و كانت تدور بيننا شتى الأحاديث عن الكريمات و الإذاعة و الشواكة و عن ملهى ليالي الصفا الصيفية المارة الذكر التي قال انها تقدم راقصات شبه عاريات يرقصن على مسرحها، و كان ذلك يثير رغبة كبيرة فينا في كيفية مشاهدتهن، و هل ان ذلك الخبر صحيحا في وقت كنا نخجل فيه من السؤال حوله . . الا انه بقي في اذهاننا و مناقشاتنا. ذات يوم اخبرني منير ان خاله اجريت له عملية جراحية في العيون و هو نزيل في مستشفى الرمد او التابع لمستشفى الرمد في البناية الداخلية المطلة من جانبها على حدائق ملهى ليالي الصفا و يمكن المرء من بلكونات غرف المرضى التفرج على العروض، و ان احسن شئ هو ان نزوره خلال رقوده حاملين اليه ماتعهده ام منير من اطعمة كان يسأل عنها و يطلبها و ان نحاول الجلوس في البلكون هناك و التفرج على الحدائق و العروض، و اننا نستطيع البقاء عنده الى وقت لابلأس به من الليل، لأن المستشفى او ذلك الجناح الراقد فيه كان اهليا . كان ذلك في فترة انتشرت فيها مطالبات المرضى و اطباء المستشفى بضرورة بناء مستشفى جديد للعيون في مكان يؤمن الهدوء للمرضى و للاطباء . . بسبب شكاوي المرضى من عدم قدرتهم على النوم بسبب

اصوات الغناء و الموسيقى العالية المنبعثة من الملهى الصيفي المجاور، و بسبب شكاوي الاطباء من تفتق جروح عمليات عيون المرضى اثر انفعالاتهم و هياجهم و ارتفاع ضغط الدم و العيون اثناء مشاهداتهم فعاليات ملهى ليالي الصفا من شرفات بلكوناتهم .

بعد يوم او يومين، ذهبنا انا و منير حاملين معنا قالب كيك و معجنات، الى خاله الذي كان اصغر خال، و بعد السلام و انواع الكلام، اخبرناه بماذا سمعنا عن الملهى و عن امكانية مشاهدة العروض من شرفة غرفته . فرح الخال الشاب بما اخبرناه، لأنه سمع بذلك ايضا و لكنه تصور ان الاطلالة على الملهى ممنوعة، و بعد مداولاتنا معه سأل معين الردهة الذي اجابه بأن لاشئ ممنوع و هو كمريض من حقه ان يرفه عن نفسه، خاصة و انه في جناح خاص يدفع ثمنه .

و فيما بدأت الموسيقى و اصوات الطبله تصدح في حدائق الملهى . . اطينا على الحدائق و على المسرح بالذات، فشاهدنا راقصتين ترقصان بملابس تشبه ملابس الرقص الشرقي و لكن كانت اكثر فاضحة كاشفة عن اجسامهن الرشيقه ذات الجاذبية . . كانتا ترقصان على انغام الأغنية اللبنانية الشهيرة آنذاك (يا ام الضفاير حلوي و الجبين العالي . . مضوي جمالك مضوي . . مشعشع بالليالي . .)، حيث كان برنامج الاسبوع او ذلك الشهر برنامجا لبنانيا .

و بينما كنا مشدودين للرقص و للراقصتين و الموسيقى و مشاهد الأغراء . . اقتحم المسرح رجالان كان احدهما شاهرا خنجرا و الآخر شاهرا مسدسا و حاولا سوق الراقصتين معهما و اختطافهما بالتهديد المباشر فيما كانتا تصرخان و تعيطنان طالبتا العون و الخلاص بانواع آيات الاستعطاف . . و لكن لم يتحرك احد من المشاهدين الغارقين بالسكر و بانواع المكسرات .

الا اننا شاهدنا و نحن غير مصدقين اعيننا . . شاهدنا عباس شكاره يدخل الحدائق و هو يصيح بصوت كالزئير:

- اتركوهن يا كلاب . . و الله هذوله بهالشكل من ظلم الدنيا و من الفقر .

. هذوله اشرف منكم و من عمايكم الدينئة . . اتركوهن !!! و الله و بالله
و تالله اذا ماتركوهن اسويكم مزق و انزعكم لبسانكم و ربي كما
خلقتني!!

و بلحظات دخل عدد من شباب الكريمات قادمين من النادي الرياضي
الصيفي القريب و المقام على جرف النهر بالحصران (جرداغ) . .
دخلوا كي لايتركوا عباس لوحده و كل حمل شيئاً بيده، من عصا او
قضيبي معدني (شيش) او او . . دخلوا كي لايتركوه وحيدا يقابل
مجرمين بدا عليهم انهم كانوا محترفين و معروفين لأهالي الكريمات .

و فيما ترك الرجالن الراقصتين، ارجعا اسلحتهما الى مخبئها في
ملابسهما و خرجا . . وكنا نحن نتساءل بيننا عن الشرطة و لماذا لم
تحضر او حضرت و لكننا لم نراهم؟؟ و هكذا انتهت تلك الأمسية و
نحن نتناقش في امور اخرى بين السياسة و الاخلاق و بهما معا .
بعد ايام و في تجمع جمعنا انا و محمود و منير و الاستاذ ابو التمن و
شوقي احد اقاربه الذي قال عنه الاستاذ بأنه كان مفوض شرطة في
مركز شرطة الرحمانية المقابلة لسينما بغداد و انه اكمل بعدئذ كلية
الشرطة و اصبح ضابط شرطة في الشرطة السيارة . . و تحدثت عما
حدث في ملهى ليالي الصفا و لماذا لم تتدخل الشرطة؟؟ قال شوقي:
- سمعت بالحادث و خلصهن السبع عباس شكاره، عمي هذوله الشرطة
تخاف منهم . . هذوله مجرمين و قتلة!!

و واصل شوقي:

- هذوله اكيد من عصابة (علي ماما)، اللي اطلعت و درست ملفاتها
المحفوظة في الشرطة . . و تبين ان هناك عصابات في بغداد تضم
انواع القتل و المجرمين و نزلاء السجون، اغلبهم من اولاد سفاح
(ابناء غير شرعيين) او من اولاد عوائل كان رب العائلة فيها مجرما
او نزيل سجون او اولاد من عوائل مفككة عادت لسكيرين و عائشين
على صالات القمار و سباق الخيل (الريسز) و في وقت لم يوجد في

البلد دور او مؤسسات رعاية و ارشاد لمثل هؤلاء الاطفال و الأحداث، و تركوا يواجهون مصيرهم . . فكان يستغلهم و يشغلهم عدد من الوزراء و اعضاء في مجلس النواب في العهد الملكي، كانوا يشغلهم كحمايات لهم و كتابعين للقيام بالاعمال الفذرة و اللاقانونية بحق سياسيين او منافسين او متخاصمين على مصالح و املاك، اي القيام باعمال من قتل و سطو على منازل و دوائر حكومية و اغتصاب، و يقومون بالمقابل بصرف اموال لهم و بحمايتهم و بتهريبهم من السجون، او يتركوهم لحالهم عند بروز شقي اقوى جديد. .
 و اضاف الاستاذ ابو التمن:

- كان هذا الاسلوب جاريا من قبل تأسيس الدولة العراقية، و اثر الحرب العالمية الاولى و سيطرة الانكليز على المنطقة و تأسيسهم للدولة العراقية بزعامة الملك فيصل الاول، حيث عمل مستشاريهم على تثبيت ذلك الاسلوب بنصحهم الإجرامي و توجيههم لرجال الدولة المواليين لهم و اذناهم بإتباعه، لمواجهة المعارضة و اخماد الانتفاضات الشعبية التي نظمها و اشعلها الأكثر ثورية و الواعون من الشعب، الذين حسبوهم او اطلقوا عليهم جميعا بكونهم شيوعيين، رغم ان الشيوعيين كانوا من اكثر الناشطين فيها و استعدوا ببذل الغالي و النفيس في سبيل الخبز و الحرية.

- نعم، ما اردت ان اقله ان اسلوب استخدام عصابات المجرمين في تحقيق الأهداف استمر به عدد غير قليل من الضباط و من ذوي نفوذ في المجتمع من اقطاعيين و اصحاب اراضي و تجار كبار و كبار رجال دين سعوا الى الهيمنة و المال، و وصل الى استخدامه من قبل سياسيين من الاحزاب القومية و حزب البعث . . في وقت صار فيه عدد من الناشطين الكبار في اجهزة الدولة يستخدموه و خاصة من الكبار في دوائر الشرطة و الأمن و الإستخبارات العسكرية. .
 ما اردت ان اقله عن عصابة (علي ماما)، فإن الجانب الكبير من الأحداث والشواهد معروفة و موثقة بالاختصاص في منطقة الكرخ فسكان

تلك المنطقة يعرفون ويتذكرون الحادثة الشهيرة للعصابة المعروفة في اوائل الخمسينات عندما اعتدوا بالهجوم والضرب بالسكاكين على احد ابناء العوائل الثرية ليلا وقاموا بتسليمه عندما كان مارا بالقرب من مدخل سينما (ريجننت) المقابلة لمهلى ليالي الصفا و القريبة من مدخل جسر الاحرار في منطقة الصالحية في بغداد وسلبوا منه نقوده وساعته وخاتم زواجه وما معه من حوائج ثمينة.

و هرع ناس من المنطقة لنجدته و اخبروا الشرطة في مركز الرحمانية و قامت الشرطة بالبحث عن الجناة و اقلت القبض عليهم في مقبرة الشيخ عمر و كانوا يتعاطون الكحول والمخدرات واشياء اخرى وعندها اصدر قاضي تحقيق الكرخ امر القبض والتوقيف بحقهم وثبت من التحقيق والتحري ان التهم الموجهة لهم هي عدة سرقات كبيرة حدثت في منطقة الرحمانية قرب سينما (زبيده) واعمال سلب ونهب في ساحة المتحف وفي منتزه المطار القديم المجاور للمحطة العالمية. وذكر تقرير الشرطة مع امر التوقيف من قاضي التحقيق لمنطقة الكرخ اسماء المجرمين و كان منهم كما انذكر:

علي ماما (رئيس العصابة)، طالب ابن ماهيه، خالد دونكي، حمودي الأقم، قيس الجندي، صدام التكريتي (وكان اصغره) و كان ممن شاركوا مؤخرا بمحاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم، " و وصفه فؤاد الركابي امين سر حزب البعث آنذاك في كتابه الشهير (الحل الاوحد) الذي صدر بعد سنين بكونه شقي من تكريت و قال فيه : (اختاريناه هو و شقي آخر اسمه عبد الله لكوننا كنا بحاجة الى اشقياء لتطعيم مجموعة الاغتيال) " . . و حكمت محكمة الكرخ على هذه العصابة باحكام متفاوتة وكان الحكم على صدام بالسجن لمدة سنة لصغر سنه قضاها متنقلا بين سجن الاحداث وموقف مركز شرطة الرحمانية

و بذلك الصدد يكاد يجمع باحثون و اختصاصيون و اجتماعيون مستقلون على سعي حزب البعث آنذاك لضم عناصر اجرامية اليه

لتنفيذ مخططاته التي بدأها بالإغتيالات و حرق المنازل و المصالح و مطاردة عوائل تعود لناشطين ديمقراطيين و يساريين و يضيفون الى انه، في فترة لاحقة خرج من السجن احد افراد عصابة علي ماما و ساعده الايمن وهو طالب ابن ماهيه ليلتقي مع صدام الذي صار اكثر خبرة من السابق في الاجرام و القتل و الاغتصاب، و عملا على توسيع و زيادة نشاط العصابة بعد ضم عناصر جديدة اليها. .

وحدثت الحادثة الشهيرة اللااخلاقية في مسرح ملهى الفارابي الذي كانت تديره المطربة المشهورة في ذلك الزمن لميعة توفيق . . حيث تم اغتصاب المدعوة بدرية محمد و على مرأى الناس على المسرح وتم ضرب المدعو سلمان توفيق شقيق المطربة لميعة توفيق وقيده على احد الكراسي وجرده من سلاحه و قطعوا خط الهاتف بعد ان رفضوا قطع التذاكر للدخول! الا ان احد الحضور استطاع الهرب و اخبر الشرطة في مركز البتاوين، و اصدر قاضي تحقيق البتاوين امر القبض عليهم بعد التعرف على اسمائهم و هوياتهم من صاحبة الملهى و هم كل من:

طالب ابن ماهية، قيس الجندي، جبار الكردي، صدام التكريتي، محيي مرهون المتهم الاساسي باغتيال ابو الهوب، باسم المعيدي، محمد فاضل الخشالي (الملقب ابو زكية)

وهنا حدث تطور في عمل هذه العصابة، بتكوين علاقة مع المحامي فيصل حبيب الخيزران الذي علق القضية، في وقت كان فيه المحامي الخيزران العضو القيادي في حزب البعث آنذاك يبحث لحزبه عن شقاوات من ذوي سطوة و افعال من خلال دوره كمحامي في الدفاع عن مجرمين و التعرف عليهم و عمله على اطلاق سراحهم بأية طريقة، و على طريقة تكوين عصابات المافيا الايطالية . . لتتطور العصابة و تتواصل اعمالها الإجرامية و لتصبح ذات نفوذ و سطوة كبيرة، و لتصبح بعد ذلك منظمة ارهابية اسمها (حنين) و ينظم اليها مجموعة جديدة من الشقاوات و المجرمين، برز منهم:

- ١- ناظم كزار لازم (الملقب بساطور المنظمة)
- ٢- المرعب في عناصرها المجرم الملقب (ابو العورة)
- ٣- جبار محمد الكردي (الملقب جبار كردي واخوانه ستار وفتاح كردي)
- ٤- سعدون شاكر العزاوي
- ٥- وهاب كريم

- ٦- رزاق لفتة
 - ٧- فاضل الشكرة
 - ٨- محمد فاضل الخشالي
 - ٩- محي مرهون، وهو أحد أبرز نجوم المسرحية الاجرامية التي عملتها المخابرات الصدامية في بداية السبعينات وقتلوا فيها من يريدون قتلهم سواء من معارضين او منافسين او مواطنين ابرياء اختيروا ليكونوا عبرة لآخرين . . المسرحية المعروفة بحوادث (ابو طبر). .
 - ١٠- علي رضا باوه
 - ١١- صدام التكريتي
- و يضيفون الى ان منظمة (حنين) التي كان يتبجح صدام بانشائها لها تاريخ حافل بحوادث القتل و الإجمام والاعتصاب والاعتقال والسرقة والتجاوز على الحرمات و اعمال التعذيب في السجون لصالح من يدفع اكثر ممن كانوا يحكمون، وان عناصرها من اصحاب الشذوذ الجنسي وتربية الكراجات، و تسببوا بمقتل و تصفية المئات و ما رافقها من الغدر والبشاعة والارهاب الذي لم يكن له مثيل، حتى يصعب على من لم يشاهدها ان يصدقها.

اضرابات عمالية

كانت الحياة اليومية في محلة الشواكة تسير بشكل هادئ و كانت العلاقات بين ساكنيها من مختلف المكونات ودية تسودها المحبة و التعاون، و كان الشباب في ايام الصيف مشغولين بأنواع الرياضات و كانوا يشكلون نوادي رياضية بكل الوسائل الممكنة و المقبولة ماديا و معنويا . . فانشغلنا في ذلك الصيف بالسباحة، حيث تسجلت في مسبح المعارف الكائن في حدائق معهد الفنون الجميلة، فكان علي كل صباح باكر ان استقل الباص الواصل بين ساحة الشهداء و باب المعظم ثم باص باب المعظم - راغبة خاتون لأصل الى معهد الفنون في الكسرة بالساعة السابعة صباحا .

ثم سجلنا الوالد انا و محمود و كان معنا محمد ابن الجيران . . سجلنا عند مدرب سباحة في شريعة الشواكة (جرف و مرفأ البلامة و الزوارق النهرية في الشواكة)، كان مدربا ماهرا و حازما و تعلمنا السباحة على يده كما يقال بمساعدة كرب النخيل المعد لذلك من كرتين اثنتين الى كربة واحدة و الى نصف كربة و الى السباحة الحرة دون معين و دون كرب . . و تعلمنا طرقا اخرى في السباحة دربنا عليها بتبرعه و اثناء سباحته هناك، السباح الدولي (كريم النواب) اخو بطل مسابقات كابري - نابولي العالمية (بدري النواب)، الذي كان يلقب بـ (ابو هيف العراق) نسبة الى بطل السباحة العالمي السباح المصري (ابوهيف) آنذاك .

و في تلك الشريعة كنا نصيد السمك باكياس الجففاص (الكواني) التي كنا نمسك الكيس كل اثنين من جانب و نخوض به مياه النهر و كنا نحصل على اسماك صغيرة قرشية، كان قسم منا يأخذها الى منزله لتربيتها و قسم آخر ينظفها و يأكلها بعد تمليحها و شويها عند الجرف او في البيت . . كانت رياضة ممتعة . . الا اني حرمت من الدرجة

الهوائية في منطقة ضيقة الطرقات التي كانت في اوسطها سواقي عريضة لمياه الصرف الصحي التي تزحلق الدراجة من جهة، لتأتي بعدها الشوارع العامة المليئة بسير انواع السيارات و الناقلات و بارصفتها المزدحمة بالناس عادة، من جهة اخرى .

و انشغل والدي بالبحث عن مدرسة ابتدائية لأكمل الصف السادس المنتهي هناك، و بحث عن امكانية النقل من تطبيقات دار المعلمين الابتدائية النموذجية في الأعظمية الى مدرسة المنصور النموذجية المقابلة بحداثتها للاذاعة او الى مدرسة المأمونية النموذجية في الكرخ - الارضروملي في منطقة سينما قدرتي التي كانت تعمل فيها الست ام مهين الجارة المسيحية الطيبة الساكنة في دربونة الدفكري . . و لكن دون جدوى لأنها جميعا كانت مزدحمة و لديها اعداد زائدة و لا تتمكن من قبول تلميذ غريب جديد من محلة اخرى في طرف بغداد الآخر . .

الى ان حلت المشكلة بتدخل اسطه مهدي الكبابجي ! الذي كان يوصف بكونه اهم من المختار بسعة معارفه و اقاربه و محبيه، اضافة الى ثقة الناس به و علاقاته الحميمة في المنطقة .

حيث اشار اسطه مهدي الكبابجي الى ان مدرسة الشواكة الابتدائية القريبة من سكننا، الى كونها مدرسة جيدة و مديرها و المعلمين من اهل المنطقة و معروفين بكونهم من الناس الطيبين و خاصة مديرها (عبد الرزاق خطار) و المعاون الطيب (الأستاذ النجاتي) المعروفين بكونهم ديمقراطيين و (ابناء اصل) كما قال . . و فعلا انتقلت الى مدرسة الشواكة .

كانت المدرسة عبارة عن بيت شرقي قديم تملؤه الرطوبة، و على ضيقه كان الاصطفاص الصباحي اليومي يجري في الباحة الداخلية، اضافة الى استعراض الكشافة الاسبوعي ببوقهم الصباحي، و كانت في الباحة في طارمة مسقوفة هناك، منضدة كبيرة وفق القياسات الاصلوية لكرة المنضدة. و كانت المدرسة تعج بأنواع النشاطات و يسير دوامها بانتظام رغم وجود مدرسة اخرى تشاركها نفس البناية و تجعل الدوام

على مرحلتين، الدوام الصباحي و دوام بعد الظهر . . و كنت الاحظ الفرق الهائل بين مدرسة التطبيقات النموذجية في الاعظمية بدائقها و مرسمها و مدرسة الشواكة، و كان يصيبي ذلك بالحزن، و بتساؤلات تدور عن لماذا أجبرنا على الانتقال الذي كان و كأنه تهجيرا بالقوة من محلة بروابطها و اهلها و الاصدقاء الى محلة اخرى تماما . . ؟؟

كنا ننتظر بشوق درس النشيد و الموسيقى الذي تناوب عليه الملحن الذي اشتهر في السنين اللاحقة (محمد جواد اموري) و الموسيقي (فكري بشير) ان لم تخني الذاكرة في اسمه الاول و هو اخو الموسيقار العراقي الشهير (منير بشير) . . حيث كانا يحاولان تدريبنا على سماع و تقليد الالحن و ضبطها، بعزفهما على الكمان مع الإنشاد و ان يكون الإنشاد متناغما مع اللحن و الموسيقى.

من جهة اخرى، حرص معاون (الاستاذ النجاتي) و كان اكبر المعلمين سنا و وجها بارزا للقائمة المهنية الديمقراطية للمعلمين . . حرص على التعرف على كل طالب شخصا و الطالب منه بمراجعته عند مواجهته في حالة اية صعوبة قد يواجهها . . و كان اهتمامه بالطلبة الفقراء و مساعدتهم بكل الوسائل الممكنة من الملابس الجيدة و الى الحقائب و الدفاتر، اضافة الى لهجته الابوية الحنونة و بحميمية كلامه في طرح المواضيع و التوجيهات . . كانت تقرب عموم الطلاب منه و تجعلهم يحبونه و يعتبرونه ابا ثانيا و كان قسم يقده و يطبع توجيهاته .

و هنا مررت بموقف لم انسه في حياتي كطالب . . حيث جاءنا مطبق في درس اللغة العربية عرف عنه انه كان من المعلمين التقدميين الديمقراطيين . . كان حريصا على افهامنا مايريد طرحه لنا كمعلم و لو بالتهديد و الإستهزاء ممن لم يفهم ! و كان قد اعطانا موضوعا عن (صيد الدراج) لكتابة موضوع إنشاء عنه .

الا انه و كأنه صعق من مواضيع الطلاب و صار عصبيا و صاح بنا:
 - انتم اغبياء . . سرسرية!!!

شعرت بالإهانة و كأنه يوجه الشتيمة لي و اجبته:
 - احنا لا اغبياء و لا سرسرية!!
 - اغلق فمك و اجلس في مكانك ! و كان و كأنه يتهياً للهجوم علي او
 لضربي.

لم اجلس و انما تركت الصف راكضا الى غرفة المعاون (الاستاذ
 النجاتي) الذي تفاجأ بدخولي عليه دون استئذان و تفاجأ بمظهري و
 اصفرار وجهي و كنت الأول على الصف حينها، و قال:
 - ادخل ابني . . . شنو القصة ؟؟؟
 و جاء المطبق بعدي مباشرة و تفاجأ بإشارة الاستاذ النجاتي له بأن
 ينتظر و ان يعود الى الصف و طلب مني بهدوءه ان اقص عليه ماحدث
 . . . و حدثته بذلك و قال:
 - ابني . . المعلم كالأب او كالأخ الكبير و على الطالب احترامه و
 اطاعته.

- لم اسمع من ابني كهذا الكلام بحقي!
 - ابني . . ابوك رجل محترم و طلابه الآن معلمين و كثير من المعلمين
 يتخذوه كقدوة لهم . . في سبيل كلمة و موقف عانى و يعاني من محاولة
 قتله من اشرار فاسدين الى حرقهم لبيبتكم . . لا مجال للمقارنة. احنا ولد
 هالمجتمع اللي بيه الطيب و بيه الشرير ابني، يعني هالاشرار و
 العنيفين و الانفعاليين هم ايضا ولد مجتمعا . . لانعرف عوائلهم و لا
 ظروفهم كيف ولدوا و كيف عاشوا و ماذا عانوا حتى صاروا ينادون
 بالتغيير و الثورة . . لا نعرف ما في داخلهم. .
 - لكن يقولون عنه انه ديمقراطي ؟؟
 - ابني ان يكون الإنسان ديمقراطي ليس بقراءة الكتب لوحدها . .
 التقدمية و الديمقراطية هي خلق في التعامل مع الناس و الوقوف الى
 جانب الحق و العدل، الناس تحترم الديمقراطيين لأنهم يضحون بكل
 غالي و حتى بارواحهم في سبيل حرية الشعب و حياته الكريمة . . و
 لدينا في مجتمعنا الشرقي منبع الأديان، لدينا القرآن يعلم على الخلق

الفاضل، و رجال الدين الأفاضل المشهود لهم بالنزاهة و محبة الناس، تحبهم الناس و تطيع مايشيرون به، و هم غير رجال الدين من الذين يتاجرون بالدين للحصول على منافع انانية بالخداع او بالقوة و يقول تعالى في كتابه الكريم (وجادلهم بالتى هي احسن) و (لا إكراه في الدين) . . اضافة الى ماتعلم به كتب النظريات و الفكر الإنساني التحرري . . لايكفي ان يقال ان ذلك تقدمي او ديمقراطي بكلامه الا بالتجربة الحياتية معه و التعامل معه . . هسه ابني تروح للصف و تعتذر من الأستاذ!

- لكني لم اخطأ ، هو المخطئ بشتائمه على طلابه!
 و بعد صمت بدى عليه انه يقلب افكاره قال الأستاذ النجاتي:
 - ابني تروح هسه للبيت و من الغد تلتزم بالحضور و في حصة المطبق تأتي الي لأذهب معك بهدوء و كأن شيئاً لم يحصل و تواصل بالحضور للصف . . سلامي لوالدك ابني.

في فجر صباح احد الأيام سمعنا اصوات اطلاقات نارية تأتي من جهة الشط و لم نستطع تحديد مصدرها . . و خرجنا الى طريق المشاة الممتد على طول النهر و وجدنا ابرز وجوه المنطقة متجمعين هناك و يتبادلون الاحاديث عن اضراب عمال السيكاير في معامل دخان عبود الواقعة في الكسرة في طريق يمتد بمحاذاة البلاط الملكي القديم . . و تبين ان عددا من الحاضرين كانوا يتابعون احداث الإضراب و هم في نقاشات متنوعة:

- اضراب العمال هو للمطالبة برفع الأجور في معامل (حكومية) . . و هو حقهم الطبيعي وفق آليات عمل الإتحاد العام لنقابات العمال، لكن ان تصل الامور الى اطلاق الرصاص على العمال المضربين فهذه جريمة جريمة!!

- اطلاق الرصاص لم يبدأ اليوم . . بدأ منذ بضعة ايام و لكن كان

اطلاق رصاص متفرق و ليس كثيف كما يحدث اليوم. .
 و قال الاستاذ ابو التمن:

- مر علينا في الشركة (الأستاذ عبد القادر اسماعيل) القيادي المعروف في الحزب الشيوعي، اثناء تفقده لمكتبة الأنوار التقدمية الشهيرة القريبة من الشركة، و التي يديرها الكادر (يعرب البراك)، اثر الهجوم الذي حصل عليها امس من عصابات تسببوا في حرقها و حرق مئات الكتب فيها، و قال اسماعيل ان اضراب عمالي بدأ قبل شهر في احد معامل النسيج في الكاظمية حيث كان العمال يطالبون بزيادة الأجور و تحسين اوضاع العمل و العطل و الضمان الصحي و ان يعترف باللجان النقابية قانونيا لتلعب دورها، و هي مطالب عادلة، و انتشر الاضراب الى كل معامل النسيج هناك، الأمر الذي جنن الزعيم عبد الكريم و امر الإنضباط العسكري بكسر الإضرابات بالقوة، و قد عملت اللجنة المحلية للحزب هناك على التفاهم مع العمال بإنهاء الاضرابات قبل ان تكسر بالقوة، و وعدهم بأن الحزب سيتابع امر تحقيق مطالبهم بالتفاهم مع مكتب الزعيم و الحفاظ على العلاقة الطيبة معه من جهة، و التفاهم مع اصحاب المعامل من جهة اخرى . . فخلدوا الى الهدوء منتظرين تلبية مطالبهم التي لم تنفذ الى الآن، و تفاجأ الزعيم باندلاع اضراب عمال السيكاير و قرر ايقافه بالتهديد باستخدام القوة، الا انه لم يتوقف فارسل وحدات من الإنضباط العسكري لإنهائه بالرصاص، الا ان صمود العمال و مقاومتهم بالحجارة اطال الإضراب رغم سقوط عدد من العمال جرحى بسبب استخدام القوة. .

- لماذا لا يلبي الزعيم مطالب العمال؟؟

- لأنه لا يريد توسيع جبهة اعدائه كما شار له مستشاريه، لرفض اصحاب المعامل لتلك المطالب. .

- زين ليش مايعلن الحزب تضامنه مع مطالب العمال مباشرة او عبر نقابات العمال حيث نفوذه الكبير فيها خاصة و انه يعلن عن كونه (حزب الطبقة العاملة)؟؟ يعني يجوز موسكو ترفض لأنها تؤيد الزعيم

او بسبب سياسة خروشوف في التعايش السلمي و عدم تصعيد الصراعات الطبقيّة التي اقرها المؤتمر العشرون لحزبهم عام ١٩٥٦ ؟؟ . . او لتشجيعهم العراق للانضمام الى منظمة دول عدم الإنحياز التي دعت لها و تقودها : يوغسلافيا تيتو، الهند انديرا غاندي، مصر عبد الناصر و التي اغضبت الغرب و خاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

- بس موسكو شنو دخلها ؟؟
 - لأنها تقود الأحزاب الشيوعية في العالم .
 - بس مو الى هذا الحد .

- احسن شئ سياسة الصين الشعبية التي تدعو الى تصعيد الصراع الطبقي ضد الرأسمالية الأمريكية و الغربية في انحاء العالم .
 - الاسبوع الماضي جرت مظاهرة تندد بأميركا و عقوباتها و تهديداتها ضد يوغسلافيا الإشتراكية و ضد زعيمها تيتو، و كان اغلب المشاركين من الديمقراطيين و اليساريين و رفعوا شعارات تندد بأميركا و رددوا " كلنا تيتو . . كلنا تيتو !! " . . يعني اكو شيوعيين على خط تيتو ؟؟

- يعني احنا ربعنا على اية سياسة يسرون ؟ السوفيتية او الصينية او التيتوية ؟؟

- السوفيتية . . لذلك يشاركون في مؤتمرات الاحزاب الشيوعية و العمالية في موسكو، الذي تقاطعه الصين و حزبها الشيوعي .
 - زين احنا شنو دخلنا بصراعاتهم ؟؟ نشكل حزب عراقي للفقراء و يناضل من اجل حقوقهم، و شعبنا و شبابنا عندهم كل الطاقات لتحقيق اهداف على ذلك الطريق، و احسن امثلة على ذلك هو و عيهم و شجاعة نضالاتهم ضد الملكية و ضد الإقطاع و ضد الحرامية الكبار المتعاونين مع الإستعمار، و كانت اوسع الجماهير تؤيدهم و تشارك في نضالاتهم ان دعوا لها .

- عزيزي ما تشوفون حدة الصراعات عندنا ؟؟ . . كل دعوة للتقدم و

الحرية و الثقافة و المعرفة و الخير للبلاد و لأبنائها و بناتها تواجه بالحديد و النار و القتل، في بلادنا الغنية بالثروات الارضية الطبيعية و بالزراعة و انتاج القمح و الخضار و المياه و بالشباب النشيط . . تواجه بالعنف من الدول الإستعمارية و دول الجوار اللي تتصارع بينها للإستحواذ على البلاد و تعمل بكل الطرق لتجند ناس و احزاب لها و تبت انواع الدعايات و الأراجيف و المخاوف على ادياننا و مذهبنا بين شعب مضيع فقير، تدنى و عيه بسبب افعالهم المشينة و بالقوة بتكريسهم للجهل و الفقر و المرض . .

الدعايات التي تحذر من خطورة نشاط اي حزب ينحاز لقضية الفقراء بشكل جذري و يثلم عروشهم بل و يحرضون على قتل ناشطيه و ملاحقتهم لكونهم كفار و ملحدين و اباحيين، لكونهم يقفون ضد ارادة الله و رزقه لمن يشاء كما يدعون ؟؟ . . و عندنا كبار الإقطاعيين و كبار ملاك الارض و رؤساء العشائر يتحكمون بمصير و ارواح الناس باسم الدين و المذهب و اكثر من هذه تجد رؤساء عشائر نصبوا انفسهم ملالي و ائمة دينيين على عشائرتهم و عشائر جيرانهم و على اقوام بكاملها، وفق وثائق و شهادات مزورة مدفوعة الثمن بكونهم من سلالات انبياء و اولياء طاهرين و بكونهم ليسوا بشر و انما مقدسين مرسلين من السماء .

فأي حزب ينوي و يعمل على التغيير الثوري للمجتمع يحتاج الى من يساعده من احزاب و قوى وطنية داخلية و شخصيات اجتماعية لها نفوذها و مكانتها المحترمة في المجتمع، و من دول الجوار و العالم، ليؤمنوا له و لنشطاءه المساعدة في نشاطاتهم، من اعلام و طباعة و نوع من الحماية و تأمين الهاربين من الملاحقات البوليسية، اضافة الى نشر اخبار عن حقيقة مايجري الى العالم و تحقيق تضامن احرار العالم معه، و الى تبادل تطورات الفكر و الخبرات، خاصة و ان هناك قوى ثورية تقدمية مثلنا في منطقتنا و في العالم . . و هي مساعدات متبادلة و ليست تبعية كما يفهمها قسم من الحزبيين و من الناس، بسبب قلة

وعيهم و جهلهم و حتى البعض منهم صاروا قادة سياسيين من طامحين للشهرة و للمنافع الانانية.

- في كل الاحوال احنا نضالنا انساني يهدف الى التحرر و الديمقراطية و بالتالي الاشتراكية و العدالة الإجتماعية و الى انهاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان . . لذلك احنا مع كل فكر و خط سياسي يمكن ان يحقق انتصار لبلادنا على ذلك الطريق، او ان يحقق الإنتصار للشعوب و للبشرية كي تخلق ظروفًا افضل لنجاح قضيتنا.

و كانت تلك النقاشات تستمر و تتواصل كل مساء في تقليب انواع الطروحات و الأفكار، و تتأسف على ضعف اهتمام الحزب الشيوعي بالاضرابات و القضايا العمالية و ضعف رعايته لها، لأنه سيضعف النضال من اجل الديمقراطية في البلاد و ضد تفرد الزعيم عبد الكريم الذي يتزايد و الذي سيجعل منه دكتاتورًا .

و قد اشار مؤرخون و سياسيون بعد سنين الى ان تذبذب سياسة الحزب الشيوعي ذو الجماهيرية و الشعبية الواسعة آنذاك . . تذبذبها بين تأييد الزعيم و بين الإنتقاد الخجول لسياساته و لإسلوبه في الحكم الذي ادى الى عدم او ضعف الوضوح لدى اوسع الأوساط الشعبية و الى ملاحقة و اعتقال المئات من ناشطي الاحزاب الوطنية، بضمنها حزبه و مناضليه الذين أعدم عدد منها، و الى ان تلك السياسة المتذبذبة، بكونها كانت تعود الى الصراع في قيادة الحزب، بين التأييد الأعمى للزعيم و بين الدخول في صراع ضده .

الصراع الذي ادى الى ابعاد سكرتيره العام سلام عادل عن مسرح الأحداث و الى طرح سياسة (كفاح تضامن) و ان المرحلة ليست مرحلة (لا) بالكامل و لا (نعم) بالكامل و انما مرحلة (النعم و اللامعا) . . السياسة التي ادت الى ضبابية الرؤيا بسبب صعوبة تقرير الـ لا و تقرير الـ نعم لقرارات الزعيم، ايها لا و ايها نعم !! في مجتمع و احزاب الخمسينات و الستينات و درجات معارفها و وعيها و درجات وعي و معرفة قياداتها آنذاك، في مناخ الحرب الباردة التي كانت تسود

العالم، مناخ انتصرت فيه ثورات في اعداد متزايدة من دول المستعمرات، التي قام بها عسكريون او حركات كفاح مسلح، و التي كانت تتناقلها الإذاعات و تثير حماس الشعوب للنضال و العمل من اجل الخبز و الحرية و التقدم. و اشاروا الى انه فيما ادت تلك الضبابية الى النقاشات الحادة للتوصل الى الموقف الصحيح من الأحداث، داخل الحزب و النقابات . . فإنها ادت الى تفاوت المواقف و اختلافها بين منظمات و اخرى على اساس ماهية المواقف الصحيحة التي كان يقررها ما كان يتحقق فعلا من مكاسب حقيقية على ارض الواقع للكادحين، بتقديرهم . . و لم تستطع قيادة الحزب ان توحيدها و كان لها نتائج متنوعة .

منها تصاعد دور نقابات و منظمات بعينها في معارضة قرارات مكتب الزعيم و بالتالي اختلافها مع قيادة الحزب، على ارضية غلبة افكار كيفية تحقيق الجماهير الكادحة و الجنود لإنتصار ثورة اكتوبر الإشتراكية عام ١٩١٧ اثر ثورة شباط الديمقراطية في نفس العام، التي جعلوا من ثورة ١٤ تموز و كأنها ثورة شباط أنفة الذكر في روسيا و كأنما الامور ستجري ميكانيكيا كما جرت في روسيا القيصرية المترامية الأطراف و المتعددة القوميات و الثقافات، دون حساب الفروق في ظروف البلدين و واقع الشعب العراقي و الشعوب في روسيا القيصرية آنذاك. في وقت سعت فيه القوى القومية و البعثية الى محاولة قلب نظام حكم عبد الكريم بإنقلاب عسكري بدعم نظام عبد الناصر في القاهرة.

و قد توضحت سياسة الحزب بعدئذ اكثر و استطاعت ان تلف اعداد متزايدة من المنظمات حولها، اضافة الى تحسن العلاقة مع النقابات العمالية، و الجمعيات الفلاحية التي بدأ يتنفذ فيها عدد من اغنياء الفلاحين . . اثر عودة سكرتيره العام سلام عادل الى لعب دوره، و عمله على تشكيل هيئة للاحزاب الوطنية و دعوته الى اللقاءات الدورية بينها لتحديد وجهة وطنية واسعة للإصلاح، تعمل على اساس سن

دستور دائم للبلاد و البدء بالتحضير لإنتخابات وطنية. .
الدعوة التي لم تستجب لها الأحزاب سوى الجناح اليساري للحزب
الوطني الديمقراطي - ناجي يوسف، و الحزب الديمقراطي
الكرديستاني، فيما ازداد تقرب الأحزاب و القوى القومية و البعث من
الدوائر المحيطة بالزعيم، في اجواء بدأت الناس فيها تحس بتجمع
غريان و سحب سوداء على البلاد، اثر صدور قانون تأميم النفط رقم
. . ٨٠

محطة لسنوات مريرة

و استمرت فترات نهاية ذلك الصيف على تلك الوتيرة و الاوضاع و الى تصاعدها و تبلورها اكثر و خاصة على الصعيد السياسي و تقلباته و انحدراته، الذي كان يؤثر على كل اوضاع و ظروف الحياة بأصعدهتها المتنوعة و علاقاتها في بلادنا، من عموم البلاد الى حياة العاصمة و حواريتها و ناسها بفسيفسائهم المتنوع . . حتى صارت الحديث اليومي للناس و مثارا لأنواع المخاوف .

و في ظروف عائلتنا المادية الصعبة تلك، انشغل الوالد بتربية الدجاج للحصول على البيض الضروري لحياة العائلة و الأطفال و الذي كانت اسعاره تتصاعد بشكل لامعقول، و انشغل بمتابعة و دراسة انواع الكتب عن تربيتها، ساعده في ذلك اصدقاؤه المقربون الذين جمعهم نفس الفكرة، من عبد الحكيم نعمان (حكومي) اخو د. عبد الصمد و الى الوجه الاجتماعي المعروف المربي جاسم الرجب اخو الحاج قاسم الرجب صاحب مكتبة و دار نشر المثني و الى ابراهيم شيخ رشيد الأعظمي، حين شكل الجميع ما كان يشبه المجتمع الصغير بلقاءاتهم الإسبوعية التي كانت تتناول الشؤون الإجتماعية و تبادل الخبر في تربية الدواجن.

اضافة الى مناقشة تطورات الاوضاع السياسية التي كانت تزداد تعقيدا و خطورة، حيث استمر تزايد نفوذ القوى القومية و البعثية و قيامها بكل مايشق وحدة الصف الوطني بكل الوسائل، بدل اللجوء الى التفاهم، اضافة لإستخدامها العصابات الإجرامية المأجورة . . و استمرت في ممانئة و محاولات التقرب للزعيم على حساب مواقع الضباط الديمقراطيين و الحمائيات و تزايد دورهم في الشرطة خاصة و بقية القوات المسلحة، و كانت تجري بخطط قام بها ضباط كبار و متنفذون

مقربون من الزعيم، الذي كان قلقا على زعامته من مخاطر الأحزاب و نفوذها و خاصة من اليسار. في وقت شدد فيه الزعيم و حكمه العسكري من ضغوطه على اليسار و من تقريبه الجهات القومية لخلق توازن بين الطرفين كما تصور هو، حيث اصدر عدة قوانين جرى فيها تسريح المئات من الضباط الأكفاء من الديمقراطيين بإحالتهم على التقاعد من جهة، و تصعيد الضباط القوميين و البعثيين، سواء بالرتب او بالمواقع الإدارية، حتى جرت خطط لتعيين ضباط قوميين كمساعدين او كوكلاء او نواب، للضباط القادة ان كانوا يساريين او من اصدقاء اليسار، و كان ابرزها التي صارت حديث الشارع، تعيين الضابط البعثي المقدم عماش وكيلا لقائد القوة الجوية زعيم الجو الركن جلال الأوقاتي، علما ان عماش كان ضابط مشاة!!

من جهة اخرى بدأت تنتشر اخبار عن ولاءات لعدد من الضباط الكبار ليس للقيادة العسكرية و انما للمرجعية الدينية العليا للسيد محسن الحكيم الذي بدأ ينشط سياسيا ضد اليسار في اول خرق كبير لمسار المرجعية العليا الذي دأبت عليه منذ مئات السنين بعدم تدخلها بالسياسة و عدم الإنحياز لطرف سياسي داخلي ضد طرف آخر حفاظا على الوحدة الوطنية.

حيث انتشر خبر تسويق او عدم تنفيذ اوامر الزعيم من قبل العميد حميد الحصونة قائد الفرقة الاولى التي غطت ساحة عملياتها عموم المنطقة الجنوبية، حيث لم ينفذ الاوامر بوضع الفرقة في حالة الإستعداد، اثر المفاجأة في خطاب الزعيم الذي اعلن فيه عائدية الكويت للواء البصرة و وضع الفرقة الأولى في حالة الإستعداد، حيث لم ينفذ الإستعداد تنفيذا لأمر المرجعية العليا للحكيم في النجف، في وقت طارد و اعتقل فيه افراد شعبة استخبارات الفرقة المذكورة من كان يبيع او ينشر علنا جريدة (اتحاد الشعب) لسان حال الحزب الشيوعي، او نشرياته و مطبوعاته.

ذلك الأمر و غيره كانا يشيران الى زيادة توسع و انتظام الجبهة المعادية لليسار و الديمقراطية و المعادية للزعيم ذاته، و كانت تثير قلقا حقيقيا بين عموم القوى التقدمية و اوسع الأوساط الشعبية الكادحة آنذاك . . التي كانت تحذر من محاولات انقلاب عسكري لن يبقي و لن يذر .

و انتشرت اخبار عن انذارات في ايام او اسابيع، كانت توجهها قيادة الحزب الشيوعي لمنظماتها بالإستعداد لإفشال او مواجهة محاولات انقلاب عسكري تقوم بها قوى تزداد تقاربا و تنسيقا، مع شركات النفط و ايران و الى الكويت و مرجعية السيد الحكيم في النجف و الاقطاع و القوى البعثية و القومية الناصرية .

انذارات وجهتها القيادة بضوء (معلومات خاصة) كانت تصلها على حد تعبيرها، الا ان تلك المواعيد للإنذارات لم تكشف عن وقوع تلك المحاولات و افشالها . . حتى اخذت منظمات الحزب التي وضعت نفسها بالإنذار في البداية بكل حماس و لكن دون جدوى، فاخذ يفتر حماسها و يضعف ثقتها بالقيادة على ذلك الصعيد.

و بعد مرور سنين و بنتيجة دراسات قام بها عدد من الباحثين الجادين و عدد من قياديي الحزب اللاحقين . . افادوا بأن تلك الإنذارات عن مواعيد انقلاب ما، بأنها كانت نتيجة ما سربرته بعناية و دقة كبيرة دوائر خارجية عالية المهارة لإحداث خدر في منظمات الحزب الشيوعي، وفق ماخططت له من اجل انجاح القيام بثورة مضادة تجهز على كل المكتسبات الشعبية و التقدمية التي قامت بها ثورة ١٤ تموز و رجالها، و لتضمن لها الرجوع بالاوضاع و بعقود الاتفاقيات الى ماكانت عليه و بشكل اكثر صرامة قبل ثورة تموز ١٩٥٨.

في تلك الفترة صار عندنا في البيت دجاج بياض (الذي يضع البيض بانتظام) العائش مع ديكة المجموعة في بيتونة السطح و يتجول في

السطح عند فتح ستارة البيتونة المكونة من نسيج سلكي واسع الفتحات والمستعمل بكثرة في عمل اسيجة الحدائق، و وجبات صغار الدجاج و افراخ الدجاج (الكتاكتيت) التي وضعناها في غرفة صغيرة في الطابق الثاني، كانت معدة لمؤونة البيت و التي بقيت متروكة في وقتنا . . و هكذا توفر البيض عندنا في وقت تصاعدت فيه اسعاره في السوق و تسببت بمشاكل معيشية حقيقية خاصة للعوائل محدودة الدخل. من جهة اخرى، كان نوم السطوح قرب النهر و اعداد شربات الماء (تنك الماء) و وضعها على سياج السطح يتميز بنوع من الفرح و بشاعرية خاصة بتوفر ماء شرب بارد في قيض الصيف . . حيث كان العديد من الجيران في الأماسي يجلسون عند السطوح و يتحدثون بانواع الأحاديث سواء كانت عما دار في ذلك اليوم او عما كان يدور في المحلة و في عموم البلاد .

و كثيرا ماكانت انواع الضحكات و الشهقات و الصيحات العالية تتصاعد عن حدث ما سواء كان مفرحا او فضائحيا او كان يدور همسا و تصاعد فجأة، او عما كان يعرض التلفزيون الذي كان عدد من الجيران يحملوه معهم الى السطوح، يشاهدون البرامج و هم يكرزون انواع الحبوب او يتناولون اشياف الرقي التي وضعوها على السياج لتبرد قبلئذن.

بل و شكلت السطوح اوقات العصر و المغرب، في محلات بغداد الأصلية و القديمة و كأنها عالما آخر فإضافة الى قصص العشق و الهيام في السطوح في الأماسي . . هناك قصص اخرى في الظهاري الحارة وقت الصيف حين تخلو السطوح بسبب الحر اللاهب، و التي صارت عناوين لروايات و كتب و دراسات وصولا الى . . (حب في السطح)، (رسائل السطوح)، (قبلات في السطح) و الى (مفاجآت في السطوح)، (جريمة في السطح) و غيرها و كأنها تروي قصصا عن عالم آخر.

و بتغير مساقط سطوح الشمس بمرور الصيف، أخذت اشعتها تسطع

جزءاً من حياتنا اليومية تلك . . العجيب ان الوضع هنا قد اختلف و صار الجرذ هو الذي يخيف الهر و يركض وراءه و كأنه وجد طريقة ما . . . و ازداد عدد تلك الجرذان . كانت الجرذان تغطي بيوت المنطقة المطلة على النهر . . و كانت تخرج عادة في البيوت عند الخريف من فتحات المجاري التي تصب في النهر . . بحثاً عن الدفئ، كانت كبيرة الحجم تدخل من فوهات انابيب المجاري المفتوحة على النهر و تسير عبرها الى اماكن الدفئ من فتحات التواليتات و البالوعات، و تتسبب بخوف و رعب عند الأطفال خاصة و عند والديهم خوفاً من مهاجمتهم للاطفال الرضع، حيث انتشر خبر عن جرذان هاجموا رضيع و قتلوه بعد ان نهشوا لحمه .

و تذكرنا احاديث عزت ابن بيت النجار عن بيت خاله و خوف زوجته الشابة من تلك الجرذان حتى صارت تبول على ملابسها ان رأتهم و لذلك انتقلوا من المحلة، و احاديثه عن صنف ذي خط اسود على طول ظهره من تلك الجرذان الوحشية، التي قد تهاجم البشر ان عض عليها الجوع . . و لم تغد مع تلك الجرذان مصيادات الفئران المعدنية، لأنها كانت تستطيع ان تسرق الطعام الموجود فيها و تفلت منها، او تضرب طرف المصيدة لتقفز و تفلت الطعام .

دخل الشتاء و بدأ موسم الأمطار التي كانت غزيرة كثيراً في تلك السنة و تسببت بالعديد من المشاكل للعائلة جراء السكن في ذلك البيت القديم حينها، فبعد ان انتقلت اختي الكبيرة شذى و تسجلت في (متوسطة الوثبة للبنات) التي كانت في البناية الكبيرة المجاورة لبيت (توفيق السويدي) في الصالحية، حيث تسجلت في الوجبة النهارية الثانية للدوام اليومي (بعد الصباحية) لتقوم بالعناية باختي الصغرى ذات السننتين بغياب الوالدة لدوامها كمعلمة في شمال العاصمة كما مر حتى عودتها، لعدم وجود من تستطيع تركها لديهم في المحلة . اصيبت اختي الكبرى شذى بالتهاب قصبات متكرر تطور الى التهاب

مزمّن رغم أنواع العلاجات و مراجعات الاطباء، بسبب برودة البيت و الرطوبة العالية فيه التي كانت تسببها المياه التي لم تتفرغ بسهولة من ارضية البيت لارتباك المجاري القديمة، و الرطوبة العالية لجدران حوشه الداخلي، حتى تطور الالتهاب الى (ذات الرئة) الذي بقي ملازماً لها طيلة حياتها، زاد منه تعبها و ارهاقها بسبب الأخت الصغرى و بسبب جهودها الكبيرة للتفوق الدراسي .

و ظهرت مشكلة حقيقية اخرى غير مألوفة في ذلك الشتاء . . حيث نزلت في صباح يوم ممطر من غرفة نومنا في الطابق العلوي لأذهب للتواليت الواقعة في منتصف دراج السلم نصف المكشوف المبلل بالمطر . . فاحسست بلسعات كهربائية كانت تزداد قوة كلما نزلت السلم اكثر و كنت اتصور انها من خدر الساق و القدم بسبب النوم، الا انها ازداد قوة حتى صارت و كأنها صعقات كهربائية من جهة ارضية الدراج، و من الجدار الرطب الى يدي ان استندت اليه . . كل ذلك مع ضرورة الحذر الشديد ان خرج جرد من فتحة التواليت .

و بعد آراء و نقاشات متنوعة مع الجيران و ذوي الخبرة و ممن عرفوا البيت و بيوت المنطقة تبين، ان البيت لقدم بنائه و عدم الاهتمام بإدامة و تصليح تأسيساته الكهربائية، جعل اسلاك و ايرات الكهرباء عارية تسرب الكهرباء ان صارت الجدران الملاصقة لها رطبة . . ولم يكن امامنا الا اتخاذ التدابير الوقائية بعد ان لم يستجب صاحب البيت مالك فندق بورسعيد في ساحة الشهداء لطلبنا المتكرر منه بالتصليح .

و على ذلك اخذنا نرتب تلك التدابير بلبس قبقاب خشبي عند صعود و نزول الدراج و لما لم يكن ذلك عملياً وصلنا الى قطع كهرباء البيت من الميزانية عند المطر، و استخدام الفانوس عند الصعود و النزول ليلاً، و كان كل ماتقدم مرهقا الا اننا كنا مرتاحين لسكننا بأمان في بيت يأوينا رغم الإيجار الذي كان يرهقنا، بعد ان حرقوا بيتنا و ضيعونا كعائلة و اطفال .

في احد الأيام زارتنا جدتي امينة صحبة الخالة سعيدة و كانت تحمل انباء سارة بأنها استطاعت تصليح بيتنا الذي احترق في الاعظمية بالتعاون مع برهوم و اخيه محمد، و تحملت هي و الأخوين مصاريف التصليحات و انهم استطاعوا عرض بيتنا في الأعظمية للإيجار و انهم وجدوا مستأجر و انه سينتقل و يدفع الإيجار اعتبارا من الشهر المقبل . و كان ذلك خبرا سارا فعلا لأنه سيخفف من اعبائنا المالية و يمكن ان يجد حلا لنا للانتقال الى بيت احسن و أمن و يمكن ارضى . و في غروب ذلك اليوم و في غمرة تلك الأحاديث الشيقة و النقاشات و اين يمكن ان نسكن . . في الوزيرية ام في الصليخ ام في الكاظمية . . ؟؟ لمحت الخالة سعيدة رجلا عند سياج السطح و هو جالس و يراقب اهل البيت في ساحة الدار و كن كلهن نساء ماعدانا نحن الصبيان . . و صاحت باعلى صوتها:

- حرامي !! حرامي !!

و اثر صياحها تقسمنا نحن الصبيان بين من صعد الدراج الى السطح و بين من خرج الى الجيران و كنا جميعا كأنما خالتي وجدت حلا بالصياح . . كنا نصيح ايضا بأعلى اصواتنا:

- حرامي !! حرامي !!

و امتلأت سطوح الجيران و الزقاق بالناس رجالا و نساء و اطفالا . . بينهم من حمل هراوة و من حمل عصى و من حمل خنجر او سكين مطبخ و الكل يسأل : كيف مظهره ؟ ماذا يلبس ؟ دشداشه ام بنطرون ؟؟ و كان الشرطي الساكن في زاوية خان المولى و المسمى (محمد حرامي) بطوله و بكرشه و بدشداشته الفضفاضة الشاد عليها حزام عريض و مثبت عليها مسدس و خلفه زوجته، احدهما ببلوزة حمراء كانت تعدل من حمالة صدرها . . كان الشرطي يردد و عينه تتلامع من السكر:

- مستحيل حرامي يقترب من محلة (محمد حرامي) . . اكص راس اللي

يقترّب من محلّتنا و ادخله منين ماطلع . . و و حتى صاحت زوجته ام البلوزة الحمراء: - على كيفك حمودي كافي . . احنا مو اتفقنا اليوم السرّه مالتى . . لاتصير عصبي بعد عيني انت . . تره بعد ماتكدر!! و رغم التضامن الحقيقي و الجاد لأبناء المحلّة و وقوفهم وقفة رجل واحد لمواجهة اي انتهاك لحق او لحرمة ما فيها، الا انهم لم يجدوا غريبا او مشتبهيا به و انفض ذلك التجمع بالتدريج رغم بقاء عدد من الرجال و هم يقضائين عند الزوايا و المواقع المهمة في الزقاق، حتى هدأ الموقف.

و قد فتح ذلك الخبر السار الذي حملته الجدة أمينة و ما ساعدتنا في عمله لنا . . فتح بابا لفرحة لاتنسى حينها و بقي السؤال (ماذا سنعمل؟؟) قائما و الى اين سننتقل؟؟ . . حيث كانت نقاشات و اقتراحات الوالد مع اصدقائه المار ذكرهم تستقر على ان ننتقل الى الكاظمية، حيث سنكون قريبين اليهم و خاصة الى حكومي الذي انتقل من الأعظمية الى الكاظمية في (كاع حمد) و كان يريد ان يكون اقرب اصدقائه قريبا اليه، و كذلك الساكنين منهم في الأعظمية و شارع المغرب حيث سيكون بيننا فقط عبور جسر الأئمة.

اما الأهل و الأقارب، فكانت جدتي و برهوم مع الإنتقال الى الكاظمية لنكون قريبين اليهم في سكنهم في الاعظمية - محلّة الشيوخ و الدهويّنة و بيناتنا فقط (عبرة الجسر) . . و كان عمي الاصغر الصحفي و الاديب اللامع عبد القادر البراك الذي اسس اكثر من جريدة يومية اهتمت بالأدب و التراث، كان مع الانتقال الى الحارثية حيث كان يسكن في حي الصحفيين الجديد بشوارعه المبلطة حديثا ، لنكون قريبين على بعض.

و اخيرا انحلت النقاشات و استقرت على ان نحول الى الكاظمية، ففي لقاء جمع الوالد و حكومي في مكتب المحامي اليساري المعروف (كاظم الطائي) الواقع في الكاظمية - باب الدروازة، اشار المحامي الى

عرض بيت للإيجار يملكه السيد (بخي) و كان قصابا شهيرا عرف عنه حسن تعامله، و ان البيت يقع في حي جديد قرب (ثانوية الأنباريين للبنين) عند شارع المحيط القديم (لأنه كان يحيط بمدينة الكاظمية قبل عقود) و الذي سمي بعد الثورة بشارع موسكو، الا ان الإيجار كان مرتفعا و لاقدرة للوالدين على دفعه .
 و اخذ صديق الوالد الكظماوي (مهدي الملاك) على عاتقه ايجاد بيت للإيجار لنا، الى ان اخبر الوالد يوما عن بيت مبني حديثا في البيوت الجديدة لـ (محلة بستان شيخ حسين) في الكاظمية، الواقعة عند نزول جسر الأئمة من جهة الكاظمية . . و استقر الوالدان عليه بإيجاره الذي كانا قادرين على دفعه آنذاك، مع استلامهما بدل ايجار بيتنا في الاعظمية.

في وقت استمرت و ازدادت فيه اوضاع التناحر في الأعظمية حيث بيتنا الملك و اصبح من المستحيل العودة اليه، و لم نستقر في الشواعة لأوضاع السكن الصعبة و خاصة الرطوبة و تسرب الكهرباء و ضرباته و الجردان المخيفة . . التي جرى الحديث عنها، و غلاء الإيجار الذي رفعه مالك الدار مرة اخرى .
 اضافة الى كثرة المصاريف والجهود حيث بقيت الأم تعمل معلمة ابتدائية في الصليخ الواقعة في اقصى شمال العاصمة، حيث كانت تذهب (ذهابا و ايابا) كل صباح بباصات المصلحة من الشواعة الى باب المعظم ومن هناك بباص المدرسة الى مدرستها في الصليخ ومعها ابنتها الثانية سوسن، في الوقت الذي كان فيه الأبن الأكبر مفيد يداوم في متوسطة الكاظمية، التي انتقل اليها منذ ان كانوا في الأعظمية بسبب تكرار الإعتداءات عليه هناك، اضافة الى استمرار الوالد بالدوام في معهد الفنون الجميلة في الكسرة . .

ولاتيرجن تبرج الجاهلية..

انتقلنا الى الكاظمية التي كنا في السنوات السابقة نزور مراقدها المقدسة في ايام الزيارات و في ليالي الجمعة او عند مجئ اقاربنا من الفرات للزيارة فقط، و بقدر ما كانت الكاظمية مجهولة لنا نحن الصبيان . . كانت جذابة من خلال ما كنا نسمع من احاديث الكبار و العوائل و النساء و مايرووه من احداث و قصص تاريخية و معاصرة عن بطولات و مواقف وطنية لأهلها الشجعان . . كانت حيطان شوارعها آنذاك تشهد على وجود صراعات سياسية حادة هناك، مما مكتوب عليها بالبوية الحمراء و غيرها من وسائل الكتابة على الجدران، فكانت مزدحمة بالشعارات و المطالبات و النداءات، مثل : " الحياة و الحرية للبطل منذر ابو العيس و رفاقه الشجعان" ، " السلم في كردستان "، " نطالب بحل عصابات الجته في كردستان" (الجيم بثلاث نقاط، و كانت عصابات كردية شكلتها و قادتها استخبارات الزعيم لمواجهة الثورة الكردية، و هي غير الجاش)، " اطلقوا سراح السجناء السياسيين" . . و كانت كتابات اخرى بالاسود ممسوحا عليها بانواع مختلفة من البوية بحيث لايمكن قرائتها، تركزت على ماهو مستل او محرف من آيات القرآن او من فتاوي على رأسها فتوى الحكيم (الشيوعية كفر و الحاد) التي زادت الصراعات هناك حدة .

كان بيتنا الجديد حديث البناء مكونا من صالة و غرفة

طولانية مقسمة الى غرفة ضيوف و غرفة طعام، غرفة نوم الوالدين و غرفة في الطابق العلوي لمنام الاولاد و البنات، كانت تقابلها غرفة لم يكتمل بناؤها و قفلت بابها . و للبيت حديقة امامية جميلة لايأس بكبرها و حديقة خلفية صممت لزراعة خضروات بيتية، عملنا و خاصة مفيد و محمود في احد جوانبها بيت خشبي صغير له باب للمرور و صارت لتربية الدجاج و مصدرا للبيض . و كان البيت واحدا من بناء تؤم سكن في البيت الثاني منه نقيب متقاعد (ابوسلام) و عائلته الكبيرة، و كان قد شارك بفاعلية في حرب فلسطين و قيل انه كان أمرا للمقاومة الشعبية في الفرات الاوسط و في الديوانية تحديدا، و قد احيل على التقاعد اثر حل المقاومة الشعبية و احالة مئات من الضباط اليساريين على التقاعد . . . كان البيت يقع في المنطقة المبنية حديثا الممتدة من جنب (معهد الزهراء المهني للبنات) المطل على ساحة الزهراء عند رأس جسر الأئمة . . و تمتد المنطقة الى بيت قائم مقام الكاظمية و (متوسطة الكاظمية للبنين) و الى جنب (ثانوية الكاظمية للبنات) . . و كان عدد من شوارعها لايزال غير مبلط بعد لكونها منطقة جديدة، و نظرا لكونها جديدة ساعدنا ذلك على اقتناء تلفون لوجود عدد من كابلات التلفونات غير مشغولة.

كانت الكاظمية آنذاك ملجأ للعوائل اليسارية و الديمقراطية الهاربة من انواع الملاحقات و الاعتداءات للعناصر المتطرفة كما مر، اضافة الى عوائل الضباط الديمقراطيين المحالين على التقاعد لأسباب سياسية كما جرى الحديث، فكان في محلنتنا يسكن اضافة الى النقيب ابو سلام الذي اشتغل بالمقاولات، الرائد سامي (ابو عماد) الكردي من

اهالي السليمانية المحال على التقاعد و الذي فتح دكانا لبيع المواد المنزلية باسعار متهاودة قابلا بالبيع بالدين وفق سجل و بتسديد شهري الذي كان مساعدة كبيرة لذوي الدخل المحدود . . اضافة الى النقيب الكردي المتقاعد من السليمانية ابو سولاف . . وكانت تسكن خلفنا الفنانة المعروفة (ناهدة الرماح) مع عائلتها و اطفالها، اضافة الى وجوه معروفة لفئات متنوعة في المجتمع البغدادي آنذاك .

و قد فرحت كثيرا لإمكاني استخدام الدراجة الهوائية للتجول و التعرف على المدينة، التي كانت وسيلة لقضاء الوقت و التسوق و شراء الحاجات الضرورية للبيت، اضافة الى التجول بدافع الفضول و حب المعرفة و الإطلاع على المدينة و مرافقها، المدينة التي كانت تشدني اليها اكثر .

الكاظمية مدينة كبيرة تشمل حواري و محلات قديمة كمحلة القطانة و الشيوخ و الدبخانة الى المحلات و الحواري القديمة المطلة على شارع المحيط القديم، و اضافة الى قدم بيوتها، فإن طراز بناء بيوتها و زخارفها اضافة الى انواع الروايات عنها و عن اهلها و مهنهم، كان يشير الى مدى تأريخيتها و دورها الهام الإجتماعي و السياسي و التأريخي في عموم البلاد . . اضافة الى انها احتوت على مناطق و محلات جديدة منذ تواريخ متنوعة . . من المحلات الواصلة بين شارع الفجر الممتد من رأس الجسر العتيق و معمل فتاح باشا و مستشفى حماية الاطفال في باب الدروازة و المتفرع منه الى تانكي الماء، و الى ضفاف النهر . . و البيوت الجميلة الاخرى المطلة على كورنيش الكاظمية بين جسر الائمة

من المنتزه الحديث لأمانة العاصمة (منتزه ١٤ تموز) و مدرسة دجلة الابتدائية النموذجية و مديرها المربي الذي اشتهر اسمه في المجالات التربوية و الإجتماعية السيد (جعفر سلماسي) . . الى ساحة الشاعر (عبد المحسن الكاظمي)

اضافة الى منطقة النواب ثم الدباش و الحرية و الشعلة . . و شوارعها الرئيسية المكتظة دوما بالناس و بانواع السيارات المتنوعة الاحجام و سيارات الحمل و الحافلات . بمزاميرها التي تصم الأذان احيانا، حيث انواع المعامل الصغيرة و الورش و المهن الضرورية و الفيترية و الفنادق الصغيرة، و فروعها الجانبية التي تبدأ بمحلات الخضروات و الفواكه و الحلويات، و المكتظة بانواع مئات و آلاف البيوت الصغيرة . .

و قد لعب وجودي كطالب في (متوسطة الكاظمية للبنين) التي كنت فيها من الطلبة المتفوقين، لعب دورا كبيرا في تكوين صداقات مع طلاب متنوعين من المتوسطة و مع عوائلهم بمساعدتي الدراسية لأبنائهم و زيارتهم، اضافة الى وجود مفيد و محمود في (اعدادية الكاظمية للبنين) قرب تانكي الماء، في وقت كان يمكن فيه القيام بصداقات واسعة لطيبة اهل الكاظمية و روحهم الإجتماعية، و يمكن لأن عدد كبير منهم كانوا من عوائل ديمقراطية مسالمة في الحياة العامة لايتدخلون بالاصل و الفصل، و يشعرون بأهمية الصداقات و دورها في نمو الصبيان و علاقات العوائل التي تقوم بحمايتهم من اوساط ضارة في ذلك الزمن الذي احتدم فيه الصراع السياسي و صار يتخذ ابعادا عنيفة كما سيأتي . .

و اضافة لغالبية العوائل الطيبة، يمكن ان تشاهد انواع من

عوائل اخرى و انواع اخرى من العلاقات، منها عائلة تركمانية طيبة صديقة لجيراننا، ارتفعت في يوم ما اصوات شجار عنيف طغى عليه صوت الأب القليل الظهر و هو يصيح :

- و شنو يعني .. هي عشيقتي و انت زوجتي؟؟ احنا نعيش سوا لأننا عايشين قصة حب، حب كبير اوصلتني به الى مسؤول قسم في معمل الطحين . .

و عائلة من اصول تركية من اسطنبول كان الاب رياضي الجسم مدرس رياضة ولاعب بوكر دولي، استفاد من البوكر ليحسن دخله الشهري، تزوجت ابنته من شاب فرنسي تعرفت عليه في مسبح الـ (واي. ام. سي. اي.) الواقع في السعودون و هاجرت لتعيش معه في باريس . . و كان الابناء و خاصة جعفر، كانوا معنا زملاء في الصف طلابا مؤدبين و اصدقاء اوفياء، استمرت صداقتنا الى نهاية الستينات بعد ان انتقلوا الى بيت ورثوه من جدتهم في شارع ٥٢ . . حيث ازدادت صداقتنا وثوقا بعد ان جمعتنا مقاومة الكاظمية لإنقلاب شباط الاسود . .

و من الطرائف التي مررت بها، ما حدثني به اياي الذي كان احد ابناء عوائل المنطقة في نهار كنا ندرس فيه معا، حين قال لي ان مصاريف الكهرباء تضاعفت عندهم بشكل غير معقول و انهم رفعوا شكوى الى ادارة كهرباء المنطقة التي اجابتهم بعد تدقيق القوائم (انها صرفياتكم وفق القوائم الاصولية الموجودة عندنا و عندكم بعد قياس الكهرباء و اننا استبدلنا جهاز القياس بجهاز جديد رغم ان القديم كان يعمل بشكل منتظم، اكراما للحجي الوالد) . .

و قال انهم (طلبوا منا تدقيق ذلك من خلال قياس التأسيسات التي يمكن انها تسرب الكهرباء، او هناك من

يسرق منكم الكهرباء بعمل (جطل)، هو يستهلك الكهرباء و انتم تدفعون المصاريف . . و نبهنا الى انهم بعد التدقيق، لاحظوا انه تتضاعف عندكم الصريفات في الصيف فقط، هل تستخدمون اجهزة تبريد متطورة عالية الصرف ؟؟ و طبيعي لم تكن عندنا مثل تلك الأجهزة و لكن . . (وقال،) ذات ليلة صيفية و كنا ننام في السطح، اشتد الحر و سكنت فيها الريح و نشط (الحرمس) الذي لم يدعنا ننام من قرصاته و طنينه، كنت احاول النوم في الصالة و افتح المبردة في الاسفل . . نزلت الدرج و تفاجأت بأن هناك ضوء في الاسفل . . فأخذت حذري و اخذت انزل الدرج دون احداث ضجة حاملا عصا جدي و كانت المفاجأة . . رأيت جدتي فاتحة الثلاجة الكهربائية على مصراعها و نائمة عندها !! . . و صاحت :

- ها اياد شكو عندك بنص الليل نازل جوه ؟؟

- نزلت من الحر حتى افتح المبردة و انام في الصالة . .

- تفتح المبردة ؟؟ و ماتحسب المصاريف ؟؟ هاي المبردة تصرف صرف بس الله يدري شكدي، يجوز هاي قوائم الكهرباء المرتفعة منها . . آني بالصيف كل مايزيد الحر افتح الثلاجة و انام عدها و هي هادئة و ماتصرف هالصرف . . !! (

و بينما كنا نضحك على السالفة . . سمعنا الجدة و هي تصيح بصوت عالي :

- ولج (فرقد) بدلي الدشداشة مالتج . . هسه الناس شتكول علينا ؟؟

- بيبي آني رايحة الى بيت اختي و لابسه عباية و دا تشوفين . .

- ولج علي آني !! بدلي الدشداشة البرلون الشفافة . . هاي

حتى لباسج الاسود مبين منها . . مكصوفة الركبة آني جنت
 بعمرج سويت العجايب، عبالج بس انتي تدورين
 مغامرات، جنت امشي بدشاديش كبل الشفافة و افتح العباية
 . . لعد شلون كدرت اقفص جدك اللي جان عنتر زمانه
 بحزامه الخمس اصابع و خنجره !! بس انت بعدج زغيرة
 على هالسوالف . . افتهمتي؟؟ ولج جيراننا قالت انت من
 تمشين صحيح لابسة عباية لكن نص كفشة راسك طالعة و
 دائما فاتحتها! كذب ؟!

و كانت النكتة الكبيرة التي صادفناها انا و اياك و نحن في
 الشارع، هي النقاش الحاد بين المحامي الشايب ذي
 الجلباب و السترة، السيد اسود مع ابنه في الشارع :

- ولك شنو انطيك يومية؟؟ مو هسه انطيتك؟؟
 - لأ يابه انت انطيت اخويه اليومية !!
 - و لك انت ابن من؟؟
 - آني ابن مليحة . .

كان المحامي متزوجا من ثلاث نسوان و بنى بيته الكبير ذا
 الطوابق الثلاثة الواسعة لتكون كل زوجة و اطفالها في
 طابق معزولة عن الأخرى و مشاكلهن . . و لكن بعد ان
 كبر سنه و اثر الحاحه في الجنس صار عنده بنات و اولاد
 كثيرين، من عمر الجامعة الى اعمار الروضة و كان ينسى
 اسمائهم و يختلط عليه هذا الولد من اية امرأة منهن، و
 تختلط عليه الأسماء التي كان يدققها يوميا في وثائق
 النفوس في جرارات مكتبه حيث كان يعمل محامي و دلال
 بيوت .

و لابد من القول بانه مما يجلب الانتباه روح التضامن
 الاجتماعي و المحبة و تداخل القرابات بين اهالي الكاظمية
 و محبتهم للعوائل و للساكنين الجدد الهاربين من العنف و

الضغوط السياسية التي كانت تعاني منها محلات و حوارى
 بغداد آنذاك
 كانت متوسطة الكاظمية اضافة لكونها مؤسسة تعليمية، الا
 انها كانت مكانا للتعارف و للصدائة، حيث غمرت جوها
 روح التسامح و المحبة، الا انها ضربت ضربة كبيرة
 عندما نقلت وزارة التربية مديرها اليسارى المربي
 المعروف (عبد الجليل مطر) - ابن عم الضابط المناضل
 سعيد مطر - و استبدل بمدير جديد عنيف اطلق عليه الطلبة
 لقب (عريف عودة) عريف عودة مداوم اليوم، عريف
 عودة طلع، عريف عودة خابر الأمن . . .
 حتى نسينا اسمه الحقيقي، لمطاردته و إخباره رجال الأمن
 عن الطلبة اليساريين الناشطين فى المتوسطة ليقتلوهم،
 رغم انهم لم يثيروا مشاكل تعكر سير الحياة فى المتوسطة
 و لكن كوقاية كما كان يقول . . و كانت قمة صلته الغير
 محترمة تلك، اعتقال الأستاذ و الوجه الديمقراطى الأستاذ
 (الحداد) لنقاش سياسى دار فى غرفة المدرسين . .
 و فى اعمارنا تلك كان مايشغل تفكيرنا موضوع الغرب
 واوروبا بدعاياتهم الجذابة و افلامهم الملونة الجميلة و
 سياراتهم الفارهة و منتجاتهم فائقة الجودة كما انتشر بين
 الناس ك (احسن حذاء هو انكليزى و بالعامية - قنطرة
 كلاصية -)، اضافة الى الأنطلاق اللامحدود و الأختلاط و
 غزو الفضاء و غيرها دون ذكر للروس السوفيت بافلامهم
 الحربية و انتصاراتهم على النازية و تحريرهم للعديد من
 الشعوب و انجازاتهم و نجاح رائد الفضاء (غاغارين) و
 قبله الكلبة (لايكا)
 مما ادخل فى عقولنا اننا لانعرف شيئاً عن عالمنا بفعل
 السياسة الحكومية و التطرف بالدين و بسلطة الأخلاق

المحافظة . . و كان ذلك و غيره يثير عندنا روح الفضول الى معرفة ماهو التحرر، هل هو انقلابات عسكرية و هل هو بالقوة و الجيش فقط؟؟ و ماهو دور الدين؟؟ . . و لماذا لدينا ذلك الكبت الإجتماعي . . هذا عيب و هذا حرام؟؟ و من هم في علية المجتمع و الحضرة الدينية يعيشون علاقات في الظلام شئ و في النهار شئ آخر، اليس هذا نفاق، و لماذا يلجأ الناس الى النفاق . .؟؟ كان العديد ممن في اعمارنا هناك، ابناء عوائل من التجار و الكسبة و من الباحثين عن مهارات و مهن لتكون خير سند لهم في حياتهم فيما لم يجدوا وظيفة حكومية او صاروا في اعمار المتقاعدين، اضافة لأبناء من عاشوا على التجارة بانواع و درجات متنوعة، و كانوا مستعدين لأنواع المغامرات كمغامرة ابن عائلة البياع ابن المتوسطة في مساعدة خاله الذي حصل على امتياز شاحنات المرسيدس، و انكب على سياقة الشاحنات من برلين الى بغداد عبر تركيا، و كان يحدثنا عن الحياة الخيالية هناك قياسا بحياتنا، و الصديق فائق الذي كان يعد اوراقه للهجرة الى اميركا ليحقق حلمه في ان يصبح طيارا مدنيا و ان الدول الإستراكية لاتسمح بالهجرة اليها . . في وقت لم تكن فيه معاهد لإعداد و تخريج الطيارين المدنيين في العراق . . و كانت تتشكل صداقات متنوعة بين الشباب الصغار، كان لولبها مفيد و محمود، للقيام بسفريات او للسباحة في النهر صيفا او للقيام بفعاليات كفعاليات التمثيليات الفنية التي كانت تقام في بيت كاشي و كانت من اعداد و اخراج الطالب (قاسم الملاك) الذي صار فنانا مسرحيا بارزا بعدئذ في البلاد . . و كانت العوائل تشجع ابنائها على تلك الفعاليات التي تملأ فراغ الشباب و تبعدهم عن تيار

السياسة الجارف الذي كان يهدد باكتساح الجميع . . كانوا يريدون من ابنائهم ان يدرسوا ويتخرجوا و تصبح بأيديهم مهنا ليؤمنوا عليهم من مخاطر الضياع و العوز . . و فيما كانت تتزايد اعداد العوائل اليسارية الهاربة الى الكاظمية . . اعتاد وجوه محلة " بستان الشيخ حسين" ان يلتقوا في مساءات الخميس على الجمعة الصيفية في بيت التاجر (الدهوي) الذي كان معلما و ترك التعليم و عمل على مساعدة والده و تعلم صنعته و صار تاجر حبوب ووجها معروفا في مناطق الفرات بحكم انتمائه العائلي في مناطق الشامية.

و ازدادت مكانته الإجتماعية لكونه كان من نشطاء مجالس السلم التي انتشرت في تلك السنوات في عموم مناطق العراق، والتي كانت تدعو الناس الى العمل من اجل الإبتعاد و الخروج من الأحلاف العسكرية ومن اجل اتباع سياسة عدم الأنحياز . . بعد ان عرفت الناس وبشكل واسع اهمية البلاد للأقتصاد الدولي و كم هي ثرية، اضافة لما حصل اثر ثورة ثموز ١٩٥٨ من انزالات عسكرية في المنطقة . . رغم حزن الناس على مقتل الملك الشاب فيصل الثاني .

و كان مجلس التاجر الدهوي الذي اعتادوا ان يكونه ب (الشيخ) ينعقد عادة في حديقته الواسعة الملاصقة لمبنى المدرسة المتوسطة، الحديقة ذات عطر الشبوي الذي كان يفوح عند الغروب، حيث يعمر الموقد المبني من حجر بايقاد الفحم لإعداد الشاي والقهوة والأركيلة للضيوف والتي كان يشرف عليها احد عماله المهرة . . و كان الوالد و صديقه حكومي من المداومين على حضور مجلس الشيخ الأسبوعي بعد تقديم المحامي كاظم الطائي

لهما للمجلس، لتبادل اخبار اوضاع البلاد و تطوراتها و مناقشة الأفكار و لمناقشة الأساليب الأحدث في التعامل مع الابناء الشباب في تلك الظروف، و من ذلك المجلس الاسبوعي تعرف الوالد على دائرة اوسع من العوائل التقدمية المعروفة، و كنت مرافقا لوالدي في ذلك المجلس و اسمع و افكر بما يقوله و يناقشوه . . . في وقت كانت الكاظمية فيه تعيش اوقات متوترة متنوعة، من تزايد التعرض للسافرات والتعرض لهن بحجج عدم ضبط الحجاب، ومن تزايد الشعارات المخطوطة على الحيطان التي كان يتصدرها شعار فتوى المرجع الاعلى الحكيم (الشيوعية كفر والحاد)، وملصقاته بصورته البادي فيها بملابسه و عمامته الدينية السوداء ، اضافة الى الملصقات الداعية الى الحجاب والى ضرورة التمسك به و رقع نصوص (و قرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . . .) ناسين عن عمد بانها قيلت في القرآن الكريم بحق نساء النبي في سورة الاحزاب، و ليس بموقف الإسلام من حق عموم النساء . . . و من جهة ثانية تزايد كتابة الشعارات على الحيطان، المطالبة بـ " السلم في كردستان " وبـ " اطلاق سراح ابناء الموصل الأحرار " والمطالبة بـ " عدم تنفيذ احكام الأعدام بحق المناضلين الأبطال " ممن قاوموا انقلاب الشواف في الموصل . . . و تفجرت تلك التعبئة المحمومة و ابتدأت بمعادة حقوق النساء و التعبئة بـ (نجاستهن) بحادث حدث لأول مرة في الكاظمية حين القى ملثم بدشداشة سوداء، حجرا كبيرا على زائرة اوروبية كانت تزور الكاظمية و ارادت رؤية ضريح الإمامين الكاظمين و قد التزمت بالتحجب بملابس

طويلة و شال على رأسها و نظارات سوداء كبيرة غطت وجهها، و لحسن الحظ لم يسقط الحجر عليها و انما سقط جنبها، فيما تفاجأت هي و صرخت صرخة مدوية جمدت اصحاب المحلات و الزائرين ليروا ماذا يحدث . . كانت الزائرة برفقة سيدتين كريمتين عراقيتين متلفعتين حتى الوجه بعبائتيهما و معهم اطفال . . و انتبه الجميع الى ظهور جماعة بملابس سوداء قطعوا الشارع الموصل الى الحضرة الكاظمية ، و ميزوا ان اغلبهم كانوا من شباب سيئ السمعة و الأخلاق وكانوا يصيحون بـ :

(و لاتبرجوا تبرج الجاهلية الاولى) و كان احدهم متلفع ببيان السيد محسن الحكيم (الشيوعية كفر و الحاد) . . و صاح آخر (يمنع مرور الكفار بأمر المرجعية !!)، فيما همس الناس بعضهم لبعض (هذولة جماعة محمد ابن الشيخ - او شيخ محمد -) . . و فيما كانت تنتشر بين الناس اخبار، عن ان تلك العصابات الدينية تعود الى محمد ابن شيخ مرجعية الكاظمية، الذي حمل رتبة ملازم كهدية من استخبارات الزعيم على (مواقفه الوطنية) و بقي و استمر على صلة و تنسيق معها، الأمر الذي زاد من خوف الناس منه و من عصاباته .

فإن ذلك الحادث فاجأ الحضور و عموم اهل الكاظمية، الذين كانوا يرحبون باهتمام الاوربيين بثقافتنا و تأريخنا، و ان تلك الزيارات كانت مفخرة لأهل الكاظمية ان اوربيين يأتون الى رؤية و تسجيل و نشر مقدساتنا، و ينزلون في فنادق المدينة و يأكلون في مطاعمها، و يحضرون ما يقام من شعائر حسينية فيها . .

في ظروف تزايدت فيها مجاميع الملتئمين الذين كانوا يأتون ليلا الى المقاهي مهتدين اصحابها باغلاقها ان سمعوا اصوات موسيقى و اغاني تنبعث من داخلها، وكان اصحاب المقاهي يتجنبون تلك الأعتداءات بدفع مبالغ مالية كبيرة لهم كخاوات لتفادي الأعتداء على المقاهي، التي تم الأعتداء على عدد منها بلا اي نقاش، بتكسير ابوابها ومحتوياتها بالهروات الثقيلة لأنها ملتقى شيوعيين، او بحرقها والأعتداء بالضرب على اصحابها، و وصل الحال ببعضهم الى حافة الموت

وكان كل ذلك يجري بعلم، بل وحتى تحت انظار الشرطة التي لم تكن تحرك ساكنا الا اذا أخرجت بالأنفصاح، فكانت تقوم بشكل مسرحي بمحاولات اتصال يمكن انها كانت وهمية، وكان موقفها المشين ذلك يتكرر . . . لدى رؤيتها مجاميع من الأشقياء و الساقطين الذين كانوا يقبون بـ (جماعة الشيخ)، الذين تصدى قسم منهم لطالبات متوسطة قریش و ثانوية الكاظمية للبنات و اعتدت عليهن بالضرب بحجة كونهن سافرات او ان حجابهن خلیع، حل قسم كبير منها بدفع خاوات عالية !!

حين كانت المدرستان تشغلان بناية واحدة جنب مغسل الموتى (المغسل) !! الذي كان يغص بلا انقطاع بالمشيعين وبالموامنة المرافقين، و بدعواتهم عسى الرب يرسل الميت الى الجنة !! وسط صراخ ونحيب كان يصم الأذان في اغلب الأحيان وفي اغلب الأيام .

وفي فجر يوم صيفي وفي احد ازقة المدينة القديمة في حي " القطانة " . . استيقظ الأهالي عند صلاة الفجر على صيحات :

- الله واكبر . . . الله ينتقم من الظالمين !!

- الكفار قتلتنا . . . وني !
 و عند خروج عدد من ساكني المحلة، وجدوا الشيخ " سيد لطيف " مضرجا بدمه ميتا . السيد الذي كان من رجال الدين المعروفين في الكاظمة بتأييده للإجراءات الديمقراطية وللأصلاح الزراعي ولقضايا الفقراء والكادحين، والذي كان من نشطاء منظمة انصار السلام . . الإغتيال الذي ادى الى استنفار شباب الكاظمة و خاصة الشباب اليساري والديمقراطي، حيث بدأوا بتسليح انفسهم بالسكاكين وبوكسات الحديد، ومن تمكن بالأسلحة النارية ايضا لمواجهة مجاميع العصابات التي بدأت باستفزاز الطلبة من اعضاء (اتحاد الطلبة العام) الذي جمد علنيته مكتب الزعيم، وبالأعتداء عليهم بالضرب المبرح الذي كان يصل حد الموت في حالات عديدة. بعد ان تطورت قضية فرض الحجاب و مكافحة التبرج، الى تشكيل فرق تهاجم السافرات وتهاجم بيوتهن و اطفالهم بتلك الحجة، فيما كانت تستهدف عوائلهم بالذات، انتقاما من أب او زوج او اخ لم يسايرهم . .

الشيخ، اتحاد الطلبة الصدور

ذهبت مع والدي الى مجلس الشيخ الدهوي الاسبوعي في داره، بعد ان دعى والدي و من يرى استصحابه معه، لجلسة ذكر للمرحوم (سيد لطيف) الشخصية الإجتماعية السياسية التقدمية الذي اغتيل قرب منزله في (القطانة) بعدة طعنات خناجر و تبين ان الفاعل كانوا مجموعة، امكن تشخيص احدهم الذي كان من (جماعة الشيخ) و كان قد هدد السيد اكثر من مرة بالقتل ان لم يكف عن نشر افكاره المؤيدة للإصلاح الزراعي.

و قال الشيخ الدهوي في المجلس الذي ضم اكثر من عشرة رجال بينهم المحامي الطائي و حكومي (ابو نهرو) و مهدي الملاك:
- وصلنتي كثير من الأخبار المقلقة فعلا و خاصة ممن هم على صلة وثيقة بالحوزة . . كما تعرفون ان الدولة الإيرانية و المرجعيات الدينية العليا فيها، و بغض النظر عن يحكمها تشكل ركنا اساسيا في بناء و تمويل مرجعية النجف العليا لأسباب تاريخية متعددة (اضافة الى التمويل المستمر لوقف "اوده" البريطاني - الهندي) . . و قد لعبت الدولة الشاهنشاهية دورا كبيرا في ايصال السيد محسن الحكيم ليكون المرجع الأعلى فيها، من جهة.
من جهة اخرى فإن ثورة ١٤ تموز و اجراءاتها الثورية لصالح الفقير و المجتمع بقوانين الإصلاح الزراعي، و قانون الأحوال الشخصية الذي انصف المرأة ، ثم الى قانون رقم ٨٠ بتأميم اكثر من ٩٠% من عائدات النفط و حقوقه . . اثارت الاحوال في ايران و انعشت اليسار و الحركة الشعبية الإيرانية التي ازدادت نشاطاتها و تأييد الجماهير لها . . حتى صارت تشكل رعبا حقيقيا لحكم الشاه و دوائره، فعمل على دعم القوى التي تناوى حكم عبد الكريم قاسم و اخذ ينسق معها و طلب من

السيد الحكيم ان يبذل جهده في تأسيس حزب اسلامي شيعي (على غرار الاسلامي السني) يناوئ الحزب الشيوعي العراقي الذي يزداد شعبية لضربه ضربة قاصمة، و يناوئ عبد الكريم قاسم لإسقاطه، و زود السيد الحكيم بأموال هائلة لتأسيس هكذا حزب و تغطية مصاريفه .

فعمل السيد الحكيم مع المراجع التي يثق بها على تأسيس هذا الحزب، و على تمويل انواع العصابات و الجماعات لضرب الشيوعيين و من يؤيدهم من المراجع الدينية و كان المرجع الديني (سيد لطيف) آخر ضحاياهم حتى الآن، و استفاد الحكيم من ان ابناء عدد من المراجع الموالين له، هم قياديون في حزب البعث ممن كانوا يعدون لإسقاط الزعيم، في الوقت الذي فيه آخرين يعودون للشيوعي و لعموم اليسار و الديمقراطية.

و سأل حكومي (ابو نهرو):

- شيخ الدهوي، كيف يقوم شباب او رجال مسلمين متدينين من عصابات، بقتل مجتهدين اسلاميين؟؟ اليسوا هم مسلمين و يهابون كبار رجال الإسلام؟؟ يعني كيف مسلمون يقتلون مسلمين بأوامر من مرجعية اسلامية عليا و غيرها، كما قتلوا سيد لطيف، و الا كيف؟؟ اليس في ذلك معصية لله و للدين الاسلامي الداعي الى الأخوة و نصره الفقير و قوله تعالى (و جادلهم بالتي هي احسن) و حديثه الكريم (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)؟؟

- عزيزي ابو نهرو، كما فهمت من رجال مهمين في الحوزة . . ان المرجعيات مثل قيادات دينية اخرى كالفاتيكان لديها عصابات تنفذ اوامرهم . . عندنا تقوم باستدراجهم و تجمعهم كأطفال من عوائل فقيرة جدا و ممزقة و بخطوات مدروسة، يقوم بها (ساقطون) من اتباعها الذين يعتاشون على المرجعيات في اكلهم و مصاريفهم و سكنهم . . يبدؤون بـ (كسر عينهم) كما يقال عندنا، اي كسرهم اخلاقيا ليكونوا تابعين اذلاء لهم، و ليحطموا شعورهم و احساسهم و يدربوهم ليكونوا

قتلة بدم بارد (يفذون اوامر فقط، بفتوى دينية خشية من عقاب الله) . .
 ليكسبوا حظوة او جائزة ما كهدية من الكبير، و وعد منه بأن يكون
 شفيعه يوم القيامة و يحصل على مكان في الجنة .
 - نرجع الى موضوعنا، هناك جبهة تتشكل لإسقاط النظام يشترك فيها :
 البعثيون، ناصر و القوميون العرب، القوميون الأكراد، شركات النفط،
 ايران الشاه، المرجعية العليا لسيد محسن الحكيم، بقايا النظام الملكي
 السابق و بقايا الإقطاع . . لإسقاط حكم الزعيم عبد الكريم الذي لايزال
 لا يصدق بخطورتهم الفعلية عليه، بعد ان سامحهم و حكمهم باحكام
 مخففة (عدا عدد من الضباط لإنطباق القانون العسكري عليهم) في
 محاولاتهم السابقة للإجهاز عليه و على حكمه بـ (عفا الله عما سلف) . .
 . فالوضع صار (ظلمة و دليلها الله) و الله يستر من القادم!!
 و بعد نقاشات متنوعة و اثباتات متزايدة، شعر الجميع بخطورة
 الأوضاع فعلا و ان عليهم ترتيب شئ ما لإيقافها او للوقوف ضدها،
 فيما فكر بعض آخر بضرورة مغادرة البلاد خوفا على عوائلهم و على
 ما يملكون، و الا سيئدمرون.
 و لا بد من القول هنا، انه بعد سنين اشار مؤرخون و باحثون جادون
 الى ان فتوى (الشيوعية كفر و الحاد)، جاءت بدفع من دوائر شاه ايران
 و تمويلها ، في زمن ذهبت فيه مرجعية السيد محسن الحكيم العليا في
 النجف، ذهبت بعيدا في خروجها عن خط و نهج الحوزة العلمية
 الشيعية العليا التاريخي في النجف منذ مئات السنين .
 اخبر الدهوي ضيوفه في بداية صيف ذلك العام بان الجلسة الأسبوعية
 ستتواصل لشعوره بالقلق لما ستؤول اليه الأحداث . . و على ان تكون
 كل اسبوعين، لأن عليه زيارة الشامية كلما تطلب الأمر، ووفق ما
 يسمح به وقته لإنشغاله المتزايد بأمر اهله هناك بسبب التجاوزات
 التي تحصل عليهم و على الأراضي الزراعية العائدة لهم هناك، من
 قبل سراكيل الإقطاعي السابق في المنطقة، والتي صارت تأخذ مديات
 خطيرة على وصفه لها، و لما قد تتسبب بصدامات مسلحة بين اهله و

ناشطي الإصلاح الزراعي من جهة و السراكيل من جهة اخرى، بسبب الأرض و مياه السقي و ما تحقق من تطبيق الإصلاح الزراعي، الذي يعتبره الإقطاع و من معهم، تحدي لإرادة الله كما ورد في القرآن في سورة البقرة (و الله يرزق من يشاء بغير حساب)، كما يوجه و يتعكز عليه وكلاء المرجع الاعلى السيد الحكيم و يحرضون به. استمرت الجلسات على ذلك المعدل وكان الجميع متشوقين لتلك اللقاءات التي كان الدهوي يدعو اليها و صارت تضم اضافة الى الحضور الإسبوعيين، وجوها وطنية معروفة من قادة الحزب الوطني الديمقراطي المشاركين في الحكومة و دوائرها، السيد (الحيدري) قائمقام الكاظمية، محامين مرموقين و اطباء معروفين . . لتبادل اخبار وشؤون البلد المتنوعة التي كان الجميع متشوقين لمعرفة المزيد عنها و عن تطوراتها الأخيرة . . . خاصة وان التوترات الاجتماعية والسياسية والدينية كانت في تصاعد مستمر لا يهدأ .

رغم ان الحالة في الكاظمية، كانت جزءا من حالة الركود الظاهري و مسار الحياة اليومية، الا انها كانت مليئة بالحذر والترقب السائد في البلاد و الذي كان يهدد بحصول انقلاب عسكري . . وكانت لقاءات رجال السياسة والمتأثرين بها والديمقراطيين الذين التجأوا بعوائلهم الى الكاظمية حفاظا على ارواحهم من محلات بغداد التي تنمرت فيها القوى الرجعية والقومية المتطرفة اكثر من السابق، بعد ان زادت من نشاطاتها في التكسير و الحرق و التحطيم و مطاردة الديمقراطيين و عوائلهم، التي قامت بها عصابات و جماعات صارت اكثر تنظيما و عدوانية من السابق.

في وقت كانت فيه اللقاءات و المجالس في العاصمة بغداد تكبر و تزداد و صارت تضم ضباطا متقاعدين و آخرين لم يحالوا بعد على التقاعد لكونهم يساريين، كان قسم منهم منظمين في الحزب الشيوعي و الديمقراطي اليساري و منظمات ديمقراطية و نقابات صارت اغلبها محظورة او مجمدة بقرارات من مكتب الزعيم . . الا انهم كانوا

يدورون في حلقات شبه مفرغة . . ان حصل انقلاب، هل سيدافعون عن الزعيم ام كيف؟؟ . . في اوساط ضمت عوائل متداخلة سنية شيعية كردية مسيحية صابئية و يزيديية متألفة، سواء في المذاهب او الاديان و القوميات . . لشعورهم بوحدة المصير و وحدة الحقوق، بعد ان ضعف التماسك القومي و الديني و المذهبي، بفعل المصالح الأنانية و الصراعات السياسية التي كانت تزداد حدة آنذاك و لاتفرق بين انتماء ديني او قومي.

في الكاظمية كانت مأثرة و بطولة الإمام الحسين و احياء و حضور مجالس التعزية و المواكب الحسينية و التشابيه و شعائر محرم و عاشوراء و الملابس السوداء و جاذبية الالوان على البشرية و المشاركة الكبيرة للنشابات و الشباب فيها و التزام الجميع بالأدب (عدا جماعة الشيخ)، الأدب الذي فرضته قدسية تضحية الإمام الحسين و رهطه في سبيل الشعب و الفقراء، اضافة الى طعام المناسبة الخاص في احياء ذكرى الرجولة و سند و إباء النساء و وقفات البطولة، التي كانت تنشد في الفعاليات . . و كانت تحفز و تديم و ترفع روح تحدي الظلم و الظالمين و تدعو الى الانتفاض و الثورة و روح الاستعداد لما قد يحصل في البلاد!!

و كانت المواكب الحسينية و خاصة موكب الصفارين تثير مشاعر متنوعة من الحب و الألم على فقدان، و تعزز الأمل في تحقيق ما عجز عنه السابقون الذين ان عجزوا، الا انهم رسموا ملامح تغوص عميقا في النفوس، ملامح البطولات و التضحيات في سبيل الحق و العدالة . . كل ذلك و غيره كان يحفز و يثير في نفوس اهالي الكاظمية سلوكا و خلقا ثوريا.

و في احد الايام في المتوسطة و بعد انتهاء الفرصة الأخيرة بين درسين و كنا في حالة الذهاب الى الصفوف حدث ارتباك بين الطلبة و صار احدهم ينظر للآخر و البعض يسرع و الآخر يقف و الكل عيونهم مفتوحة بكاملها، و من الهمسات عرفت ان مجموعة من رجال الأمن

كانوا يلاحقون و يحاولون محاصرة احد الطلبة الذي كان يسرع نحو الحمامات، كان الطالب في الصف الثالث (عباس) ان لم تخني الذاكرة، و كان معروفا بين الطلبة كطالب يساري نشيط في توزيع المناشير السرية، و اشتهر بين الطلبة بكتابة شعارات الحائط . و دون سابق معرفة شخصية بيننا، اقتربت منه و تبادلنا الإبتسام و اخبرته بأنه يستطيع القفز من سياج المتوسطة الى بيت (الشيخ الدهوي) و ان يختفي بين اشجار النارج و شجيرات ورد الجوري هناك، و اني سأتي الى هناك بعد انتهاء الدوام و اخبر الشيخ بما حصل، و عليه ان يطمئن . . في وقت كان فيه سياج المتوسطة مرتفع و في اماكن اخرى منطبق على ابنية الجيران الاكثر ارتفاعا، او مرتقعا ان تمكن الفرد عبوره، فإنه سينفذ الى عائلة اخرى لا يعرف كيف ستتصرف بوجود غريب عندها دون استئذان .

و بسرعة ابتسم عباس ابتسامة سريعة و اجابني:

- صار عزيزي و الف شكر!

تم ذلك في ثواني و كنت ذاهبا الى الصف و بقيت اقلب فكري و احدث نفسي . . (كأنه يعرفني و الا كيف وثق بي ؟؟ . . كيف ؟) و مضى الأمر بهدوء من جانب، و من جانب آخر كان النقاش بين المدير (عريف عودة) و رجال الأمن صاخبا مسموعا:

- شنو داتفشمر علينا ؟؟ ولك تبقى قشمر .

- ليش خابرتنه على عباس و هذا المجرم لم يداوم اصلا هذا اليوم، كما اخبرنا الفراش (كان الفراش يساريا و يحمي الطلبة اليساريين) ؟؟ - عزيزي بس على كيفكم لاتصيحون احنا في مدرسة مو بالمكتب رجاء . . آني شفته بعيني.

- يابه دروح هاي عينك بدأت تسورب . . مو سويناك مدير و هلله هلله ؟؟

و بعد انتهاء الدرس الاخير استطعت تخليص عباس بذهابي الى بيت الشيخ الدهوي و مقابلي اياه و اخباره بما حصل، و ثمن الشيخ موقفي

و ربت على كتفي و قال:

- اتفضل ابني بيتي ببيتكم، تحبون استريحوا بالحديقة الى ان نشوف ان الشارع خالي.

و بعد خروجنا الى الشارع و حديثنا، اخبرني عباس بأنه صديق مفيد و محمود و بانه رأني عدة مرات معهما و عرف اني اخوهما . . و بعد ايام اخبرني محمود بأن هناك صديق عزيز عليه يريد يشوفني و ان هذا الصديق هو (شندي) و انه من قادة الحركة الطلابية السرية؟!، و ان علي ان احفظ اسرار الحديث معه و لا اتحدث بها لأقرب الناس. . . كان (شندي) شابا نحيفا طويل القامة يعتمر بيرية رمادية انيقة، يتحدث بهدوء و بكلمات بسيطة بلكنة اهل الكاظمية عرفت بعد سنوات انه كان طالبا جامعيا، و اشار الى اعتزازه و اعتزاز (الربع) بما قمت به في مساعدة عباس للافلات من الإعتقال، و دخلنا في نقاشات متعددة عن محلات و حوارى الكاظمية و اسمائها، و فرح بهوايتي بركوب الدراجة الهوائية و معرفتي بتفاصيل مناطق الكاظمية. . .

و في النقاش قال شندي:

- احنا و منذ فترة نلاحظ نشاطا متزايدا لجماعات (اسلاموية) من موامنة و من مهن متنوعة و ليسوا طلبة ، بغطاء الدعوة الى الصوم والصلاة، يقومون بزيارات للمدارس الثانوية والمتوسطة بحجج متنوعة و قسم منهم مزودون بهويات فيها اسمائهم، باتفاق مع مدراء المدارس او مع خفراء الباب سواء بالتهديد او بدفع اموال . . و يعملون على التحريض ضد القوى الوطنية و يكتبون شعارات على الحيطان الداخلية للمدارس يعتبرون فيها السياسة (كفر و الحاد) اثر فتوى السيد الحكيم.

بل واكثر من ذلك فانهم يشكلون مجاميع مسلحة يؤمن لها السلاح من ملازم محمد ابن الشيخ الخالصي الذي تنتشط جماعته باسم (جماعة الشيخ) او (جماعة شيخ محمد) . . و علينا ان ندافع عن انفسنا بالعمل السري و بما يتوفر من سلاح للدفاع عن النفس . . و اتحاد الطلبة

يحتاج لأصدقاء يساعده بالأخبار التي تحمي اعضائه من المخاطر، اصدقاء ليس بالضرورة ان يكونوا اعضاء لجان و يحضرون اجتماعات و لكن مخلصين و يساعدون الوطنيين .

سفرة اتحاد الطلبة العام الى (الصدور)

من جانب آخر سعت الإتحادات و الجمعيات و النقابات المجمدة اجازاتها، الى القيام بنشاطات اجتماعية توفر مجالات لتلاقي و لنقاش و تبادل اخبار و تصورات لأعضائها و عضواتها، كالسفرات و اقامة حفلات بمناسبة الأعياد و الأعراس و الموالد المتنوعة، و قد نشط اتحاد الطلبة العام في مجال السفرات .

كانت سفرة يوم السباع الخالد في ١٤ نيسان التي تأجلت لأسباب فنية الى بداية صيف عام ١٩٦٢ ، كانت سفرة لاتنسى، بحشد طلابي كبير بل وكبير جدا على سفرة طلابية، حيث جرت السفرة بمشاركة آلاف من الطلبة والطالبات ملثوا اكثر من مئة باص كبير، يوم تم اختيارنا كأشبال لـ (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) ضمن فرع الإتحاد في اعدادية الكاظمة للبنين.

كانت السفرة الى سد ديالى الغاطس في بساتين (الصدور) على اطراف (خانقين) . . وكانت قد جرت رغم امتناع السلطة على اجازتها تحريريا - كما جرت العادة آنذاك - وانما وافقت موافقة تليفونية شفوية بالاتصال بمقر الأتحاد الكائن في الوزيرية مقابل كلية التربية آنذاك . في زمان حشدت فيه الشرطة ورجال الأمن امكاناتهم لمواجهة الفعاليات الجماهيرية المطالبة ب : الديمقراطية وباطلاق سراح الموقوفين السياسيين ورفع الأحكام العرفية بحقهم، والفعاليات المطالبة ب (الديمقراطية للعراق والسلم في كردستان)، وبدأت تضيق على الطلبة .

واضافة الى لافته (الطلبة سند امين للجمهورية) التي زينت مقدمة الباص الأول، كانت لافتات (السلم في كردستان)، (على صخرة الأتحاد العربي الكردي تتحطم مؤامرات الأستعمار و الرجعية)، (من اجل حياة طلابية حرة، من اجل مستقبل افضل)، و من قصيدة الجواهري الخالد (يوم الشهيد):

"يوم الشهيد طريق كل مناضل وعر، ولا نصب ولا اعلام" . . تزين جوانب الباصات المتتالية.

و وسط جو مرح وحميمية رغم الحذر والأنتباه مما يمكن ان يعرقل سير الباصات، كانت حتى الملابس تحكي وتعني الكثير، فاضافة الى الملابس العادية، وارتداء البعض الملابس العربية بالعقال والعباءات الرجولية الأنيقة، كانت الملابس الكردية الفضفاضة التي زادت من وسامة و زهو مظهر الشباب، و زادت من جمال الشابات الكرديات، كانت الملابس القومية الكلدانية و الأشورية شيئا جميلا من شكل آخر وشيئا جديدا على كثير منا آنذاك من العرب، وسط تفهم واحترام من تحدين الأوضاع القائمة آنذاك، وحضرن بحجابهن ولم ينزعنه . هناك انتبهت للمرة الأولى ان العراقيين وليس غيرهم يتحدثون بعدة لغات هي كلها لغاتهم ! بعد ان كنا كطلبة فتيان نتصور ان هناك عربي وكوردي فقط . . و(عجمي) يتكلم به غير العراقيين ؟!

وقد غنى في السفرة الوجه الجامعي المعروف (عبد الرحمن شمسي) الشهير بـ (بلبل الجامعة) آنذاك . . غنى " عمي يابيع الورد، كلي الورد بييش كلي ؟ "، "فوك النخل فوك . . "، " هه ر بجي كورد وعرب رمز النضال . . هاي خوتنا وتاريخ انكتب، النا حافل بالمجد والتضحيات . . صلبه وحدتنا ومعدنها صلب، ما تهزهها العواصف للأبد ! ! " و التي كان كل مقطع منها، يقاطع بعواصف من التصفيق والهلاهل التلقائية الوجدانية حماسا لمعانيها.

ثم القيت قصيدة " الريل وحمد " التي القاها الشاعر المعروف (مظفر النواب) نفسه، والتي كانت تقاطع بالترديد بحرارة وبالتصفيق معه،

اضافة الى قصيدته الشهيرة الأخرى التي غناها بلبل الجامعة، " سعد يا سعود ياببرغ الشرجية" التي اهاجت المشاعر ورفعت الأحاسيس وكانت تقاطع بهوسات منسجمة الأيقاع " هذي يشامغ الثوار تبرج نار حربية.

والقيت اغاني وقصائد عن انتصار الثورة الجزائرية، وصياغة مناشدات للأسراع باطلاق سراح المناضلة الجزائرية البطلة (جميلة بوحيرد) هي والمناضلة (جميلة بو باشا) رغم انتصار الثورة واستقلال الجزائر . . . و قد أطلق سراح البطلة جميلة بوحيرد اثر مناشدات اممية متنوعة بعد فترة قصيرة و دعاها الزعيم لزيارة العراق، فزارت بغداد التي غنت طربا في استقبالها، و زارت مرقد الامامين الكاظميين وسط استقبال رسمي و شعبي قل نظيره في الكاظمية .-

و في السفارة اقيم معرض كبير في الهواء الطلق للصور التي رسمها طلاب وطالبات معهد الفنون الجميلة في بغداد، لازل اذكر منها الرسوم الجميلة للرسم الكاظمي الشهير " اتحاد كريم"، التي كانت بقلم الرصاص العادي والذي كان مستعدا لرسم بورتريه لمن كان يلح عليه لرسمه، بخطوط سهلة ممتعة امتاز بها قلمه الرشيق.

وتحت الشمس التي لم تكن نحس بحرارتها العالية و وسط نسائم نهر ديالى (سيروان) والروافد والبساتين المحيطة هناك، في بدء ذلك الصيف، تجمع الشباب والشابات الكرد يدبكون الدبكة الكردية وكنا نحن الشيبية نحجل معهم بعد ان دعونا بود للمشاركة معهم، و صرنا مشغولين بجدية كبيرة بالتدقيق بحركة اقدامهم، كي نضبط ايقاع الدبكة الذي كان يجري سريعا وبحماس، وسط فرح وضحك وتشجيع البعض للبعض، على انغام ساحرة وصوت يخلب النفس، عرفت بعدئذ انها كانت اغاني والحن المغني الكوردي الشهير (حسن زيرك)، كانت تبث من مكبر جهاز تسجيل كبير (لم يكن يوجد أخف منه بعد، آنذاك)، كان متصلا ببطارية احدى الباصات.

في طريق العودة الى بغداد، جرت اكثر من محاولة من مجاميع كانت

تحمل عصي، لايقاف السيارات بشتائمها وبقذفها بالباصات بالحجارة، الا ان تلك المجاميع كانت تترد بعد اكمال رؤية مشهد طول القافلة وصدوح اناشيد " من السجون تهفو قلوب بحنين وباشتياق . . ياليت انا و النصر دان في الطريق مع الجموع " ، التي كانت تهيج التصفيق وعلامات التضامن من سكنة القرى والمدن الفقيرة الصغيرة المترامية على الطريق.

وكانت تهيج النفوس وتجدد العزم على التضامن مع سجناء الحرية، وسجناء الفعاليات الهائلة المتنوعة التي كانت تجري بجهود الحزب الشيوعي والوطني الديمقراطي من اجل السلم في كردستان ، يوم كانت الحرب العدوانية ضد الشعب الكردي، الشغل الشاغل للعراقيين رجالا ونساء في الوسط والجنوب خاصة، ونظموا من اجلها مظاهرات ووجهت بقسوة، حين عمت مدن العراق من اقصاه الى اقصاه، وملئت شوارع بغداد العاصمة بشتى الأشكال.

واضافة الى اجواء الفرح والتفاؤل وتجديد العزائم وتربية النفوس، لعب " اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية " دورا لاينسى، طيلة العقود التي كان فيها الشارع العراقي يموج ويغلي بالنشاط من اجل الديمقراطية والحقوق ومن اجل صيانة ما تحقق من مكاسب للبلاد، فالطلبة شكلوا و يشكلون الشريحة التي اضافة الى انها تمتلك الطاقات والحيوية والثقافة، فأنها تريد - ومن حقها - ان تعيش، وان يعيش البلد حياة سعيدة افضل، كبقية بلدان العالم.

لقد رسخت فعاليات الأتحاد في عقولنا وافندتنا الفتية منذ ذلك، الروح الوطنية، روح التآخي القومي والعراقي، روح حب الناس واحترام المرأة ودعم الضعيف وعدم السكوت على الظلم، وفيه ومنه تعلمنا ان مواجهة الظلم لاتتم بالتهريج ولابلتمني فقط، بل فتح عيوننا انذاك على ان هناك قوى حاكمة واخرى تدفع للتهريج، لأمتصاص النقم ضد تلك القوى، و بالتالي توجيهها للصدام بالمنظمات الجادة في العمل من اجل الحرية والديمقراطية، من اجل حرف و تشويه واجهاض المطالب . .

لقد نبه الأتحاد، الشباب وحذرهم من المآسي التي قد تنجم بسبب
الأستهانة والأستخفاف بالطغيان واهمال بناء الوسائل الفاعلة لمواجهته

هناك في سفرة " الصدور "، التقيت بالمناضل الطلابي المعروف رغم
تكتمه (الشندي) الذي حياني مبتسما مصافحا وكأني نده، لتجمعنا
الشهور معا بعد اقل من عام بالشهيد البطل (سعيد متروك) حين كان
يقود المقاومة المسلحة ضد الأنقلاب الفاشي عام ١٩٦٣ في " الكاظمية
" و كنا من ربعه .. كما سيأتي ..

يجبى فائق، مظفر النواب

كانت تلك التوترات السياسية الإجتماعية تغلي، في وقت لم تنقطع فيه الحياة اليومية بتنوعها و صخبها و روتينها و مفارقاتها، لم تنقطع عن السير اعتياديا . . حيث عاد باص مدرسة والدتي الى انتظارها هي مع اختي سوسن في الكاظمة عند باب البيت ليوصلها الى مدرستها في الصليخ، بعد ان قررت مديرة المدرسة السيدة (نعيمة القره غولي) ان يخرج الباص عن دورته اليومية بشكل اوسع ليصل الى بيتنا و ينقل والدتي ذهابا و ايابا، اعتزازا بها . . و عاد والذي الى شراء المؤونة الشهرية من (محلات رشيد شلال) في الأعظمية - رأس الحواش المتمسك بدروشته لطريق جدنا الحاج فخري، حيث كانت محلاته تنقل الحاجات المنزلية الى بيتنا شهريا بسيارة تلك المحلات، و الدفع بحساب مفتوح شهري او اكثر، في عناية لاتنسى. .

و انكبنا نحن الشباب الصغار بالعناية بالحديقة و بالدجاج و البيض، و العناية بجراء كلبتنا المخلصة (وردة)، التي كانت من كلاب الشوارع و كنا نرمي لها بقايا الأكل و استقرت عند بابنا و كانت ترافقنا في مسيرنا خارج البيت، حتى جاء يوم استنفرت فيه وردة بشكل غير اعتيادي و اخذت تضرب الباب لتنبهنا و انطلقت الى البستان المقابل حيث كان اختي الاصغر سوسن ذاهبة لشراء الخبز من الخبازة هناك. .

ذهبنا انا و محمود راكضين خلف (وردة) حتى دخلنا بستان الخبازة و وجدنا سوسن معتممة بالحائط و قد اسقطت عدد من ارغفة الخبز ارضا في تراجعها امام هجوم كلبة عرفت بوحشيتها، كانت تتقدم ببطء بنباحها المتواصل لإتمام سيطرتها على ضحيتها، حين هاجمتها وردة و دخلا في صراع دموي حاد فصح المجال لـ سوسن بالهروب نحونا بعد ان رأتنا و عدنا معا . . لتعود وردة بعدئذ و هي مدماة و تعرج بشكل

غير متناسق لأن جروحها النازفة كانت في اكثر من ساق . . و صارت وردة كلبتنا و صرنا نعتي جميعا بها، و لاحقا بجرائها ايضا .
كان الأهم في تلك الفترة هو انكبنا على قراءة الروايات الإنسانية و الثورية التي ربت فينا حب الحياة و الوطن و الناس، و التضحية من اجل الحق و العدالة، فكانت ثلاثية نجيب محفوظ : بين القصرين، السكرية، قصر الشوق . . التي شدتنا لها، لأنها كانت تحاكي مجتمعنا و الصراع بين الحداثة و التقاليد البالية المحافظة. و " في بيتنا رجل " لإحسان عبد القدوس عن نضال الشباب الجدد في سبيل الحرية .
اضافة لما جادت به المكتبة الثرية لصديق الوالد (علي الطعان) ابن تاجر السجاد الكبير (حسين الطعان) الذي حكم بسبب ابنه ستة شهور في محكمة النعساني السعيدية سيئة الصيت اواخر الاربعينات بتهمة (تضليل العدالة) حينها، لأنه قال : (كل ماهناك ان ابني "علي" شيوعي متطرف على طرف) و كان يقصد ان لإبنه اصدقاء شيوعيين من طرف بعيد . . كما مر .
فقرأنا بلهفة رواية (الأم) لمكسيم غوركي، و شدتنا مجاميع قصصه القصيرة التي توالف الواقع بالخيال لتخلق الأمل في (مولد انسان) : من (شرارات قلب دانكو) الذي قتله قومه لأنهم شعروا بأنه كان يخدعهم، و كانت الحقيقة انه اراد اخراجهم من الغابة الكثيفة التي سجنتمهم في جحورها و منعت عنهم الشمس، اراد اخراجهم منها بطريق يتطلب تضحيات، بما عرفه و تعلمه من علم و حساب و نظريات الأولين . . و بسقوطه قتيلا تدرج قلبه و تكسر و بإشعاعات المحبة العميقة للناس من ذلك القلب، انفتحت الغابة و صارت بقايا تلك الإشعاعات، شرر الحشرات الليلية المضيئة في الغابات التي تدل على مواقع الماء و مواقع العسل، بعد ان انفتحت الغابة بتلك الشرارات .
و الي (طائر النوء) - النورس - المتفاعل مع العواصف و الرعود و مجاهل البحار كمشاعر فئات الشعب - مناديا على قومه و بصريخ عالي . . هنا الطريق !! هنا اليايسة . . نذهب معا !! صاعدا نازلا

مباشرا بأن طريق الثورة هو الطريق المفضي الى السعادة و العدالة . .
 و (حكاية صقر و افعى) عن افعى لم تعرف من الحياة سوى زحفها
 قرب و حول جحرها، و قابلت يوما صقرا جريحا في معركة . . . كان
 يسعى زاحفا للوصول الى حافة الجبل ليلقي بنفسه في الهواء عله
 يستطيع الطيران من جديد كما تعود في حياته و وصفته بأن مجنون !!
 و اجابتها الجبال وسط رياح متناغمة معها : " اننا نغني المجد لجنون
 الشجعان !! المجد، المجد!!

ثم " العاصفة " لإيليا اهرنبورغ في وصفه لحياة بنات و ابناء باريس
 من عمالها و كادحيها و الى مثقفيها و علمائها و مختلف اوساطها و
 كيف مروا بحياة الإحتلال النازي و كيف نشأت المقاومة الفرنسية
 للإحتلال النازي . . و (الاجراس تقرر للابطال) للكاتب الأميركي
 الشهير إرنست همنغواي عن المقاومة الإسبانية لنظام فرانكو الفاشي،
 حين كان متطوعا فيها . . و كان اغلبها صادر عن دار اليقظة العربية
 في بيروت و دمشق.

و بعدئذ (المؤامرة الكبرى على روسيا) الواصفة لحرب الغرب
 الرأسمالي على روسيا الثائرة لمحاولة خنق ثورة اكتوبر الإشتراكية و
 تكوينه مئات من افواج (الحرس الأبيض) و شرائه الآلاف من القوميين
 المتعصبين و تنظيمهم في وحدات، كما في : اوكرانيا، الدون -
 روستوف، الدونباس، ارمينيا، القفقاس . . و (الفولاذ سقيناها) عن مدى
 صبر البشر في تحقيق اهدافه ان آمن بها .

(عشرة ايام هزت العالم) للكاتب و الصحفي الأميركي اليساري جون
 ريد، الذي عايش احداث ثورة اكتوبر و انتصارها في العشرة ايام
 الاخيرة التي توجت بالنصر، حين كان في روسيا منتقلا بين موسكو و
 بطرسبورغ ، (متى يطلع الفجر يارفيق) عن الصراعات البطولية في
 اوروبا من اجل العمال و عموم الفقراء قبل انتصار ثورة اكتوبر
 الإشتراكية، و وفق انواع المذاهب الإشتراكية من السلمية الى المسلحة
 . . (ارض ثمارها من ذهب) و (فارس الأمل) لـ (جورج أمادو) عن

النضالات الطبقيّة و الفلاحية و حروب العصابات في اميركا اللاتينية و الجنوبية . . و غيرها و غيرها الكثير مما يهندس النفوس البشرية و يلمعها.

و كنا كمجاميع اخرى من الشباب نتناقش حولها و اين؟ و متى؟ و من يقول ذلك؟ و هل قرأتم الرواية او عماذا تتحدث تلك الرواية؟؟ . . التي كانت نقاشات هذبتنا و هذبت طبائعنا و احلامنا و آمالنا و مودتنا للأخر.

و قد اهتم الوالد كعادته باصطحابنا الى مسرحيات (معهد الفنون الجميلة) في مواسمها السنوية، التي شاعت انباء الأكثر التزاما و منفعة للناس منها . . كمسرحيات (عذراء اللورين)، (عطيل)، (هاملت) . . التي كان يفسر لنا ما يصعب علينا فهمه، سواء كان الوالد او اصدقائه في المعهد.

و ما اثار انتباهي في اوساط المعهد هو تكرار ذكرهم و احترامهم لرائد المسرح العراقي الفنان الكبير (يحيى فائق)، الذي كان يشكل لهم المثال الملهم للفنانين المسرحيين العراقيين بروحه الثورية المتحدية للتخلف و طاقاته النادرة في النشاط و التجديد و الإبتكار، كما كان يدور من احاديث جعلتني اتمنى ان اراه و ان احببه و اتعلم شيئا منه . . و لم ادرك انه سيأتي يوما لألتقيه و اعيش معه و مع عائلته بعد اكثر من خمسة عشر عاما.

ففي اواخر السبعينات شنت انواع من وحدات الأمن و الوحدات الصدامية الخاصة اعنف هجوم عرفته البلاد، ضد القوى الديمقراطية و الحزب الشيوعي العراقي، وفق ملفات جديدة و قديمة عادت لإنقلاب شباط الدموي عام ١٩٦٣ ، و وفق ملفات ملفقة . . في نية لإبادة حملة اي فكر تحرري و تقدمي لاينسجم مع فكر البعث الصدامي . . و امتلأت السجون و المواقف و مقرات المنظمات الصدامية بعشرات الآلاف من الرجال و النساء و العوائل الذين واجهوا انواع اساليب التعذيب الجسدي و النفسي و ضاقت العاصمة بغداد بعشرات آلاف

آخرين يبحثون عن الإخفاء لمواصلة النشاط او لحماية التنظيم و حماية
 انفسهم و عوائلهم .
 في تلك الظروف القاسية و فيما كنت ابحث عن مخبا (تفاصيل ذلك
 ستأتي في حلقات لاحقة وفق التسلسل الزمني للذكريات)، عرفتني
 اختي شذى في زمن لعبت فيه الشابات ادوارا بطولية لاتنسى ، عرفتني
 على عائلة خالة صديقتها، التي ابدت استعدادا لإخفائي . . كانت تلك
 العائلة، عائلة الفنان الكبير المخرج يحيى فائق الذي خاطر بقبولي رغم
 ان ابنه الشهيد موفق كان جنديا يؤدي خدمته العسكرية آنذاك، و كان
 انكشاف اخفائي في بيتهم يؤدي الى حكمه بالاعدام وفق قوانين صدام
 القراقوشية.

و بإخفائي في بيت الفنان يحيى فائق . . تكونت لي صداقة حميمة معه
 رغم فارق السن واختلاف الإختصاص، و جمعتنا الكثير من الأحاديث
 حول الثقافة و التراث البغدادي الجميل مطعمة دائما بتجاربه الشخصية
 وآرائه الوطنية ومعاناته بسبب مواقفه الثورية التي بقي متمسكا بها
 حتى وفاته، و من ضمن ماجمعنا هو ما كلفني به حينها بجمع و توحيد
 ما كتبه في بحثه المسرحي الذي اعتبره باكورة أبداعه و تجربته
 والموسوم بـ "نظرية البعد الرابع" في المسرح، والذي كان قد كتبه
 على عشرات القصاصات في ازمان مختلفة ماضية، و اثارت تلك
 القصاصات حين كنا نتوقف لمحاولتي معرفة مايريد منها لصياغتها
 لغويا، اثارت الكثير من ذكرياته الغزيرة عن احداث و شخصيات و
 عن مجتمعنا آنذاك. وقد جلب انتباهي كثيرا كيف ان لقائه مع الرفيق
 "فهد"، قد غير مجرى حياته ابداعيا وشخصيا.

و مما قاله متذكرا:

. . " كنت في مطلع الأربعينات من الشباب الوطني المحب لشعبه
 والساعي من اجل سعادته، وكنت آنذاك مولعا بالفن المسرحي الذي
 اسرني وملاً حياتي، ولم أكن اعرف ان هناك رسالة للفنان و دور
 اجتماعي هائل لتطوير و تغيير المجتمع. كنت ابن عائلة ميسورة،

استهزأ بالسلطة و بقيود التخلف والأخلاق ، كنت رافضا لأغلاننا
الأجتماعية وواقفا أن شعبنا سينطلق يوما من اساره ويلحق بركب التقدم
والحضارة، ولكن لم أعرف كيف، و لا ماهو الطريق لذلك، و ماهو
دوري ؟؟

و في ظهيرة صيفية بينما كنت ذاهبا الى بيت نسيبي، الشيوعي
المتحمس الذي لم يخل بيته من الضيوف يوما، طرقت الباب، ففتحها
رجل وسيم هادئ الملامح، قال لي ان نسيبي سيعود بعد حوالي الساعة
وقال: جنابك الأستاذ يحيى فائق ؟

لاقت تلك الكلمات المهذبة وقعا طيبا في نفسي، واجبت بخيلاء : نعم!
جلست على كرسي وجلس مقابلي على دكة سلم البيت الشرقي القديم
بدشداشته النظيفة، واخذ يسألني عن المسرح ويعرض لي كيفية تفاعل
وحماس المشاهدين لمسرحياتي الناقدة - التي منعت بعدئذ، وكانت قد
شغلت المجتمع البغدادي ووجوهه آنذاك، على قصرها و قلتها -، وابدى
ملاحظات واقتراحات وجدتها هامة و مفيدة دلت على مشاهدته
واهتمامه الجدي بمسرحياتي، الأمر الذي زاد من جدتي في سماعه
وتوضيح ما سأل عنه، كان يبدي آراء على اساس انه قرأها ووجدها
منطقية، وكشف عن الدور الخطير للمسرح في ايصال الفكر الأنساني
للجماهير الأمية، إضافة لدوره التحريضي الذي تخافه السلطات
الظالمة، لذا تحاربه بالرزق وتتهمه بالخروج عن الأخلاق والدين في
الوقت الذي تدعم فيه المسرح الهابط اللاأخلاقي . واورد مفاهيم
أسمعها لأول مرة، مثل (اعطني خبزا ومسرحا أعطيك شعبا واعيا)، ثم
قال:

- شيء جميل يا أستاذ يحيى ان تكون (فنان الشعب)، الذي لا يكتفي
بكشف المظالم والحقائق وانما يسعى ليدل على طرق الحل، بخطة ان
يكون هناك عمل جاد واحد يوضع ضمن لائحة مجموعة اعمال عادية،
كي تضمن اجازة المسرحية.
لم استقبل لقب (فنان الشعب) بارتياح، وقلت في نفسي وانا ببذلتني

السموكن البيضاء والوردة الحمراء (من يظن نفسه هذا ؟ انا يحيى فائق !! فنان الحفاة ؟؟؟)
 كان الحديث قصيرا، الا انه اجاب عن جوهر تساؤلاتي وحيرتي .
 خرجت وانا غارق فيما اثاره ذلك الغريب من مواضيع، وكنت فرحا
 بالتعرف على صديق عميق الثقافة، عارف بهموم الناس ومزاجها،
 وعقدت العزم على ان اراه باستمرار . تكررت زياراتي لبيت نسبي
 على امل لقائه ولكن بلا فائدة . . والمؤسف اني كنت اتجنب السؤال
 عنه لغوري!!

مر اكثر من عام وكنت قد اخذت بملاحظات ذلك الصديق التي ازداد
 بها نجاحنا، وبينما كنا نعرض مسرحية (بيدبا) الناقدة الشهيرة، واثناء
 أدائي لدوري لمحت وجهها مشوقا وسط القاعة، وبلمحة تبادلنا الأبتسام .
 وفي نهاية المسرحية وأثناء تحيتنا للجمهور الذي اثرنا حماسه فيما
 تجمع رجال الأمن و حاملو الدونكيات . . نظرت الى مكان الصديق،
 كان خاليا، استبدت بي الرغبة للبحث عنه ولكن، ما أسمه ؟؟ وانا في
 قلقي واضطرابي جاءني المحامي (محمد حسين أبو العيس) الذي كان
 صديقي المقرب لتقدير اية مسرحية يمكن ان نقدم في الظرف السياسي
 - الإجتماعي المحدد . . وبعد ان هنأني على نجاح المسرحية، قدم لي
 ورقة صغيرة ،قرأتها بسرعة، ورد فيها:

(الى فنان الشعب : اهنتك واشد على يدك ! - صديقك -)
 مرت السنين والأحداث، وكنت اشعر بحرص وأهتمام القوى الوطنية
 والديمقراطية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي بأعمالنا وبنا شخصيا
 وكنت اشعر بوجود ذلك الصديق في المسرحيات ثم في المظاهرات
 التي أخذت اشارك بحماس فيها، حتى مظاهرة ١٩٤٦ لنصرة الشعب
 الفلسطيني التي رشقتها الشرطة بالرصاص واستشهد فيها (شاؤول
 طويق)، حين اخبرني (ابو العيس):

(تحيات صديقك الحارة اليك، ويقول لا تكن في مقدمة المظاهرة، ان
 جبهتكم الأمامية هي المسرح، حافظ على نفسك للمسرح فالفنانون لا

يعوضون بسهولة.) !
 لم أعلم بهوية ذلك الصديق المربي الا بعد أستشهاده البطولي الذي هز
 أعماق الضمير الشعبي في البلاد بكل مكوناتها . . هكذا كان القائد فهد
 انسانا متواضعا، أحب الناس وأحترمهم واستطاع ان يحرك طاقاتهم
 وأستعدادهم مهما تواضع، في سبيل قضية الشعب، فكسب حب وأحترام
 أوسع الأوساط الشعبية، وبقي نداءا يتردد داعيا للحرية و لكرامة
 الإنسان في عراقنا الحبيب" !

و في سير الحياة الاجتماعية الإعتيادية في الكاظمية . . كان جيراننا
 المجاورون لصق بيتنا من جهة الجسر، اكرادا فيليين . . كانت عائلة
 (العلي) مؤلفة من أم و بنت و خمسة ذكور، و كان لديهم محل لتصليح
 السيارات في محلة الشيخ معروف في الكرخ، و بعد وفاة والدهم قام
 بإدارته محله الأبن الثاني (صبحي) الذي كان خريجا متعلما و صار
 يدير محل ابيهم، فيما كان الأول الفيتير الحقيقي قد ترمّل بوقت مبكر
 حيث توفيت زوجته تاركة له ولدين صغيرين، و كان الابن الثالث
 لعائلة العلي طالب اعدادية . . و اصغر الأبناء (سعيد) من جيلي و
 اصغر مني بعام كما اذكر.
 و كانت سوالف الأم الكوردية الفيلية الضخمة، معنا كصبيان و اصغر،
 من اصدقاء ابنها سعيد، كانت تدور بشكل متواصل عن الخلق والخالق
 والجنة والنار و الملائكة و الشياطين و بشكل لاينتهي، حتى في زيارة
 والدتي العائلية لهم . . حيث دخلت في احاديث و اخبار (متجددة و كأن
 لها مراسلين هناك)، كما تحدثت عن تطورات جهنم والنار، و اخبار
 الدراويش و كيف ان دراويش لورستان حيث اهلها، عمالقة ضخام،
 اختارهم الباربي لجبروتهم ليكونوا حراس الجنة والنار . . حتى كانت
 تنام بين حين و آخر من كثرة الحديث عن النار والجنة، و كان
 الحاضرين بيتسمون.

في تلك الفترة كانوا يبحثون عن عروس لأبنهم الثاني (صباحي)، الذي كان ينتظر كل صباح قبيل الدوام عند ثانوية قريش للبنات واخته ساهرة معه لتتحدث مع من تعجبه وتسال عن عنوانها ليذهبوا الى اهلهما خطابة . . و كنا نضحك على ذلك الاسلوب، الا ان والدتي كانت تشرح لنا بأن ذلك الاسلوب رغم كونه في زمن سابق، الا انه اسلوب محترم مادام يؤدي الى الزواج . .

الا ان صباحي و اخته ساهرة تفاجأ ذات يوم بشباب احاطوا بهما و تحدثوا معهما بخشونة و خاصة احدهم الذي قال:
- ولكم انتو شتريدون من ابنة عمي؟؟ من اين انتم لتقتربوا منها و تتحدثوا لها عن مشاريع خطبة و زواج؟؟ عدوية خطيبتي و اكسر راس اكبر واحد يقترب منها، بحجة خطبة و زواج و الله يعلم شكو وراه !! افتهمت ابن المطي؟؟ بطلوا من اساليكم القذرة . . و الله و الله نخرب بيتكم و نشيلكم بليلة سوده ! افتهمت جاي بقاط و رباط ، اشكك بيه و اسلك سحل!!

و انتبه صباحي ان احدهم كان يحمل مسدسا كان بروزه واضحا من خلال دشداشته، و اخر مشبك بوكس حديد في يده . . و انسدت الباب بوجه صباحي الذي كان يحلم بالزواج من عدوية طالبة الإعدادية التي رآها و أعجب بها، و شخصت امامه مشكلة البحث عن زوجة مجددا و هو في مهنة الفيتزية التي من النادر فيها آنذاك ان يقابل او يتحدث مع امرأة.

و في يوم آنذاك سمعت هلاهل من بيت العلي . . معلنه خطوبة الأبن الكبير الأرملة على شابة واعدوا جفافي المهر والحلويات و وزعوها على الجيران في المحلة اضافة الى الشباب والصبيان، و كان اهل المحلة وخاصة النساء، يراقبن المنزل بكل الطرق المستورة عسى ان يشاهدوا العروس وهن يحملن اطفالهن، كبركة للعروس و امنيات لها بالأطفال . . وبعد اسبوع جرت حفلة الزواج التي ابتدأت بذبح خروف في الضحى . .

دفعني الفضول لمشاهدة العروس، الى ان ندخل انا و سعيد بحذر من باب حديقة جانبي، كي لايرانا احد، التزاما بكلام الأم الضخمة القوية بعدم رؤية الذكور للعروس قبل مجئ عريسها لأن ذلك يحمل سوء الفال، الا ان ذلك زاد من فضولنا . دخلنا متحججين بحاجة سعيد للدرس، وتتبعنا احتمالات مكان وجود العروس، حتى تيقنا من انها في الغرفة الكبيرة العلوية، ثم شاهدنا العروس التي كانت تبكي، وبين البكاء و الشهقات كانت تبسم!!
و ترددت اغاني من تلك الغرفة:
دا تمخطري يا حلوة يا زينة يا وردة من وسط جنينة
بيت العز يابيتنا على بابك عنبتنا
وقالت النساء:

- انها تبكي من الفرح ماكو احسن من هذا العريس . . مال و عائلة نشيطة
محترمة.
و فيما شاهدنا العروس لاحقا في ليلة العرس و هي تتزين و نساء يعنتين بزيتها، و نحن متصلصين من فتحة الباب عملا باوامر الأم، كنا ننتسم لحكايات العجائز و المتزوجات معها بان عليها ان لاتخاف، وان عليها ان تفعل كذا وكيت . . وكانت ضحكات الحاضرات تعلقو برنين خاص وكركرات تتصاعد من حين لآخر وهن يتذكرن ليلة دخلتهن
هن.

قالت احدهن، انها من ارتباكها لم تعرف كيف تنزع سروالها الذي بقي شابكا عند قدميها، حتى مزقه العريس المنفعل اللي يمكن ماشايف قبل او متلفه و مستعجل للعمل و خايف مايكمل للنهاية . . فيما قالت اخرى ان امها نصحتها باحتساء شئ من الخمر وقد فعلت ذلك مرغمة رغم طعمه الحاد وشعرت ان الأرض تدور بها ولم تفق الا والعريس فوقها بوجه متهلل متورد وهو يصيح:
- البرهان معي الآن!!
ضبطننا ساهرة متلبسين وكنا شاحبين من المفاجأة . . الا انها ابتسمت و

ضحكت و هي الطالبة الجامعية واعطتنا من ملابس الزواج وهي تقدر
بأني لا ازال صغيرا لكوني صديق اخيها الصغير سعيد، بتقديرى . .
وبقى ذلك اللقاء مصحوبا بتلك الأبتسامه واحيانا مع قطعة حلوى. . و
سأل سعيد:

- لماذا عليهما التعري و يجب ذلك في تلك الأمسية؟؟
ولم اعرف كيف اجيبه.
وانطلقت اطلاقات نارية بالهواء لم يعرف احد من اين اتت، وقيل انها
زيادة بالإحتفال و بأعلان الزواج . . و انطلقت اهازيح رجالية : زفيناه
واخلصنا منه.
و الليلة حنتهم بالبصرة زفتهم.

في تلك الأيام دعى والدي الشاعر المعروف مظفر النواب على الغداء،
الذي كان ينزل بين فترة و اخرى ضيفا في بيت جيراننا النقيب المتقاعد
ابو سلام . . و اعدت والدتي غداء عامرا للضيف متمحورا على تبسي
سمك بالفرن بعد ان علمت ان الشاعر يفتقده منذ فترة، اضافة الى الرز
المناسب بالكشمش و اللوز و انواع من السلطات و المقبلات. .
و بينما كان والدي فرحا بلقاء الشاعر الذي كان ابن صديقه الحميم و
الذي كان من مؤيدي مدرسة (الأهالي) لكامل الجادرجي، يوم شاركا
معا في الإحتجاجات و التظاهرات الحاشدة زمن النظام الملكي و كانا
يذهبان معا مع العوائل لزيارة و مقابلة السجناء السياسيين الذين كان
منهم الشاعر الشهير مظفر النواب و الصحفي الموهوب عدنان البراك
. . و كان معجبا بشعر النواب المشجع و المحمس للنضال من اجل
قضية و حق الشعب بالخبز و الحرية.
و كان يردد دوما:
ياسعود احنا عيب نهاب ياببرغ الشرجية
هذي يشامغ الثوار تبرج نار حربية..

و كان يجمع اشعار النواب و الجواهري الكبير بدقتر جيب صغير مكتوب بخط اليد، كان يحمله و يراجعه دوما و عند حاجته اليه . . فكان لقاء الشاعر مناسبة عزيزة للوالدين و لنا نحن الأبناء الذين حفظنا اشعاره من كثرة ترديد الوالد لها و استعداده لشرح ماصعب علينا استيعابه منها . . اضافة الى ما كتبه من مقاطع اشعار الجواهري الكبير
 المنادية للنضال:

تقحم لعنت ازيز الرصاص و جرب من الحظ مايقسم
 وخضها كما خاضها الاسبقون وثن بما افتتح الأقدم
 و بعد استقبالنا الحار للشاعر النواب كعائلة و جلوسنا معا متبادلين
 انواع الأحاديث . . اعلنت والدتي ان الغداء جاهز و غمزتنا بأن
 ننسحب، و اصر النواب على بقاء الأبناء على الأقل على المائدة . .
 فجلسنا محمود و مفيد و انا و بدأنا نأكل ببطء و لاحظنا ان النقاش
 الدائر صار يميل الى المحدودية، فانسحبنا من المائدة بالتدرج الى
 الصالة لتلبية اي طلب ممكن ان يحصل .
 و ارتفعت اصوات النقاشات و خاصة بين الشاعر النواب و ابو سلام و
 التي كنا نسمعها من الصالة كما سيأتي .

البوم الصور :



الاعدادية المركزية - بغداد - الطالب مهند البراك في الوسط



الطالب مهند البراك في كلية الطب - بغداد - الجالس الاول من اليسار



مهند البراك مع انصار حزبه في جبال كوردستان

Muhannad Al Barrak 25. maj 2021 · 🇩🇪

المجد الخالد للشهيدة البطلة المفجّية شذى البراك .. التي تاضلت بثبات و بطولة من اجل قضية الشعب الوطنية بعربيه و كرده و اقلياته القومية و الدينية و طوائفه، و كانت حتى استشهاده صيدلانية شابة عاشت على راتبها الشهري و عملت في صيدلية اهلية و زعت راتبها منها على عوائل الشهداء التي عانت الفقر و الحرمان .. اعتقلتها و غيّبتها عصابات المجرم صدام مطلع الثمانينات ..

الصورة لمقامها الطاهر مع رفيقائها و رفاقها الشهداء الابطال الذين غيّبتهم الدكتاتورية في موقع تكريم شهدات و شهداء الحزب الشيوعي العراقي و الكردستاني المعيّين في اربيل الذي اقيم قبل ايام . المجد الخالد لشهدات و شهداء الحزب الشيوعي الاماجد !







الشهيدة شذى البراك غيّبت في أقبية التعذيب والموت على يد أجهزة البعث الخاصة



الشهيد الصحفي عدنان البراك



سوسن البراك



من اليمين : سوسن البراك ، الدكتور عبدالحسين شعبان ، نزيهة الدليمي



مهند البراك - في زيارته الاخيرة إلى كوردستان



عمر خضر كاكيل ، مهند البراك - أربيل



مهند البراك في حضرة شهداء الحزب الشيوعي العراقي
في قرية توسكة



الدكتور مهند عبدالرحمن أحمد البراك ، المعروف بدكتور صادق
في زيارته الاخيرة لكوردستان



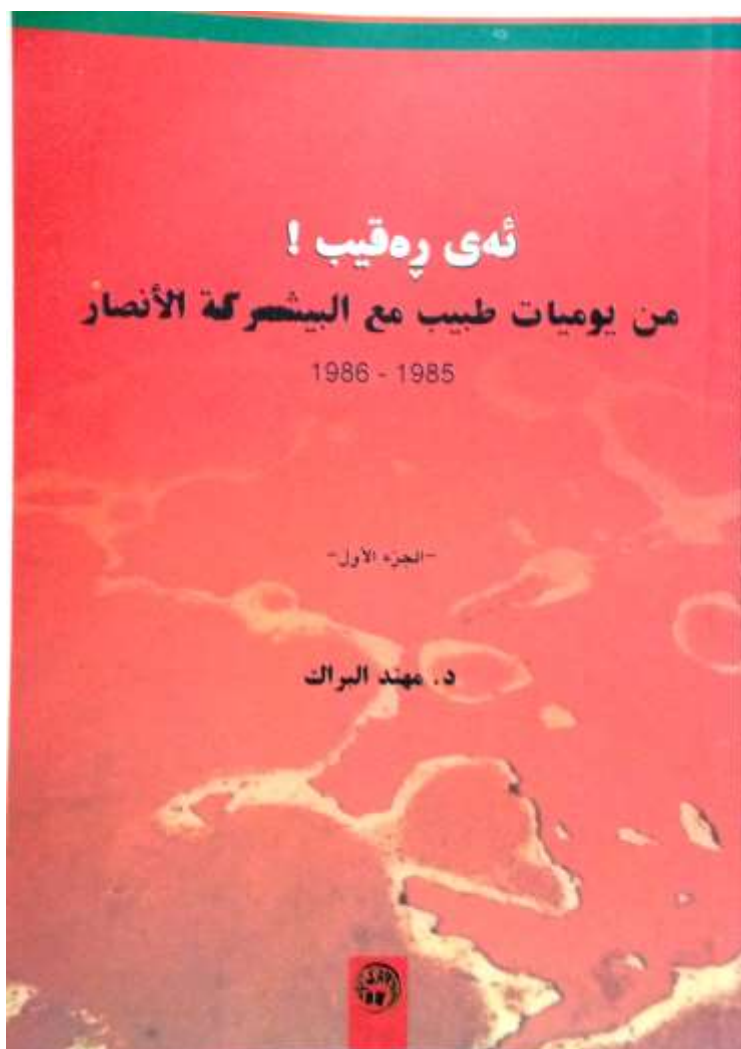
مهند البراك مع زوجته ايفا - مصيف شقلاوة

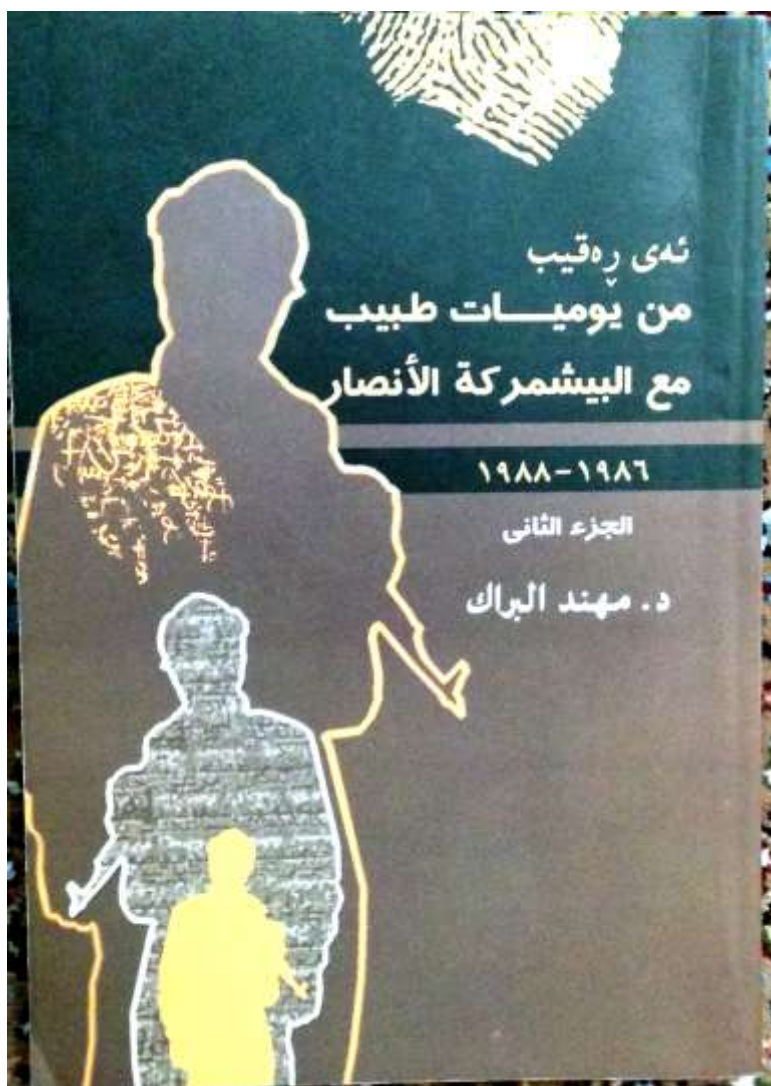


عمر خضر كاكيل ، مهند البراك ، ايغا ، اربيل - مصيف پيرمام



ايغا ، مهند البراك ، اربيل - مصيف شقلاوة







Childhood memories

Dr, Muhannad Albarak

د. مهناد البراك:

طبيب وباحث

خريج كلية الطب - جامعة بغداد عام ١٩٧٣،
سكرتيراً عاماً لـ اتحاد الطلبة العام في الجمهورية
العراقية " لسنوات..

عمل طبيباً في مستشفيات بغداد و عموم -
العراق، و ساهم بنشاط في النضال الجماهيري
ثم في قيادته من أجل الديمقراطية، الأمر الذي
اضطرها إلى ترك مهنته إثر ملاحقات
الذكثانورية له و محاولتها اغتياله والتحق بقوات
الأصصار (البشمه ركة)، حيث عاش نضالها
الشاق ضد الذكثانورية طبياً وسياسياً سنوات
طويلة. .

حصل على دبلوم في العلوم الاجتماعية والصحافة. .
كتب ونشر العديد من الدراسات والبحوث الاجتماعية
و السياسية و الفكرية إضافة إلى الطبية، في
الصحافة العراقية والعربية والألمانية، وله عدد
من الترجمات عن الأنكليزية والألمانية.. .
عضو في عدد من المنظمات الإنسانية والتقدمية -
استشاري مشاريع فكرية و ثقافية، وأصل الكتابة
الفكرية و الروائية و البحث في شؤون العراق و
الشرق الأوسط إلى آخر يوم من حياته. .

. اصدر كتاب "أي رقيب" من يوميات طبيب مع
البيشمركة. الأصصار- جزيئين تناول فيه روائياً
جولاب من حياة و نضال الأصصار و كل
البيشمركة ضد الذكثانورية في سنوات ١٩٨٥.
١٩٨٨، و بسبب رحيله الأدي لم يستطع نشر
كتابه الثالث "هناك.. عند الحدود" على

الإنترنت، و كتاب رابع تحت الطبع. .

. لديه أعمال روائية و فكرية أخرى عن بلاده و

الشرق الأوسط، تنتظر النشر. .